

موسوعة العلامة ابن خلدون

المجلد الثاني

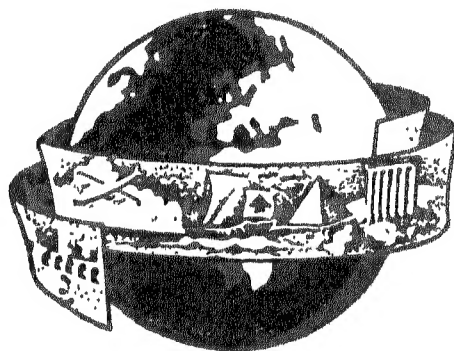
دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة

0180863



Bibliotheca Alexandrina



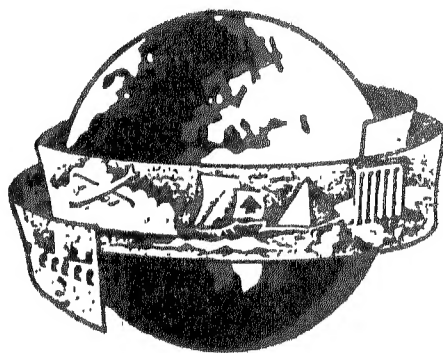
دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج.م.ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برفباء: كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN



دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريسنول
تلفون: ٧٢٥٧٣١ - ٧٢٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقيا: ناكلهان - ص.ب.: ١١/٨٢٣٠ - بيروت - لبنان

FAX. (9611) 351433

A/T.: MR. HASSAN EL- ZEIN

تَارِيحُ الْعِلْمِ
أَبْنُ خَلْدُون
المجلد الثاني

I.S.B.N. 977 - 238 - 031 - 5

دار الكتاب اللبناني شارع منام كوري - مقابل فندق بريستول تلّصون، ٧٢٥٧٣١ - ٧٢٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١) ببرقيا، تلّصون، ص.ب. ١٧/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان FAX: (9611) 351433 ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN	جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للنائشرين	دار الكتاب المصري ٣٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج.م.ع. تلّصون، ٣٩٤٢٠١ / ٣٩٤٢١٦٨ - فاكسميلي: ٣٩٤٢٠٥٧ (٢٠٢) ص.ب. ٥٦١ - الرمز البريدي ١٥١١١ - ببرقيا، كتامصر FAX: (202) 3924657 ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN
---	--	---

طبعة مزيّة ومنقحة

١٩٩٩ م
A.D. 1999

١٤٢٠ هـ
H. 1420

تَارِيخُ الْعَلَامَةِ

ابْنُ خَلْدُون

كتابُ الْعِبَرِ وَدِيَانِ الْمُبْنَدِ وَالْمُخَبَّرِ
فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ وَالْبَرْبَرِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ
مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ
وَهُوَ تَارِيخٌ وَحِيدٌ عَصْرُهُ
الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ خَلْدُونِ الْمَغْرِبِيِّ

المجلد الثاني

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة

كلمة الناشر

إنما الأمة برجائها الأفاضل الذين يخوضون في بحار الفكر ويرتادون
المجاهل ليقتنصوا لأمتهم مشاعل تسيروا على أضواءها ، ويرفعوا للعالم منارات
لإشعاع وتوجيه . ومن ألمع رجال الفكر والعلم صاحب الشهرة الواسعة
أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون .

وُلد ابن خلدون في تونس وشبَّ فيها أعجوبة من أعاجيب العقل وسعة
الاطلاع ودقة الملاحظة . ولَّي الكتابَ والوساطة بين الملوك في المغرب
والاندلس . ثم انتقل إلى مصر حيث قلَّده السلطان بقوق قضاء المالكية
ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف ، فكانت مؤلفاته
من أهم المصادر للفكر العالمي . وأشهرها « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر »
في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،
وهو كتاب ضخم يقع في سبعة مجلدات . وأعظم اجزائه وأشهرها الكتاب
الأول المسمى « مقدمة ابن خلدون » ضمنه صاحبه قواعد فلسفة التاريخ
والاجتماع ، ونقد فيه الذين سبقوه وبيَّن عيوبهم ، ثم وصف تطوُّر الأمم
من البداوة إلى الحضارة ، وترقِّي الشعوب في الاجتماع والدين والسياسة
والاقتصاد والعلوم والفنون ، وتكوُّن الدُّول وغوَّها وانهارها ، وطبائع
أهل البدو والحضر وما إلى ذلك . كلُّ هذا ، بطريقة متسلسلة واسلوب
منطقي ، وتعبير سائغ سهل لا تكلف فيه ولا تقيّد بسجع أو ببديع ،
بمعرفة لا حدَّ لها ونظر ينفذ إلى الأعماق ، وتفهم صحيح لحقيقة الوجود

الاجتماعي . ولا عجب من بعد اذا ما رأينا مقدمة ابن خلدون تطبع عبر الزمن ، في مصر والشام واوروبا ، وتترجم بكاملها أو ببعض اقسامها إلى اللغات الاجنبية . ثم ان كتاب العبر ، على ما في اقسامه من تفاوت في الاجادة ، يجمع فوائد جمة ولا سيما في تاريخ البوبر الذي لا يزال المرجع النفيس لمعرفة احوال المغرب في العصور الوسطى .

ولما كان لهذا الكتاب من الاهمية في عالم العلم ما اتينا على ذكره فقد رأينا من الواجب ان نقدم على طبعه مع ما يعترض ذلك العمل من مشاقّ جسام ، ومع ما يفرضه من أتعاب وأكلاف ، وذلك خدمةً للامة العربية الكريمة ، وخدمة للعلم ، ولا سيما واننا ، منذ أنشأنا « دار الكتاب اللبناني » قطعنا على انفسنا عهداً لازماً بخدمة أرباب المعرفة والاطلاع .

وقد شمرنا عن ساعد الجدّ ورحنا نسعى وراء النسخ النادرة ، ونجند الصفوة المباركة من رجال التاريخ والفكر والأدب للبحث والمقارنة والتحقيق ، ثم باشرنا الطبع فاخترنا له من أساليب الاتقان ما يليق بهذا الاثر الجليل .

ولكي يكون عملنا تاماً ذيلنا الكتاب بفهارس مختلفة تكون اكبر مُساعد لمن اراد الخوض في عباب هذا اليم الواسع الأطراف .

وإننا ، ونحن نقدم للعالم العربي بل للعالم اجمع ، كتاب العلامة ابن خلدون ، نشعر بتلك الغبطة التي يشعر بها كل مخلص ، قام بالخدمة ، كاملة .

ولنا الامل الوطيد بأن عملنا هذا سيحوز الثقة في عالم العلم ، وسيكون خطوة واسعة في طريق التقدم والنور ، والله ولي التوفيق .

دار الكتاب المصري

دار الكتاب اللبناني

الْبَابُ الرَّابِعُ

من كتاب الأوّل

في البلدان والأصهار وسائر العيران وما يعرض في ذلك
من الأحوال وفيه سوابق ولواحق

الفصل الأوّل

في أن الدول أقدم من المدن والأصهار وانما توجد ثانية عن الملك

وبيانه أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة
التي يدعو إليها الترف والدعة كما قدّمناه . وذلك متأخر عن
البدوة ومنازعها . وأيضاً فالمدن والأصهار ذات هياكل وأجرام
عظيمة وبناء كبير . وهي موضوعة للعموم لا للخصوص ، فتحتاج
إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون . وليست من الأمور الضرورية
للناس التي تعمّ بها البلوى ، حتى يكون نزوعهم إليها اضطراراً ،
بل لا بدّ من إكراههم على ذلك ، وسوقهم إليه مضطهدين بعضا
الملك ، أو مرعبين في الشواب والأجر الذي لا يفي بكثرة إلا
الملك والدولة . فلا بدّ في تمصير الأصهار واختطاط المدن من
الدولة والملك .

ثم إذا بُنِيَتِ المدينةُ وُكِّلَ تشييدها بحسبِ نظرٍ من شَيِّدها،
وبما اقتضته الأحوالُ السماويةُ والأرضيةُ فيها ؛ فعمرُ الدولة حينئذٍ
عمرُها . فإن كانَ عمرُ الدولة قصيراً وقَفَ الحَالُ فيها عند انتهاء
الدولة وتراجَعَ عمرانها وخرِبَت ، وإن كانَ أمدُ الدولة طويلاً
ومدَّتْها منفسحةٌ ، فلا تزالُ المصانعُ فيها تشادُ والمنازلُ الرحبةُ
تكثرُ وتتعدَّدُ ، ونطاقُ الأسواقِ يتباعدُ وينفسحُ ، إلى أن تتسَّعَ
الخُطَّةُ وتبعدَ المسافةُ وينفسحَ ذرعُ المساحةِ كما وقع ببغداد وأمثالها .
ذكرَ الخطيبُ في تاريخه أن الحَمَامَاتِ بلغَ عددها ببغدادَ لعهدِ
المأمونِ خمسةً وستينَ ألفَ حمامٍ ، وكانت مُشْتَمِلَةً على مدُنٍ
وأَمْصَارٍ متلاصقةٍ ومتقاربةٍ تجاوزُ الأربعينَ ، ولم تكن مدينةٌ
وحدها يجمعُها سورٌ واحدٌ لأفراطِ العمرانِ . وكذا حالُ القَيْرَوَانِ
وَقَرْطَبَةِ وَالْمَدِينَةِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وحالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ بعدها
فَمَا يَلْفُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ .

وأما بعدَ انقراضِ الدولةِ المَشِيدَةِ للمدينةِ : فإِذَا أَن يَكُونَ
لضواحي تلكِ المدينةِ وما قارَبها من الجبالِ والبسائطِ باديةٌ يَمُدُّها
العُمرانُ دائماً ؛ فيكونُ ذلكَ حافِظاً لوجودِها ، ويستمرُّ عُمرُها بعد
الدولةِ كما تراه بفاسَ وبجَايَةِ من المغربِ ، وبعراقِ العَجَمِ من
المشرقِ الموجودِ لها العُمرانُ من الجبالِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدَاوَةِ إِذَا
انتهتْ أحوالُهم إلى غاياتها من الرِّفَةِ والكسبِ ، تدعو إلى الدَّعَةِ
والسَّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ الْبَشَرِ ؛ فينزِلونَ المدُنَ وَالْأَمْصَارَ
ويَتَأَهَّلُونَ . وأما إِذَا لم يكنْ لتلكِ المدينةِ المؤسَّسةِ مادَّةٌ تفيدُها

العُمرانَ بترادُفِ الساكن من بدوها ، فيكونُ انقراضُ الدولة خرقاً لسياجها ، فيزولُ حفظُها ، ويتناقصُ عمرانها شيئاً فشيئاً ، إلى أن يندعر^(١) ساكنُها وتخرَّبَ ؛ كما وقعَ بمصرَ وبغدادَ والكوفةَ بالمشرقِ والقيروانِ والمهديَّةِ وقلعةِ بني حمادٍ بالمغربِ ، وأمثالها فتفهَّمُ . وربما ينزلُ المدينةَ بعد انقراضِ مخطَّطِها الأولينَ ملكٌ آخرُ ودولةٌ ثانيةٌ ، يتخذُها^(٢) قراراً وكرسياً يستغني بها عن اختطاطِ مدينةٍ ينزلُها . فتحفظُ تلكَ الدولةُ سياجها ، وتتزايدُ مبانيها ومبانيها ، بتزايدِ أحوالِ الدولةِ الثانيةِ وترَفِها ، وتستجدُّ بعمرانها عمراً آخرَ ، كما وقعَ بفاسَ والقاهرةَ لهذا العهدِ . واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ ، وبه التوفيقُ .

الفصل الثاني

في ان الملك يدعو إلى نزول الأمصار

وذلك أن القبائلَ والعصائبَ إذا حصلَ لهم المُلْكُ اضطروا للاستيلاء على الأمصارِ لأمرينِ : أحدهما ما يدعو إليه المُلْكُ من الدَّعةِ والراحةِ وحطِّ الأثقالِ ، وأستكمالِ ما كان ناقصاً من أمورِ العمرانِ في البدوِ ؛ والثاني دفعُ ما يُتَوَقَّعُ على المُلْكِ من أمرِ المنازعينَ والمُشاغبينَ . لأنَّ المِصرَ الذي يكونُ في نواحيهم ربما

(١) يتفرق .

(٢) أي يتخذها الملك .

يكون ملجأ لمن يرومُ منازعتهم ، والخروجَ عليهم ، وانتزاعَ ذلك الملك الذي سموا إليه من أيديهم ؛ فيعتصمُ بذلك المصر ويغالِبُهُمْ . ومغالبةُ المصرِ على نهايةٍ من الصعوبةِ والمشقةِ . والمصرُ يقومُ مقامَ العساكرِ المتعددة لما فيه من الأمتناعِ ونكايةٍ^(١) الحربِ من وراء الجدرانِ ، من غير حاجةٍ إلى كثيرِ عددٍ ولا عظيمِ شوكةٍ . لأنَّ الشوكةَ والعصَابَةَ إِنَّمَا أحتيجَ إليهما في الحربِ للثباتِ ، لما يقعُ من بعد كربةِ القومِ بعضهم على بعضٍ عند الجولةِ ، وثباتِ هؤلاء بالجدرانِ ؛ فلا يضطرونَّ إلى كبيرِ عصَابَةٍ ولا عددٍ . فيكونُ حالُ هذا الحصنِ ، ومن يعتصمُ به من المنازعينِ ، مما يفتُ في عَصْدِ الأُمةِ^(٢) التي ترومُ الاستيلاءَ ، ويخضدُ شوكةَ استيلائها . فإذا كانت بين أجنابهم أمصارٌ انتظموها في استيلائهم للأمنِ ، من مثل هذا الانحرامِ ؛ وإن لم يكن هناك مصرٌ استحدثوه ضرورةً لتكميلِ عمرانهم أولاً ، وحطِّ أثقالهم ، وليكونَ شجراً في حلقٍ من يرومُ العِزَّةَ والأمتناعَ عليهم من طوائفهم وعصائبهم . فتعيَّنَ أَنَّ المُلْكَ يدعو إلى تَوَلِّيِ الأمصارِ والاستيلاءِ عليها . والله سبحانه وتعالى أعلمُ ، وبه التوفيقُ لا ربَّ سواه .

(١) نكى العدو نكاية : أصاب منه . وعن ابن السكيت : وقد نكيت في العدو أنكبي نكاية أي هزمته وغلبته (لسان العرب) .

(٢) فت في عضده : كسر قوته وفرق عنه أعوانه (قاموس) .

الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير

قد قدّمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها ، وأنها تكون على نسبتها . وذلك أن تشييد المدن إنما يحصلُ باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم . فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك ، حشِرَ الفعلة من أقطارها ، وُجعت أيديهم على عملها . وربما استُعين في ذلك في أكثر الأمر بالهندام الذي يُضاعفُ القوى والقُدَر في حمل أثقال البناء ، لعجزِ القوة البشرية وضعفها عن ذلك ، كالمخال^(١) وغيره . وربما يتوهم كثير من الناس إذا نظر إلى آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة ، مثل إيوان كسرى ، وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب ، إنما كانت بقدرتهم متفرقين أو مجتمعين ؛ فيتخيل لهم أجساماً تناسبُ ذلك أعظم من هذه بكثير ، في طولها وقُدَرها ، لتُناسبَ بينها وبين القُدَر التي صدرت تلك المباني عنها . ويُغفل عن شأن الهندام والمخال ، وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية . وكثير من المتغلبين في البلاد يعاين في شأن البناء ، واستعمال الحبل في نقل الأجرام عند أهل الدولة المُعتنين بذلك من العجم ، ما يشهد له بما قلناه عياناً . وأكثر آثار الأقدمين لهذا العهد تُسمّى العامة عادية ، نسبةً إلى قوم عاد ، لتوهمهم أن

(١) كذا بالأصول : ولم ترد هذه اللفظة في لسان العرب ، والمشهور : المخل ، وهو عند المولدين : آلة مستطيلة من حديد ونحوه ، ترفع أو تقلع بها الحجارة .

مباني عادٍ ومصانِعهم إنما عَظُمَت لِعَظَمِ أَجْسائِهِمْ وتَضَاعَفَ قُدْرِهِمْ. وليس كذلك ، فقد نجدُ آثاراً كثيرةً من آثارِ الذين تُعرَفُ مقاديرُ أجسائِهِم من الأُمَمِ ، وهي في مثلِ ذلكِ العِظَمِ أو أعظم ، كايوانِ كِرى ومباني العُبَيْدِيِّينَ من الشِيعَةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، والصَّنَاجِيَّةِ ، وأثرُهُم بادٍ إلى اليومِ في صومعةِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ . وكذلك بناءُ الأَغَالِبَةِ في جامعِ القَيْرَوَانِ ، وبناءُ الموحِدين ، في رباطِ الفُتُوحِ ورباطِ السلطانِ أَبِي سَعِيدٍ لعهْدِ أربعينَ سنةً ، في المنصورةِ بِإِزَاءِ تِلْمْسانَ . وكذلك الحنايا التي جَلَبَ إليها أَهْلُ قُرطاجَنَةِ الماءِ في القنَاقَةِ الرابِكةِ عليها ماثِلَةٌ أيضاً لهذا العهدِ . وغيرُ ذلكِ من المباني والهياكلِ التي نُقِلَت إلينا أخبارُ أَهْلِها قَريباً وبعيداً ؛ تَيَقَّنَّا أَنَّهُمْ لم يَكُونوا بِإِفْراطٍ في مقاديرِ أجسائِهِمْ . وإنما هذا رأيٌ وَلِغَ بِهِ القُصَّاصُ عن قومِ عادٍ وِمْوَدَ والعمالقَةِ . ونجدُ بُيُوتَ ثمودَ في الحِجَرِ منحوتَةً إلى هذا العهدِ . وقد ثَبَتَ في الحديثِ الصَّحيحِ أَنَّها بيوتُهُم يَرُى بها الرِّكَبُ الحِجازيُّ أَكثَرَ السنينَ ، ويشاهدونها لا تَريدُ في جِوَّها ومَسَاحِها وَسَمَكِها على المِتعاهِدِ . وإنَّهُم لِبِبالِفونَ فيما يَعتَقِدونَ من ذلكَ . حتى إنَّهُم ليزعمونَ أَنَّ عُوجَ بَنِ عِناقَ من جيلِ العمالقَةِ ، كان يَتناولُ السَّمَكَ من البحرِ طَريقاً فيشويهِ في الشمسِ . يزعمونَ بذلكَ أَنَّ الشَّمْسَ حارَّةٌ فيما قَرُبَ منها ، ولا يَعلَمونَ أَنَّ الحَرَّ فيما لدينا هو الضَّوُّ لِانِعْكَاسِ الشُّعاعِ بِمقابِلَةِ سطحِ الأرضِ والهواءِ . وأما الشمسُ في نَفْسِها فغيرُ حارَّةٍ ولا باردةٍ . وإنما هي كوكبٌ مُضَيٌّ لا يَزاجُ له . وقد تقدَّمَ شيءٌ من هذا في الفصلِ الثاني ،

حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها . والله يخلق ما يشاء ويُحكم ما يُريد .

الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية . وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه ؛ فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة إلى أن تتم . فيبتدي الأول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث ؛ وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر القلعة وجمع الأيدي ، حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ماثلاً للعيان . يظنه من يراه من الآخرين أنه بناء دولة واحدة .

وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب ، وأن الذي بناه سبأ بن يشجب ، وساق إليه سبعين وادياً . وعاقه الموت عن إتمامه ، فأتمه ملوك خيبر من بعده .

ومثل هذا ما نُقل في بناء قرطاجنة وقناتها الراكبة على الحنايا العادية . وأكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها . ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في

اختطاطها وتأسيسها ؛ فإذا لم يتيسر أثره من بعده من الملوك في إتمامها بقيت بجالها ولم يكمل القصد فيها . ويشهد لذلك أيضاً أننا نجد آثاراً كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتحريبها ، مع أن الهدم أيسر من البناء بكثير ؛ لأن الهدم رجوع الى الأصل الذي هو العدم ، والبناء على خلاف الأصل . فإذا وجدنا بناءً تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم ، علمنا أن القدرة التي أسسته مفرطة القوة ، وأنها ليست أثر دولة واحدة . وهذا مثل ما وقع للعرب في إيوان كسرى ، لما اعتزم الرشيد على هدمه ، وبعث إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشيرُهُ في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركهُ ماثلاً ؛ يستدلُّ به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لأهل ذلك الهيكل ، فاتهمهُ في النصيحة ، وقال : أخذتُهُ النعمة للعجم . والله لا صرغته . وشرع في هدمه وجمع الأيدي عليه ، واتخذ له الفؤوس وحماه بالنار ، وصبَّ عليه الخل ، حتى إذا أدركهُ العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة ، بعث الى يحيى يستشيرُهُ ثانياً في التجافي عن الهدم ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، واستمرَّ على ذلك ، لئلا يقال : عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم ، فعرَفها الرشيد وأقصر عن هدمه .

وكذلك اتفق للمؤمنين في هدم الأهرام التي بمصر وجمع الفعلة لهدمها ؛ فلم يخلُ بطائل . وشرعوا في نقيه فانتهوا الى جوف بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان ، وهنايك كان منتهى

هديمهم . وهو إلى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر . ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازاً بين تلك الحيطان . والله أعلم .
وكذلك حنايا المعلقة إلى هذا العهد تحتاج أهل مدينة تونس إلى انتخاب الحجارة لبنائهم وتستجيد الصنائع حجارة تلك الحنايا ؛ فيحاولون على هدمها الأيام العديدة . ولا يسقط الصغير من جذرائها إلا بعد عصب الريق ، وتجتمع له الحافل المشهورة . شهدت منها في أيام صباي كثيراً . ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(١) .

الفصل الخامس

فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث
إذا غفل عن تلك المراجعة

اعلم أن المدن قرارٌ تتخذهُ الأممُ عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ؛ فتؤثر الدعة والسكون ، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار . ولما كان ذلك للقرار والمأوى ، وجب أن يُراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها : فأما الحماية من المضار فيُراعى لها أن يُدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار ، وأن يكون وضع ذلك في مُتنعٍ من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل ، وإما باستدارة بحر أو نهر بها ، حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب

(١) الآية ٩٦ من سورة الصافات .

منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها . ومما يُراعى في ذلك للحماية من الآفات السبائية طيبُ الهواء للسلامة من الأمراض . فإنَّ الهواء إذا كان راكداً خبيثاً ، أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو لمناقع^(١) متعفنة أو لمروج خبيثة ، أسرع إليها^(٢) العفن من مجاورتها ؛ فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا بحالة ، وهذا مشاهد .

والمدن التي لم يُراعَ فيها طيبُ الهواء كثيرةُ الأمراض في الغالب . وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قايِس من بلاد الجريد بإفريقية ؛ فلا يكادُ ساكنها أو طارِقها يخلص من حمى العفن بوجه . ولقد يقال إن ذلك حادثٌ فيها ، ولم تكن كذلك من قبل . ونقل البكري في سبب حدوثه ، أنه وقع فيها حفرةٌ ظهرَ فيه إناء من نحاسٍ مختوم بالرصاص . فلما فُضَّ ختمه صعد منه دخانٌ إلى الجوِّ وانقطع . وكان ذلك مبدأ أمراض الحميات فيه . وأراد بذلك أنَّ الإناء كان مُشتملاً على بعض أعمال الطلسمات لوبائه ، وأنه ذهب يسهُ بذهابه ، فرجع إليها العفن والوباء .

وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة . والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يثبت خرقه فنقله كما سمعه .

والذي يكشف لك الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يُهيئها لتعفن الأجسام وأمراض الحميات ركودها . فإذا

(١) جمع منقع : الموضع يستنقع الماء فيه .

(٢) الضمير في «إليها» يعود إلى «المنزل» .

تَحَلَّلَتْهَا الرِّيحُ وَتَفَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالًا ، خَفَّ شَأْنُ الْعَفَنِ
وَالْمَرَضِ الْبَادِي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ .

وَالْبَلَدُ إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّاكِنِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ فَيَتَمَوَّجُ
الْهَوَاءُ ضَرُورَةً ، وَتَحْدُثُ الرِّيحُ الْمُتَخَلِّلَةُ لِلْهَوَاءِ الرَّاكِدِ ، وَيَكُونُ
ذَلِكَ مَعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّمَوُّجِ . وَإِذَا خَفَّ السَّاكِنُ لَمْ
يَجِدِ الْهَوَاءُ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوُّجِهِ ، وَبَقِيَ سَاكِنًا رَاكِدًا ،
وَعَظُمَ عَفْنُهُ وَكَثُرَ ضَرَرُهُ . وَبَلَدُ قَائِسَ هَذِهِ ، كَانَتْ عِنْدَمَا كَانَتْ
إِفْرِيقِيَّةً مُسْتَجِدَّةَ الْعُمَرَانِ ، كَثِيرَةَ السَّاكِنِ تَمَوَّجُ بِأَهْلِهَا مَوْجًا .
فَكَانَ ذَلِكَ مَعِينًا عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ وَاضْطِرَابِهِ وَتَخْفِيفِ الْأَذَى مِنْهُ ؛
فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَفْنٍ وَلَا مَرَضٍ . وَعِنْدَمَا خَفَّ سَاكِنُهَا رَكَدَ
هَوَاؤُهَا الْمُتَعَفِّنُ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا ، فَكَثُرَ الْعَفْنُ وَالْمَرَضُ . فَهَذَا وَجْهُهُ
لَا غَيْرَ .

وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وُضِعَتْ ، وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ
الْهَوَاءِ . وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّاكِنِ ؛ فَكَانَتْ أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً . فَلَمَّا
كَثُرَ سَاكِنُهَا انْتَقَلَ حَالُهَا عَنْ ذَلِكَ . وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَاسَ
لِهَذَا الْعَهْدِ الْمُسَمَّى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ ، وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ . فَتَفَهَّمْهُ
تَجِدْ مَا قُلْتُهُ لَكَ .

وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ : مِنْهَا
الْمَاءُ ، بَأَنَ يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى نَهْرٍ ، أَوْ بِإِزَائِهَا عَيُونٌ عَذْبَةٌ ثَرَّةٌ .
فَإِنَّ وَجُودَ الْمَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يَسْهَلُ عَلَى السَّاكِنِ حَاجَةَ الْمَاءِ وَهِيَ
ضَرُورِيَّةٌ ، فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وَجُودِهِ مَرْفَقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةٌ . وَمِمَّا يُرَاعَى

من المرافق في المدين طيب المراعي لسائمتهم إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ، ولا بد لها من المرعى . فإذا كان قريباً طيباً ، كان ذلك أرفق بحالهم ، لما يُعاون من المشقة في بعده . ومما يراعى أيضاً المزارع ؛ فإن الزروع هي الأقوات . فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها ، كان ذلك أسهل في اتخاذ وأقرب في تحصيله . ومن ذلك الشجر للحطب والبناء ، فإن الحطب مما تَعْمُ البلوى في اتخاذ لوقود النيران للاصطلاء والطبخ . والخشب أيضاً ضروري لسقيهم^(١) وكثير مما يُستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم . وقد يُراعى أيضاً قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية . إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول . وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات ، وما تدعو إليه ضرورة الساكن . وقد يكون الواضع غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعي ، أو إنما يراعي ما هو أهم على نفسه وقومه ، ولا يذكر حاجة غيرهم ، كما فعله العرب لأوّل الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق وإفريقية ؛ فإنهم لم يُراعوا فيها إلا الآتهم عندهم ، من مراعي الإبل وما يصلح لها من الشجر والماء المالح . ولم يُراعوا الماء ، ولا المزارع ، ولا الحطب ، ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف ، ولا غير ذلك ؛ كالقيروان والكوفة والبصرة وأمثالها . ولهذا كانت أقرب الى الخراب لما لم تراعى فيها الأمور الطبيعية .

(١) جمع سقيف ، وهو بمعنى السقف .

ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ، أن تكون في جبل ، أو تكون بين أمة من الأمم موفرة العدد ، تكون صريحاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو . والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ، ولم يكن بساحتها غمران للقبائل أهل العصبية ، ولا موضعها متوعر من الجبل ، كانت في غيرة للبيات ، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحيفها لها ، لما يأمّن من وجود الصريح لها . وإن الحضر المتوحد للذعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة . وهذه كالألكندرية من المشرق ، وطرابلس من المغرب ، وبونة وسلا . ومتى كانت القبائل والعصائب موطنين بقربها ، بحيث يبلغهم الصريح والنعير ، وكانت متوصرة المسالك على من يروها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى أسنمتها ؛ كان لها بذلك منعة من العدو ويثسوا من طروقها ، لما يكابدونه من وعريها ، وما يتوقعونه من إجابة صريحها . كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغريها . فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية ، مع أن الدعوة من ورائها ببرقة وإفريقية ؛ وإنما اعتير في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها . ولذلك — والله أعلم — كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة . والله تعالى أعلم .

الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

إعلم أن الله سبحانه وتعالى فضّل من الأرض يقاعاً اختصّها بتشريفه ، وجعلها موطنَ لعبادته ، يُضاعفُ فيها الثوابَ ، وينمي بها الأجورَ . وأخبرنا بذلك على ألسنِ رُسُلِهِ وأنبياؤه ، لطفاً بعبادِهِ وتسهيلاً لطرقِ السعادةِ لهم .

وكانت المساجدُ الثلاثةُ هي أفضلُ يقاعِ الأرضِ حسبما ثبتَ في الصحيحين ، وهي مكّةُ والمدينةُ وبيتُ المقدسِ . أما البيتُ الحرامُ الذي بمكّةُ ، فهو بيتُ إبراهيمَ صلوات الله وسلامه عليه . أمرهُ اللهُ ببنائه ، وأن يؤذّنَ في الناسِ بالحجِّ إليه ؛ فبناهُ هو وابنهُ اسماعيلُ كما نصّه القرآنُ ، وقام بما أمرهُ اللهُ فيه . وسكنَ إسماعيلُ به مع هاجرَ ، ومن نزلَ معهم من جُرُهمَ إلى أن قبضَهُما اللهُ ، ودُفِنَا بالحجرِ منه ^(١) . وبيتُ المقدسِ بناهُ داودُ وسليمانُ عليهما السلامُ . أمرهما اللهُ ببناءِ مسجدِهِ ونصبِ هياكلِهِ . ودُفِنَ كثيرٌ من الأنبياءِ من وُلدِ إسحقَ عليه السلامُ حوآليه . والمدينةُ مهاجرُ نبينا محمدٍ ، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه ، أمرهُ اللهُ تعالى بالهجرةِ إليها وإقامةِ دينِ الاسلامِ بها ؛ فبنى مسجدَهُ الحرامَ بها ، وكان ملجأهُ الشريفُ في

(١) ورد في لسان العرب : والحجر حجر الكعبة ، وفي الحديث ذكر الحجر في غير موضع ، قال ابن الأثير : هو الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي .

ثَرَبَتِهَا . فهذه المساجد الثلاثة قُرَّةُ عين المسلمين ومهوى أفئدتهم ، وعظمة دينهم . وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثيرٌ معروفٌ . فلنُشرْ إلى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها إلى أن كُملَ ظهورُها في العالم .

فأما مكة فأوليتُها - فيما يقال - أن آدمَ صلواتُ الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ، ثم هدمها الطوفان بعد ذلك . وليس فيه خبرٌ صحيحٌ يُعولُ عليه . وإنما اقتبسوه من مُجمل الآية في قوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ . ثم بعث الله إبراهيم ، وكان من شأنه وشأن زوجته سارةَ وغيرها من هاجرَ ما هو معروفٌ . وأوحى الله إليه أن يترك ابنه إسماعيلَ وأُمَّهُ هاجرَ بالفلاة ؛ فوضعُها في مكان البيت وسارَ عنهما . وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ، ومرور الرُّفْقَةِ من جُرْهُمَ بهما ، حتى احتملوها وسكنوا إليهما ، ونزلوا معها حوالى زمزم كما عُرفَ في موضعه . فاتخذَ إسماعيلُ بموضع الكعبة بيتاً يأوي إليه ، وأدارَ عليه سياجاً من الرِّذَمِ وجعله زَرْباً^(١) لَغْنِهِ . وجاء إبراهيمُ صلواتُ الله عليه مراراً لزيارته من الشام ، أمرَ في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب ؛ فبناه واستعان فيه بابنه إسماعيلَ ، ودعا الناسَ إلى حَجِّهِ ، وبقي إسماعيلُ ساكناً به . ولما قُبِضَتْ أُمُّ هاجرَ وقامَ بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جُرْهُمَ ، ثم

(١) الزرب : موضع المواشي . جمعه زروب .

العمالق من بعدهم . واستمر الحال على ذلك ، والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الخليفة ، لا من بني إسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا أو نأى . فقد نُقِلَ أن التبابعة كانت تَحْجُّ البيتَ وتُعْظِمُهُ ، وأنَّ تَبْعاً كساها الملاء والوصائل ، وأمرَ بتطهيرها وجعلَ لها مِفْتَاحاً . ونُقِلَ أيضاً أن الفُرسَ كانت تَحْجُّه وتُقَرِّبُ إليه ، وأنَّ غزالي الذهب اللذين وجدُها عبدُ المطلب حين احتفرَ ذَمَزَمَ كانا من قرابيتهم . ولم يزل جُرْهُمَ الولايةُ عليه من بعدِ ولِدِ إسماعيل من قِبَلِ خُوُلُوتِهِمْ . حتى إذا خَرَجَتْ خُزَاعَةُ وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله . ثم كَثُرَ ولِدُ إسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كِنَانَةِ ، ثم كِنَانَةِ إلى قُرَيْشٍ وغيرِهِمْ . وساءت ولايةُ خُزَاعَةَ فغلبتْهُمُ قُرَيْشٌ على أمرِهِ . وأخرجوهم من البيتِ وملَّكوا عليهم يومئذٍ ، قُصَيَّ بنَ كِلَابٍ ، فبنى البيتَ وسقَّفَهُ بِخَشَبِ الدومِ وجريدِ النخلِ . وقال الاعشى :

خَلَفْتُ يَثُوبِي رَاهِبَ الدُّورِ والتي بناها قُصَيٌّ وَالْمَضَاضُ بنُ جُرْهُمِ
ثم أَصَابَ البيتَ سَيْلٌ ، ويقالُ حريقٌ وتهدمَ ، وأعادوا بناءه
وجمعوا النَفَقَةَ لذلك من أموالهم . وانكسرت سفينةُ بساحلِ جُدَّةَ
فاشتروا خَشَبَهَا لِلسَّقْفِ . وكانت جُدْرَانُهُ فوقِ القامةِ ؛ فجعلوها
ثمانيةَ عشرَ ذِرَاعاً . وكانَ البابُ لاصِقاً بِالْأَرْضِ فجعلوه فوقِ القامةِ
لثَلَا تدخلُهُ السُّيُولُ . وقصَّرتْ بِهِمُ النَفَقَةُ عن إِتْمَامِهِ فَقَصَّروا عن
قواعِدِهِ وتركوا منه سِتَّةَ أَذْرَعٍ وشبراً أَدَارَوْهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ ،
يطافُ من ورائه ، وهو الحِجْرُ . وبقي البيتُ على هذا البناءِ إلى

أَنْ تَحْصَنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ ، وَزَحَفَتْ إِلَيْهِ جِيُوشُ
يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْخَصَيْنِ بْنِ ثُمَيْرِ السُّكُونِيِّ . وَرُمِيَ الْبَيْتَ سَنَةً
أَرْبَعٍ وَسَتِينَ فَأَصَابَهُ حَرِيقٌ . يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ
الزُّبَيْرِ فَتَصَدَّعَتْ حِيطَانُهُ ؛ فَهَدَمَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ؛ وَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ
مَا كَانَ ، بَعْدَ أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي بِنَائِهِ . وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ
بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ
عَهْدٍ بِكُفْرٍ لَرُدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ :
شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا ، فَهَدَمَهُ وَكَشَفَ عَنْ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
وَجَمَعَ الْوُجُوهَ وَالْأَكْبَارَ حَتَّى عَايَنُوهُ . وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ
بِالتَّحَرِّيِّ فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ ؛ فَأَدَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْخَشَبَ ،
وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ^(١) حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ . وَبَعَثَ إِلَى صُنْعَاءَ فِي
الْفِصَّةِ^(٢) وَالْكَلَسِ ، فَحَمَلَهَا وَسَأَلَ عَنْ قِطْعِ الْحِجَارَةِ الْأُولَى ؛
فَجَمَعَ مِنْهَا مَا احتَاجَ إِلَيْهِ . ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعَشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ
لَاِصْغَيْنِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ . وَجَعَلَ فَرَشَهَا وَأَزْرَقَهَا بِالرَّخَامِ ،
وَصَاغَ لَهَا الْمِفَاتِيحَ وَصَفَائِحَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ .

ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ لِحَصَارِهِ أَيَّامَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَرُمِيَ عَلَى الْمَسْجِدِ
بِالْمَنْجَنِيقَاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهُ . ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ
عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ ؛ فَأَمَرَ بِهِدْمَهُ وَرَدَّ الْبَيْتَ عَلَى

(١) كَذَا ، وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِيسِيَّةِ تَحْقِيقُ M. Quatremère : السُّتُورُ .

(٢) كَذَا ، وَفِي ب (النُّسخَةِ الْبَارِيسِيَّةِ) : الْقَصَّةُ ، وَمَعْنَاهَا : الْجِصَّةُ . وَهُوَ الْأَصَحُّ .

قواعد قُرَيْشٍ كما هي اليوم . ويقال : إنه نديم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة ، وقال : وددت أني كنت حملت أبا حبيب من أمر البيت وبنائه ما تحل ؛ فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً مكان الحجر ، وبنائها على أساس قُرَيْشٍ ، وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي . وترك سائرهما لم يُغيّر منه شيئاً . فكل البناء الذي فيه اليوم ، بناء ابن الزبير . وبين بنيائه وبنائه الحجاج في الحائط ، صلة ظاهرة للعيان ؛ لحمة ظاهرة بين البنائين . والبناء متميز عن البناء بمقدار إصبع ، شبه الصدع وقد لجم .

ويعرض ههنا إشكال قوي لمنافاته لما يقوله الفقهاء في أمر الطواف . ويُحذّر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس الجدر من أسفلها ، فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدار إنما قام على بعض الأساس وترك بعضه ، وهو مكان الشاذروان . وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود ، لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائماً ؛ لئلا يقع بعض طوافه داخل البيت . وإذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير ، وهو إنما بُني على أساس إبراهيم ، فكيف يقع هذا الذي قالوه ؟ ولا مخلص من هذا إلا بأحد أمرين : إما أن يكون الحجاج هدمه جميعه وأعاد ، وقد نقل ذلك جماعة ، إلا أن العيان في شواهد البناء بالحمام ما بين البنائين وتمييز أحد الشقين من أعلاه عن الآخر في الصناعة يرد ذلك ؛ وإما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على أساس إبراهيم

من جميع جهاته ، وإنما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله . فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم . وهذا بعيد ، ولا يحصى من هذين . والله تعالى أعلم .

ثم إن ساحة البيت ، وهو المسجد ، كان فضاء للطائفتين ؛ ولم يكن عليه جدار أيام النبي ﷺ وأبي بكر من بعده . ثم كثرت الناس ، فاشترى عمر رضي الله عنه ، دوراً هدمها وزادها في المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة . وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم الوليد بن عبد الملك . وبناء يعمد الرخام . ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك لعهدنا . وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به أكثر^(١) من أن يحاط به . وكفى من ذلك أن جعله مهبطاً للوحي والملائكة ومكاناً للعبادة ، وفرض شعائر الحج ومناسكها . وأوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب لغيره ؛ فنع كل من خالف دين الإسلام من دخول ذلك الحرم . وأوجب على داخله أن يتجرد من الخيط إلا إزاراً يستره . وحى العائد به والرائع في مسارجه من مواقع الآفات ؛ فلا يرآع فيه خائف ولا يُصاد له وحش ولا يُحتطب له شجر . وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلاثة أميال إلى التّعيم^(٢) ؛ ومن طريق العراق

(١) كذا ، وفي ب : أعظم .

(٢) موضع بمكة في الحل ، وهو بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة ، وقيل على أربعة ، به مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة ، منه يحرم المكيون بالعمرة (معجم البلدان لياقوت) .

سبعة أميال إلى الثنية من جبل المنقطع ؛ ومن طريق الجمرانة تسعة أميال إلى الشعب ، ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى بطن غمرة ؛ ومن طريق جدة سبعة أميال إلى منقطع العشائر .

هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم الثرى ، وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ، ويقال لها أيضاً بكّة . قال الأصمعي : لأن الناس يبكُّ بعضهم بعضاً إليها أي يدفع . وقال مجاهد : إنما هي باء بكّة أبدلوا ميماً ، كما قالوا لازب ولازم لقرب المخرجين . وقال النخعي : بالباء للبيت وبالميم للبلد . وقال الزهري : بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم . وقد كانت الأمم منذ عهد الجاهلية تُعظمه ، والملوك تبعث إليه بالأموال والذخائر مثل كسرى وغيره .

وقصة الأسياف وغزالي الذهب اللذين وجدتهما عبد المطلب حين احتقر زمزم معروفة . وقد وجد رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها ، سبعين ألف أوقية من الذهب ، مما كان الملوك يهدون للبيت ؛ قيمتها ألف ألف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزناً . وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا رسول الله ! لو استعنت بهذا المال على حربك ؛ فلم يفعل . ثم ذكر لأبي بكر ؛ فلم يُجِرْكه . هكذا قال الأزرقي . وفي البخاري بسنده إلى أبي وائل قال : جلست إلى شيبه بن عثمان ، وقال جلس إلي عمر بن الخطاب فقال : هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين . قلت ما أنت بفاعل ؟ قال : ولم ؟ قلت فلم يفعله أصحابك . فقال هما اللذان يُقتدى بهما . وخرجه أبو داود

وابنُ ماجّة ، وأقامَ ذلكَ المالَ إلى أن كانت فتنةُ الأفطسِ ، وهو الحسنُ بنُ الحسينِ ^(١) بنِ عليٍّ بنِ عليٍّ زينِ العابدينَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومائةٍ ، حينَ غلبَ على مكةَ عمَدُ إلى الكعبةِ فأخذَ ما في خزائنها وقال : ما تصنعُ الكعبةُ بهذا المالِ موضوعاً فيها لا يُنتفعُ به ؟ نحنُ أحقُّ به نستعينُ به على حربنا ، وأخرجهُ وتصرّفَ فيه وبطلت الذخيرةُ من الكعبةِ من يومئذٍ .

وأما بيتُ المقدسِ وهو المسجدُ الأقصى فكانَ ، أوّلَ أمرِهِ أيامَ الصابئةِ ، موضعاً لهيكلِ الزُّهرةِ ، وكانوا يُقَرِّبونَ إليه الزيتَ فيما يُقَرَّبونَهُ ، وَيَصُبُّونَهُ على الصخرةِ التي هناك . ثم دُيِّرَ ذلكَ الهيكلُ ، واتخذها بنو إسرائيلَ حينَ ملكوها قبلةً لصلاتهم . وذلكَ أنَّ موسى صلواتُ الله عليه ، لما خرَجَ ببني إسرائيلَ من مِصرَ لتَمْلِكهم ^(٢) بيتَ المقدسِ ، كما وعدَ اللهُ أباهم إسرائيلَ وأباهُ اسحقَ ، ويعقوبَ من قبلهِ ، وأقاموا بأرضِ التيهِ ؛ أمرَهُ اللهُ بالتَّحَاذِ قُبَّةٍ من خَشَبِ السَّنَطِ عَيْنَ بالوحي مقدارُها وصِفَتُها وهياكلُها وقمائلُها ، وأن يكونَ فيها التابوتُ ومائدةٌ بصحافِها ومَنارةٌ بقناديلِها ، وأن يصنعَ مذبحاً للقرَّبانِ ، وُصِفَ ذلكَ كُلُّهُ في التوراةِ أَكْمَلَ وصفٍ فصنعَ القُبَّةَ ووضعَ فيها تابوتَ العهدِ ، وهو التابوتُ الذي فيه الألواحُ المصنوعةُ عوضاً عن الألواحِ المنزلةِ بالكَلِمَاتِ العشرِ ، لما تكسَّرت ووضعَ المذبحَ عندها .

(١) كذا ، وفي ب : الحسين بن الحسين . . . الخ . وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٧ :

الحسين بن الحسن الأفطس .

(٢) كذا ، وفي ب : ليملكهم .

وعهدَ اللهُ الى موسى بأن يكونَ هرونُ صاحبَ الثَّوبانِ . ونَصَبوا
تِلْكَ القُبَّةَ بينَ خيامهم في التيه يُصَلُّونَ اليها ويُقَرِّبُونَ في المذبحِ
أمامها ، ويتعرَّضُونَ^(١) للوحيدِ عندها . ولما ملكوا أرضَ الشامِ أَرْزَلوها
(بِكَلْكَالِ) من بلادِ الأرضِ المقدَّسةِ ما بينَ قِسْمِ بني يامينَ وبني
أفرايم . وبقيتَ هنالك أربعَ عشرةَ سنة : سبعاَ مدَّةَ الحربِ ؛
وسبعاَ بعدَ الفتحِ أيامَ قِسْمَةِ البلادِ . ولما توفِّيَ يوشعُ عليه السلامُ
نقلوها إلى بلدِ شيلو قريباً من كلكال ، وأداروا عليها الحيطانَ .
وأقامت على ذلك ثلثمايةَ سنة ، حتى ملكها بنو فلسطينَ من أيديهم
كما مرَّ ، وتغلبوا عليهم . ثم ردَّوا عليهم القُبَّةَ ونقلوها بعدَ وفاةِ عالي
الكوهن إلى نوف . ثم نُقِلَتْ أيامَ طالوت إلى كنعون في بلادِ بني
يامين . ولما ملك داودُ عليه السلامُ نقلَ القُبَّةَ والتابوتَ إلى بيتِ
المقدِّسِ وجعلَ عليها خِباءَ خاصاً ووضعها على الصخرة . وبقيتَ تلك
القُبَّةُ قبلتهم ، ووضعوها على الصخرةِ ببيتِ المقدِّسِ ، وأرادَ داودُ
عليه السلامُ بناءَ مسجدٍ على الصخرةِ مكانها ؛ فلم يتمَّ له ذلك ،
وعهدَ به إلى ابنهِ سُلَيْمَانَ فَبَنَاهُ لاربعِ سنينَ من مُلكِهِ ، ولخمسائةِ
سنةٍ من وفاةِ موسى عليه السلام . واتَّخَذَ عُمْدَةً من الصُّفْرِ وجعلَ
به صرحَ الزُّجاجِ وغشَّى أبوابَهُ وحيطانَهُ بالذهبِ ، وصاغَ هياكلَهُ
وتأثيلَهُ وأوعيتهَ ومَنارَتَهُ ومفتاحَهُ من الذهبِ ، وجعلَ في ظهرِهِ
قبراً ليضعَ^(٢) فيه تابوتَ العهدِ ، وهو التابوتُ الذي فيه الألواحُ .

(١) كذا، وفي ب: ويتوجهون .

(٢) كذا، وفي ب: ليودع .

وجاء به من صهيون بلد أبيه داود نقله إليها أيام عمارة المسجد؛ فجاء به تحمله الأسباط والكهنوتية حتى وضعه في القبر، ووضعت القبة والأوعية والمذبح، كل واحد حيث أُعِدَّ له من المسجد. وأقام كذلك ما شاء الله. ثم حربته بختنصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه، وأحرق التوراة والعصا، وصاغ الهياكل ونثر الأحجار. ثم لما أعادهم ملوك الفرس، بناءه عزير نبي إسرائيل لعهد، بإعانة بهمن ملك الفرس، الذي كانت الولادة^(١) لبني إسرائيل عليه من سبي بختنصر. وحد لهم في بنيانه حدوداً دون بناء سليمان ابن داود عليهما السلام، فلم يتجاوزوها.

وأما الأواوين التي تحت المسجد، يركب بعضها بعضاً؛ عمود الأعلى منها على قوس الأسفل في طبقتين. ويتوهم كثير من الناس أنها إصطبلات سايمان عليه السلام، وليس كذلك. وإنما بناها تنزيهاً للبيت المقدس عما يتوهم من النجاسة؛ لأن النجاسات في شريعتهم، وإن كانت في باطن الأرض، وكان ما بينها وبين ظاهر الأرض محشواً بالتراب، بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم ينجس ذلك الظاهر بالتوهم، والمتوهم عندهم كالحقق؛ فبنوا هذه الأواوين على هذه الصورة بعمود الأواوين السفلية تنتهي إلى أقواسها وينقطع خطه، فلا تتصل النجاسة بالأعلى على خط مستقيم. وتنزه البيت عن هذه النجاسة المتوهمة ليكون ذلك أبلغ في الطهارة والتقديس.

(١) كذا، وفي نسخة: الولادة.

ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم . واستفحل الملك لبني إسرائيل في هذه المدة : لبني حشمناي من كهنتهم ، ثم لصهرهم هيرودس ولبنيه من بعده . وبني هيرودس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام ، وتأنق فيه حتى أكمله في ست سنين . فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها ، وأمر أن يُزرع مكانه . ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه . ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصرانية تارة وتركه أخرى ، إلى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة ، وارتحلت إلى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم ؛ فأخبرها القمامصة بأنه رمي بخشبته على الأرض ، وألقي عليها القمامات والقاذورات . فاستخرجت الخشبة ، وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة^(١) كأنها على قبره بزعمهم ، وخربت ما وجدت من عمارة البيت ، وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة ، حتى غطاها وخفي مكانها جزاء بزعمها عما فعلوه بقبر المسيح .

ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم ، وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام . وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الاسلام والفتح ، وحضر عمر لفتح بيت المقدس ، وسأل عن الصخرة فأري مكانها وقد علاها الزبل والتراب ، فكشف عنها وبني عليها مسجداً على

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ ، وكذا أوردها ابن الأثير والطبري . وهي كنيسة القيامة كما هو المشهور في يومنا هذا .

طريق البداوة . وعظّم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه ، وما سبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت .

ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده ، على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال ، كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي ﷺ بالمدينة . وفي مسجد دمشق ، وكانت العرب تسميه بلاط الوليد . وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد ، وأن يُنمّقوها بالفُسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه .

ثم لما ضُفّ أمر الخلافة أعوام الحسمائة من الهجرة في آخرها ، وكانت في ملكة العبيدين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل أمرهم ، زحف الفرنجة إلى بيت المقدس ، فلكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام . وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يُعظمونها ويفتخرون ببنائها ، حتى اذا استقل صلاح الدين ابن أيوب الكردي بملك مصر والشام ، ومحا أثر العبيدين وبدّعهم زحف إلى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة ، حتى غلبهم على بيت المقدس ، وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام . وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة . وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النحر الذي هو عليه اليوم لهذا العهد .

ولا يعرض لك الإشكال المعروف في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن أول بيت وضع ، فقال : مكة . قيل ثم أي ؟ قال : بيت المقدس ، قيل : فكم بينهما قال : أربعون سنة . فإن المدة

بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس ، بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان . لأن سليمان بانيه ، وهو ينيف على الألف بكثير .

وأعلم أن المراد بالوضع ، في الحديث ، ليس البناء ، وإنما المراد أول بيت عُيِّنَ للعبادة . ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عُيِّنَ للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة . وقد نُقِلَ أن الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة ؛ فلعل ذلك لأنها كانت مكاناً للعبادة ، كما كانت الجاهلية تضع الأصنام . والتماثيل حوالي الكعبة وفي جوفها . والصابئة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد إبراهيم عليه السلام ؛ فلا تبعد مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس ، وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف . وإن أول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام ، فتفهّمه ففيه حل هذا الاشكال .

وأما المدينة المنورة — وهي المسماة بيثرب — فهي من بناء يثرب بن مهلائل من العماليق وبه سُمِّيَتْ . وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز . ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها . ثم أمر النبي ﷺ بالمجرة إليها ، لما سبق من عناية الله بها ؛ فهاجر إليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبني مسجدة وبيوته في الموضع الذي كان الله قد أعدّه لذلك وشرّقه في سابق أزله . وآواه أبناء قيلة ونصروه ؛ فلذلك سموا الأنصار . وتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها . وظنّ الأنصار أنه يتحوّل

عنهم الى بلده فأنهم ذلك ، فخطبهم رسول الله ﷺ وأخبرهم أنه غير متحول . حتى اذا قبض ﷺ كان ملحد الشريفة بها . وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا خفاء به . ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة ، وبه قال مالك رحمه الله ، لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال : المدينة خير من مكة . نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة ، إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك . وخالف أبو حنيفة والشافعي . وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام . وجنح إليها الأمم بأفئدتهم من كل أوب . فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة ، لما سبق من عناية الله لها ، وتفهم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا .

وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلمه في الأرض ، إلا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند . لكنه لم يثبت فيه شيء يُعول عليه .

وقد كانت للأمم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم . منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز ، التي أمر النبي ﷺ بهدمها في غزواته . وقد ذكر المسعودي منها بيوتاً لنا من ذكرها في شيء ، إذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ، ولا يلتفت إليها ولا إلى الخبر عنها . ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ . فمن أراد معرفة الأخبار . فعليه بها . والله يهدي من يشاء سبحانه .

الفصل السابع

في أن المدن والإمصار بإفريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر ، منذ آلاف من السنين قبل الإسلام ، وكان عُمرانها كله بدوياً ، ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها . والدول التي ملكتهم من الإفرنجية والعرب لم يطل أمد ملكهم فيها ، حتى ترسخ الحضارة منها ؛ فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها ، فكانوا إليها أقرب ، فلم تكثر مبانيهم . وأيضاً فالصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أعرق في البدو . والصنائع من توابع الحضارة ؛ وإنما تتم المباني بها ، فلا بد من الخندق في تعلّمها . فلما لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوّف^(١) إلى المباني فضلاً عن المدن . وأيضاً فهم أهل عصبية وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم . والأنساب والعصبية أجنح إلى البدو .

وإنما يدعو إلى المدن الدعة والسكون ، ويصير ساكنها عيالاً على حاميتها ؛ فتجد أهل البدو لذلك يستنكفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها . ولا يدعوهم إلى ذلك إلا الترف والغنى ؛ وقليل ما هو في الناس . فلذلك كان عُمران إفريقية والمغرب كله أو أكثره

(١) تشوف إلى الشيء : تطلع إليه . وفي نسخة : تشوق وهو تحريف على ما أظن .

بَدْوِيًّا^(١)، أهل خيام وظواين وقياطين وكُنن في الجبال . وكان
 عمرانُ بلادِ العَجَمِ كُلُّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ قَرَى وَأَمْصَاراً ورساتيقَ، من
 بلادِ الأَنْدَلُسِ والشَّامِ ومِصرَ وعِراقِ العَجَمِ وأمثالها، لأنَّ العَجَمَ
 في الغالب ليسوا بأهلِ أنسابٍ يُحافِظُونَ عليها ويتناغونَ في صُرَاحَتِها
 والتَّحَايِها إِلَّا فِي الْأَقَلِّ . وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ
 الْأَنْسَابِ، لِأَنَّ لُحْمَةَ النِّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ . فَتَكُونُ عَصَبِيَّتُهُ كَذَلِكَ،
 وَتَنْزَعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ والتَّجَافِي عَنِ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ
 بِالْبَسَالَةِ وَيَصِيرُهُ عِيَالاً عَلَى غَيْرِهِ، فَافْهَمْهُ وَقَسْ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ .

الفصل الثامن

فِي إِنْ الْمَبَانِي وَالْمَصَانِعَ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَلِيلَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهَا
 وَالْأَمْرِ مِنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الدَّوَلِ

والسببُ في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه، إذ العربُ
 أيضاً أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الصَّنَائِعِ . وَأَيْضاً فَكَانُوا أَجَانِبَ
 مِنَ الْمَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وَلَمَّا تَمَلَّكُوهَا لَمْ
 يَنْفَسِحِ الْأَمْدُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِسُومَ الْخِصَارَةِ، مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَغْنَوْا بِمَا
 وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ . وَأَيْضاً فَكَانَ الدِّينُ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعاً مِنْ

(١) كذا في الأصل في جميع النسخ . ويظهر أن هنا تحريفاً أو كلاماً ناقصاً، ومقتضى السياق:
 وكان سكانها أهل خيام و... الخ .

المغلاة في البنيان والإسراف فيه في غير القصد، كما عهد لهم عمرُ حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل، فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدٌ على ثلاثة أبيات. ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. وعهد إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بُنياناً فوق القدر. قالوا وما القدر؟ قال ما لا يُقرَّبُكم من السرف ولا يُخرِجكم عن القصد. فلما بعد العهد بالدين والتحرُّج في أمثال هذه المقاصد، وغلبت طبيعة الملك والترّف، واستخدم العربُ أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني، ودعّتهم إليها أحوال الدعة والترّف؛ فحينئذٍ شيدوا المباني والمصانع، وكان عهد ذلك قريباً بانقراض الدولة، ولم يفسح الأمد لكثرة البناء واختطاط المدن والأمصار إلا قليلاً؛ وليس كذلك غيرهم من الأمم. فالفرس طالت مدّتهم آلافاً من السنين وكذلك القبط والنبط والرُّوم، وكذلك العربُ الأولى من عاد وثمود والعماليق والتبايع، طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم؛ فكانت مبانيهم وهياكلهم أكثرَ عدداً وبأبقى على الأيام أثراً. واستبصر في هذا تجده كما قلت لك. والله وارث الأرض ومن عليها.

الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تختطها العرب
يسرع اليها الخاب الا في الاقل

والسبب في ذلك شأنُ البِدَاوَةِ والبُعْدُ عن الصنائع كما قدّمناه، فلا تكون المباني وثيقةً في تشييدها. وله، والله أعلم، وجه آخر وهو أمسُّ به، وذلك قِلَّةُ مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه: من المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي؛ فإنَّه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصير وردائه من حيث العمران الطبيعي. والعربُ بمعزلٍ عن هذا؛ وإنَّما يُراعون مراعي إبلهم خاصة، لا يبالون بالماء طاب أو خبث، ولا قل أو كثير، ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنايت والأهوية لانتقالهم في الأرض، ونقلهم الجوب من البلد البعيد.

وأما الرياحُ فالفقرُ مختلفٌ لهبابٌ كلِّها. والظعنُ كفيلٌ لهم بطبيعتها لأنَّ الرياحَ إنَّما تخبُّثُ مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات. وانظر لما اختطُّوا الكوفة والبصرة والفيروان، كيف لم يُراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم. وما يقربُ من القفر ومسالك الظعن؛ فكانت بعيدةً عن الوضع الطبيعي للمدن، ولم تكن لها مادةٌ تمدُّ عُمرانها من بعدهم، كما قدّمنا بأنَّه يُحتاجُ إليه في حفظ العمران. فقد كانت مواطنها غيرَ طبيعيَّة للقرار، ولم تكن في

وسطِ الأُمم فيَعْمُرُهَا النَّاسُ . فَلَأَوَّلُ وَهْلَةٍ مِنْ انْخِلَالِ أُمَرِهِمْ وَذَهَابِ
عَصَبِيَّتِهِمْ الَّتِي كَانَتْ سِيَاجاً لَهَا ، أَتَى عَلَيْهَا الْخَرَابُ وَالانْخِلَالُ كَأَن
لَمْ تَكُن . ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ .

الفصل العاشر

في مبادئ الخراب في الأمصار

اعلم أَنَّ الأمصارَ إِذَا اخْتُطَّتْ أَوَّلًا تَكُونُ قَلِيلَةً الْمَسَاكِينِ ،
وَقَلِيلَةً آلَاتِ الْبِنَاءِ ، مِنَ الْحَجَرِ وَالْجِيرِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يُعَالَى عَلَى الْحِيطَانِ
عِنْدَ التَّائِقِ : كَالزُّلْجِ^(١) وَالرُّخَامِ وَالزُّبْجِ^(٢) وَالزُّجَاجِ وَالْفُسَيْفَسَاءِ
وَالصَّدْفِ ؛ فَيَكُونُ بِنَاؤُهَا يَوْمئِذٍ بَدَوِيًّا وَآلَاتُهَا فَاسِدَةً . فَإِذَا
عَظُمَ عُمرَانُ الْمَدِينَةِ وَكَثُرَ سَاكِنُهَا كَثُرَتِ الْآلَاتُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ
حِينَئِذٍ ، وَكَثُرَ الصَّنَاعُ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهَا مِنْ ذَلِكَ كَمَا سَبَقَ بِشَأْنِهَا .
فَإِذَا تَرَاجَعَ عُمرَانُهَا وَخَفَّ سَاكِنُهَا قَلَّتِ الصَّنَائِعُ لِأَجْلِ ذَلِكَ فَفَقِدَتِ
الْإِجَادَةَ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِحْكَامِ وَالْمَعَالَاةِ عَلَيْهِ بِالتَّنْمِيقِ . ثُمَّ تَقِلُّ
الْأَعْمَالُ لِعَدَمِ السَّاكِنِ فَيَقِلُّ جَلْبُ الْآلَاتِ مِنَ الْحَجَرِ وَالرُّخَامِ
وغيرِهِمَا ، فَتُفْقَدُ وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشْيِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي
مَبَانِيهِمْ ؛ فَيَنْقُضُونَهَا مِنْ مَصْنَعٍ إِلَى مَصْنَعٍ ، لِأَجْلِ خِلَاءِ أَكْثَرِ
الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ لِثِقَلِ الْعُمَرَانِ ، وَقُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوَّلًا .

(١) الزُّلْجُ : الصخر الملس (لسان العرب) .

(٢) الرُّبْجُ : الدرهم الصغير (لسان العرب) . وفي ب : والسبج . وهو - كما ورد في لسان
العرب : خرز أسود .

ثم لا تزال تُنقل من قصرٍ إلى قصرٍ ومن دارٍ إلى دارٍ إلى أن يُفقد الكثير منها جملةً ؛ فيعودون إلى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضاً عن الحجارة ، والقصور عن التعمير بالكتلة . فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمدن ، ويظهر عليها سيما البداوة . ثم قرئ في التناقص إلى غايتها من الخراب إن قُدِّر لها به . سنة الله في خلقه .

الفصل الحادي عشر

في أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه لأهلها
ونفاذ الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

والسبب في ذلك أنه قد عُرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه ، وأنهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك . والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تسد ضرورة الأكثر من عددهم أضعافاً . فالقوت من الحنطة مثلاً لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه . وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حدادٍ ونجارٍ للآلات ، وقائم على البقر وإثارة الأرض وحصاد السُّنبل وسائر مؤن الفلح ، وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا ، وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت ؛ فإنه حينئذٍ قوت لأضعافهم مرات . فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم .

وأهل مدينة أو مِصرٍ إذا وُزِّعَتْ أعمالهم كلها على مقدارِ
 ضرورياتهم وحاجاتهم اكتفي فيها بالأقل من تلك الأعمال؛ وبقيت
 الأعمال كلها زائدة على الضرورات؛ فتصرف في حالات الترف
 وعوائده. وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأمصار ويستجلبونه
 منهم بأعواضه وقيمه، فيكون لهم بذلك حظ من الغنى. وقد
 تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق، أن
 المكاسب إنما هي قيم الأعمال. فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها
 بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة. ودعتهم أحوال الرفه والغنى إلى
 الترف وحاجاته من التائق في المساكن والملابس واستجادة
 الآتية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب. وهذه كلها أعمال تستدعى
 بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها، فتنفق أسواق
 الأعمال والصنائع، ويكثر دخل المِصر وخرجته، ويحصل اليسار
 لمتحلي ذلك من قبل أعمالهم. ومتى زاد العمران زادت الأعمال
 ثانية. ثم زاد الترف تابعا للكسب وزادت عوائده وحاجاته.
 واستئبطت الصنائع لتحصيلها؛ فزادت قيمها وتضاعف الكسب في
 المدينة لذلك ثانية، ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول.
 وكذا في الزيادة الثانية والثالثة. لأن الأعمال الزائدة كلها تختص
 بالترف والغنى، بخلاف الأعمال الأصلية التي تختص بالمعاش. فالمِصر
 إذا فضل بعمران واحد ففضله بزيادة كسب ورفه وبعوائد من
 الترف لا توجد في الآخر. فما كان عمرانه من الأمصار أكثر
 وأوفر، كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المِصر الذي دونه

على وتيرة واحدة في الأصناف : القاضي مع القاضي ؛ والتاجر مع التاجر ؛ والصانع مع الصانع ؛ والسوقي مع السوقي ، والأمير مع الأمير ، والشرطي مع الشرطي .

واعتبر ذلك في المغرب مثلاً بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى ، مثل بجاية وتلمسان وسبتة ، تجذب بينهما بوناً كثيراً على الجملة . ثم على الخصوصيات ، فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان ، وكذا كل صنف مع أهل صنفه . وكذا أيضاً حال تلمسان مع وهران والجزائر ، وحال وهران والجزائر مع ما دونهما ، إلى أن تنتهي إلى المدر^(١) الذين اعتيّلهم في ضروريات^(٢) معاشهم فقط ، أو يقصرون عنها . وما ذاك إلا لتفاوت الأعمال فيها ، فكأنها كلها أسواق للأعمال . والخرج في كل سوق على نسبته فالقاضي بفاس دخله كفاه خرجه ، وكذا القاضي بتلمسان . وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الأحوال أعظم . وهما بفاس أكثر لنفاق سوق^(٣) الأعمال بما يدعو إليه الترف ، فالأحوال أضخم . ثم هكذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه إلى الأمصار التي لا توفي^(٤) أعمالها بضروراتها ، ولا تعد في الأمصار إذ هي من قبيل القرى والمدر . فلذلك تجد أهل هذه الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين في الفقر والخصاصة ، لما أن أعمالهم

(١) كذا ، وفي ب : المداشر . تكررت في أماكن متفرقة .

(٢) كذا ، وفي ب : ضرورات .

(٣) كذا ، وفي ب : سائر الأعمال .

(٤) كذا ، وفي ب : تنفي .

لا تقي بضروراتهم . ولا يفضل ما يتأثلونه كسباً ، فلا تنمو مكاسبهم . وهم لذلك مساكين محاييج ، إلا في الأقل النادر . واعتبر ذلك حتى في أحوال الفقراء والسؤال . فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران . ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحي أثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكول ، مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون ، كالغريال والآنية . ولو سأل السائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر .

ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال أهل القاهرة ومصر من الترف والغنى في عوائدهم ما نقضي منه العجب . حتى إن كثيراً من الفقراء بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك ، ولما يبلغهم من أن شأن الرفق بمصر أعظم من غيرها . وتعتقد العامة من الناس أن ذلك [لزيادة إيثار في أهل تلك الأفاق على غيرهم ، أو أموال مختزنة لديهم^(١)] . وأنهم أكثر صدقة وإيثاراً من جميع أهل الأمصار ، وليس كذلك . وإنما هو لما تعرفه من أن غمران مصر والقاهرة أكثر من غمران هذه الأمصار التي لديك ، فعظمت لذلك أحوالهم .

وأما حال الدخل والخرج فتكافئ في جميع الأمصار . ومتى عظم الدخل ، عظم الخرج وبالعكس . ومتى عظم الدخل والخرج ، اتسعت أحوال الساكن ووسع المصّر .

(١) كذا، وإن العبارة المحصورة بين [] هي في النسخة الباريسية (ب) كما يلي: «الطمو الأموال في تلك الأفاق، وأن الأموال مختزنة لديهم».

وكلُّ شيءٍ يبلُغُكَ من مثلِ هذا فلا تُنكرهُ ، واعتبرهُ بكثرةِ
 العُمرانِ ، وما يكونُ عنه من كثرةِ المكاسبِ التي يسهُلُ بسببها
 البذرُ والإيثارُ على مبتغيه . ومثلهُ بشأنِ الحيواناتِ العُجمِ مع
 بيوتِ المدينةِ الواحدةِ ، وكيف تختلفُ أحوالُها في هُجرانِها أو
 غشيانِها . فإنَّ بيوتَ أهلِ النعمِ والثروةِ والموائدِ الحُصبةِ^(١) منها ،
 تكثرُ بساحتِها وأفنيئتها نثيرُ الجُبوبِ وسواقطُ الفُتاتِ ؛ فيزدحمُ
 عليها غواشي النملِ والحشاش . ويكثرُ في سربها الجرذان وتأوي
 إليه السنانير وتُخلَقُ فوقها عصابئُ الطيورِ ، حتى تروحَ بطناً وقتلياً
 شبعاً ورياً . وبيوتُ أهلِ الحُصاصةِ والفقرِ الكاسدةِ أرزاقُهم ، لا
 يسري بساحتِها ديبٌ ولا يُخلَقُ بجوِّها طائرٌ ، ولا [تأوي الى زوايا
 بيوتهم فأرةٌ ولا هِرَّةٌ^(٢)] كما قال الشاعر :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ^(٣)

فتأملِ سرَّ الله تعالى في ذلك ، واعتبر غاشيةَ الأناسيِّ بغاشيةِ
 العُجمِ من الحيواناتِ وفُتاتِ الموائدِ بفضلاتِ الرِزْقِ والتَّرفِ
 وسهولتها على من يبدئُها ، لاستغنائهم عنها في الأكثرِ بوجود أمثالها
 لديهم . واعلم أنَّ اتِّساعَ الأحوالِ وكثرةَ النعمِ في العُمرانِ تابعٌ
 لكثرتِهِ . والله سبحانه وتعالى أعلمُ ، وهو غنيٌّ عن العالمين .

(١) كذا ، وفي ب : الحُصبة .

(٢) وردت هذه العبارة في ب : « يأوي إلى أسراب بيوتها فأرة ولا هر » .

(٣) ورد هذا البيت من الشعر في (ب) هكذا :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء

الفصل الثاني عشر

في أسعار المدن

اعلم أنَّ الأسواقَ كلّها تشتلُّ على حاجاتِ الناسِ : فمنها الضروريُّ وهي الأقواتُ من الحنطة والشعير وما في معناها كالباقلا والحمص والجلبان وسائر حبوب الاقوات ومصليحاتها كالْبَصَل والثوم وأشباهه ؛ ومنها الحاجيُّ والكماليُّ مثلُ الأذم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني . فإذا استبحر المصرُ وكثُر ساكنه ، رُخصتْ أسعارُ الضروريِّ من القوتِ وما في معناه ، وغلتْ أسعارُ الكماليِّ من الأذم والفواكه وما يتبعها ؛ وإذا قلَّ ساكنُ المصرِ وضمُفَ عُمرانُه ، كان الأمرُ بالعكس من ذلك . والسببُ في ذلك أنَّ الحبوب من ضروراتِ القوتِ ؛ فتتوفرُ الدواعي على اتِّخاذها ، إذ كلُّ أحدٍ لا يُهملُ قوتَ نفسه ولا قوتَ منزله ، لشهره أو سنته ، فيعمُّ اتِّخاذها أهلُ المصرِ أجمع ، أو الأكثرَ منهم في ذلك المصرِ أو فيما قُربَ منه ، لا بدَّ من ذلك . وكلُّ مُتخذٍ لقوته ، تفضلُ عنه وعن أهلِ بيته فَضْلَةً كثيرةً ، تُسدُّ خَلَّةَ كثيرينَ من أهلِ ذلك المصرِ ؛ فتفضلُ الأقواتُ عن أهلِ المصرِ من غيرِ شكٍّ ؛ فترخصُ أسعارُها في الغالبِ ، إلا ما يصيبُها في بعضِ السنينَ من الآفاتِ السَّامِيَةِ . ولولا احتكارُ الناسِ لها ، لما يتوقَّعُ من تلكِ الآفاتِ لبُذلتْ دون ثمنٍ ولا عوضٍ لكثرتها بكثرةِ العُمرانِ .

وأما سائرُ المرافقِ من الأُدمِ والفواكهِ وما إليها ، فإنَّها لا تَعْمُ فيها البلوى ، ولا يستغرقُ اتِّخاذُها أعمالَ أهلِ المصرِ أجمعينَ ، ولا الكثيرَ منهم . ثم إنَّ المصرَ إذا كان مُستبجراً ، موفورَ العُمرانِ ، كثيرَ حاجاتِ التَّرفِ ، توفرت حينئذٍ الدواعي على طلبِ تلكِ المرافقِ والاستكثارِ منها كلُّ بحسبِ حاله ؛ فيَقْصُرُ الموجودُ منها عن الحاجاتِ قُصوراً بالغاً . ويكثرُ المستامونَ لها ، وهي قليلةٌ في نفسها ؛ فتزدحمُ أهلُ الأغراضِ ، ويبذلُ أهلُ الرِّفِّهِ والتَّرفِ أثمانها بإسرافٍ في الغلاءِ لحاجتهم إليها أكثرَ من غيرِهِم ؛ فيقعُ فيها الغلاءُ كما تراه .

وأما الصَّنائعُ والأعمالُ أيضاً في الأمصارِ الموفورةِ العُمرانِ ، فسببُ الغلاءِ فيها أمورٌ ثلاثةٌ : الأولُ كثرةُ الحاجةِ لمكانِ التَّرفِ في المصرِ بكثرةِ عُمرانِهِ ؛ والثاني اعتزازُ أهلِ الأعمالِ بخدمتهمِ وامْتِهانِ أنفسهمِ ، لسهولةِ المعاشِ في المدينةِ بكثرةِ أقواتها ؛ والثالثُ كثرةُ المترفينَ وكثرةُ حاجاتهمِ إلى امْتِهانِ غيرِهِم ، وإلى استعمالِ الصَّنَاعِ في مَنَهِم ؛ فيبذلونَ في ذلكَ لأهلِ الأعمالِ أكثرَ من قيمةِ أعمالهمِ مزاحمةً ومنافسةً في الاستثثارِ بها ؛ فيعتزُّ العَمَّالُ والصَّنَّاعُ وأهلُ الحِرَفِ ، وتغلو أعمالُهمُ ، وتكثرُ نفقاتُ أهلِ المصرِ في ذلك .

وأما الأمصارُ الصغيرةُ ، القليلةُ الساكنِ فأقواتهمُ قليلةٌ لِقَلَّةِ العملِ فيها ، وما يتوقعونه لِصِغَرِ مصرِهِم من عدمِ القوتِ ؛ فيتمسكونَ بما يحصلُ منه في أيديهمِ ويحتكرونه ؛ فيعزُّ وجوده

لديهم ، ويفعلون ثمنه على مستأمره . وأما مرافقهم فلا تدعو إليها أيضاً حاجة لقلّة الساكنين وضعف الأحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيختص بالرخيص في سعره .

وقد يدخل أيضاً في قيمة الأقوات ، قيمة ما يُفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان ، في الأسواق وأبواب المصر والجباة في منافع يفرضونها على البياعات لأنفسهم . وبذلك كانت الأسعار في الأمصار أعلى من الأسعار في البادية ، إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة . وبالعكس كثيرة في الأمصار لاسيما في آخر الدولة . وقد تدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الفلح ، ويحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالأندلس لهذا العهد . وذلك أنهم ، لما ألبأهم النصارى الى سيف البحر ، وبلاد المتوعدة الحبيثة الزراعة النكدّة النبات ، وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الطيب ، فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدان لأصلاح نباتها وفتحها ، وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤونة ، وصارت في فليحهم نفقات لها خطر ، فاعتبروها في سعرهم . واختص فطر الأنندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لأجل ذلك .

ويحسب الناس إذا سمعوا بغلاء الأسعار في فطريهم أنها لقلّة الأقوات والحبوب في أرضهم ، وليس كذلك ، فهم أكثر أهل المعمور فلحاً فيما علمناه وأقومهم عليه ، وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فليح ، إلا قليلاً من أهل الصناعات

واليمَنِ أَوْ الطُّرَاءِ عَلَى الْوَطَنِ مِنَ الْغَزَاةِ الْمُجَاهِدِينَ . وَلِهَذَا يُخْتَصُّهُمْ
السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ ، وَهِيَ أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ .
وَإِنَّمَا السَّبَبُ فِي غَلَاءِ سَعْرِ الْحَبُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ .

وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَرِيرِ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فِي زَكَاءِ مَنَابِتِهِمْ
وَطَيِّبِ أَرْضِهِمْ ارْتَفَعَتْ عَنْهُمْ الْمَوْنُ جَلَّةً فِي الْفَلَحِ . مَعَ كَثْرَتِهِ وَعُمُومِهِ ،
فَصَارَ ذَلِكَ سَبَباً لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ بِلَدِهِمْ . وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ .

الفصل الثالث عشر

في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَصْرَ الْكَثِيرَ الْعُمَرَانَ ، يَكْثُرُ تَرْفُهُ كَمَا
قَدْ مَنَاهُ ، وَتَكْثُرُ حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ . وَتُعْتَادُ تِلْكَ
الْحَاجَاتُ لَمَّا يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَتَنْقَلِبُ ضَرُورَاتٍ وَتَصِيرُ الْأَعْمَالُ فِيهِ كُلُّهَا
مَعَ ذَلِكَ عَزِيزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً ، بَازِدِحَامِ الْأَغْرَاضِ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ
التَّرَفِ ، وَبِالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْبِيَاعَاتِ
وَتُعْتَبَرُ فِي قِيَمِ الْمَبِيعَاتِ ، وَيَعْظُمُ فِيهَا الْغَلَاءُ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَقْوَاتِ
وَالْأَعْمَالِ ، فَتَكْثُرُ لَذَلِكَ نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بَالِغَةً عَلَى نِسْبَةِ
عُمُرَانِهِ . وَيَعْظُمُ خَرْجُهُ ، فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى
نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوْثِقِهِمْ .

والبدوي لم يكن دخله كثيراً ، إذ كان ساكناً بمكانٍ كاسدٍ
 الأسواق في الأعمال التي هي سببُ الكسبِ ، فلم يتأثّل كسباً
 ولا مالاً فيتعذّرُ عليه من أجل ذلك سكنى المصرَ الكبيرَ ، لغلاء
 مرافقه وعزّة حاجاته . وهو في بدوهِ يسُدُّ خَلَّتَهُ بأقلِّ الأعمالِ ، لأنّه
 قليلُ عوائدِ التّرفِ في معاشه وسائرِ مؤنّه ، فلا يضطرُّ الى المالِ .
 وكلُّ من يتشوّفُ الى المصرِ وسكنائه من أهلِ البادية ، فسيرياً
 ما يظهرُ عجزه ويفتضحُ في استيطانه ، إلا من تقدّمَ منهم تأثّلُ
 المالِ ، ويحصلُ له منه فوقَ الحاجة ، ويجري إلى الغايةِ الطبيعيّةِ لأهلِ
 العمرانِ من الدعة والتّرفِ . فحينئذٍ ينتقلُ الى المصرِ ، وينتظمُ حاله
 مع أحوالِ أهله في عوائدِهِم وتّرفِهِم . وهكذا شأنُ بدايةِ عُمرانِ
 الأمصارِ . واللهُ بكلِّ شيءٍ محيطٌ .

الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقر مثل الامصار

اعلم أنّ ما توفّر عُمرانُهُ من الأقطارِ ، وتمدّدَتِ الأُممُ في
 جهاته ، وكثُرَ ساكنُهُ ، اتّسَعَتِ أحوالُ أهله وكثرتِ أموالُهُم
 وأمصارُهُم وعظمتِ دُورُهُم وممالكُهُم . والسببُ في ذلك كِلهُ ما
 ذكرناه من كثرةِ الأعمالِ ، وما يأتي ذكرُهُ من أنها سببُ الثروة ،
 بما يفضّلُ عنها بعد الوفاء بالضروريّاتِ في حاجاتِ الساكنِ من
 الفضلةِ البائغةِ على مقدارِ العمرانِ وكثرتِهِ ، فيعودُ على الناسِ

كسباً يتأثّلونه ، حسبها نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب . فيزيد الرقة لذلك ، وتتسع الأحوال ، ويحيى الترف والغنى ، وتكثر الجباية للدولة بنفاق الأسواق ؛ فيكثر ما لها ويشمخ سلطانها ، ويتفنن في اتخاذ المعاول والحصون ، واختطاط المدن ، وتشيد الأمصار .

واعتبر ذلك بأقطار المشرق ، مثل مصر والشام وإعراق العجم والهند والصين ، وناحية الشمال كلها ، وأقطارها وراء البحر الرومي ؛ لما كثر غمرانها كيف كثر المال فيهم ، وعظمت دوائهم ، وتعددت مدنها وحواسرهم ، وعظمت متاجرهم وأحوالهم . فالذي نشاهد لهذا العهد ، من أحوال تجار الأمم النصرانية ، الواردين على المسلمين بالمغرب ، في رفاههم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف . وكذا تجار أهل المشرق ، وما يبلغنا عن أحوالهم وأبلغ منها أحوال أهل المشرق الأقصى من أعراق العجم والهند والصين ؛ فإنه يبلغنا عنهم في باب الغنى والرقة غرائب تسير الركبان بحديثها ؛ وربما تلتقى بالإنكار في غالب الأمر . ويحسب من يسمعا من العامة أن ذلك لزيادة في أموالهم ، أو لأن المعادن الذهبية والفضية أكثر بأرضهم ، أو لأن ذهب الأقدمين من الأمم استأثروا به دون غيرهم ؛ وليس كذلك . فعدين الذهب الذي نعرفه في هذه الأقطار ، إنما هو ببلاد السودان ، وهي إلى المغرب أقرب . وجميع ما في أرضهم من البضاعة فانما يجلبونه إلى غير بلادهم للتجارة . فلو كان المال عتيداً موفوراً لديهم ، لما جلبوا بضائعهم إلى

سواهم يبتغون بها الأموال ، ولاستغنوا عن أموال الناس بالجملة .
ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل ذلك ، واستغربوا ما في
المشرق من كثرة الأحوال واتساعها ووفور أموالها ؛ فقالوا بأن
عطايا الكواكب والسّهام في مواليد أهل المشرق أكثر منها
حصصاً في مواليد أهل المغرب . وذلك صحيح من جهة المطابقة
بين الأحكام النجومية والأحوال الأرضية كما قلناه . وهم إنما
أعطوا في ذلك السبب النجمي ، وبقي عليهم أن يعطوا السبب
الأرضي ، وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بأرض
المشرق وأقطاره . وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة
الأعمال التي هي سببه ؛ فلذلك اختص المشرق بالرّفه من بين
الآفاق ، لا أن ذلك لجرّد الأثر النجمي . فقد فهمت مما أشرنا
لك أولاً أنه لا يستقلّ بذلك ، فإنّ المطابقة بين حكمه وعمران
الأرض وطبيعتها أمر لا بدّ منه .

واعتبر حال هذا الرّفه من العمران ، في قطر إفريقية وبرقة ،
لما خف ساكنها وتناقص عمرانها ، كيف تلاشت أحوال أهلها
وانتهوا إلى الفقر والخصاصة . وضعت جباياتها ، فقلت أموال دولها ،
بعد أن كانت دول الشيعة وصنهاجة بها ، على ما بلغك من الرّفه
وكثرة الجبايات واتساع الأحوال في نفقاتهم وأعطيائهم . حتى لقد
كانت الأموال تُرفع من القيروان إلى صاحب مصر لحاجاته ومهماتِه
في غالب الأوقات . وكانت أموال الدولة ، بحيث حمل جوهر
الكاتب في سفره إلى فتح مصر ألف حمل من المال ، يستعدها

لأرزاقِ الجنودِ وأعطياتِهِم ونفقاتِ الغزاةِ .

وَقَطُرُ الْمَغْرِبِ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ إِفْرِيقِيَّةَ فَلَمْ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ فِي ذَلِكَ . وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دَوْلِ الْمُوَحِّدِينَ مَتَّسِعَةً وَجَبَايَاُتُهُ مَوْفُورَةً . وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَقْصَرَ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعِمْرَانِ فِيهِ ، وَتَنَاقُصِهِ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عِمْرَانِ الْبَرَبْرِ فِيهِ أَكْثَرُهُ ، وَنَقَصَ عَنْ مَعْمُودِيهِ نَقْصًا ظَاهِرًا مُحْسُوسًا ، وَكَادَ أَنْ يَلْحَقَ فِي أَحْوَالِهِ بِمِثْلِ أَحْوَالِ إِفْرِيقِيَّةَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عِمْرَانُهُ مَتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ ، فِي طُولِ مَا بَيْنَ السُّوسِ الْأَقْصَى وَبِرْقَةَ . وَهِيَ الْيَوْمَ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا قِفَارٌ وَخَلَاءٌ وَصَحَارَى ، إِلَّا مَا هُوَ مِنْهَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ أَوْ مَا يَقَارِبُهُ مِنَ الثَّلُولِ . وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

الفصل الخامس عشر

فِي تَأْتِلِ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ فِي الْأَمْصَارِ وَحَالَ فَوَائِدِهَا وَمُسْتَغْلَاتِهَا

اعْلَمْ أَنَّ تَأْتِلَ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ الْكَثِيرَةِ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ ، لَا يَكُونُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ ؛ إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الثَّرْوَةِ ، مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلاكُ الَّتِي تَخْرُجُ قِيَمُهَا عَنْ الْحَدِّ ؛ وَلَوْ بَلَّغْتَ أَحْوَالَهُمْ فِي الرَّفْعِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ . وَإِنَّمَا يَكُونُ مُلْكُهُمْ وَتَأْتِلُهُمْ لَهَا تَدْرِيجًا ، إِمَّا بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رِجْلِهِ ، حَتَّى تَتَأَدَّى أَمْلاكُ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرِ

كذلك ؛ أو أن يكون بحواله الاسواق . فإنَّ العقارَ في أولخِرِ الدولةِ وأوَّلِ الأُخرى ، عند فناء الحاميَّة ، وخرقِ السِّياجِ ، وتداعيِ المصرِ الى الخرابِ ، تَقِلُّ الغِبْطَةُ به لِقَلَّةِ المنفعةِ فيها ، بتلاشيِ الأحوالِ ، فترْخُصُ قِيَمُها وتُتَمَلَّكُ بالأَثَمَانِ اليسيرةِ ، وتُتَخَطَّى بالميراثِ إلى مُلْكِ الآخَرِ ؛ وقد استجدَّ المصرُ شِبابَهُ باستفحالِ الدولةِ الثانيةِ ، وانتظمت له أحوالٌ رائقةٌ حسنةٌ ، تحضُلُ معها الغِبْطَةُ في العقارِ والضِّياعِ ، لكثرةِ منافعِها حينئذٍ ، فتعظُمُ قِيَمُها ، ويكون لها خطرٌ لم يكن في الأوَّلِ . وهذا معنى الحوالَةِ فيها . ويُصْبِحُ مالُكُها من أغنى أهلِ المصرِ ، وليسَ ذلك بسعيهِ واكتسابِهِ ، اذ قُدْرَتُهُ تعجِزُ عن مثل ذلك .

وأما فوائدُ العقارِ والضِّياعِ فهي غيرُ كافيةٍ لما لِكِها في حاجاتِ معاشِهِ ، إذ هي لا تفي بعوائدِ التَّرفِ وأسبابِهِ ؛ وإنما هي في الغالبِ لَسَدُ الحَلَّةِ وضرورةُ المعاشِ . والذي سمعناه من مشيخةِ البُلدانِ أنَّ القصدَ باقتناءِ المُلْكِ من العقارِ والضِّياعِ ، إنما هو الخَشْيَةُ على من يتركُ خَلْفَهُ من الدُّرِّيَّةِ الضُّعْفاءِ^(١) ، ليكونَ مِرباهم به ورزُقهم فيه ، ونشؤهم بفائدتهِ ما داموا عاجزينَ عن الاكتسابِ . فإذا اقتَدروا على تحصيلِ المكاسبِ سَعَوْا فيها بأنفسِهِم . وربما يكونُ من الوَلَدِ من يعجِزُ عن التَّكسُّبِ لضعفِ في بَدَنِهِ أو آفَةٍ في عقلهِ المعاشيِّ ؛ فيكونُ ذلك العقارُ قِواماً لحاله . هذا قصدُ المُتَرَفِّينَ في اقتنائِهِ . وأما التَّمَوُّلُ منه وإجراهُ أحوالِ المترفينَ فلا .

(١) كذا وفي ب : الضعاف .

وقد يحصلُ ذلكَ منه للقليلِ أو النادرِ بحوالَةِ الأسواقِ ، وحصولِ
الكثرةِ البالغةِ منه ، والعالِي^(١) في جنسه وقيمتِه في المصر . إلا
أنَّ ذلكَ إذا حصلَ قريبًا امتدَّتْ إليه أعينُ الأمراءِ والولاةِ ،
واغتصبوه في الغالبِ ، أو أرادوه على بيعه منهم ، ونالت
أصحابه منه مضارٌّ ومعاطبُ . والله غالبٌ على أمره ، وهو ربُّ
العرشِ العظيم .

الفصل السادس عشر

في حاجات الممولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة

وذلك أن الحصريَّ إذا عظمَ تمولُه وكثرَ للمقارِ والضَّياع تأثله ،
وأصبحَ أغنى أهلِ المصرِ ورمقتهُ العيونُ بذلك ، وانفسَحَت أحوالُه
في الترفِ والعوائدِ ، زاحمَ عليها الأمراءُ والملوكَ وعضوا به . ولما
في طباعِ البشرِ من العدوانِ ، تمتدُّ أعينُهم إلى تملكِ ما بيده ،
وينافسونه فيه ، ويتحيلون على ذلك بكلِّ ممكن ، حتى يحصلونه^(٢)
في ربةٍ حكمٍ سلطانيٍّ ، وسببٍ من المواقدةِ ظاهرٍ ، يُنتزعُ به
مالُه . وأكثرُ الأحكامِ السلطانيَّةِ جائزةٌ في الغالبِ ، إذ العدلُ
المحضُ إنما هو في الخلافةِ الشرعيَّةِ وهي قليلةُ اللَّبثِ . قال ﷺ :

(١) كذا ، وفي ب : والتغالي . وفي نسخة أخرى : والمغالي .

(٢) هكذا في الأصل . والفعل «يحصل» وارد هنا بمعنى يوقع . والربة : تعني العروة في
الحبل . ومن الواضح أن «حتى» للغاية ؛ وذلك يعني أن الفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وفي ب :
حتى بحصوله . . الخ وفي نسخة أخرى : حتى بحصوله . . الخ .

« الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً ، ثم تعودُ مُلكاً عضوضاً » . فلا بُدَّ حينئذٍ لصاحبِ المالِ والثروةِ الشهيرةِ في العمرانِ ، من حاميةٍ تدوُدُ عنه ، وجامٍ ينسحبُ عليه من ذي قرابةٍ للملكِ أو خالصةٍ له أو عصبيةٍ يتحامها السلطانُ ؛ فيستظلُّ هو بظلِّها ، ويرتفعُ في أمنها من طوارقِ التعديِّ . وإن لم يكن له ذلك ، أصبحَ نهباً بوجوهِ التحيلاتِ وأسبابِ الحُكَّامِ^(١) . واللهُ يحكمُ لا معتبَ لحكمِهِ .

الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول
وانما ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسببُ في ذلك أنَّ الحضارةَ هي أحوالٌ عاديةٌ زائدةٌ على الضروريِّ من أحوالِ العمرانِ ، زيادةٌ تتفاوتُ بتفاوتِ الرِّفهِ وتفاوتِ الأممِ^(٢) في القِلَّةِ والكثرةِ تفاوتاً غيرَ منحصِرٍ . ويقعُ فيها عند كثرةِ التفنُّنِ في أنواعِها وأصنافِها ؛ فتكونُ بمنزلةِ الصنائعِ ، ويحتاجُ كلُّ صنفٍ منها الى القوِّمةِ عليه ، المَهَرَةِ فيه . وبقدرِ ما يتزَيَّدُ من أصنافِها تتزَيَّدُ أهلُ صناعتِها ، ويتلوَّنُ ذلك الجليلُ بها . ومتى اتَّصَلَتِ الأيامُ وتعاقبتْ تلك الصِّناعاتُ^(٣) ، حَذَقَ أولئك

(١) كذا وفي ب: الحكم .

(٢) كذا وفي ب: وتفاوتِ الأمر .

(٣) كذا وفي ب: الصبغات .

الصُّنَاعُ في صناعتهم ، ومَهَرُوا في معرفتها . والأَعْصَارُ بطولها وانفِصاحِ
 أَمْدِهَا وتَكَرُّرِ أمثالها تريدُها استحكاماً ورُسوخاً . وأكثر ما يَقَعُ
 ذلك في الأمصارِ لاستِبحارِ العُمَرانِ وكثرة الرِّفَةِ في أهلها . وذلك
 كُلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ من قَبْلِ الدولة ، لأنَّ الدولةَ تَجْمَعُ أموالَ الرعيَّةِ
 وتُنْفِقُها في بِطَانَتِها وِرْجَالِها . وتَتَسَّعُ أحوالُهم بِالْجَاهِ أَكْثَرَ من اتِّسَاعِها
 بِالْمَالِ ، فيكونُ دَخْلُ تلكَ الأموالِ من الرعايا وخرْجُها في أَهْلِ
 الدولةِ ، ثم فيمن تَعَلَّقَ بِهِم من أَهْلِ المِصرِ ، وهم الأكثرُ ، فتَعْظُمُ
 لذلك ثروَتُهُمْ ، ويَكْثُرُ غِنَاؤُهُمْ ، وتَتَزَيَّدُ عوائدُ التَّرَفِ ومُذَاهِبُهُ ،
 وتَسْتَحْكُمُ لَدَيْهِم الصناعاتُ في سائرِ فنونه ، وهذه هي الحضارةُ .
 ولهذا نَجِدُ الأمصارَ التي في القاصِيَةِ ، ولو كانت موفورةَ العُمَرانِ ،
 تَغْلِبُ عليها أحوالُ البِدَاوَةِ وتَبْعُدُ عن الحضارةِ في جميعِ مذاهبِها ؛
 بخلافِ المَدُنِ المتوسِّطَةِ في الأقطارِ التي هي مركزُ الدولةِ ومقرُّها .
 وما ذاكُ إِلَّا لمجاوَرَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وفيضِ أمواله فيهم ، كالْماءِ يَنْحُرُ
 ما قَرَبَ منه ، مما قَرَبَ ، من الأرضِ ؛ إلى أن يَنْتَهِيَ إلى الجُفوفِ
 على البعدِ . وقد قَدَّمْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ والدولةَ سُوقٌ للعالمِ . فالبضائعُ
 كُلُّها موجودةٌ في السوقِ وما قَرَبَ منه ، وإذا بَعُدَتْ عن السوقِ
 افْتَقِدَتْ البضائعُ جُمْلَةً . ثم إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتْ تلكَ الدولةُ ، وتَعاقَبَ
 ملوكُها في ذلك المِصرِ ، واحداً بعدَ واحدٍ ، استَحْكَمَتِ الحضارةُ
 فيهم وزادت رُسوخاً .

واعْتَبِرْ ذلكَ في اليهودِ ، لما طَالَ مُلْكُهُم بالشَّامِ نَحْواً من أَلْفِ
 وأربعمائةِ سنةٍ ، رسختَ حضارَتُهُمْ وَحَدِّقُوا في أحوالِ المعاشِ

وعوائده، والتفنن في صناعاته من المطاييم والملابس وسائر أحوال المنزل. حتى انها لتؤخذ عنهم في الغالب إلى اليوم. ورسخت الحضارة أيضاً وعوائدها في الشام منهم، ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة؛ فكانوا في غاية الحضارة.

وكذلك أيضاً القبط دام ملكهم في الخليفة ثلاثة آلاف من السنين؛ فرسخت عوائد الحضارة في بلدهم مصر، وأعقبهم بها ملك اليونان والروم، ثم ملك الاسلام الناسخ للكل. فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة. وكذلك أيضاً رسخت عوائد الحضارة باليمن، لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العاقلة والتبايعه آلافاً من السنين. وأعقبهم ملك مضر.

وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها، من لدن الكلدانيين والكنيئة والكسروية والعرب بعدهم آلافاً من السنين. فلم يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر^(١) من أهل الشام والعراق ومصر.

وكذا أيضاً رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالأندلس، لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط، ثم ما أعقبها من ملك بني أمية - آلافاً من السنين. وكلتا الدولتين عظيمة. فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت.

وأما إفريقية والمغرب، فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم. إنما قطع الروم والإفرنجة إلى إفريقية البحر، وملكوا

(١) كذا بالأصل، والأصح: أكثر حضارة.

السَّاحِلَ، وكانت طاعةُ البربرِ أهلِ الضاحيةِ لهم طاعةً غيرَ مُستَحْكَمَةٍ. فكانوا على قلعةٍ أو فازٍ^(١). وأهلُ المغربِ لم يُجاوِزْهُمُ دولةٌ؛ وإنما كانوا يعيشونَ بطاعتهم إلى القوطِ من وراء البحرِ. ولما جاء اللهُ بالاسلامِ وملكَ العربُ إفريقيةَ والمغربَ، ولم يلبث فيهم ملكُ العربِ إلا قليلاً أوَّلَ الاسلامِ، وكانوا لذلك العهدِ في طورِ البداوةِ؛ ومن استقرَّ منهم بإفريقيةَ والمغربِ لم يجدَ بهما من الحضارةِ ما يقلِّدُ فيه مَنْ سَلَفَهُ؛ اذ كانوا برابرةً منغمسينَ في البداوةِ. ثم انتقضَ برابرةُ المغربِ الأقصى لِأَقْرَبِ اليهودِ، على يدِ ميسرةِ المظفريِّ أيامَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ، ولم يراجعوا أمرَ العربِ بعد واستقلوا بِأمرِ أنفسهم؛ وإن بايعوا لِإِدرِيسَ فلا تُعدُّ دولتهُ فيهم عَرَبِيَّةً، لِأَنَّ البرابرةَ هم الذين تَوَلَّوْها، ولم يكن من العربِ فيها كثيرٌ عددٍ. وبقيت إفريقيةُ لِلأَغْلِبَةِ ومن إليهم من العربِ؛ فكانَ لهم من الحضارةِ بعضُ الشيءِ، بما حصلَ لهم من تَرْفِ الملكِ ونعيمِهِ، وكثرةِ عمرانِ القيروانِ. وورثَ ذلكَ عنهم كُتامةٌ ثم صنهاجةٌ من بعدهم. وذلكَ كُلُّهُ قليلٌ، لم يبلغْ أربعمائةَ سنةٍ. وانصرفتْ دولتُهُم، واستحالت صِبْغَةُ الحضارةِ، بما كانت غيرَ مستَحْكَمَةٍ. وتَغَلَّبَ بدوُ العربِ الهلاليينَ عليها وخرَّبوها، وبقي أثرُ خَفِيٍّ من حضارةِ العُمَرائِ فيها. وإلى هذا العهدِ يُؤنَّسُ فيمن سلفَ له بالقلعةِ أو القيروانِ أو المهديةِ سلفٌ؛ فتجدُ له من أحوالِ

(١) فاز جمع فَازَة: بناء من خرق وغربها بنى في العساكر. وفي ب: وأوفاز. وفي نسخة أخرى: قلعة وافان. وفي نسخة غيرها: قلعة وأوفاز.

الحِصَارَةِ فِي شُؤُونِ مَنْزِلِهِ وَعَوَائِدِ أَحْوَالِهِ ، آثَاراً مُلْتَبِسَةً بِغَيْرِهَا ،
يُمَيِّزُهَا الْحَضَرِيُّ الْبَصِيرُ بِهَا ، وَكَذَا فِي أَكْثَرِ أَمْصَارِ إفْرِيقِيَّةٍ . وَلَيْسَ
ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ ، لِرُسُوخِ الدَّوْلَةِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ أَكْثَرَ أَمْدًا
مِنْذُ عَهْدِ الْأَغَالِبَةِ وَالشَّيْعَةِ وَصَنَاهَا .

وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ مِنْذُ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ،
حِظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْحِصَارَةِ . وَاسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا ، بِمَا كَانَ
لِدَوْلَتِهِمْ مِنَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ . وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ
أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعًا وَكَرْهًا . وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ النِّطاقِ مَا عَلِمَتْ ،
فَكَانَ فِيهَا حِظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحِصَارَةِ وَاسْتَحْكَامِهَا ، وَمَعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ . ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ النَّصَارَى
إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ ، فَابْقُوا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحِصَارَةِ آثَارًا ، مُعْظَمُهَا
بِتُونُسَ ، امْتَزَجَتْ بِحِصَارَةِ مِصْرَ ، وَمَا يَنْقُلُهُ الْمَسَافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا
فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةٍ حِظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحِصَارَةِ عَفَى عَلَيْهِ
الْحُفَا ، وَرَجَعَ عَلَى أَعْقَابِهِ . وَعَادَ الْبَرَبُ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ ^(١) مِنْ
الْبِدَاوَةِ وَالْخُشُونَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَآثَارُ الْحِصَارَةِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ أَكْثَرُ
مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ ، لَمَّا تَدَاوَلَ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرُ
مِنْ الْمَغْرِبِ ، وَلَقَرَبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمُتَرَدِّدِينَ
بَيْنَهُمْ . فَتَفَطَّنَ لِهَذَا السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ ، وَهِيَ حَالُ الدَّوْلَةِ فِي الْقُوَّةِ وَالضُّعْفِ ،
وَكَثْرَةُ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِيلِ ، وَعِظْمُ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمَصْرِ ، وَكَثْرَةُ النِّعَمَةِ

(١) بمعنى عاداتهم . وَرَدَّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَدَانَ إِذَا اعْتَادَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا .

واليسار. وذلك أَنَّ الدولةَ والمُلكَ صُورَةُ الخَلِيقَةِ والعُمرانِ، وكلُّها مَادَّةٌ لها، من الرعايا والأَمْصارِ وسائرِ الأَحْوالِ. وأَمْوالُ الجبايةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ، ويسارُهُمْ في الغالبِ من أسْواقِهِمْ، ومتاجِرِهِمْ. وإذا أَفاضَ السُّلطانُ عطاءَهُ وأَمْوالَهُ في أَهلِها، انبَثَّتْ فيهِمْ، ورجعتْ إِلَيْهِ، ثمُ اليَهِمْ مِنْهُ. فهي ذاهِبَةٌ عَنْهُمْ في الجبايةِ والخِراجِ، عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ في العطاءِ. فعلى نِسْبَةِ حالِ الدولةِ يَكُونُ يسارُ الرعايا، وعلى نِسْبَةِ يسارِ الرعايا أَيْضاً وكَثَرَتِهِمْ، يَكُونُ مالُ الدولةِ. وأَصْلُهُ كُلُّهُ العُمرانُ وكَثَرَتُهُ. فاعتَبِرْهُ وتَأَمَّلْهُ في الدُّولِ تَجِدْهُ. واللهُ سُبْحانَهُ وتعالى يَخْكُمُ لا مُعَيَّبَ لِحُكْمِهِ.

الفصل الثامن عشر

في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده

قد بَيَّنَّا لَكَ فيما سَلَفَ، أَنَّ المُلكَ والدُّولَ غايةَ للعَصِيَّةِ، وأنَّ الحِضارَةَ غايةَ لِلِبدَاوَةِ، وأنَّ العِمرانَ كُلَّهُ من يَدَاوَةٍ وحِضارَةٍ ومَلِكٍ وَسُوقَةٍ^(١) لَهُ عُمَرٌ مُحسوسٌ. كما أَنَّ للشَّخْصِ الواحدِ من أَشْخاصِ المَكُوناتِ عُمراً مُحسوساً. وتَبَيَّنَ في المَعْقُولِ والمَنْقُولِ أَنَّ الأَرْبَعِينَ لِلانسانِ غايَةً في تَرَايِدِ قُواهِ ونُمُوِّها، وَأَنَّهُ إذا بَلَغَ سَنَ الأَرْبَعِينَ وَقَفَتِ الطَّبِيعَةُ عَنْ آثَرِ النَشْوَةِ والنُمُوِّ بِرَهَةٍ؛ ثُمَّ تَأْخُذُ

(١) السُّوقَةُ: الرِّعْيَةُ، لِلواحدِ والجمعِ والمذكورِ والمؤنثِ.

بعد ذلك في الانحطاط . فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضاً كذلك ، لأنه غاية لا مزيد وراءها . وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلوا لأهل العمران ، دعاهم بطبيعته إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها . والحضارة ، كما علمت ، هي التفنن في الترف واستجادة أحواله ، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه ، كالصنائع المهيئة للطايب أو الملابس أو المباني أو القرش أو الآتية ، ولسائر أحوال المنزل . وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنيق فيها . وإذا بلغ التأنيق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات ، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة ، لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنيها : أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر زعها ، وأما دنيها فللكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ، ويعجز الكسب عن الوفاء بها . وبيانه أن المصّر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات أهله ، والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران ؛ فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل . وقد كنا قدّمنا أن المصّر الكثير العمران يختص بالفلاء في أسواقه وأسعار حاجاته . ثم تريدها المكوس غلاء لأن كمال الحضارة إنما تكون عند نهاية الدولة في استيفائها ، وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدّم . والمكوس تعود على البياعات بالفلاء ؛ لأن السوق والتجارة كلهم ، يحتسبون على سلعهم وبضائعهم ، جميع ما يُنفقونه ، حتى في مؤونة أنفسهم ؛ فيكون

المكسُ لذلك داخلاً في قيم المبيعات وأثمانها . فتعظم نفقات أهل الحاضرة وتخرجُ عن القصدِ إلى الإسراف . ولا يجدون وليجةً عن ذلك لما ملكهم من أثر العوائد وطاعتها ، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ، ويتتابعون^(١) في الإملاق والخصاصة ، ويغلبُ عليهم الفقر . ويقبلُ المستامون للبضائع ، فكسُدُ الأسواقُ وتفسدُ حالُ المدينة . وداعيةُ ذلك كِلهُ إفراطُ الحضارة والترف . وهذه مفسدتها في المدينة على العموم في الأسواق والعمارة .

وأما فسادُ أهلها في ذاتهم ، واحداً واحداً على الخصوص ؛ فن الكد والتعب في حاجات العوائد ، والتلون بالوان الشر في تحصيلها ، وما يعودُ على النفس من الضرر بعد تحصيلها ، بحصول لون آخر من ألوانها . فلذلك يكثرُ منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيلُ على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه . وتنصرفُ النفسُ إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له ، فتجدُّهم أجرياء^(٢) على الكذب والمقامرة والغش والخلافة والسرقة والفجور في الأيمان والرباء في البياعات . ثم تجدُّهم — لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف — أبصرَ بطرقِ الفسق ومذاهبه ، والمجاهرة به وبدواعيه ، وإطراح الحشمة في الخوض فيه ، حتى بين الأقارب وذوي الأرحام والمحارم ، الذين تقتضي اليدوة الحياء منهم في الإقذاع بذلك . وتجدُّهم أيضاً أبصرَ بالمكر والخديعة ، يدفعون

(١) كذا ، وفي نسخة : ويتبالغون .

(٢) يقال في الجريء : جريء ، جمعها أجرياء (لسان العرب) .

بذلك ما عساه ينالهم من القهر ، وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح ؛ حتى يصير ذلك عادةً وخلقاً لأكثرهم ، إلا من عصمه الله . ويموجُ بحرُ المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة . ويجاريهم فيها كثيرٌ من ناشئة الدولة وولدايهم ، ممن أهمل عن التأديب ، وأهملت الدولة من عدايدها ، وغلب عليه خلق الجوار والصحابة ، وإن كانوا أصحابه أهل أنساب وبيوتات^(١) . وذلك أن الناس بشرٌ متماثلون ؛ وإنما تفاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل . فن استحكمت فيه صبغة الرذيلة بأي وجه كان ، وفسد خلق الخير فيه ، لم ينفعه زكاة نسبه ولا طيب منيته . ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة وأهل الدول ، منطرحين في الغمار^(٢) ، منتهجين للحرف الدينية في معاشهم بما فسد من أخلاقهم ، وما تلوثوا به من صبغة الشر والسفسفة . وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها ؛ وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْميراً ﴾^(٣) .

ووجهه أن مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم ، لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها ، فلا تستقيم أحوالهم . وإذا فسدت أحوال

(١) كذا ، وفي ب : وأبوات .

(٢) الغمار : جماعة الناس ولغيرهم .

(٣) آية ١٦ من سورة الإسراء .

الأشخاص، وإحداً وإحداً، اختل نظام المدينة وخرّبت. وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الخواص^(١): «أن المدينة إذا كثرت فيها غرس النارج تآذنت بالخراب، حتى أن كثيراً من العامة يتحامي غرس النارج بالدور، تطيراً به؛ وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة^(٢) في النارج، وإنما معناه أن البساتين وإجراء المياه هو من توابع الحضارة. ثم إن النارج واللّيم والسرو وأمثال ذلك، مما لا طعم فيه ولا منفعة، هو من غايات الحضارة، إذ لا يُقصد بها في البساتين إلا أشكلها فقط، ولا تُغرس إلا بعد التفنن في مذهب الترف. وهذا هو الطور الذي يُخشى معه هلاك المصر وخرابها كما قلناه. ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى، وهو من هذا الباب، إذ الدفلى لا يُقصد بها إلا تلون البساتين بنورها، ما بين أحمر وأبيض، وهو من مذاهب الترف.

ومن مفايد الحضارة أيضاً الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف؛ فيقع التفنن في شهوات البطن من المأكول والملاذ والمشارب وطيبها. ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح، من الزنى واللواط؛ فيفضي ذلك إلى فساد النوع؛ إما بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنى، فيجهل كل واحد ابنه إذ هو لغير رِشدة، لأن المياه مختلطة في الأرحام، فتتقد الشفة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون، ويؤدي ذلك

(١) وفي نسخة: أهل الخواص.

(٢) وفي نسخة (ب): طيرة.

الى انقطاع النوع؛ أو يكونُ فسَادُ النوعِ بغيرِ واسطة ، كما في اللواطِ المؤدِّي إلى عدم النسلِ رأساً وهو أشدُّ في فسَادِ النوعِ إذ هو يؤدِّي الى أن لا يوجدَ النوعُ . والزنا يؤدِّي إلى عدم ما يوجدُ منه . ولذلك كانَ مذهبُ مالِكٍ ، رحمه الله ، في اللواطِ أظهرَ من مذهبِ غيره ، ودلٌّ على أنه أبصرُ بمقاصِدِ الشريعةِ واعتبارها للمصالح . فافهم ذلك واعتبر به أن غايةَ العُمرانِ هي الحضارةُ والتَّرفُ ، وأنه إذا بلغَ غايته انقلبَ إلى الفسادِ وأخذَ في الهرمِ ، كالأعمارِ الطبيعيَّةِ للحيواناتِ ، بل نقولُ إنَّ الأخلاقَ الحاصلةَ من الحضارةِ والتَّرفِ هي عينُ الفسادِ ، لأنَّ الإنسانَ إنما هو إنسانٌ باقتدارِهِ على جلبِ منافعِهِ ودفعِ مضارِّهِ وإستقامةِ خُلُقِهِ للسَّعي في ذلك . والحضريُّ لا يقدرُ على مباشرةِ حاجاته : إمَّا عجزاً لما حصلَ له من الدَّعة ؛ أو ترفُّعاً لما حصلَ له من المربي في النِّعيم والتَّرفِ . وكلا الأمرينِ ذميمٌ . وكذلك لا يقدرُ على دفعِ المضارِّ واستقامةِ خُلُقِهِ للسَّعي في ذلك . والحضريُّ بما قد فقدَ من خُلُقِ البأسِ بالتَّرفِ والمربي في قَهْرِ التَّأديبِ والتعليمِ ؛ فهو لذلك عيالٌ على الحاميَّةِ التي تدافعُ عنه . ثم هو فاسدٌ أيضاً في دينه غالباً بما أَفَسَدَتْ مِنْهُ العوائدُ وطاعتُها ، وما تلوَّنت به النَّفسُ من مَلَكَايَها كما قرَّرناه ، إلا في الأقلِّ النادرِ . وإذا فُسِدَ الإنسانُ في قدرته ثم في أخلاقِهِ ودينِهِ ، فقد فُسِدَتْ إنسانيَّتُهُ وصارَ مسخاً على الحقيقةِ . وبهذا الاعتبارِ كانَ الذين يتقرَّبون ، من جندِ السلطان ، إلى البداويِّ والحشونة ، أنفعَ من الذين يترَبَّون على الحضارةِ وخُلُقِها . وهذا

موجود في كلّ دولة . فقد تبين أنّ الحضارة هي سنّ الوقوف
لعمري العالم من العمران والدول . والله سبحانه وتعالى ، كلّ يوم ،
هو في شأن ، لا يشغله شأن عن شأن .

الفصل التاسع عشر

في ان الاصار التي تكون كراسي الملك تغرب بخراب الدولة وانتقاضها

قد استقرينا في العمران أنّ الدولة إذا اختلت وانتقضت ،
فإنّ المصّر الذي يكون كرسيّاً لسلطانها ينتقض عمرانه ؛ وربما
ينتهي في انتقاضه الى الخراب ، ولا يكاد ذلك يتخلف . والسبب
فيه أمور :

الأول — أنّ الدولة لا بدّ في أولها من البداوة المقتضية للتجافي
عن أموال الناس والبعد عن التحدّق . ويدعو ذلك إلى تخفيف
الجباية والمغارم التي منها مادة الدولة ؛ فتقلّ النفقات ويقصر
الترف . فإذا صار المصّر الذي كان كرسيّاً للملك في ملكة هذه
الدولة المتجددة ، ونقصت أحوال الترف فيها ، نقص الترف فيمن
تحت أيديها من أهل المصّر ؛ لأنّ الرعايا تبع للدولة ، فيرجعون
إلى خلق الدولة : إمّا طوعاً لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم ؛
أو كرهاً لما يدعو اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في
جميع الأحوال ، وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد ؛ فتقصر

لذلك حضارةُ المِصرِ ، ويذهبُ منه كثيرٌ من عوائدِ التَّرفِ . وهي معنى ما نقولُ في خرابِ المِصرِ .

الأمر الثاني - أنَّ الدَّولةَ إنما يحصلُ لها الملكُ والاستيلاءُ بالغلبِ ، وإنما يكونُ بعدَ العداوةِ والحروبِ . والعداوةُ تقتضي منافاةً بين أهلِ الدَّولتين ، وتكثرُ إحداها على الأُخرى في العوائدِ والأحوالِ . وغلبُ أحدِ المتنافيين يذهبُ بالمتنافي الآخرِ ؛ فتكونُ أحوالُ الدَّولةِ السابقةِ منكراً عند أهلِ الدَّولةِ الجديدةِ ومستبشعةً وقبيحةً . وخصوصاً أحوالُ التَّرفِ فتُفقدُ في عرفهم بنكيرِ الدَّولةِ لها ، حتى تنشأَ لهم بالتدريجِ عوائدُ أخرى من التَّرفِ ؛ فتكونُ عنها حضارةٌ مستأنفةٌ . وفيما بين ذلك قصورُ الحضارةِ الأولى ونقصُها ، وهو معنى اختلالِ العمرانِ في المِصرِ .

الأمرُ الثالثُ - أنَّ كلَّ أمةٍ لا بدَّ لهم من وطنٍ هو منشأهم ومنه أُوليَّةُ ملكهم . وإذا ملكوا وطناً آخرَ صارَ تبعاً للأوَّلِ ، وأمصارُهُ تابعةٌ لأمصارِ الأوَّلِ . واتَّسعَ نطاقُ الملكِ عليهم . ولا بدَّ من توسُّطِ الكرسيِّ بين تخومِ الممالكِ التي للدَّولةِ ، لأنَّهُ يشبهُ المركزَ للنِّطاقِ ؛ فيبعدُ مكانُهُ عن مكانِ الكرسيِّ الأوَّلِ وتهوي أفئدةُ النَّاسِ إليه من أجلِ الدَّولةِ والسُّلطانِ ؛ فينتقلُ إليه العمرانُ وينحِفُ من مِصرِ الكرسيِّ الأوَّلِ . والحضارةُ إنما هي بوفورِ العمرانِ كما قدَّمنا ؛ فتنتقصُ حضارَتُهُ وتقدُّنُهُ وهو معنى اختلالِهِ . وهذا كما وقعَ للسُّلجوقيَّةِ في عدولهم بكرسيِّهم عن بغدادَ إلى أصْبَهانَ ، وللعربِ قبلَهُم في العدولِ عن المدائنِ إلى الكوفةِ والبصرةِ ، ولبنى

العبّاس في العدول عن دمشق الى بغداد ، ولبنى مَرين بالمغرب
في العدول عن مَرَاكُش الى فاس . وبالجملَة فَاتَّخَذُ الدَّوْلَةُ الكُرْسِيَّ
في مِصْرٍ يُخِلُّ بعمرانِ الكُرْسِيِّ الأوَّل .

الأمرُ الرابعُ — أَنَّ الدَّوْلَةَ المتجدِّدة إِذا غلبت على الدولة السابقة
لا بدَّ فيها من تَتَبُّعِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ وأشْيَاعِهَا ، بتحويلهم الى
قُطْرٍ آخَرَ تُؤْمَنُ فِيهِ غَائِلَتُهُمْ على الدَّوْلَةِ . وَأَكْثَرُ أَهْلِ المِصْرِ
الكُرْسِيِّ أَشْيَاعُ الدَّوْلَةِ . إِمَّا مِنْ الحَامِيَةِ الَّذِينَ تَزَلَّوْا بِهِ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ
أَوْ مِنْ أَعْيَانِ المِصْرِ ، لِأَنَّ لَهُمْ فِي الغَالِبِ مَخَالَطَةً للدَّوْلَةِ على
طبقاتهم وتنوُّعِ أَصْنَافِهِمْ . بَلْ أَكْثَرُهُمْ نَاشِئٌ فِي الدَّوْلَةِ فَهَمُ شِيعَةٍ
لَهَا . وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا بِالشُّوْكَةِ والعَصْبِيَّةِ ؛ فَهَمُ بِالْمِيلِ والحُبِّ والعَقْدَةِ .
وطَبِيعَةُ الدَّوْلَةِ المتجدِّدةِ مَحْوُ آثَارِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ ؛ فَتَنَقُّلُهُمْ مِنْ مِصْرِ
الكُرْسِيِّ إِلَى وَطَنِهَا الْمُتَمَكِّينِ فِي مَلَكْتِهَا . فبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ التَّغْرِيبِ
والجُبْسِ ؛ وَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ الكَرَامَةِ والتَّلَطُّفِ ، بِحَيْثُ لَا يُوَدِّي
إِلَى التَّفَرُّقَةِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِي مِصْرِ الكُرْسِيِّ إِلَّا البَاعَةُ وَالْهَمَلُ
مِنْ أَهْلِ الفَلَحِ والعِيَارَةِ^(١) وسَوَادِ الْعَامَّةِ . وَيَنْزِلُ مَكَانَهُمْ فِي
حَامِيَّتِهَا وَأَشْيَاعِهَا مَنْ يَشْتَدُّ بِهِ المِصْرُ . وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ المِصْرِ أَعْيَانُهُ
عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَقَصَ سَاكِنُهُ ، وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ . ثُمَّ لَا بَدَّ
أَنْ يَسْتَجِدَّ عُمَرَانُ آخَرُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الجَدِيدَةِ ، وَتَحْصُلُ فِيهِ
حِضَارَةٌ أُخْرَى عَلَى قَدْرِ الدَّوْلَةِ . وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَثَابَةِ مَنْ يَمْلِكُ بَيْتًا دَاخِلَهُ

(١) العيارة: اسم من فعل عير، وأهل العيارة هم الذين يراقبون العيار. والعيار ما عايرت
به المكايل، تقول: عايرت به أي سويته، وهو العيار والمعيار (لسان العرب).

البلى ؛ والكثير من أوضاعه في بيوته ومرافقه لا توافق مقترحه؛ وله قدرة — على أوصاف مخصوصة — على تغيير تلك الأوضاع ، وإعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه ؛ فيخرب ذلك البيت ، ثم يعيد بناءه ثانياً .

وقد وقع من ذلك كثير في الأمصار التي هي كراسي للملك وشاهدناه وعلمناه . ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ .

والسبب الطبيعي الأول في ذلك على الجملة ، أن الدولة والملك للعران ، بمثابة الصورة للمادة ، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها . وقد تقرّر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر . فالدولة دون العران لا تتصور ، والعران دون الدولة والملك متعدّد ، بما في طباع البشر من العدوان^(١) الداعي الى الوانع ، فتتعيّن السياسة لذلك . أما الشريعة أو الملكية وهو معنى الدولة ؛ وإذا كانا لا ينفكان ، فاختلال أحدهما مؤثّر في اختلال الآخر ، كما كان عدمه مؤثراً في عدمه . والخلل العظيم إنما يكون من خلل الدولة الكلية ؛ مثل دولة الروم أو الفرس أو العرب على العموم ، أو بني أمية أو بني العباس كذلك . وأما الدول الشخصية ، مثل دولة أنو شروان أو هرقل أو عبد الملك ابن مروان أو الرشيد ، فأشخاصها متعاقبة على العران ، حافظة لوجوده وبقائه ، وقريبة الشبه بعضها من بعض ، فلا تؤثّر كثير

(١) وفي نسخة (ب) من التعاون .

اختلال . لأنَّ الدولةَ بالحقِيقَةِ الفاعلةُ في مادَّةِ العمرانِ إنما هي العصبِيَّةُ والشَّوكةُ ، وهي مستمرةٌ مع أشخاصِ الدَّولِ . فإذا ذهبتْ تلكَ العصبِيَّةُ ودفعتها عصبِيَّةٌ أخرى مؤثِّرةٌ في العمرانِ ، فأذهبتْ أهلَ الشَّوكةِ بأجمعهم ، عظمَ الخللُ كما قرَّناه أَوَّلًا . واللهُ قادرٌ على ما يشاء . إنَّ يَشَأْ يذهبكم ويأتِ بخلقٍ جديدٍ ، وما ذلكَ على اللهِ بعزِيزٍ .

الفصل العشرون

في اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض

وذلك أنه من البين أنَّ أعمالَ أهلِ المِصرِ يستدعي بعضها بعضاً ، لما في طبيعةِ العمرانِ من التعاونِ . وما يستدعي من الأعمالِ يختصُّ ببعضِ أهلِ المِصرِ فيقومونَ عليه ، ويستبصرونَ في صناعتهِ ويختصُّونَ بوظيفتهِ ، ويجعلونَ معاشَهُم فيه ورزقَهُم منه ، لعمومِ البلوى به في المِصرِ والحاجةِ إليه . وما لا يستدعي في المِصرِ يكونُ غُفْلاً ، إذ لا فائدةَ لمنتجِه في الاحترافِ به . وما يستدعي من ذلكَ لضرورةِ المعاشِ ، فيوجدُ في كلِّ مِصرٍ ، كالخياطِ والحَدَّادِ والنَّجَّارِ وأمثالها . وما يستدعي لعوائدِ التَّرفِ وأحواله ، فإنما يوجدُ في المدنِ المستبحرةِ في العِمارةِ ، الآخذةِ في عوائدِ التَّرفِ والحِضارةِ مثلَ الزَّجاجِ والصَّائغِ والدَّهَانِ والطَّبَّاخِ والصَّفَّارِ والسَّفَّاجِ والفَرَّاشِ والدُّبَّاحِ وأمثالِ هذه ، وهي متفاوتةٌ . وبقدَرٍ ما تريدُ عوائدُ

الحضارة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع ، فتوجد بذلك المصر دون غيره . ومن هذا الباب الحمامات لأنها إنما توجد في الأمصار المستحضرة المستبحرة العمران ، لما يدعو إليه الترف والغنى من التمتع . ولذلك لا يكون في المدن المتوسطة . وإن نزع بعض الملوك والرؤساء إليها ، فيختطها ويجري أحوالها . إلا أنها إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس ، فسرعان ما تهجر وتخرب ، وتقر عنها القومة ، لقلة فائدتهم ومعايشهم منها . والله يفيض وييسط

الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض

من البين أن الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر . وإن لم يكونوا أهل نسب واحد ، إلا أنه كما قدمنا أضعف مما يكون بالنسب ، وأنه تحصل به العصبية بعضاً مما تحصل بالنسب . وأهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر ، يجذب بعضهم بعضاً إلى أن يكونوا حملاً حملاً ، وقاربة قرابة ، تجد بينهم من العداوة والصدقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله ، فيفترقون شيعاً^(١) وعصائب . فإذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة^(٢) عن القاصية ،

(١) كذا ، وفي ب : شعباً .

(٢) كذا ، وفي ب : وتقلص الملك عن القاصية .

احتاج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم ، والنظر في حماية بلديهم ، ورجعوا إلى الشورى وتمييز العلية عن السفلة . والنفوس بطباعها متطاولّة إلى الغلب والرياسة ، فتطمح المشيخة — لخلاء الجور من السلطان والدولة القاهرة — إلى الاستبداد ، ويُنازع كل صاحبها ، ويستوصلون بالأتباع من الموالي والشيعة والأحلاف . ويبدلون ما في أيديهم للأوغاد والأوشاب ، فيعصو صب كل لصاحبه ، ويتعين الغلب لبعضهم ، فيعطى على اكفائه ، لينفض من أعنتهم . ويتبعهم بالقتل أو التغريب ، حتى يخضع منهم الشوكات النافذة ، ويقلّم الأظفار الحادشة . ويستبد بمصره أجمع . ويرى أنه قد استحدث ملكاً يورثه عقبه ، فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم ، من عوارض الجدّة والهرم .

وربما يسمو بعض هؤلاء إلى منازع الملوك الأعظم ، أصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والزُحوف والحروب والأقطار والممالك ؛ فيتعلّون بها ؛ من الجلوس على السرير ، واتخاذ الآلة ، واعداد المواكب للسير في أقطار البلد ، والتختم والتجية ، والخطاب بالتهويل ؛ ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم ؛ لما انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا لها بأهل . إنما دفعهم إلى ذلك تقلص الدولة والتحام بعض القرابات ، حتى صارت عصبية . وقد يتنزه بعضهم عن ذلك ويجري على مذاهب السذاجة فراراً من التعريض بنفسه للسخرية والعبث . وقد وقع هذا بإفريقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لأهل بلاد الجريد ، من طرابلس وقايس

وَتُوْزِرَ وَنَفْطَةً وَقَفْصَةً وَبَسْكَرَةً وَالزَّابِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ . سَمَوْا إِلَى
مِثْلِهَا عِنْدَ تَقْلُصِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مِنْذُ عَقُودٍ مِنَ السَّنِينَ ،
فَاسْتَعْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ وَاسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ
وَالْجَبَايَةِ . وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفْقَةً مُنْمَرَضَةً ، وَأَقْطَعُوهَا جَانِبًا
مِنَ الْمَلَائِنَةِ وَالْمَلَاطِفَةِ وَالْإِنْقِيَادِ ، وَهُمْ بِعِزْلٍ عَنْهُ . وَأَوْرَثُوا ذَلِكَ
أَعْقَابَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ . وَحَدَّثَ فِي خُلُقِهِمْ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّجْبُرِ مَا يَحْدُثُ
لِأَعْقَابِ الْمُلُوكِ وَخَلْقِهِمْ . وَنَظَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السُّلَاطِينِ ، عَلَى
قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالسُّوقَةِ ، حَتَّى مَحَا ذَلِكَ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ ،
وَانْتَزَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا نَذَرُهُ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ .
وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصَّنَهَاجِيَّةِ ، وَاسْتَقْلَّ
بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ أَهْلُهَا ، وَاسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ ، حَتَّى انْتَزَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ
شَيْخُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكُهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَنَقَلَهُمْ كُلَّهُمْ
مِنْ إِمَارَتِهِمْ بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَمَحَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ آثَارَهُمْ كَمَا نَذَرُ
فِي أَخْبَارِهِ . وَكَذَا وَقَعَ بِسَبْتَةِ الْآخِرِ دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . وَهَذَا
التَّغْلِبُ يَكُونُ غَالِبًا فِي أَهْلِ السَّرَوَاتِ وَالْبُيُوتَاتِ الْمُرْشَحِينَ
لِلْمَشِيخَةِ وَالرِّيَاسَةِ فِي الْمِصْرِ ، وَقَدْ يَحْدُثُ التَّغْلِبُ لِبَعْضِ السِّفْلَةِ
مِنَ الْفُوغَاءِ وَالدِّهْمَاءِ . وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْعَصْبِيَّةُ وَالْإِلْتِحَامُ بِالْأَوْغَادِ ،
لِأَسْبَابٍ يَجْرُهَا لَهُ الْمَقْدَارُ ، فَيَتَغْلَبُ عَلَى الْمَشِيخَةِ وَالْعِلْيَةِ ، إِذَا كَانُوا
فَاقِدِينَ لِلْعَصَابَةِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

الفصل الثاني والعشرون

في لغات أهل الأمصار

إِعْلَمَنَّ أَنَّ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِنَّمَا تَكُونُ بِلِسَانِ الْأُمَّةِ ، أَوْ الْجِيلِ الْغَالِبِينَ عَلَيْهَا أَوْ الْمُحْتَطِّينَ لَهَا ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ لُغَاتُ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَرَبِيَّةً ، وَإِنْ كَانَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الْمَضْرِيُّ قَدْ فَسَدَتْ مَلَكَتُهُ وَتَغَيَّرَ إِعْرَابُهُ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى الْأُمَمِ ، وَالدينِ وَالْمِلَّةِ صَوْرَةٌ لِلْوُجُودِ وَلِلْمُلْكِ . وَكُلُّهَا مُوَادُّ لَهُ ، وَالصَّوْرَةُ مُقَدِّمَةٌ عَلَى الْمَادَّةِ ؛ وَالدينِ إِنَّمَا يُسْتَفَادُّ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَهِيَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، لَمَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَرَبِيٌّ ؛ فَوَجِبَ هِجْرُ مَا سِوَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْأَلْسُنِ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهَا . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي نَهْيِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَطَانَةِ الْأَعَاجِمِ ، وَقَالَ : إِنِّهَا خَبٌّ ، أَيُّ مَكْرٌ وَخَدِيعَةٌ . فَلَمَّا هَجَرَ الدِّينُ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ ، وَكَانَ لِسَانُ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَرَبِيًّا ، هُجِرَتْ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهَا ؛ لِأَنَّ النَّاسَ تَبَعَ لِلسُّلْطَانِ وَعَلَى دِينِهِ ، فَصَارَ اسْتِعْمَالُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَطَاعَةِ الْعَرَبِ . وَهَجَرَ الْأُمَمُ لُغَاتِهِمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَالْمَمَالِكِ . وَصَارَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ لِسَانَهُمْ ، حَتَّى رَسَخَ ذَلِكَ لُغَةً فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ وَمَدِينِهِمْ ، وَصَارَتْ الْأَلْسَنَةُ الْعَجْمِيَّةُ دَخِيلَةً فِيهَا وَغَرِيبَةً . ثُمَّ فَسَدَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ بِمُخَالَطَتِهَا فِي بَعْضِ أَحْكَامِهِ وَتَغَيَّرَ أَوَاخِرُهُ ،

وإن كان بقي في الدلالات على أصله ، وسُمِّيَ لساناً حضرياً في جميع أمصار الإسلام .

وأيضاً فأكثر أهل الأمصار في المِلَّة لهذا العهد ، من أعقاب العرب ، المالكين لها ، الهالكين في ترفها ، بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم . واللغات متوارثة ، فبقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء ؛ وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئاً فشيئاً . وسُمِّيَت لغتهم حضريّة منسوبة الى أهل الحواضر والأمصار ، بخلاف لغة البدو من العرب ؛ فإنها كانت أعرق في العروبيّة . ولما ثقلت العجم من الديلم والسلجوقيّة بعدهم بالشرق ، وزانته والبربر بالمغرب ، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية ، فسدت اللسان العربيّ لذلك ؛ وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين ، وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة المضريّة من الشعر والكلام ، إلا قليلاً بالأمصار ، عربيّة . فلما ملك التتر والمغول بالشرق ، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح ، وفسدت اللغة العربيّة على الإطلاق ، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية ، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر ، وبلاد الشمال ، وبلاد الروم ؛ وذهبت أساليب اللغة العربيّة من الشعر والكلام ، إلا قليلاً ينع تعليمه صناعياً بالقوانين المتدارسة من علوم العرب ، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك . وربما بقيت اللغة العربيّة المضريّة بمصر والشام .

والأندلس والمغرب ، لبقاء الدين طالباً لها ؛ فانحفظت بعض
الشيء . وأما في ممالك العراق وما وراءه ؛ فلم يبقَ له أثرٌ ولا
عينٌ ، حتى ان كُتِبَ العلومِ صارت تُكْتَبُ باللسانِ العجميِّ ،
وكذا تدريسُهُ في المجالس . والله أعلمُ بالصواب . والله مُقَدِّرُ اللَّيْلِ
والنَّهَارِ . صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً
دائماً أبداً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

البَابُ الْخَامِسُ

من كتاب الأول

في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله
من الأحوال وفيه مسائل

الفصل الأول

في حقيقة الرزق والكسب وشدهما
وان الكسب هو قيمة الأعمال البشرية

اعلم أنَّ الانسانَ مفتقرٌ بالطبعِ إلى ما يقوتهُ ويعونه ، في
حالاته وأطواره ، من لدن نشوئه إلى أشيئه إلى كبره . ﴿ وَاللَّهُ
الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ . والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان ،
وامتنَّ به عليه في غير ما آية من كتابه فقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ (١) وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وسَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ وسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ .
وكثيرٌ من شواهدهِ . ويدُّ الانسانُ مبسوطهً على العالمِ وما فيه ،
بما جعل الله له من الاستخلافِ . وأيدي البشرِ منتشرةٌ ، فهي
مستركةٌ في ذلك . وما حصل عليه يدُ هذا امتنع عن الآخرِ

(١) من آية ١٣ من سورة الجاثية .

إلا ببعوضٍ . فالإنسانُ متى اقتدرَ على نفسه وتجاوزَ طورَ الضعفِ ، سعى في اقتناء المكاسبِ ، لينفقَ ما آتاهُ اللهُ منها ، في تحصيل حاجاته وضروراته بدفعِ الأعواضِ عنها . قال الله تعالى : ﴿ فَأَبْنِغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ .

وقد يحصلُ له ذلك بغيرِ سعيٍ ، كالمطرِ المصلحِ للزراعةِ وأمثاله . إلا أنها إنما تكونُ مُعِينَةً ، ولا بدَّ من سعيه معها كما يأتي ؛ فتكونُ له تلك المكاسبُ معاشاً إن كانت بمقدارِ الضرورةِ والحاجةِ ، ورياشاً ومُتَمَوِّلاً إن زادت على ذلك . ثم إنَّ ذلك الحاصلَ أو المقتنى ، إن عادت منفعتُهُ على العبدِ ، وحصلت له ثمرتهُ ، من إنفاقه في مصالحه وحاجاته سُمِّيَ ذلك رزقاً . قال ﷺ : « إِنْ لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ » . وإن لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يُسمى بالنسبةِ إلى المالكِ رزقاً ، والمتملِّكُ منه حينئذٍ بسعيِ العبدِ وقدرته يُسمى كسباً . وهذا مثلُ التُّراثِ ، فإنه يُسمى بالنسبةِ إلى المالكِ كسباً ولا يُسمى رزقاً ، إذ لم يحصلُ له به مُنتفعٌ ، وبالنسبةِ إلى الوارثين متى انتفعوا به يُسمى رزقاً . هذا حقيقةُ مُسمَّى الرزقِ عند أهلِ السُّنة . وقد اشترطَ المعتزلةُ في تسميته رزقاً أن يكونَ بحيثُ يصحُّ تملكُه ، وما لا يُتملِّكُ عندهم فلا يُسمى رزقاً . وأخرجوا الغُصوباتِ^(١) والحرامَ كُلَّهُ عن أن يسمى شيءٌ منها رزقاً . والله تعالى يرزُقُ الغاصِبَ والظالمَ والمؤمنَ والكافرَ ، ويختصُّ برحمتهِ

(١) الغصب مصدر: الشيء المغصوب . ولم ترد في لسان العرب لفظة غصوبات . لذلك الأصح أن يقول : وأخرجوا الأشياء المغصوبة . وفي ب : المغصوبات .

وهدايته من يشاء . ولهم في ذلك حُجَجٌ ليس هذا موضعَ بسطها .
ثم اعلم أن الكسبَ إنما يكونُ بالسعي في الاقتناء والقصدِ
إلى التحصيل ؛ فلا بدُّ في الرزقِ من سعيٍّ وعملٍ ولو في تناوله
وابتغائه من وجوهه . قال تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ .
والسعيُّ إليه إنما يكونُ بأقدارِ الله تعالى وإلهامه ، فالكلُّ من عندِ
الله . فلا بدُّ من الأعمالِ الانسانية في كل مكسوبٍ ومُتموِّلٍ .
لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائعِ فظاهرٌ ؛ وإن كان مقتنىً
من الحيوانِ أو النباتِ أو المعدنِ فلا بدُّ فيه من العملِ الإنسانيِّ
كما تراه ، وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاعٌ .

ثم إن الله تعالى خلقَ الحَجَرَيْنِ المعدِنَيْنِ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
قيمةً لكل متموِّلٍ ، وهما الذخيرةُ والقنيةُ لأهلِ العالمِ في الغالبِ .
وإن اقتنى سواهما في بعض الأحيان ؛ فإنما هو لقصدِ تحصيلهما بما
يَمَعُ في غيرهما من حَوَالَةِ الأسواقِ ، التي هما عنها بمَعَزَلٍ ؛ فهما أصلُ
المكاسبِ والقنيةِ والذخيرةِ . وإذا تقررَ هذا كُلُّهُ فاعلم أن ما
يُفِيدُهُ الإنسانُ ويقتنيه من المَتموِّلاتِ ، إن كان من الصنائعِ فالمفادُ
المقتنى منه هو قيمةُ عمله ، وهو القصدُ بالقنيةِ ؛ إذ ليس هنالك
إلا العملُ وليس بمقصودٍ بنفسه للقنيةِ . وقد يكونُ مع الصنائعِ في
بعضها غيرُها . مثل النِجَارَةِ والحِياكَةِ معهما الخشبُ والغزلُ ؛ إلا
أن العملَ فيهما أكثرُ ؛ فقيمتُهُ أكثرُ . وإن كان من غيرِ الصنائعِ ،
فلا بدُّ في قيمة ذلك المفادِ والقنيةِ من دخولِ قيمةِ العملِ الذي
حصلت به ؛ إذ لولا العملُ لم تحصل قنيتها . وقد تكونُ ملاحظةُ

العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصّة من القيمة عظمت أو صغرت . وقد تخفى ملاحظة العمل كما في أسعار الأوقات بين الناس ؛ فإن اعتبار الأعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسعار الحبوب كما قدمناه ؛ لكنه خفي في الأقطار التي علاج الفلح فيها ومؤونته يسيرة ، فلا يشعر به إلا القليل من أهل الفلح . فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية ، وتبين مسمى الرزق ، وانه المنتفع به . فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما .

واعلم أنه إذا فُقدت الأعمال ، أو قلّت بانتقاص العمران ، تأذن الله برفع الكسب . ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن ، كيف يقل الرزق والكسب فيها ، أو يفقد ، لقلة الأعمال الإنسانية . وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها^(١) أكثر ، يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشدّ رفاهية كما قدمناه قبل . ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد ، إذا تناقص عمرانها إنها قد ذهب رزقها ؛ حتى ان الأنهار والعيون ينقطع جريها في القفر ، لما أن فور العيون إنما يكون بالإنباط والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني ؛ كالحال في ضروع الأنعام ، فالأمر إنباط ولا امتراء نصبت وغارت بالجملة ، كما يحف الضرع إذا ترك امتراؤه . وانظره في البلاد التي نعهد فيها العيون لأيام عمرانها ، ثم يأتي عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كأنها لم تكن . ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ .

(١) كذا ، وفي ب : تكون أعمالها . . . الخ .

الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومناهجه

اعلم أنَّ المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وهو مفعَّلٌ من العيش. كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه، جعلت موضعاً له على طريق المبالغة. ثم إن تحصيل الرزق وكسبه: إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه، على قانون مُتعارف، ويُسمى مغرماً وجبائياً؛ وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأخذه برميهِ من البر أو البحر، ويسمى اصطيداً؛ وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفية بين الناس في منافعهم، كاللبن من الأنعام، والحريز من دودهِ، والعسل من نحلهِ؛ أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعدادهِ لاستخراج ثمرته. ويسمى هذا كله فلحاً. وإما أن يكون الكسب من الأعمال الانسانية: إما في مواد بعينها، وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة وخياطة وحياكة وفروسيّة وأمثال ذلك؛ أو في مواد غير معينة، وهي جميع الامتھانات والتمرّفات؛ وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض، إما بالتقلب بها في البلاد أو احتكارها، ارتقاب حواله الأسواق فيها. ويُسمى هذا تجارة.

فهذه وجوه المعاش وأصنافه ، وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة كالحريي وغيره ؛ فإنهم قالوا : « المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة » : فأما الإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش ، فلا حاجة بنا إلى ذكرها ، وقد تقدم شي من أحوال الجبايات السلطانية وأهلها في الفصل الثاني ؛ وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش . أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات ، إذ هي بسيطة وطبيعية فطرية ، لا تحتاج إلى نظرية ولا علم ، ولهذا تُنسب في الخليفة إلى آدم أبي البشر ، وأنه معلّمها والقائم عليها ، إشارة إلى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة . وأما الصنائع فهي تانيثها ومتأخرة عنها ، لأنها مُركّبة وعلمية تُصرف فيها الأفكار والأنظار ؛ ولهذا لا توجد غالباً إلا في أهل الحضرة الذي هو متأخر عن البدو وثاني عنه . ومن هذا المعنى نُسبت إلى إدريس الأب الثاني للخليفة ، فإنه مُستنيطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى . وأما التجارة وإن كانت طبيعية في الكسب ؛ فالأكثر من طرقها ومذاهبها ، إنما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع ، لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة . ولذلك أباح الشرع فيه المكاسب^(١) ، لما أنه من باب المقامرة ، إلا أنه ليس أخذاً لمال الغير مجاًناً ، فهذا اخُصّ بالمشروعية . والله أعلم .

(١) كذا ، وفي ب : المكاسب .

الفصل الثالث

في أن الخدمة ليس من المعاش الطبيعي

إِعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ
الإِمَارَةِ وَالْمَلِكِ الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ ، مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشُّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ ،
وَيُسْتَكْفَى فِي كُلِّ بَابٍ بِمَنْ يَعْلَمُ غَنَاءَهُ فِيهِ ، وَيَتَكَفَّلُ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنْ
بَيْتِ مَالِهِ . وَهَذَا كُلُّهُ مَنْدَرِجٌ فِي الإِمَارَةِ وَمَعَايِشِهَا إِذْ كُلُّهُمْ
يَنْسَجِبُ^(١) عَلَيْهِمْ حُكْمُ الإِمَارَةِ ، وَالْمَلِكُ الْأَعْظَمُ هُوَ يَنْبَغُ
جِدَاوْلِهِمْ . وَأَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَسَبَبُهَا أَنَّ أَكْثَرَ الْمُتَرْفِينَ
يَتَرَفَّعُ عَنْ مَبَاشَرَةِ حَاجَاتِهِ ، أَوْ يَكُونُ عَاجِزاً عَنْهَا ، لَمَّا رُئِيَ عَلَيْهِ
مِنْ خُلُقِ التَّنْعَمِ وَالتَّرَفِّ ، فَيَتَّخِذُ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ ، وَيُقِطُّهُ عَلَيْهِ
أَجْراً مِنْ مَالِهِ . وَهَذِهِ الْحَالَةُ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ بِحَسَبِ الرُّجُولِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ
لِلْإِنْسَانِ ، إِذْ الْبَقَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَلَئِنْهَا تَرِيدُ فِي الْوِظَائِفِ
وَالْخُرُجِ وَتَدُلُّ عَلَى الْعِجْزِ وَالْخُنْثِ الَّذِينَ يَنْبَغِي فِي مَذَاهِبِ الرُّجُولِيَّةِ
التَّنَزُّهُ عَنْهَا . إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ تَقْلِبُ طَبَاعَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَوْفَهَا ،
فَهُوَ ابْنُ عَوَائِدِهِ لَا ابْنُ نَسَبِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَالْخَدِيمُ الَّذِي يُسْتَكْفَى
بِهِ وَيُوثَقُ بِغَنَائِهِ كَالْمَفْقُودِ ، إِذَا الْخَدِيمُ الْقَائِمُ بِذَلِكَ لَا يَعْدُو أَرْبَعَ
حَالَاتٍ : إِمَّا مُضْطَلَعٌ بِأَمْرِهِ وَمَوْثُوقٌ فَيَمَّا يَحْصُلُ بِيَدِهِ ؛ وَإِمَّا بِالْعَكْسِ .

(١) بمعنى ينطبق عليهم . ولم ترد بهذا المعنى في لسان العرب ، إلا أن يكون ابن خلدون قد استعملها على المجاز .

فيهما ، وهو أن يكون غير مضطلع بأمره ولا موثق فيما يحصل بيده ، وإما بالعكس في أحدهما فقط ، مثل أن يكون مضطلعاً غير موثق أو موثقاً غير مضطلع . فأما الأول ، وهو المضطلع الموثق ، فلا يمكن أحد استعماله بوجه ، إذ هو باضطلاعه وثقته غني عن أهل الرتب الدنيّة ومحتقر لمنال الأجر من الخدمة ، لاقتداره على أكثر من ذلك ، فلا يستعمله إلا الأمراء أهل الجاه العريض ، لعموم الحاجة الى الجاه . وأما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثق ، فلا ينبغي لعامل استعماله ، لأنه يُخفّ بمخدومه في الأمرين معاً ، فيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة ، ويذهب ماله بالخيانة أخرى ، فهو على كل حال كل على مولاه . فهذان الصنفان لا يطمع أحد في استعمالهما . ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين : موثق غير مضطلع ، ومضطلع غير موثق . وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ، ولكل من الترجيحين وجه . إلا أن المضطلع ، ولو كان غير موثق ، أرجح لأنه يؤمن من تضيعه ، ويُحاول على التحرر عن خيانتِه جهد الاستطاعة . وأما المضيع ولو كان مأموناً ، فضررُه بالتضيع أكثر من نفعه . فاعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاستكفاء بالخدمة . والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء .

الفصل الرابع

في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي

اعلم أن كثيراً من ضِعَفَاءِ الْعُقُولِ فِي الْأَمْصَارِ ، يَحْرِصُونَ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ ، وَيَبْتَغُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ . وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مَحْتَرَنَةٌ حَكْلُهَا تَحْتَ الْأَرْضِ ، مَخْتُومٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطَلَاسِمِ سَحَرِيَّةٍ ، لَا يَفْضُ خَتَامُهَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عَثَرَةٍ عَلَى عِلْمِهِ ، وَاسْتَحْضَرَ مَا يَحُلُّهُ مِنَ الْبُخُورِ وَالِدُعَاءِ وَالْقُرْبَانِ . فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِإِفْرِيقِيَّةَ يَرُونَ أَنَّ الْإِفْرَنْجَةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَنُوا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ ، وَأَوْدَعُوهَا فِي الصُّحُفِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا . وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ يَرُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَمِ الْقِبْطِ وَالرُّومِ وَالْفُرسِ . وَيَتَنَاقِلُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ تُشْبِهُ حَدِيثَ خُرَافَةٍ ، مِنْ انْتِهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِذَلِكَ إِلَى حَفْرِ مَوْضِعِ الْمَالِ ، مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ طَلَسَمَهُ وَلَا خَبَرَهُ ، فَيَجِدُونَهُ خَالِياً أَوْ مَعْمُوراً بِالْدِّيدَانِ . أَوْ يَشَارِفُ الْأَمْوَالَ وَالْجَوَاهِرَ مَوْضُوعَةً ، وَالْحُرْسَ دُونَهَا مُنْتَظِينَ سَيُوفَهُمْ . أَوْ تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى يَظُنُّهُ خَسْفًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الْهَذَرِ .

ونجد كثيراً من طلبة البربر بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه ، يتقربون إلى أهل الدنيا بالأوراق المتخرمة^(١)

(١) كذا، وفي ب: المخترمة.

الحواشي ، إما بخطوطٍ عجيبةٍ ، أو بما تُرجمَ بزعمهم منها من خطوطِ أهلِ الدفائن ، باعطاء الأماراتِ عليها في أماكنها ، يتغنون بذلك الرزقَ منهم ، بما يبعثونهم على الحفرِ والطلبِ ، ويموّهون عليهم بأنهم إنما حملهم على الاستعانة بهم طلبُ الجاهِ في مثلِ هذا ، من منالِ الحكماءِ والعقوباتِ . وربما تكونُ عند بعضهم نادرةً أو غريبةً من الأعمالِ السحريةِ يموّه بها على تصديقِ ما بقي من دعواه ، وهو بم عزلٍ عن السحرِ وطُرُقهِ ، فتولّع كثيرٌ من ضُعفاءِ العقولِ يجمع الأيدي على الاحتفارِ ، والتسُّرُّ فيه بظلماتِ الليلِ ، مخافة الرُقباءِ وعيونِ أهلِ الدولِ . فإذا لم يعثروا على شيءٍ ردُّوا ذلك الى الجهلِ بالطَّلسمِ الذي ختمَ به على ذلك المالِ ، يُخادعون به أنفسهم عن إخفاقِ مطامعهم . والذي يحملُ على ذلك في الغالبِ ، زيادةٌ على ضُعفِ العقلِ ، إنما هو العجزُ عن طلبِ المعاشِ بالوجودِ الطبيعيةِ للكسبِ من التجارةِ والفَلحِ والصِّناعةِ ؛ فيطلبونه بالوجودِ المنحرفةِ ، وعلى غيرِ المجرى^(١) الطبيعيِّ ، من هذا وأمثاله ، عجزاً عن السعيِ في المكاسبِ ، وركوناً الى تناولِ الرزقِ من غيرِ تعبٍ ولا نصَبٍ في تحصيله واكتسابه . ولا يعلمون أنهم يوقعون أنفسهم بابتغاء ذلك ، من غيرِ وجهٍ ، في نصَبٍ ومتاعِبٍ وجُهدٍ شديدٍ أشدَّ من الأولِ ، ويعرِّضون أنفسهم مع ذلك لمنالِ العقوباتِ . وربما يحملُ على ذلك في الأكثرِ زيادةُ الترفِ وعوائدهُ ، وخروجها عن حدِّ النهايةِ ، حتى تُقصرَ عنها وجوهُ الكسبِ ومذاهبه ،

(١) كذا، وفي ب: الوجه .

ولا تفي بمطالبها . فإذا عجزَ عن الكسب بالمجرى الطبيعيِّ ، لم يجد وليجةً في نفسه ، إلا التَّمَنِّي لوجودِ المالِ العظيمِ دفعةً من غيرِ كُلفةٍ ، ليفيَ له ذلك بالعوائدِ التي حصلَ في أسْرِها ؛ فيحرصُ على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جُهدهُ . ولهذا فأكثرُ من تراهم يحرصون على ذلك هم المترفون من أهلِ الدولة ، ومن سكانِ الأمصارِ الكثيرةِ الترفِ المُتَّسعةِ الأحوالِ ، مثلِ مِصرَ وما في معناها . فنجدُ الكثيرَ منهم مغرمينَ بابتغاء ذلك وتحصيله ، ومُساءلةِ الرُّكبانِ عن شواذِهِ ، كما يحرصون على الكيمياء . هكذا يبلغنا عن أهلِ مِصرَ في مفاوضة من يلقونه من طلبَةِ المغاربةِ ؛ لعلهم يعثرون منه على دفينٍ أو كنزٍ ، ويزيدون على ذلك البحثَ عن تغويرِ المياهِ ، لما يرون أنَّ غالبَ هذه الاموالِ الدفينةِ كلِّها في مجاري النيلِ ، وأنه أعظمُ ما يستُرُّ دفيناً أو مختزناً في تلك الآفاقِ . ويموّه عليهم أصحابُ تلك الدفاترِ المفتعلةِ في الاعتذارِ عن الوصولِ إليها بجزيةِ النيلِ ، تستراً بذلك من الكذبِ ، حتى يحصلَ على معاشِهِ ؛ فيحرصُ سامعُ ذلك منهم على نُضوبِ الماءِ بالأعمالِ السَّحريةِ لتحصيلِ مبتغاه من هذه ، ككَلْفِ بشأنِ السَّحرِ متوارثاً في ذلك القطرِ عن أوليِّهِ . فعُلومُهم السَّحريةُ وآثارُها باقيةٌ بأرضهم في البراري^(١) وغيرها . وقِصَّةُ سَحَرَةِ فرعونَ شاهدةٌ باختصاصهم بذلك وقد تناقلَ أهلُ المغربِ قصيدةً ينسبونها الى حكماء المشرقِ ، تُعطى فيها كيفيةُ العملِ بالتغويرِ بصناعةٍ سحريةٍ حسبما تراه فيها وهي هذه :

(١) كذا ، وفي ب : البرابي .

يا طالباً للسِرِّ في التَّغْوِيرِ
دع عنكَ ما قد صَنَّفُوا في كُتُبِهِمْ
واسمَعْ لَصِدْقِ مَقَالَتِي وَنَصِيحَتِي
فاذا أَرَدْتَ تَغْوَرَ البئرَ التي
صوِّرَ كصوَرَتِكَ التي أوقفَتْها
ويداهُ ما يَسْكُتَانِ للجَبَلِ الذي
وبصَدْرِهِ هاءٌ كما عاينَتْها
ويطا على الطَّائَاتِ غيرَ مُلَامِسٍ
وَيَكُونُ حَوْلَ الكُلِّ^(١) خَطٌّ دَائِرٌ
وَأَذْبَحَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّخْهُ بِهِ
بِالسَّنْدَرُوسِ وبِاللَّبَانِ وَمِنَعَةٍ
من أَحْمَرٍ أَوْ أَصْفَرٍ لَا^(٢) أَزْرَقٍ
وَيَشْدُهُ خِيْطَانُ صُوفٍ أبيضٍ
وَالطَّالِعُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّوْا
وَالْبَدْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدٍ عُطَارِدٍ

يعني أَنَّ تكونَ الطَّائَاتُ بينَ قدميه كأنه يمشي عليها وعندني
أَنَّ هذه القصيدة من تمويهاة المتخرفين^(٥)؛ فلم في ذلك أحوالٌ

(١) كذا، وفي نسخة: والشكل.

(٢) كذا، وفي ب: واقصد عقيب... الخ.

(٣) كذا، وفي ب: أو أزرق.

(٤) كذا، وفي ب: بدر.

(٥) كذا، وفي ب: المخرفين.

غَرِيبَةٌ واصطلاحاتٌ عَجِيبَةٌ ، وتنتهي التخرِقة^(١) والكذبُ بهم إلى أن يسكنوا المنازلَ المشهورةَ والدُّورَ المعروفةَ بمثلِ هذه ، ويحتفرونَ بها الحُفَرَ ويضعونَ فيها المطايِقَ والشواهدَ التي يكتبونها في صحائفٍ كذِبهم ، ثم يقصِّدونَ ضُعفاءَ العقولِ بأمثالِ هذه الصحائفِ ، ويبعثونه على اكتراء ذلك المنزلِ وسُكناهُ ويُوهِمونه أن به دفيناً من المالِ لا يُعْبَرُ عن كثرتِه ، ويُطالِبونه بالمالِ لا لشراء العقاقيرِ والبخوراتِ حلِّ الطَّلَاسِمِ ، ويَعِدونه بظهورِ الشواهدِ التي قد أعدُّوها هنالك بأنفسِهِم ومن فِعْلهم ، فينبعثُ لما يراهُ من ذلك وهو قد خُدِعَ ولَيْسَ عليه من حيثُ لا يشْعُرُ ، ويبنهم في ذلك اصطلاحٌ في كلامهم ، يُلبِّسونَ به عليهم ، ليخفى عند محاورَتِهِمْ فيما يتناولونه ، من حفرٍ وبحورٍ وذبحِ حيوانٍ وأمثالِ ذلك .

وأما الكلامُ في ذلك على الحقيقةِ فلا أصلَ له في علمٍ ولا ولا خَبَرٍ . واعلم أن الكنوزَ ، وإن كانت توجدُ ؛ لكنها في حكمِ النادرِ على وجهِ الاتِّفاقِ ، لا على وجهِ القصدِ إليها . وليس ذلك بأمرٍ تَعُمُّ به البلوى ، حتى يدَّخِرَ الناسُ غالباً أموالهم تحت الأرضِ ، ويخْتِمُونَ عليها بالطلاسمِ ، لا في القديمِ ولا في الحديثِ . والرَّكَازُ الذي ورَدَ في الحديثِ وفرضهُ الفقهاءُ ، وهو دفينُ الجاهليَّةِ ، إنما

(١) هكذا في الأصل . وهي على وزن تفعلة . ولكن هذا الوزن مصدر للفعل المعتل السلام ، مثل : سمي تسمية . أما الصحيح فمصدره على تفعيل ، مثل : كبر تكبيراً ، خرف تخريفاً ، وفي ب : المخرقة .

يوجدُ بالعُشورِ والاتفاقِ ، لا بالقصدِ والطلبِ . وأيضاً فمن اختزنَ ماله وختمَ عليه بالأعمالِ السَّحَرِيَّةِ فقد بَالَعَ في إخفائه ؛ فكيفَ ينصبُّ عليه الأدلةُ والاماراتِ لمن يبتغيه . ويكتبُ ذلك في الصحائفِ ، حتى يطلِّعَ على ذخيرته أهلُ الأمصارِ والآفاقِ ؟ هذا يناقضُ قصدَ الإخفاء . وأيضاً فأفعالُ العقلاء لا بدُّ وأن تكونَ لغرضٍ مقصودٍ في الانتفاعِ . ومن اختزنَ المالَ فإنما يختزنُهُ لولدهِ أو قريبهِ أو من يُؤثرُهُ . وأما أن يقصدَ إخفاءَهُ بالكليةِ عن كلِّ أحدٍ ، وإنما هو للبلاءِ والهلاكِ ، أو لمن لا يعرفُهُ بالكليةِ ممن سيأتي من الأممِ ، فهذا ليس من مقاصدِ العقلاء بوجهٍ .

وأما قولهم : أينَ أموالُ الأممِ من قبلنا ، وما عَلِمَ فيها من الكثرةِ والوفورِ ؟ فاعلم أنَّ الأموالَ من الذهبِ والفضَّةِ والجواهرِ والأمتعةِ إنما هي معادنٌ ومكاسبٌ ، مثلُ الحديدِ والنحاسِ والرصاصِ وسائرِ العقاراتِ والمعادنِ . والعُمرانُ يُظهرُها بالأعمالِ الانسانيةِ ويزيدُ فيها أو يُنقصُها . وما يوجدُ منها بأيدي الناسِ فهو متناقلٌ متوارثٌ . وربما انتقل من قطرٍ إلى قطرٍ ومن دولةٍ إلى أخرى بحسبِ أغراضِهِ^(١) ، والعُمرانِ الذي يستدعيه . فإن نقصَ المالُ في المغربِ وإفريقيةٍ ، فلم ينقصْ ببلايا الصَّقَالِبَةِ والافرنجِ ؛ وإن نقصَ في مصرَ والشامِ ؛ فلم ينقصْ في الهندِ والصينِ . وإنما هي الآلاتُ والمكاسبُ ، والعُمرانُ يُوفرُها أو يُنقصُها ؛ مع أنَّ المعادنَ يدركُها البلاءُ كما يدركُ سائرَ الموجوداتِ ، ويسرعُ إلى اللؤلؤِ والجواهرِ

(١) كذا ، وفي ب : أعواضه .

أَعْظَمَ مِمَّا يُسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ . وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ
وَالْحَدِيدُ وَالرُّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ ، يَنَالُهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ
بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَقْتٍ .

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكَنُوزِ ، فَسَبَبُهُ أَنْ
مِصْرَ كَانَتْ فِي مَمْلَكَةِ الْقِبْطِ مِنْذِ آلَافٍ^(١) أَوْ يَزِيدُ مِنَ السِّنِينَ ،
وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يُدْفَنُونَ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ
وَاللَّائِي ، عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ . فَلَمَّا انْقَضَتْ
دَوْلَةُ الْقِبْطِ ، وَمَلَكَ الْفُرْسُ بِلَادَهُمْ نَقَرُوا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ
وَكَشَفُوا عَنْهُ ، فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ : كَالْأَهْرَامِ مِنْ
قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا . وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ
قُبُورُهُمْ مَظِنَّةً لَذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ . وَيُعَثَّرُ عَلَى الدَّفِينِ فِيهَا فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْأَوْقَاتِ . أَمَّا مَا يَدْفَنُونَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يَكْرُمُونَ بِهِ
مَوْتَاهُمْ فِي الدَّفْنِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَابِيَتْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَعْدَرٍ
لَذَلِكَ ، فَصَارَتْ قُبُورُ الْقِبْطِ مِنْذِ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ مَظِنَّةً لَوْجُودِ
ذَلِكَ فِيهَا . فَلِذَلِكَ عُني أَهْلُ مِصْرَ بِالْبَحْثِ عَنِ الْمَطَالِبِ لَوْجُودِ
ذَلِكَ فِيهَا ، وَاسْتِخْرَاجِهَا . حَتَّى إِنَّهُمْ حِينَ ضُرِبَتِ الْمَكُوسُ عَلَى
الْأَصْنَافِ آخِرَ الدَّوْلَةِ ، ضُرِبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ . وَصَارَتْ ضَرِيبَةً
عَلَى مَنْ يَشْتَغِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْحَقَمِيِّ وَالْمَهْوَسِينَ ، فَوَجَدَ بِذَلِكَ الْمُتَعَاطُونَ
مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ الذَّرِيعَةَ إِلَى الْكَشْفِ عَنْهُ وَالذَّرْعَ^(٢) بِاسْتِخْرَاجِهِ .

(١) كذا ، وفي ب : منذ ألفين اثنين . وفي نسخة أخرى : منذ ألف .

(٢) هكذا في الأصل : والمعروف الذرائع جمع ذريعة . وفي ب : والزعم .

وما حصلوا إلا على الخيبة في جميع مساعيهم ، نعوذ بالله من
الخسران ؛ فيحتاج من وقع له شيء^(١) من هذا الوسواس ، أو
ابتلي به ، أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه ؛
كما تعوذ رسول الله ﷺ من ذلك ؛ وينصرف عن طرق الشيطان
ووسواسه ، ولا يشغل نفسه بالمحالات والكاذب من الحكايات .
﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

الفصل الخامس

في إن الجاه مفيد للمال

وذلك أننا نجد صاحب المال والخطوة في جميع أصناف المعاش
أكثر يساراً وثروة من فاقد الجاه . والسبب في ذلك أن صاحب
الجاه مخدوم بالأعمال يتقرب بها إليه في سبيل التزلف والحاجة
إلى جايه . فالناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته ، من ضروري
أو حاجي أو كالي ؛ فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه .
وجميع ما شأنه أن تبذل فيه الأعواض من العمل ، يستعمل فيها
الناس من غير عوض ؛ فتتوفر قيم تلك الاعمال عليه . فهو بين
قيم للأعمال يكتسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى إخراجها ،
فتتوفر عليه . والأعمال لصاحب الجاه كثيرة ، فتفيد الغنى لأقرب
وقت ، ويزداد مع الأيام يساراً وثروة . ولهذا المعنى كانت الإمارة

(٢) كذا، وفي ب: من دفع إلى شيء... الخ .

أحد أسباب المعاش كما قدّمناه . وفاقذ الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال ، فلا يكون يساره إلا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه ، وهؤلاء هم أكثر التجّار . ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير . ومما يشهد لذلك ، أنا نجد كثيراً من الفُتّهاء وأهل الدين والعبادة ، إذا اشتهروا حسن الظنّ بهم ، واعتقد الجمهور معاملته الله في إرفادهم ؛ فأخلص الناس في إعانتهم على أحوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم . أسرع إليهم الثروة وأصبحوا مياسير من غير مال مقتنى ، إلا ما يحصل لهم من قيم الأعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم . رأينا من ذلك أعداداً في الأمصار والمدن . وفي البدو ، يسمى لهم الناس في الفلح والنجر ، وكلُّ قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه ؛ فينمو ماله ويعظم كسبه ، ويتأثّل الغنى من غير سعي . ويعجب من لا يفتن لهذا السر في حال ثروته وأسباب غناه ويساره . والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب .

الفصل السادس

في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتماثل
وان هذا الخلق من أسباب السعادة

قد سبق لنا فيما سلف أن الكسب الذي يستفيد به البشر إنما هو قيم أعمالهم . ولو قدر أحد عطل^(١) عن العمل جملةً لكان

(١) كذا ، وفي ب : عاطل .

فأقَدَ الكسبِ بالكِلْيَةِ . وَعَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ
النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدَرُ قِيَمَتِهِ . وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نَمُو كَسْبِهِ أَوْ
نَقْصَانُهُ . وَقَدْ بَيَّنَّا آنَفًا أَنَّ الْجَاهَ يَفِيدُ الْمَالَ ، لَمَّا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ
تَقَرُّبِ النَّاسِ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ .
وَكَانَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ مَالٍ عِوَضًا عَمَّا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ
بِسَبَبِ الْجَاهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ^(١) فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ . وَتَصِيرُ تِلْكَ
الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ ، وَقِيَمُهَا أَمْوَالٌ وَثَرَوَةٌ لَهُ ، فَيَسْتَفِيدُ الْغَنَى وَالْيَسَارَ
لِأَقْرَبِ وَقْتٍ . ثُمَّ إِنَّ الْجَاهَ مَتَوَزِّعٌ فِي النَّاسِ وَمَتَرْتَّبٌ فِيهِمْ طَبَقَةً
بَعْدَ طَبَقَةٍ ، يَنْتَهِي فِي الْعُلُورِ إِلَى الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ فَوْقَهُمْ يَدٌ عَالِيَةٌ^(٢)
وَفِي السُّفُلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بَيْنَ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ . وَبَيْنَ
ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ . حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ . بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشُهُمْ
وَتَتَيَسَّرُ مَصَالِحُهُمْ وَيَتِمُّ بَقَاؤُهُمْ ، لِأَنَّ النُّوعَ الْإِنْسَانِيَّ لَمَّا كَانَ لَا
يَتِمُّ وَجُودُهُ وَبَقَاؤُهُ إِلَّا بِتَعَاوُنِ أَبْنَائِهِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، لِأَنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ
أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَا يَتِمُّ وَجُودُهُ . وَأَنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ
مَفْرُوضَةٍ لَا يَصِحُّ بَقَاؤُهُ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّعَاوُنَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِكْرَامِ
عَلَيْهِ لَجَلِيلِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ النُّوعِ ، وَلَمَّا جَمَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ
الْإِخْتِيَارِ ، وَإِنَّ أَفْعَالَهُمْ إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرَّوْيَةِ لَا بِالطَّبْعِ . وَقَدْ
يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا ، فَلَا بَدَّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرَهُ
أَبْنَاءَ النُّوعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، لَتَتِمَّ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي بَقَاءِ هَذَا

(١) كَذَا، وَفِي ب: مِنْ كَثِيرِ الْأَعْرَاضِ .

(٢) كَذَا، وَفِي ب: غَالِبَةٌ .

النوع . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . فقد تبين أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم ، بالإذن والمنع ، والتسلط بالتهر والغلبة ، ليحملهم على دفع مضائهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة ، وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ؛ ولكن الأول مقصود في العناية الربانية بالذات ، والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الإلهي .
لأنه قد لا يتم وجود الخير الكثير ، إلا بوجود شر يسير من أجل المواد ؛ فلا يفوت الخير بذلك ، بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير . وهذا معنى وقوع الظلم في الخليفة فتفهم .

ثم إن كل طبقة من طباق^(١) أهل العمران ، من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق . وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد هذا الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ، ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه . والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه . فإن كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك ، وإن كان ضيقاً وقليلًا

(١) ورد في لسان العرب : « السعادات طباق بعضها على بعض ، وكل واحد من الطباق طبقة » . والطبق والطبقة : الفقرة حيث كانت ، قيل : هي ما بين الفقرتين ، وجمعها طباق . والمعنى هنا على المجاز .

فشله . وفاقد الجاه وإن كان له مالٌ فلا يكون يسارُهُ إلا بمقدارِ عمله أو ماله وعلى نسبة سعيه ذاهباً وآيباً في تنميته كأكثرِ التَّجَارِ . وأهلُ الفِلاحَةِ في الغالب ، وأهلُ الصَّنائعِ كذلك ، إذا فَقَدُوا الجاهَ واقتَصَرُوا على فوائدِ صنائعِهِمْ ؛ فإنهم يصيرون إلى الفقرِ والخصاصةِ في الأكثرِ ، ولا تُسرِعُ إليهم ثروةٌ وإنما يُزَمَقُونَ العيشَ ترميقاً ويدفعون ضرورةَ الفقرِ مدافعةً . وإذا تقررَ ذلك ، وأنَّ الجاهَ متفرِّعٌ^(١) ، وأنَّ السَّعادةَ والخيرَ مقترنانِ بحصوله ؛ علمتَ أنَّ بذله وإفادته من أعظمِ النِّعمِ وأجلِّها ، وأنَّ باذله من أجلِّ المنعمين . وإنما يبذله لمن تحتَ يديه ، فيكونُ بذله بيدٍ عاليةٍ وعن عِزَّةٍ ؛ فيحتاجُ طالبُهُ ومُبتغيهِ إلى خضوعٍ وتلقٍ ، كما يسألُ أهلُ العِزِّ والملوكُ ، وإلا فيتعدَّزُ حصولُهُ . فلذلك قلنا إنَّ الخضوعَ والتملُّقَ من أسبابِ حصولِ هذا الجاهِ المحصِّلِ للسَّعادةِ والكسبِ ، وإنَّ أكثرَ أهلِ الثروةِ والسَّعادةِ بهذا الخلقِ . ولهذا نجدُ الكثيرَ ممن يتخلَّقُ بالتَّرفُّعِ والشَّمَمِ ، لا يحصلُ لهم غرضٌ من الجاهِ ، فيقتصرون في التَّكسُّبِ على أعمالِهِمْ ، ويصيرون إلى الفقرِ والخصاصةِ .

واعلم أنَّ هذا الكِبَرَ والتَّرفُّعَ من الأخلاقِ المذمومةِ ، إنما يحصلُ من توهُمِ الكمالِ ، وأنَّ الناسَ يحتاجونَ إلى بضاعته من علمٍ أو صناعةٍ ؛ كالعالمِ المتبحِّرِ في علمه ، أو الكاتبِ المجيدِ في كتابته أو الشاعرِ البليغِ في شعره . وكلُّ مُحسِّنٍ في صناعته يتوهُمُ أنَّ الناسَ يحتاجونَ لما بيده ؛ فيحدثُ له ترفُّعٌ عليهم بذلك ،

(١) كذا ، وفي ب : متوزع .

وكذا يتوهم أهل الأنساب ، ممن كان في آباءه ملكٌ أو عالمٌ مشهورٌ أو كاملٌ في طورٍ يعبرون^(١) بما رأوه أو سمعوه من حالِ آبائهم في المدينة ، ويتوهمون أنهم استحقوا مثلَ ذلك بقرابتهم إليهم ووراثتهم عنهم . فهم متمسكون في الحاضرِ بالأمرِ المعلومِ . إذ الكمال لا يورث وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب بالأمور^(٢) ، قد يتوهم بعضهم كمالاً في نفسه بذلك واحتياجاً إليه .

وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين ، لا يخضعون لصاحب الجاه ، ولا يتملقون لمن هو أعلى منهم . ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس ؛ فيستكف أحدهم عن الخضوع ولو كان للملك ، ويعده مذلةً وهواناً وسفهاً . ويجاسب الناس في معاملتهم إياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ، ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك . وربما يدخل على نفسه الهموم والأحزان من تقصيرهم فيه ، ويستمر في عناء عظيم من إيجاب الحق لنفسه أو إجابة الناس له من ذلك . ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التأله . وقل أن يسلم أحد منهم لأحد في الكمال والترفع عليه ، إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة . وهذا كله في ضمن الجاه . فإذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه ، وهو مفقود له كما تبين لك ، مقتة الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظٌ من إحسانهم . وفقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي

(١) كذا ، وفي ب : يغترون ، وفي نسخة : يعثرون .

(٢) كذا ، وفي ب : أهل الحنكة والتجارب والبصر بالأمور .

هي أعلى منه ، لأجلِ المقتِ وما يحصلُ له بذلك من القُعودِ من تعاهديهمْ وغشيان^(١) منازلهمْ ؛ ففسدَ معاشُهُ ، وبقي في خصاصةٍ وفقرٍ أو فوقَ ذلك بقليلٍ . وأما الثروةُ فلا تحصلُ له أصلاً .

ومن هذا اشتهرَ بين الناسِ أنَّ الكاملَ في المعرفةِ محرومٌ من الحظِّ ، وانه قد حوسبَ بما رزقَ من المعرفةِ واقتطعَ له ذلك من الحظِّ ، وهذا معناه . ومن خلقَ شيءٌ يُسرَّ له . واللهُ المقديرُ ، لا ربٌّ سواه .

ولقد يقعُ في الدولِ أضرابٌ في المراتبِ من أهلِ^(٢) هذا الخلقِ ، ويرتفعُ فيها كثيرٌ من السفلةِ ، وينزلُ كثيرٌ من العليةِ بسببِ ذلك . وذلك أنَّ الدولَ إذا بلغتْ نهايتها^(٣) من التغلبِ والاستيلاءِ انفردَ منها منبتُ الملكِ بملكهمْ وسلطانهمْ ، ويئسَ من سواهمْ من ذلك . وانما صاروا في مراتبَ دونَ مرتبةِ الملكِ وتحتَ يدِ السلطانِ ، وكأنهمْ خولٌ له .

فإذا استمرتْ الدولةُ وشمخَ الملكُ ، تساوى حينئذٍ في المنزلةِ عندَ السلطانِ كلُّ من انتمى إلى خدمتهِ وتقربَ إليه بنصيحتهِ ، واصطنعهُ السلطانُ لغنايهِ في كثيرٍ من مهمَّاته . فتجدُ كثيراً من السُّوقَةِ يسعى في التقربِ من السلطانِ بحمدهِ ونُصحهِ ، ويتزلفُ إليه بوجوهِ خدمتهِ ، ويستعينُ على ذلك بعظيمٍ من الخضوعِ

(١) غشي غشياناً فلاناً : أتاه . وغشي غشياً وغشاية المكان : أتاه . لذلك الأصح أن يقول

هنا : وغشاية منازلهمْ أو : وغشي منازلهمْ .

(٢) كذا ، وفي ب : من أجل .

(٣) كذا ، وفي ب : غايتها .

والتَّمَلُّقُ له ولحاشيته وأهل نَسَبِهِ . حتى يُرْسَخَ قَدَمُهُ معهم ، ويُنْظَمَ
السُّلْطَانُ في جَمَلِيَّتِهِ ؛ فيَحْصُلُ له بذلك حَظٌّ عَظِيمٌ من السَّعَادَةِ ،
وينتَظِمُ في عِدَدِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ . وَنَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ من أَبْنَاءِ قَوْمِهَا
الَّذِينَ ذَلُّوا صِعَابَهَا وَهَدَّوْا أَكْنَافَهَا مَغْتَرِبِينَ بِمَا كَانَ لَا بَأْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ
من الْآثَارِ ، وَتَشْمَخُ بِهِ نَفُوسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِآثَارِهِ ،
وَيَجْرُونَ فِي مِضَارِ الدَّالَّةِ بِسَبَبِهِ ؛ فَيَمُتُّهُمْ السُّلْطَانُ لَذَلِكَ وَيَبَاعِدُهُمْ .
وَيَعِيلُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمِصْطَنَعِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ بِقَدِيمٍ ، وَلَا يَذْهَبُونَ
إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ . إِنَّمَا دَائِبُهُمُ الْخُضُوعُ لَهُ وَالتَّمَلُّقُ وَالْاعْتِمَالُ فِي
غَرَضِهِ ، مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ ؛ فَيَتَّسَعُ جَاهُهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ ، وَتَنْصَرِفُ
إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ . وَالْخَوَاصُّ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ مِثْلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ
عِنْدَهُ . وَيَبْقَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ^(١) فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّرْفَعِ وَالْاعْتِدَادِ
بِالْقَدِيمِ ، لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لِهَؤُلَاءِ
الْمِصْطَنَعِينَ عَلَيْهِمْ ، إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الدَّوْلَةُ . وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي
الدُّوَلِ . وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ الْمِصْطَنَعِينَ فِي الْغَالِبِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
أَعْلَمُ ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ .

(١) كَذَا ، وَفِي ب : نَاشِئَةُ السُّلْطَانِ .

الفصل السابع

في أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة
والخطابة والإذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب في ذلك أن الكسب كما قدمناه قيمة الأعمال، وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها. فإذا كانت الأعمال ضرورية في العمران عامة البلوى فيه، كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها أشد. وأهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلق؛ وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص من أقبل على دينه. وإن احتيج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات، فليس على وجه الاضطرار والعموم؛ فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر. وإنما يهتم بهم وبإقامة مراسيم صاحب الدولة، بما له من النظر في المصالح فيقسم لهم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قرره. لا يساوهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع الضرورية، وإن كانت بضاعتهم أشرف من حيث الدين والمراسم الشرعية؛ لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران، فلا يصح في قسمتهم إلا القليل. وهم أيضاً لشرف بضائعهم أعز على الخلق وعند نفوسهم؛ فلا يخضعون لأهل الجاه، حتى ينالوا منه حظاً يستدرون به الرزق، بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك، لما هم فيه من الشغل بهذه الصنائع الشريفة المشتغلة على أعمال الفكر والتدبر. بل ولا

يَسْمُهُمْ ابْتِدَالُ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِشَرَفِ صَنَائِعِهِمْ^(١)؛ فَهَمَّ بِمَعَزَلٍ
عَنْ ذَلِكَ. فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ. وَلَقَدْ بَاحَثْتُ بَعْضَ
الْفَضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ؛ فَوَقَعَ بِيَدِي أَوْرَاقُ مَخْرَقَةٍ مِنْ حِسَابَاتِ^(٢)
الدَّوَاوِينِ بِدَارِ الْمَأْمُونِ، تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ
يَوْمَئِذٍ. وَكَانَ فِيهَا طَالَعْتُ فِيهِ أَرْزَاقُ الْقَضَاةِ وَالْأَمَّةِ وَالْمُؤَذِّنِينَ
فَوْقَتُهُ عَلَيْهِ. وَعَلِمَ مِنْهُ صِحَّةَ مَا قُلْتُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ. وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ
مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِمِهِ. وَاللَّهُ الْخَالِقُ
الْقَادِرُ، لَا رَبَّ سِوَاهُ.

الفصل الثامن

فِي إِنْ الْفَلَاحَةِ مِنَ مَعَاشِ الْمُسْتَغْنِينَ وَأَهْلِ الْعَافِيَةِ مِنَ الْبَدْوِ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ^(٣) فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ. وَلِذَلِكَ لَا
تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْغَالِبِ، وَلَا مِنَ الْمُتَرَفِينَ.
وَيُخْتَصُّ مَنِتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ رَأَى السَّكَّةَ بِبَعْضِ دَوَرِ
الْأَنْصَارِ: «مَا دَخَلْتُ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلْتُ الذُّلَّ». وَحَمَلُهُ الْبُخَارِيُّ
عَلَى الْاسْتِكْثَارِ مِنْهُ. وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ بِأَبٍ مَا يُجَذِّرُ مِنْ عَوَاقِبِ
الِاسْتِغَالِ بِأَلَّةِ الزَّرْعِ، أَوْ تَجَاوَزِ الْحَدِّ الَّذِي أُمِرَ بِهِ. وَالسَّبَبُ فِيهِ

(١) كَذَا، وَفِي ب: بِضَائِعِهِمْ.

(٢) كَذَا، وَفِي ب: حِسَابَات.

(٣) كَذَا، وَفِي ب: أَصِيل.

واللهُ أَعْلَمُ ما يَتَبَعُها من المَغْرَمِ المَفْضِي الى التَحَكُّمِ واليَدِ العالِيَةِ^(١) ؛
 فيكونُ الغارِمُ ذليلاً بائساً ، بما تَتَنَاولُهُ أيدي القَهْرِ والاستِطالَةِ .
 قال ﷺ : « لا تقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الزَّكَاةُ مَغْرَماً » إشارةً الى
 المُلْكِ العَضُوضِ ، القَاهِرِ للناسِ ، الذي مَعَهُ التَّسْلُطُ والجورُ ،
 ونسيانُ حقوقِ الله تعالى في المَتموَلاتِ ، واعتبارُ الحقوقِ كُلِّها
 مَغْرَماً للملوكِ والدولِ . واللهُ قَادِرٌ على ما يَشاءُ . واللهُ سَبْحانَهُ
 وتعالى أَعْلَمُ ، وبِهِ التَّوْفِيقُ .

الفصل التاسع

في معنى التجارة ومناهجها واصنافها

اعْلَمُ أَنَّ التِّجَارَةَ مَحَاوَلَةُ الكَسْبِ بِتَنْمِيَةِ المَالِ ، بِشِراءِ السِّلَعِ
 بِالرَّخْصِ ، وبيعها بالغلاء ، أَيَّما كانت السِّلَعَةُ ، من دقيقٍ أو
 زرعٍ أو حيوانٍ أو قُاشٍ . وذلك القَدَرُ النامي يُسَمَّى رِبْحاً . فالحاولُ
 لذلك الربحِ : إما أَنْ يَخْتَرِنَ السِّلَعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِها حِوَالَةَ الأسواقِ
 مِنَ الرُّخْصِ الى الغَلَاءِ ، فيعْظُمُ رِبْحُهُ ؛ وإما بَأَنْ يَنْقُلَهُ الى بَلَدٍ
 آخَرَ تَنْفُقُ فِيهِ تِلْكَ السِّلَعَةُ أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ ،
 فيعْظُمُ رِبْحُهُ . ولذلك قال بعضُ الشيوخِ مِنَ التُّجَّارِ ، لطالِبِ الكَشْفِ
 عن حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ : أَنَا أَعْلِمُها لَكَ في كَلِمَتَيْنِ ؛ اشْتِراءُ الرَخِيسِ وبيعُ
 الغالي . فقد حَصَلَتِ التِّجَارَةُ إِشارةً مِنْهُ بِذلكِ الى المَعْنى الَّذِي قَرَّرْنَاهُ .
 واللهُ سَبْحانَهُ وتعالى أَعْلَمُ ، وبِهِ التَّوْفِيقُ ، لا رَبَّ سِواهُ .

(١) كذا، وفي ب: الغالبة .

الفصل العاشر

في اِصْنافِ النَّاسِ يَنْتَفِعُ بِالتِّجَارَةِ وَايْهُمْ يَنْبَغِي لَهُ اجْتِنَابُ حَرْفِهَا

قد تقدّم لنا أن معنى التجارة تنمية المال ، بِشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشراء . اما بانتظار حوالّة الأسواق ؛ أو نقلها الى بلد هي فيه أنفق وأعلى ؛ أو بيعها بالغلاء على الآجال . وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال نزر يسير ؛ لأنّ المال إن كان كثيراً عظّم الربح ، لأنّ القليل في الكثير كثير . ثم لا بدّ في محاولة هذه التنمية الذي هو الربح من حصول هذا المال بأيدي الباعة ، في شراء البضائع وبيعها ، ومعاملتهم في تقاضي أثمانها . وأهل النصفّة قليل ، فلا بدّ من الغشّ والتطفيف المجحف بالبضائع ، ومن المطلق في الأثمان المجحف بالربح . كتعطيل المحاولة في تلك المدّة وبها نفاؤه . ومن الجحود والانكار المسحّ لرأس المال ، إن لم يتقيّد بالكتاب والشهادة . وغناء الحكماء في ذلك قليل ، لأنّ الحكم إمّا هو على الظاهر ؛ فيعاني التاجر من ذلك أحوالاً صعبة . ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح إلا بعظم العناء والمشقة ، أو لا يحصل ، أو يتلاشى رأس ماله . فان كان جريئاً على الخصومة ، بصيراً بالحسبان ، شديد المأحكة ، مقدماً على الحكماء ، كان ذلك أقرب له الى النصفّة منهم بجرائته ، ومماحكته ؛ وإلا فلا بدّ له من جام يدرع به ، فيوقع له الهيبة عند الباعة ، ويحمل الحكماء

على انصافه من غرمائه ؛ فيحصل له بذلك النصفه واستخلاص ماله منهم ، طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني . وأما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه ، وفاقد الجاه من الحكم ؛ فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة ، لأنه يعرض ماله للضياع والذهاب ، ويصير مأكلة للباعة ، ولا يكاد ينتصف منهم ؛ [لأن الغالب في الناس ، وخصوصاً الرعاع والباعة ، شرهون إلى ما في أيدي الناس سواهم ، متوثبون عليه . ولولا وازع الأحكام لاصبحت أموال الناس نهباً^(١)] . ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

الفصل الحادي عشر

في أن خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك

وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون البيع والشراء ، ولا بد فيه من المكايسة ضرورة . فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها ، وهي أعني خلق المكايسة ، بعيدة عن المروءة ، التي تتخلق بها الملوك والأشراف . وأما إن استُرذِلَ خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم ، من الماحكة والغش والجلابة

(١) كذا ، والمحصور بين [هو في ب : « لأن الناس في الغالب متطلعون إلى ما في أيدي الناس . ولولا وازع أحكام ما سلم لأحد شيء مما في يده ، وخصوصاً الباعة وسفلة الناس ورعايهم » .

وتعاهد الأيمان الكاذبة على الاثمان ردًا وقبولًا ، فأجيز بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف . ولذلك تجد أهل الرئاسة يتحامون الاعتراف بهذه الحرفة ، لأجل ما يكسب من هذا الخلق . وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماه ، لشرف نفسه وكرم جلاله ؛ إلا أنه في النادر بين الوجود . والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه ، وهو رب الأولين والآخرين .

الفصل الثاني عشر

في نقل التاج للسلع

التاجر البصير بالتجارة ، لا ينقل من السلع ، إلا ما تهم الحاجة إليه ، من الغني والفقر والسلطان والسوقة ؛ إذ في ذلك نفاق سلته . وأما إذا اختص نقله بما يحتاج إليه البعض فقط ، فقد يتعدّد نفاق سلته حينئذ ، باعواز الشراء من ذلك البعض ، لعارض من العوارض ؛ فتكسّد سوقه وتفسد أرباحه . وكذلك إذا نقل السلعة المحتاج إليها فإنما ينقل الوسط من صنفها ؛ فإن الغالي من كل صنف من السلع إنما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة ، وهم الأقل . وإنما يكون الناس أسوة في الحاجة إلى الوسط من كل صنف ؛ فليتحرّ ذلك جهده ، ففيه نفاق سلته أو كسادها . وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة ، أو شدة الخطر في

الطُرُقَاتِ ، يكونُ أَكْثَرُ فائِدَةٍ لِلتِّجَارِ وَأَعْظَمَ أَرْبَاحاً وَاكْفَلَ بِجَوَالَةِ
الاسواقِ . لِأَنَّ السِّلْعَ الْمُنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مَعُوزَةً ، لِبَعْدِ
مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْغَرَرِ فِي طَرِيقِهَا ؛ فَيَقِلُّ حَامِلُوهَا وَيَعِزُّ وَجُودُهَا .
وَإِذَا قَلَّتْ وَعَزَّتْ غَلَّتْ أَثْمَانُهَا . وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ ،
وَالطَّرِيقُ سَابِلٌ بِالْأَمْنِ ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكْثُرُ نَاقِلُوهَا ، فَتَكْثُرُ
وَتُرْخَصُ أَثْمَانُهَا . وَلِهَذَا تَجِدُ التِّجَارَ الَّذِينَ يُولَعُونَ بِالدُّخُولِ إِلَى بِلَادِ
السُّودَانِ أَرْفَهُ النَّاسِ وَأَكْثَرَهُمْ أَمْوَالاً ، لِبَعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ ،
واعتراضِ المَفَازَةِ الصَّعْبَةِ الْمَخْطَرَةِ بِالْخَوْفِ وَالْعَطَشِ . لَا يَوْجَدُ فِيهَا
الْمَاءُ إِلَّا فِي أَمَاكِنَ مَعْلُومَةٍ ، يَهْتَدِي إِلَيْهَا أَدِلَّةُ الرُّكْبَانِ ؛ فَلَا
يَرْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبُعْدَهُ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ النَّاسِ . فَتَجِدُ
سِلْعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةً لَدَيْنَا ، فَتُخْتَصُّ بِالْغَلَاءِ ، وَكَذَلِكَ سِلْعُنَا
لَدَيْهِمْ . فَتَعْظُمُ بَضَائِعُ التِّجَارِ مِنْ تَنَاوُلِهَا وَيَسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ الْمَسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى الْمَشْرِقِ ، لِبَعْدِ
الشُّقَّةِ أَيْضاً . وَأَمَّا الْمُرْتَدِّدُونَ فِي الْأُفُقِ الْوَاحِدِ ، مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ
وَبِلْدَانِهِ ؛ فَفَائِدَتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَاحُهُمْ تَافِهَةٌ ، لَكثَرَةِ السِّلْعِ وَكَثْرَةِ
نَاقِلِهَا . ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

الفصل الثالث عشر

في الاحتكار

ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار ، أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم . وأنه يعود ، على فائديته ، بالتلف والخسران . وسببه ، والله أعلم ، أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً ، فتبقى النفوس متعلقة به . وفي تعلق النفوس بما لها سر^(١) كبير في وباله على من يأخذه مجاناً . ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل . وهذا وإن لم يكن مجاناً فالنفوس متعلقة به ، لا عطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكروه . وما عدا الأقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها ؛ وإنما يبعثهم عليها التفتن في الشهوات ؛ فلا يبذلون أموالهم فيها إلا باختيار وحرص . ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه . فلهذا يكون من عرف بالاحتكار ، تجتمع القوى النفسانية على متابعته ، لما يأخذه من أموالهم ؛ فيفسد ربحه . والله تعالى أعلم .

وسمعت فيما يناسب هذا ، حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب . أخبرني شيخنا أبو عبد الله الأيلي قال : حضرت عند

(١) كذا ، وفي ب : شر .

القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد ، وهو الفقيه أبو الحسن المليي ، وقد عُرضَ عليه أن يختارَ بعض الألقابِ المخزنيّة لجرايته قال ، فأطرق ملياً ، ثم قال لهم : من مكسرِ الحمر . فاستضحك الحاضرون من أصحابه وعجبوا ، وسألوه عن حكمة ذلك . فقال : إذا كانت الجبايات كلها حراماً ؛ فأختار منها ما لا تُتابعه نفسُ مُعطيه . والحمرُ قلٌّ أن يبدلَ فيها أحدُ ماله ، إلا وهو طربُ مسرورٍ بوجدانه ، غيرُ أسفٍ عليه ، ولا متعلّمةٍ به نفسه . وهذه ملاحظة غريبة . والله سبحانه وتعالى يعلم ما تُكنُّ الصدور .

الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار ضرر بالمحترفين بالرخص

وذلك أنّ الكسبَ والمعاشَ ، كما قدّمناه ، إنما هو بالصنائع أو التجارة . والتجارة هي شراء البضائع والسلع وإدخالها . يُتَحَيَّنُ بها حوالة الأسواق بالزيادة في أثمانها ، ويسمى ربحاً . ويحصل منه الكسبُ والمعاشُ للمحترفين بالتجارة دائماً . فإذا استديم الرخصُ في سلعة ، أو عرضٍ من مأكولٍ أو ملبوسٍ أو متمولٍ على الجملة ؛ ولم يحصل للتاجر حوالة الأسواق فيه فسُدَّ الربحُ والنماء بطول تلك المدّة ، وكسدت سوقُ ذلك الصنف ، ولم يحصل التاجر إلا على العناء ؛ فقعدتِ التجارُ عن السعي فيها وفسدت رؤوسُ أموالهم .

واعتبر ذلك أولاً بالزرع ، فإنه إذا استديم رخصه كيف
تفسد أحوال المحترفين به ، بسائر أطواره ، من الفلح والزراعة
لقلّة الربح فيه ، وزيادته أو فقده . فيفقدون الثماء في أموالهم أو
يجدونّه على قلّة ، ويعودون بالإنفاق على رؤوس أموالهم ، وتفسد
أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة . ويتبع ذلك فساد حال
المحترفين أيضاً بالطحن والخبز ، وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرف
من لدن زراعته إلى صيروريته مأكولاً .

وكذا يفسد حال الجنيد ، إذا كانت أرزاقهم من السلطان عند
أهل الفلح زرعاً ؛ فإنها تقلّ جبايتهم من ذلك ، ويميزون عن
إقامة الجنديّة التي هم بسببها ويرتقون من السلطان عليها ، ويقطع
عنهم الرزق ، فتفسد أحوالهم . وكذا إذا استديم الرخص في
العسل والسكر ، فسدت جميع ما يتعلق به ، وقعد المحترفون به عن
التجارة فيه . وكذا حال الملابس إذا استديم فيها الرخص أيضاً .
فإذا الرخص المفرط يحجب بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص ،
وكذا الغلاء المفرط أيضاً . وربما يكون في النادر سبباً لنماء المال
بسبب احتكاره وعظم فائدته . وإنما معاش الناس وكسبهم في
التوسط من ذلك وسرعة حوالته الأسواق ؛ وعلم ذلك يرجع إلى
العوائد المقررة بين أهل العمران . وإنما يُحمد الرخص في الزرع
من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه ، واضطرار الناس إلى الأقوات
من بين الغني والفقير . والعالة من الخلق هم الأكثر في العمران ،
فيعم الرفق بذلك ، ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في

هذا الصنف الخاص . ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ . والله سبحانه وتعالى ربُّ العرشِ العظيم .

الفصل الخامس عشر

في أن خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة

قد قدّمنا في الفصلِ قبله أنَّ التاجرَ مدفوعٌ الى مُعاناتِ البيعِ والشراءِ وجَلْبِ الفوائدِ والأرباحِ ؛ ولا بدُّ في ذلك من المكايَسةِ والمحاكَةِ والتحدُّقِ وممارَسةِ الخصوماتِ واللجاجِ ، وهي عوارضُ هذه الحِرْفَةِ . وهذه الأوصافُ تغضُّ من الذكاءِ والمروءَةِ وتخدجُ فيها ، لأنَّ الأفعالَ لا بدُّ من عودِ آثارِها على النفسِ . فأفعالُ الخيرِ تعودُ بآثارِ الخيرِ والذكاءِ ، وأفعالُ الشرِّ والسفَسَفَةِ تعودُ بضدِّ ذلك ؛ فتتمكَّنُ وترسُخُ إن سبقتُ وتكرَّرتُ . وتنقُصُ خلالُ الخيرِ إن تأخَّرتُ عنها ، بما ينطبعُ من آثارِها المذمومةِ في النفسِ ، شأنَ الملكاتِ الناشئةِ عن الأفعالِ . وتتفاوتُ هذه الآثارُ بتفاوتِ أصنافِ التجَّارِ في أطوارِهِم . فمن كان منهم سافلَ الطَّوَرِ ، مُخالِفاً لِشِرايِ الباعةِ ، أهلِ الغشِّ والخِلاَبَةِ والخديعةِ والفجورِ في الأيمانِ على البياعاتِ والأمانِ إقراراً وإنكاراً ، كانت رداءَةُ تلك الخُلُقِ عنده أشدَّ ، وغلبت عليه السفَسَفَةُ ، وبعُدَ عن المروءَةِ واكتسبها بالجملةِ . وإلا فلا بدُّ له من تأثيرِ المكايَسةِ والمحاكَةِ في مروءَتِهِ . وفقدانُ

ذلك فيهم في الجملة . ووجود الصنف الثاني منهم ، الذي قدّمناه في الفصل قبله أنهم يدّرعون بالجلاد ، ويُعوّض لهم من مباشرة ذلك ، فيهم نادرٌ وأقلُّ من النادر . وذلك أن يكون المال قد توفّر عنده دفعةً بنوعٍ غريب ، أو ورثه عن أحدٍ من أهل بيته ؛ فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة ، وتكسبه ظهوراً وشهرةً بين أهل عصره ؛ فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ، ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه . ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من برٍّ وإحافٍ ؛ فيبعدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر . فتكون مروءتهم أرسخ وأبعد عن المخرجات ، إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب ؛ فانهم يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء ووفاقهم ، أو خلافهم فيما يأتون أو يذرون من ذلك ، إلا أنه قليلٌ ، ولا يكاد يظهر أثره . ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

الفصل السادس عشر

في أن الصنائع لا بد لها من العلم (١)

إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمرٍ عمليٍّ فكريٍّ ، وبكونه عملياً هو جسمانيٌّ محسوسٌ . والأحوال الجسمانية المحسوسة ، نقلها

(١) كذا ، وفي ب : المعلم .

بالمباشرة أوعب لها وأكمل ؛ لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى ، حتى ترسخ صورته . وعلى نسبة الأصل تكون الملكة . ونقل المعينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم . فالملكة الحاصلة عنه أكل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر . وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المعلم في الصناعة وحصول ملكته . ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب . والبسيط هو الذي يختص بالضروريات ، والمركب هو الذي يكون للكفايات . والمتقدم منها في التعليم هو البسيط ، لبساطته أولاً ، ولأنه يختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله ، فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً . ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل ، بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدريج ، حتى تكمل . ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال ، إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة ، لاسيما في الأمور الصناعية . فلا بد له إذن من زمان . ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ، ولا يوجد منها إلا البسيط ، فإذا ترايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع ، خرجت من القوة إلى الفعل .

وتنقسم الصنائع أيضاً : إلى ما يختص بأمر المعاش ، ضرورياً كان أو غير ضروري ، وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الإنسان ، من العلوم والصنائع والسياسة . ومن الأول الحياة

والجزارةُ والنجارةُ والحداذةُ وأمثالها. ومن الثاني الوراقةُ، وهي معانةُ الكتبِ بالانتساخِ والتجليدِ، والغناءُ والشعرُ وتعليمُ العلمِ وأمثالُ ذلك. ومن الثالثِ الجنديةُ وأمثالها. واللهُ أعلم.

الفصل السابع عشر

في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرتة

والسببُ في ذلك أن الناسَ، ما لم يُستوفَ العمرانُ الحضريُّ وتمتدُنْ المدينةُ إنما همُّهم في الضَّروريِّ من المعاشِ، وهو تحصيلُ الأقواتِ من الحنطةِ وغيرها. فإذا تَمَدَّتْ المدينةُ وتزايدتْ فيها الأعمالُ ووفت بالضروريِّ وزادت عليه، صُرفَ الزائدُ حينئذٍ إلى الكمالاتِ من المعاشِ. ثم إنَّ الصنائعَ والعلومَ إنما هي للانسانِ من حيثُ فكرُهُ الذي يَتمَيِّزُ به عن الحيواناتِ، والقوتُ له من حيثُ الحيوانيةِ والغذائيةِ؛ فهو مقدَّمٌ لضرورتهِ على العلومِ والصنائعِ، وهي متأخرةٌ عن الضروريِّ. وعلى مقدارِ عُمرانِ البلدِ تكونُ جودةُ الصنائعِ للتأثُّقِ فيها حينئذٍ، واستجادةُ ما يطلبُ منها بحيثُ تتوفرُ دواعي الترفهِ والثروة. وأما العمرانُ البدويُّ أو القليلُ فلا يحتاجُ من الصنائعِ إلا البسيطَ، خاصةً المستعملَ في الضرورياتِ من نجارٍ أو حدَّادٍ أو خياطٍ أو حائكٍ أو جزَّار. وإذا وُجدتْ هذه بعدُ، فلا توجدُ فيه كاملةً ولا مستجادةً. وإنما يوجدُ

منها بمقدار الضرورة ، إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها .

وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات ، كان من جملتها التأثُّق في الصنائع واستجاذبتها ؛ فكمَلْتُ بجميع متمماتها وترايدت صنائع أخرى معها ، مما تدعو إليه عوائد الترفِّ واحواله ، من جزائر ودبَّاغٍ وخرارٍ وصائغٍ وأمثال ذلك . وقد تنتهي هذه الأصناف إذا استبحر العمران إلى أن يوجدَ فيها كثيرٌ من الكمالات ، ويتأثَّق فيها في الغاية ، وتكون من وجوه المعاش في المضرِّ لمنتهجها . بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال ، لما يدعو إليه الترفُّ في المدينة مثل الدهان والصفَّار والحمامي والطَّبَّاخ والسفَّاج والهرَّاس ومعلِّم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ؛ ومثل الودَّاقين الذين يعاونون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها ، فإنَّ هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترفُّ في المدينة من الاشتغال بالأمور الفكرية وأمثال ذلك . وقد تخرُجُ عن الحدِّ إذا كان العمران خارجاً عن الحدِّ ، كما بلغنا عن أهل مصر ، أن فيهم من يُعلِّم الطيور العُجم والحمر الإنسية ، ويتخيَّلُ أشياء من العجائب بايهاهم قلب الأعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ، ورفع الأثقال من الحيوان والحجارة ، وغير ذلك من الصنائع التي لا توجدُ عندنا بالمغرب . لأنَّ عمران أمصاره لم يبلغْ عمران مصر والقاهرة . أدام الله عمرانها بالمسلمين . والله الحكيم العليم .

الفصل الثامن عشر

في ان رسوم الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها

والسبب في ذلك ظاهر ، وهو أن هذه كلها عوائد للعمران والوأم^(١) . والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال . وإذا استحكمت الصبغة عسر زعها . ولهذا فإننا نجد في الأمصار التي كانت استبحرت في الحضارة ، لما تراجع عمرانها وتناقص ، بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الأمصار المستحدثة العمران ، ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة . وما ذاك إلا لأن أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الأحقاب وتداول الأحوال وتكررها ، وهذه لم تبلغ الغاية بعد . وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد ، فإننا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد أمصارها ؛ كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص وتنضيد القروش في القصور ، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء ، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين ، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده .

(١) البيت الدفيء .

فتجدُّهم أقومَ عليها وأبصرَ بها . وتجدُّ صنائعها مستحكمةً لديهم ؛ فهم على حصّةٍ موفورةٍ من ذلك وحظٍّ متميّزٍ بين جميعِ الأمصار . وإن كان عُمرانها قد تناقصَ ، والكثيرُ منه لا يساوي عمرانَ غيرها من بلادِ العُدوةِ . وما ذاكُ إلا لما قدَّمناه من رسوخِ الحضارةِ فيهم برسوخِ الدولةِ الأمويةِ وما قبلها من دولةِ القوطِ ، وما بعدها من دولةِ الطوائفِ وهلمَّ جرّاً . فبلَغَت الحضارةُ فيها مبلغاً لم تبلغه في قطرٍ ، إلا ما يُنقلُ عن العراقِ والشامِ ومصرَ أيضاً ، لطولِ آمادِ الدولِ فيها ؛ فاستحكمت فيها الصنائعُ وكملت جميعُ أصنافها على الاستجادةِ والتنميقِ . وبقيت صِبغُها ثابتةً في ذلك العمرانِ ، لا تفارقُهُ إلى أن ينتقضَ بالكليّةِ ، حال الصبغِ إذا رسخ في الثوبِ . وكذا أيضاً حالُ تونسَ فيما حصل فيها من الحضارةِ من الدولِ الصنهاجيةِ والموحدينَ من بعدهم ، وما استكملَ لها في ذلك من الصنائعِ في سائرِ الأحوالِ ، وإن كان ذلك دونَ الأندلسِ . إلا أنه متضاعفٌ برسومِ منها تُنقلُ إليها من مصرَ لقربِ المسافةِ بينهما ، وتردُّدِ المسافرينَ من قطرِها إلى قطرِ مصرَ في كلِّ سنةٍ . وربما سكن أهلُها هناكَ عصوراً ، فينقلونَ من عوائِدِ ترفِهِم ومُحَكِّمِ صنائعِهِم ما يقعُ لديهم موقعَ الاستحسانِ . فصارت أحوالُها في ذلك متشابهةً من أحوالِ مصرَ لما ذكرناه ، ومن أحوالِ الأندلسِ . لما أن أكثرَ ساكنيها من شرقِ الأندلسِ حينَ الجلاء لعهدِ المائةِ السابعةِ . وزسَخَ فيها من ذلك أحوالُ ، وإن كان عمرانُها ليس بمناسبٍ لذلك لهذا العهدِ . إلا أن الصبغةَ إذا استحكمت ، فقليلاً ما

تحويل إلا بزوال محلها . وكذا نجد بالميروان ومراكش وقلعة ابن حماد أثراً باقياً من ذلك ، وإن كانت هذه كلها اليوم خراباً أو في حكم الخراب . ولا يتفطن لها إلا البصير من الناس ، فيجد من هذه الصنائع آثاراً تدلُّ على ما كان بها ، كآثر الخطِّ المحوِّ في الكتاب . ﴿ رَبُّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ .

الفصل التاسع عشر

في أن الصنائع إنما تستجد وتكثر إذا كثر طالبها

والسبب في ذلك ظاهرٌ ، وهو أن الإنسان لا يسمح بعمله أن يقع مجاناً ، لأنه كسبه ومنه معاشه . إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه ، فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع . وإن كانت الصناعة مطلوبةً وتوجه إليها النفاق كانت حينئذٍ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع ، فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم . وإذا لم تكن الصناعة مطلوبةً لم تنفق سوقها ، ولا يوجه قصد إلى تعلمها ؛ فاختصت بالترك وفقدت للاهمال . ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه : « قيمة كل امرئ ما يحسن » . بمعنى أن صناعته هي قيمته ، أي قيمة عمله الذي هو معاشه . وأيضاً فهنا سر آخر وهو أن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة ، فهي التي تنفق

سوقها وتوجه الطلبات إليها . وما لم تطلبه الدولة ، وإنما يطلبها غيرها من أهل المصر ، فليس على نسبتها ؛ لأن الدولة هي السوق الأعظم ، وفيها نفاق كل شيء ، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة . فما نفق فيها كان أكثرياً ضرورة . والسوقة وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة . والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قابت الخراب انتقت منها الصنائع

وذلك لما بيناه من أن الصنائع إنما تستجد إذا احتيج إليها وكثر طلبها . فإذا ضمفت أحوال المصر ، وأخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنيه تناقص فيه الترف ، ورجعوا الى الاقتصار على الضروري من أحوالهم ؛ فتقل الصنائع التي كانت من قواعب الترف . لأن صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه ، فيفر الى غيرها ، أو يموت ، ولا يكون خلف منه ، فيذهب رسم تلك الصنائع جملة ؛ كما يذهب النقاشون والصواغون والكتاب والنساخ وأمثالهم من الصنائع لاجات الترف . ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصر في التناقص ، إلى أن تضمحل . والله الخلاق العليم ؛ سبحانه وتعالى .

الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها. والعجم من أهل المشرق وأمم النصرانية غداة البحر الرومي أقوم الناس عليها، لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانهم. حتى إن الإبل التي أعانت العرب على التوحش في القفر، والإعراق في البدو، مفقودة لديهم بالجملة، ومفقودة مراعيها، والرمال المهتة لنتائجها. ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة، حتى تجلب اليه من قطر آخر. وانظر بلاد العجم، من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية، كيف استكثرت فيهم الصنائع، واستجلبها الأمم من عندهم.

وعجم المغرب من البربر، مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين. ويشهد لك بذلك قلة الأمصار بقطرهم كما قدمناه. فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة، إلا ما كان من صناعة الصوف في نسيجه، والجلد في خروجه ودبغه. فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ، لعموم البلوى بها، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم، لما هم عليه من حال البداوة. وأما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه منذ ملك الأمم الأقدمين

من الفرس والنبط والقبط وبني إسرائيل ويونان والروم أحقاباً
مُتطاولة؛ فرسخت فيهم أحوال الحضارة، ومن جعلتها الصنائع كما
قدّمناه، فلم يُجَح رسماً. وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة،
وإن ملكة العرب؛ إلا أنهم تداولوا ملكة آفاقاً من السنين في
أهم كثيرة منهم، واختطّوا أمصاره ومدنه، وبلغوا الغاية من
الحضارة والتّرف. مثل عادر وثمود والعمالقة وخيبر من بعدهم
والتبابعة والأذواء؛ فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها
وتوفّرت الصّنائع ورسخت، فلم تبَلّ ببلى الدولة كما قدّمناه.
فبقيت مستجدة حتى الآن. واختصّت بذلك للوطن، كصناعة
الوشى والعصب وما يُستجاد من حوك الثياب والحرير فيها. والله
وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

الفصل الثاني والعشرون

في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة في أخرى

ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها، ورسخت
في نفسه، فلا يُجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء؛ إلا أن
تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها. والسبب في ذلك
أن الملكات صفات للنفس وألوان؛ فلا تدرج دفعة. ومن كان
على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداداً لحصولها.
فإذا تلوّنت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعفت

فيها الاستعدادُ باللون الحاصل من هذه المَلَكَةِ ، فكانَ قبولُها .
للمَلَكَةِ الأخرى أضعفَ . وهذا يَبَيِّنُ يشهدُ له الوجودُ . فقلَّ أن
تجدَ صاحبَ صنَاعَةٍ يُحْكِمُهَا ، ثم يُحْكِمُ من بعديها أخرى ، ويكون
فيها معاً على رُتَبَةٍ واحدةٍ من الإِجَادَةِ . حتى إنَّ أهلَ العلمِ الذينَ
مَلَكَتْهُمْ فِكْرِيَّةٌ فهم بهذه المثابَةِ . ومن حصلَ منهم على مَلَكَةِ علمٍ
من العلومِ وأجَادَهَا في الغَايَةِ ؛ فقلَّ أن يُجِدَ مَلَكَةَ علمٍ آخر على
نِسْبَتِهِ ؛ بل يكونُ مقصِّراً فيه إن طلبَهُ ؛ إلا في الأقلِّ النادرِ
من الأحوالِ . ومبنيُّ سببُهُ على ما ذكرناه من الاستعدادِ وتلويهِ
بلونِ المَلَكَةِ الحاصِلَةِ في النفسِ . واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ ، وبِهِ
التوفيقُ ، لا ربَّ سواه .

الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة إلى اصناف الصنائع

إِعلمَ أنَّ الصَّنَائِعَ في النُّوعِ الإنسانيِّ كثيرةٌ ، لكثرةِ الأعمالِ
المتداوِلَةِ في العمرانِ . فهي بحيثُ تَشِدُّ عن الحصرِ ولا يأخذُها
العدُّ . إلا أنَّ منها ما هو ضروريٌّ في العمرانِ أو شريفٌ بالموضوعِ ؛
فنَحْصُهَا بالذكرِ ونتركُ ما سواها : فأما الضروريُّ فكالفلاحةُ والبناءُ
والحياطةُ والنِجَارَةُ والحياكةُ ؛ وأما الشريفةُ بالموضوعِ فكالتوليدُ
والكتابةُ والوراقةُ والغناءُ والطبُّ . فأما التوليدُ فإنها ضروريةٌ
في العمرانِ وعامةُ البلوى ، إذ بها تحصلُ حياةُ المولود ويتمُّ غالباً .

وموضوعها مع ذلك المولدون وأمهاتهم . وأما الطب فهو حفظ الصحة للإنسان ودفع المرض عنه ، ويتفرع عن علم الطبيعة ، وموضوعه مع ذلك بدن الإنسان . وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة ، فهي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ، ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب ، ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ، ورافعة دتب الوجود للعاني . وأما الغناء فهو نسب الأصوات ومظهر جمالها للأسماع . وكل هذه الصنائع الثلاث داع إلى مخالطة الملوك الأعظم في خلواتهم ومجالس أنسهم ؛ فلها بذلك شرف ليس لغيرها . وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممتنة في الغالب . وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي . والله أعلم بالصواب .

الفصل الرابع والعشرون

في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب ، بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعيها ، وعلاج نباتها ، وتعهدها بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ؛ ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك ، وتحصيل أسبابه ، ودواعيه . وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً ، إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت .

ولهذا اخْتُصَّتْ هذه الصَّنَاعَةُ بالبدوِ . إذ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَقْدَمُ من الحضَرِ وسابِقُ عليه ؛ فكانت هذه الصَّنَاعَةُ لذلك بدوِيَّةً ، لا يقومُ عليها الحضَرُ ولا يعرفونها ؛ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَّةٌ عن البِدَاوَةِ ؛ فصنائعُهم ثَانِيَّةٌ عن صنائعِها وتابعةٌ لها . واللهُ سبحانه وتعالى مقيمُ العبادِ فيما أَرَادَ .

الفَصْلُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

في صناعة البناء

هذه الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صنائعِ العُمَرَانِ الحضَرِيِّ وأَقْدَمُها ، وهي معرفةُ العَمَلِ في اتِّخَاذِ البيوتِ والمنازِلِ لِلْكِنِّ^(١) والمأوى للأبدانِ في المُدُنِ . وذلك أَنَّ الإنسانَ لما جُئِلَ عليه من الفِكرِ في عواقبِ أَحْوَالِهِ ، [لا بدَّ له أَنْ يُفَكِّرَ فيما يدفعُ عنه الأذى من الحرِّ والبردِ ، كاتِّخَاذِ البيوتِ المكتَنَّةِ بالسُّقُفِ والحِيطَانِ من سائرِ جهاتِها]^(٢) . والبشرُ مختلفون في هذه الجِبِلَّةِ الفِكرِيَّةِ التي هي معنى الانسانيَّةِ ، فالمقيِّدون فيها ، ولو على التفاوتِ ، يتَّخذون ذلك باعتدالٍ ، كأهلِ الإقليمِ الثاني والثالثِ والرابعِ والخامسِ والسادسِ^(٣) [وأما أهلُ البدوِ فيبعُدونَ عن اتِّخَاذِ ذلك ، لمُصَوِّرِ أَفْكارِهِمْ عن

(١) الكِنُّ : وقاء كل شيء وستره . وفي ب : للسكن .

(٢) كذا ، وما هو ضمن [] ، وقد ورد في نسخة ب هكذا : « لا بدَّ له أَنْ يفكر في موانع

إذاية الحر والبرد باتخاذ البيوت ذوات الحيطان والسقف الحائلة دونه من جهاتها » .

(٣) كذا ، وفي ب : « كأهل الإقليم الثاني وما بعده إلى الإقليم السادس » .

إدراك الصنائع البشريّة؛ فيبادرون للغيران والكهوف المعدّة من غير علاج^(١). ثم المعتدلون والمتخذون البيوت للمأوى قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد، بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضاً بيّاتاً، فيحتاجون إلى حفظ مجتمعتهم بادارة سياج الأسوار التي تحوطهم. ويصير جميعها مدينة واحدة ومصرّاً واحداً يحوطهم فيها الحكماء بدفاع بعضهم عن بعض. وقد يحتاجون إلى الاعتصام من العدو ويتخذون المعقل والحصون لهم ولمن تحت أيديهم. وهؤلاء مثل الملوك ومن في معناهم من الأمراء وكبار القبائل. ثم يختلف أحوال البناء في المدن، كلّ مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه، ويناسب مزاج أهوائهم واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر. وكذا حال أهل المدينة الواحدة. فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتتة على عدّة الدور والبيوت والفرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه، ويؤسس جدرانها بالحجارة ويُلجِم بينها بالكلس، ويُعالي عليها بالأصيفّة والجصّ، ويبالغ في كلّ ذلك بالتنجيد والتنميق، إظهاراً للبسطة بالعناية في شأن المأوى. ويهيئ مع ذلك الأسراب والمطامير لاختزان أقواته، والاصطبلات لربط ممرّباته إذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية^(٢)،

(١) كذا، وقد ورد ما هو ضمن [] في نسخة ب هكذا: «وأما أهل الأول والسابع، فيبعدون عن اتخاذ ذلك لانحرافهم وقصور أفكارهم عن كيفية العمل في الصنائع الإنسانية؛ فيأوون إلى الغيران والكهوف، كما يتناولون الأغذية من غير علاج ولا نضج».

(٢) كذا، وفي ب: والغاشية.

كالأمرء ومن في معناهم . ومنهم من يبني الدَّوِيرَةَ والبيوت^(١) لنفسه وسكنه وولده لا يبتغي ما وراء ذلك ، لقصور حاله عنه واقتصاره على الكِنِّ الطبيعي للبشر . وبين ذلك مراتبُ غير منجصرة .

وقد يُحتاج لهذه الصِّناعة أيضاً عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهياكل المرتفعة، وبيالغون في إتقان الأوضاع وعلو الأجرام مع الأحكام لتبلغ الصِّناعة مبالغها . وهذه الصناعة هي التي تحصيل الدواعي لذلك كله . وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الأقاليم المعتدلة من الرابع وما حواليه ؛ إذ الأقاليم المنحرفة لا بناء فيها . وإنما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين أو يأوون إلى الكهوف والغيران . وأهل هذه الصناعة القائمون عليها متفاوتون : فمنهم البصير الماهر ؛ ومنهم القاصر . ثم هي تتنوع أنواعاً كثيرة : فمنها البناء بالحجارة المنجدة أو بالآجر ، يُقام بها الجدران ملصقة بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يُعقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد ؛ ومنها البناء بالتراب خاصة تُقام منه حيطان بأن يُتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير . وأوسطه أربع أذرع ، في ذراعين فينصبان على أساس ، وقد بُوعد ما بينهما على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ، ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يُربط عليها بالجبال والجُدُل . ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما

(١) كذا، وفي ب: والبيوت.

بلوحيْنِ آخَرَيْنِ صَغِيرَيْنِ ؛ ثم يوضعُ فِيهِ الترابُ مُخْتَلِطاً بالكلسِ ،
وَيُزَكَّزُ بِالْمِرَاكِزِ الْمَعْدَّةِ لَذَلِكَ ، حتَّى ينعَمَ رَكَزُهُ وَيَخْتَلِطَ أَجْزَاؤُهُ
بِالكلسِ . ثم يُزَادُ الترابُ ثَانِياً وَثَالِثاً إِلَى أَنْ يَمْتَلِيَّ ذَلِكَ الْخِلَاءُ بَيْنَ
اللوحيْنِ ، وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاءُ الكلسِ وَالترابِ وَصَارَتْ جِسْماً
وَاحِداً . ثم يُعَادُ نَصَبُ اللوحيْنِ عَلَى الصُّورَةِ الْأُولَى ، وَيُرَكَّزُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَتَنْتَظِمَ الْأَلْوَا حُ كُلُّهَا سَطَراً فَوْقَ سَطَرٍ ، إِلَى
أَنْ يَنْتَظِمَ الْحَائِطُ كُلُّهُ مُلتَجِماً ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَيُسَمَّى الطَّايِبَةُ
وَصَانِعُهُ الطَّوَابِ . وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضاً أَنْ تُجَلَّلَ الْحَيْطَانُ
بِالكلسِ ، بَعْدَ أَنْ يُجَلَّ بِالْمَاءِ وَيُخَمَّرَ أُسْبُوعاً أَوْ أُسْبُوعَيْنِ ، عَلَى قَدَرِ
مَا يَعتَدِلُ مَزَاجُهُ عَنِ إِفْرَاطِ النَّارِيَّةِ الْمَفْسِدَةِ لِلْإِلَاحِ . فَإِذَا تَمَّ لَهُ
مَا يَرْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَالَاهُ مِنْ فَوْقِ الْحَائِطِ ، وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَحِمَ .
وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأَنْ تُقَدَّ الخَشْبُ الْحَكْمَةُ النِّجَارَةُ
أَوْ السَّادِجَةُ عَلَى حَائِطِي الْبَيْتِ ، وَمِنْ فَوْقِهَا الْأَلْوَا حُ كَذَلِكَ
مَوْصُولَةً بِالْدَسَاتِرِ ، وَيَصَبُّ عَلَيْهَا الترابُ وَالْكَلْسُ ، وَيُبَلِّطُ بِالْمِرَاكِزِ
حَتَّى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَحِمَ وَيُعَالَى عَلَيْهَا الْكَلْسُ كَمَا عُولِي عَلَى
الْحَائِطِ . وَمِنْ صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ ؛ كَمَا
يُصْنَعُ مِنْ فَوْقِ الْحَيْطَانِ الْأَشْكَالُ الْمَجَسَّمَةُ مِنَ الْجَسْرِ يُخَمَّرُ بِالْمَاءِ ،
ثُمَّ يَرْجِعُ جِسْداً^(١) وَفِيهِ بَقِيَّةُ الْبَلَلِ ؛ فَيُشَكَّلُ عَلَى التَّنَاسُبِ تَخْرِيمًا
بِمَثَاقِبِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرُوءَاءُ . وَرَبْمَا عُولِي عَلَى
الْحَيْطَانِ أَيْضاً بِقِطْعِ الرُّخَامِ أَوْ الْأَجْرِّ أَوْ الْخَرْفِ أَوْ بِالصَّدْفِ أَوْ

(١) كَذَا ، وَفِي ب : ثُمَّ يَرْفَعُ مَجْسِداً .

السَّبَجِ؛ يُفَصَّلُ أَجْزَاءُ مُتَجَانِسَةً أَوْ مُخْتَلِفَةً، وَتَوْضَعُ فِي الْكَلْسِ عَلَى نِسْبٍ وَأَوْضَاعٍ مَقْدَرَةٍ عِنْدَهُمْ، يَبْدُو بِهِ الْخَائِطُ لِلْعَيَانِ، كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّيَاضِ الْمُنْمَنَةِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بِنَاءِ الْجَبَابِ وَالصَّهَارِيَجِ لِسَبَجِ الْمَاءِ، بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرُّخَامِ الْقَوَارِءِ الْحَكْمَةُ الْحَرِطِ بِالْفُوهَاتِ فِي وَسْطِهَا لِنَبْعِ الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى الصَّهْرِيَجِ، يُجْلَبُ إِلَيْهَا مِنْ خَارِجٍ فِي الْقَنَوَاتِ الْمَفْصِيَّةِ بِهِ إِلَى الْبُيُوتِ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ.

وَتُخْتَلَفُ الصُّنَاغُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْحِذْقِ وَالْبَصَرِ، وَيَعْظُمُ عَمْرَانُ الْمَدِينَةِ وَيَتَّسِعُ فَيَكْثُرُونَ. وَرَبَّمَا يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَؤُلَاءِ فَيَا هُمْ أَبْصَرُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْبِنَاءِ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ فِي الْمَدِينِ الْكَثِيرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمَرَانِ، يَتَشَاوُونَ حَتَّى فِي الْفَضَاءِ وَالْهَوَاءِ لِلْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ، فِي الْإِنْتِفَاعِ بِظَاهِرِ الْبِنَاءِ، مِمَّا يُتَوَقَّعُ مَعَهُ حُصُولُ الضَّرَرِ فِي الْحَيْطَانِ. فَيَمْنَعُ جَارَهُ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ. وَيُخْتَلَفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطَّرِيقِ وَالْمَنَافِذِ، لِلْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ، وَالْفَضَلَاتِ الْمُسْرَبَةِ فِي الْقَنَوَاتِ. وَرَبَّمَا يَدَّعِي بَعْضُهُمْ حَقًّا بَعْضٍ فِي حَائِطِهِ أَوْ عُلوِّهِ أَوْ قَنَاتِهِ لِتَضَائِقِ الْجَوَارِ؛ أَوْ يَدَّعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ اعْتِلَالَ حَائِطِهِ وَخَشْيَةَ سَقُوطِهِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَدْمِهِ وَدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ جَارِهِ، عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ؛ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ شَرِيكَيْنِ، بِحَيْثُ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا أَهَالٌ لِمَنْفَعَتِهَا. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. وَيَخْفَى جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ بِالْبِنَاءِ الْعَارِفِينَ بِأَحْوَالِهِ، الْمُسْتَدِلِّينَ عَلَيْهَا بِالْمَعَادِدِ وَالْقُطْبِ

ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة أوضاعها ومناخها، وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضر بما مرّت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك . فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم . وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الأجيال باعتبار الدول وقوتها .

فإنا قدّمنا أنّ الصنائع، وكلّها إنّما هو بكمال الحضارة، وكثرتها بكثرة الطالب لها . فلذلك عندما تكون الدولة بدويّة في أوّل أمرها تفتقر في أمر البناء إلى غير فطرها . كما وقع للوليد بن عبد الملك ، حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام ؛ فبعث إلى ملك الروم بالقسطنطينيّة في الفعلة الماهرة في البناء ؛ فبعث إليه منهم من حصل^(١) له غرضه من تلك المساجد . وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة ، مثل تسوية الحيطان بالوزن وإجراء المياه بأخذ الارتفاع ، وأمثال ذلك ؛ فيحتاج إلى البصر بشيء من مسائله . وكذلك في جرّ الأثقال بالهندام ؛ فإنّ الأجرام العظيمة إذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها إلى مكانها من الحائط ؛ فيتحيّل لذلك بمضاعفة قوّة الجبل ، بادخاله في المعالق من أثقاب مقدّرة على نسب هندسيّة ، تُصير الثقل عند مُعانة الرّفع خفيفاً وتسمّى آلة لذلك بالخال ؛ فيتمّ المراد من ذلك بغير كلفة . وهذا إنّما يتمّ بأصول هندسيّة معروفة ، متداولة بين البشر . وبمثلا كان بناء

(١) كذا، وفي ب: بمن كمل له غرضه .

المهيكل المائلة لهذا العهد ، التي تحسبُ الناسُ أنها من بناء الجاهلية . وأنَّ أبدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني ، وليس كذلك ؛ وإنما تمَّ لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه . فتفهم ذلك . واللهُ يخلق ما يشاء سبحانه .

الفصل السادس والعشرون

في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب . وذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل للآدمي في كل مكون من المكونات منافع تكملُ بها ضروراته ، أو حاجاته ، وكان منها الشجر ، فإنَّ له فيه من المنافع ما لا ينحصرُ بما هو معروف لكل أحد . ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا يبست . وأوَّلُ منافع الخشب أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم ، وعصياً للاتكاء والدود ، وغيرهما من ضرورياتهم ، ودعائم لما يُخشى ميله من أثقالهم . ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر . فأما أهل البدو ، فيتخذون منها العمد والأوتاد لحياهم ، والخدوج لظعائهم ، والرماح والقسي والسهام لسلحهم . وأما أهل الحضر ، فالسُّف لبوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم . وكلُّ واحدٍ من هذه فالحشبة مادة لها ، ولا تصيرُ إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة .

والصناعة المتكفلة بذلك ، المحصلة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها . فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب أولا : إما بخشب أصفر منه ؛ أو ألواح . ثم تُرَكَّبُ تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة . فهو في كل ذلك يحاول بصنعه إعداد تلك الفصائل بالانتظام ، إلى أن تصير أعضاء لذلك الشكل المخصوص . والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران . ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف ، وتأثقت الناس فيما يتخذونه من كل صنف ، من سقف أو باب أو كرسي أو ماعون ، حدث التأثت في صناعة ذلك واستجادته بغرائب من الصناعة كمالية ، ليست من الضروري في شيء . مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ، ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخراط ليحكم برأيها وتشكيلها ؛ ثم تؤلف على نسب مقدرة ، وتلحم بالداثر فتبدو لمراى العين ملتحمة ، وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب . يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجىء آنق ما يكون . وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب ، من أي نوع كان .

وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدسر ، وهي أجرام هندية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبجه في الماء بقواذيمه وكلكله ، ليكون ذلك الشكل أعون لها على مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك الرياح . وربما أعينت

بحركة المجازيف كما في الأساطيل . وهذه الصنّاعة من أصلها محتاجة الى جزء كبير من الهندسة في جميع أصنافها ، لأنّ إخراج الصّور من القوة إلى الفعل على وجه الإحكام ، يحتاج إلى معرفة التناسب في المقادير ، إمّا عموماً أو خصوصاً . وتناسب المقادير لا بدّ فيه من الرجوع إلى المهندس .

ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلّهم أئمة في هذه الصنّاعة ، فكان أوقليدس صاحب كتاب الأصول في الهندسة نجاراً وبها كان يُعرف . وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلائش وغيرهم . وفيما يقال : إنّ معلّم هذه الصنّاعة في الخليقة هو نوح عليه السلام ، وبها أنشأ سفينة النّجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان . وهذا الخبر وإن كان ممكناً أعني كونه نجاراً ، إلا أنّ كونه أوّل من علّمها أو تعلّمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعدي الآماد . وإنما معناه والله أعلم الإشارة إلى قديم التجارة لأنّه لم تصحّ حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام ، فجعل كأنّه أوّل من تعلّمها . فتفهّم أسرار الصنّائع في الخليقة . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق .

الفصل السابع والعشرون

في صناعة الحياكة والخياطة

إِعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لا بدّ لهم من الفكر في الدّفء كالفكر في الكن . ويحصل الدّفء باشتال المنسوج للوقاية من الحرّ والبرد . ولا بدّ لذلك من إلحام الغزل حتى يصير ثوباً واحداً ، وهو النسيج والحياكة . فإن كانوا باديةً اقتصروا عليه وإن مالوا إلى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعاً يقدّرون منها ثوباً على البدن بشكله وتعدّد أعضائه واختلاف نواحيها . ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصلات حتى تصير ثوباً واحداً على البدن ويلبسونها . والصناعة المحصّلة لهذه الملاءمة هي الخياطة . وهاتان الصناعتان ضروريّتان في العمران ، لما يحتاج إليه البشر من الرّفه^(١) . فالأولى لنسيج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداءً في الطول وإلحاماً في العرض وإحكاماً لذلك النسيج بالالتحام الشديد ؛ فيتمّ منها قطعٌ مقدّرة : فمنها الأكسية من الصوف للاشتال ؛ ومنها الثياب من القطن والكتان للباس . والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد ، تُفصّل أوّلاً بالمقراض قطعاً مناسبةً للأعضاء البدنيّة ، ثم تُلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلّاً أو جبكاً أو تنبيتاً أو تفتيحاً على حسب نوع الصناعة .

(١) كذا ، وفي ب : من الدّفء .

وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها ، وإنما يشتملون الأثواب اشتيالا . وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحائها بالحياطة للباس من مذهب الحضارة وفنونها . وتفهم هذا في سرّ تحريم المخيط في الحج ، لما أن مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع إلى الله تعالى . « كما خلقنا أول مرة » . حتى لا يُعلق العبد قلبه بشيء من عوائد ترفيه ، لا طبياً ولا نساء ولا مخيطاً ولا خفّاً ؛ ولا يتعرض لصيد ولا لشيء من عوائده التي تكونت بها نفسه وخلقه ؛ مع أنه يفقدها بالموت ضرورة . وإنما يحى كانه وارد على المحشر ضارِعاً بقلبه مخلصاً لربه ، وكان جزاؤه إن تم له إخلاصه في ذلك أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . سبحانه ما أرفقك بعبادك وأرحمك بهم في طلب هدايتهم إليك .

وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة لما أن الدفء ضروري للبشر في العمران المعتدل . وأما المنحرف إلى الحر فلا يحتاج أهله إلى دفء . ولهذا يبلّغنا عن أهل الاقليم الأول من السودان أنهم عراة في الغالب . ولقدّم هذه الصنائع ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام ، وهو أقدم الانبياء . وربما ينسبونها إلى هيرمس ، وقد يقال : إن هيرمس هو إدريس . والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم .

الفصل الثامن والعشرون

في صناعة التوليد

وهي صناعة يُعرفُ بها العملُ في استخراجِ المولودِ الآدميِّ من بطنِ أمِّه ، من الرِّفقِ في إخراجِهِ من رحمِها وتهيئةِ أسبابِ ذلك . ثم ما يُصلِحُهُ بعدَ الخروجِ على ما نذكرُ . وهي مختصةٌ بالنساءِ في غالبِ الأمرِ ، لما أُنهنَّ الظاهرَاتُ بعضُهُنَّ على عوراتِ بعضٍ . وتسمَّى القائمةُ على ذلك منهنَّ القابلةُ . استُعيرَ فيها معنى الإِطاءِ والقبولِ ، كأنَّ النفساءَ تُعطيها الجنينَ وكأنها تقبلُهُ . وذلك أنَّ الجنينَ إذا استكملَ خَلْقَهُ في الرَّحِمِ وأطوارهُ وبلغَ الى غايتهُ ، والمدَّةِ التي قدَّرَ اللهُ لمكثِهِ ، وهي تسعةُ أشهرٍ في الغالبِ ؛ فيطلبُ الخروجَ بما جعلَ اللهُ في المولودِ من النَّزوعِ لذلك ، ويضيقُ عليه المنفذُ فيعسرُ . وربما مَزَّقَ بعضَ جوانبِ الفَرْجِ بالضغطِ ، وربما انقطعَ بعضُ ما كان في الأغشِيَةِ من الالتصاقِ والالتحامِ بالرحِمِ . وهذه كُلُّها آلامٌ يشتدُّ لها الوجعُ ، وهو معنى الطَّلَقِ ؛ فتكونُ القابلةُ معينةً في ذلك بعضَ الشيءِ بغمزِ الظهرِ والوَركَيْنِ وما يحاذي الرَّحِمَ من الأسافلِ ، تساوِقُ بذلك فِعْلَ الدافعةِ في إخراجِ الجنينِ ، وتسهِّلُ ما يصعبُ منه بما يُمكنُها ، وعلى ما تهتدي إلى معرفةِ عسرِهِ . ثم إذا خرجَ الجنينُ بقيتَ بينهُ وبينَ الرَّحِمِ الوصلةُ حيثُ كان يتغذَّى منها متصلةً من سُرَّتِهِ بِعَاضِهِ .

وتلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة ، فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضيلة ولا تُضرب بمعاد ولا برجم أمه ، ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكبي أو بما تراه من وجوه الاندمال . ثم إن الجنين عند خروجه من ذلك المنفذ الضيق ، وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء ، وربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها لقرب التكوين ورطوبة المواد ؛ فتتناوله القابلة بالغمز والإصلاح ، حتى يرجع كل عضو إلى شكله الطبيعي ووضعه المقدّر له ، ويرتد خلقه سوياً . ثم بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج أغشية الجنين ، لأنها ربما تتأخر عن خروجه قليلاً . ويُخشى عند ذلك أن تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية ، وهي فضلات ؛ فتتغنن ويسري عفنها إلى الرحم فيقع الهلاك ، فتحاذر القابلة هذا وتحاول في إعانة الدفع إلى أن تُخرج تلك الأغشية إن كانت قد تأخرت ؛ ثم ترجع إلى المولود فتمرّخ^(١) أعضائه بالأدهان والذرورات^(٢) القابضة ، لتشدّه ، وتجيّف رطوبات الرحم ، وتجنّكه لرفع لهاته ، وتُسعطه لاستفراغ نطوف دماغه ، وتُغرّغه باللحوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن الالتصاق . ثم تداوي النفساء بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق ، وما يلحق رجمها من ألم الانفصال ، إذ

(١) مرخه : دهنه (قاموس).

(٢) الذرور: ما يذر في العين أو الجرح من دواء جاذرة ، والذرور بالفتح لغة في الذريرة (لسان العرب).

المولود وإن لم يكن عضواً طبيعياً فحالة التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل ؛ فلذلك كان في انفصاله ألمٌ يقرب من ألم القطع . وتداوي مع ذلك ما يلحق القرع من ألم ، من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج . وهذه كلها أدواءٌ نجد هؤلاء القوابل أبصر بدوائها . وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه إلى حين الفصال نجد من أبصر بها من الطبيب الماهر . وما ذاك إلا لأن بدن الانسان في تلك الحالة إنما هو بدن إنساني بالقوة فقط . فإذا جاوز الفصال صار بدنًا إنسانياً بالفعل ؛ فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب أشد . فهذه الصناعة كما تراه - ضرورية في العمران للنوع الانساني ، لا يتم كون أشخاصه في الغالب دونها

وقد يعرض لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة : إما بخلق الله ذلك لهم معجزةً وخرقاً للعادة ، كما في حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ؛ أو بإلهام وهداية ، يلهم لها المولود ويفطر عليها ، فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة . فأما شأن المعجزة من ذلك ، فقد وقع كثيراً . ومنه ما روي أن النبي ﷺ ولد مسروراً مختوناً ، واضعاً يديه على الأرض شاخصاً ببصره الى السماء . وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك . وأما شأن الإلهام فلا ينكر . وإذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرائب من الإلهامات كالنحل وغيرها ، فما ظنك بالانسان المفضل عليها . وخصوصاً من اختص بكرامة الله .

ثم الإلهام العام للمولودين في الإقبال على الثدي أوضحُ شاهدٍ على وجود الإلهام العام لهم . فشانُ العناية الإلهية أعظمُ من أن يُحاطَ به . ومن هنا يُفهمُ بطلانُ رأي الفارابيِّ وحكام الأندلس ، فيما احتجوا به لعدم انقراض الأنواع ، واستحالة انقطاع المكونات . وخصوصاً في النوع الانساني . وقالوا : لو انقطعت أشخاصه لاستحال وجودها بعد ذلك ، لتوقُّفه على وجود هذه الصناعة التي لا يتمُّ كون الإنسان إلا بها . إذ لو قدرنا مولوداً دون هذه الصناعة وكفالتها إلى حين الفصل^(١) لم يتمُّ بقاؤه أصلاً . ووجود الصنائع دون الفكر ممتنعٌ لأنها ثمرته وتابعة له . وتكلف ابنُ سينا في الردِّ على هذا الرأي لمخالفته إياه ، وذهابه إلى إمكان انقطاع الأنواع ، وخراب عالم التكوين ؛ ثم عودته ثانياً لاقتضات فلكية وأوضاع غريبة تندُر في الأحقاب بزعمه ، فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة ، فيتمُّ كونه إنساناً . ثم يقيضُ له حيوانٌ يخلق فيه إلهاماً لتربيته والحنو عليه ، إلى أن يتمَّ وجوده وفصائله . وأطنب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حيِّ بن يقظان . وهذا الاستدلال غيرُ صحيح ، وإن كنا نوافقه على انقطاع الأنواع ، لكن من غير ما استدلَّ به . فإنَّ دليله مبنيٌّ على إسناد الأفعال إلى العلة الموجبة . ودليلُ القول بالفاعل المختار يردُّ عليه ، ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الأفعال والقدرة القديمة ، ولا حاجة إلى هذا التكلف .

(١) كذا ، وفي ب : الانفصال .

ثم لو سلمناه جدلاً ، فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لتربيته في الحيوان الأعجم . وما الضرورة الداعية لذلك ؟ وإذا كان الالهام يُخلق في الحيوان الأعجم ، فما المانع من خلقه للمولود نفسه ، كما قررناه أولاً . وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره ؛ فكل المذهبيين شاهدان على أنفسهم بالبطلان في مناحيهما لما قررته لك . والله تعالى أعلم

الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانما محتاج اليها في الحواضر والأصاغر دون البادية

هذه الصناعة ضرورية في المدن والأصاغر لما عُرف من فائدتها ؛ فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة ، حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم . واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية ، كما قال ﷺ في الحديث الجامع للطب كما ينقل بين أهل الصناعة ، وإن طعن فيه العلماء ، وهو قوله : « المعدة بيت الداء والحمة رأس الداء ، وأصل كل داء البردة »^(١) . فأما قوله : المعدة بيت الداء ، فهو ظاهر ؛ وأما قوله الحمة رأس الداء ، فالحمة الجوع وهو الاحتياج عن الطعام . والمعنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية ؛ وأما

(١) التخممة .

قوله : أصل كل داء البردة ، فعنى البردة إدخال الطعام على الطعام في المعدة ، قبل أن يتم هضم الأول .

وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالأكل ، وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية إلى أن يصير دماً ملائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم . ثم تأخذ النامية فيقلب لحماً وعظماً . ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن . وتفسيره أن الغذاء ، إذا حصل في الفم ولا كتته الأَشْدَقُ ، أثرت فيه حرارة الفم طبخاً يسيراً ، وقلبت مزاجه بعض الشيء ، كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ، ثم أجدتها مضغاً ، فترى مزاجها غير مزاج الطعام . ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة إلى أن يصير كيموساً وهو صفو ذلك المطبوخ ، وترسله إلى الكبد وترسل ما رسب منه في المعاء ثقلًا ، ثم ينفذ إلى المخرجين . ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس إلى أن يصير دماً عبيطاً^(١) وتطفو عليه رغو من الطبخ هي الصفراء . وترسب منه أجزاء يابسة هي السوداء ، ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه فهو البلغم . ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ، ويأخذها طبخ الحار الغريزي هناك ؛ فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني . وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون لحماً ، ثم غليظه عظماً . ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من

(١) دم عبيط : خالص طري (قاموس) .

ذلك فضلاتٍ مختلفةً من العرقِ واللَّعابِ والمخاطِ والدَّمعِ . هذه صورةُ الغذاءِ وخروجهِ من القوةِ الى الفعلِ لِحَمَّا .

ثمَّ إِنَّ أَصْلَ الأمراضِ وَمُعْظَمُهَا هِيَ الْحُمَيَاتُ . وَسَبَبُهَا أَنَّ الْحَارَّ الْغَرِيزِيَّ قَدْ يَضْعُفُ عَنْ إِتِمَامِ النَّضِجِ فِي طَبِخِهِ فِي كُلِّ طَوِيلٍ مِنْ هَذِهِ ، فَيَبْقَى ذَلِكَ الْغِذَاءُ دُونَ نُضْجٍ . وَسَبَبُهُ غَالِبًا كَثَرَةُ الْغِذَاءِ فِي الْمَعْدَةِ ، حَتَّى يَكُونَ أَغْلَبَ عَلَى الْحَارِّ الْغَرِيزِيِّ ، أَوْ إِدْخَالُ الطَّعَامِ إِلَى الْمَعْدَةِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ طَبْخَ الْأَوَّلِ ؛ فَيَشْتَغُلُ بِهِ الْحَارُّ الْغَرِيزِيُّ وَيَتْرَكَ الْأَوَّلَ بِجَالِهِ . أَوْ يَتَوَزَّعُ عَلَيْهِمَا فَيَقْصُرُ عَنْ تِمَامِ الطَّبْخِ وَالنُّضْجِ . وَتُرْسَلُهُ الْمَعْدَةُ كَذَلِكَ إِلَى الْكَبِدِ ، فَلَا تَقْوَى حَرَارَةُ الْكَبِدِ أَيْضًا عَلَى إِنْضَاجِهِ . وَرَبَّمَا بَقِيَ فِي الْكَبِدِ مِنَ الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ فَضْلَةٌ غَيْرُ نَاضِجَةٍ . وَتُرْسَلُ الْكَبِدُ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْعُرُوقِ غَيْرِ نَاضِجٍ كَمَا هُوَ . فَإِذَا أَخَذَ الْبَدَنُ حَاجَتَهُ الْمَلَأْتَةُ أَرْسَلَهُ مَعَ الْفَضَلَاتِ الْأُخْرَى مِنَ الْعَرَقِ وَالذَّمْعِ وَاللَّعَابِ إِنْ اقْتَدَرَ عَلَى ذَلِكَ . وَرَبَّمَا يَعِجُزُ عَنْ الْكَثِيرِ مِنْهُ ، فَيَبْقَى فِي الْعُرُوقِ وَالْكَبِدِ وَالْمَعْدَةِ ، وَتَتَزَايَدُ مَعَ الْيَامِ . وَكُلُّ ذِي رَطوبَةٍ مِنَ الْمَمْتَرِجَاتِ إِذَا لَمْ يَأْخُذْهُ الطَّبْخُ وَالنُّضْجُ يَعْقِنُ ؛ فَيَتَعَقَّنُ ذَلِكَ الْغِذَاءُ غَيْرُ النَّاضِجِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْخُلْطِ . وَكُلُّ مَتَعَقِّنٍ فِيهِ حَرَارَةٌ غَرِيبَةٌ ، وَتِلْكَ هِيَ الْمُسَمَّاةُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ بِالْحُمَى .

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِالطَّعَامِ إِذَا تُرِكَ حَتَّى يَتَعَقَّنَ وَفِي الزَّبَلِ إِذَا تَعَقَّنَ أَيْضًا ، كَيْفَ تَنْبَعِثُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَتَأْخُذُ مَاخِذَهَا . فَهَذَا مَعْنَى الْحُمَيَاتِ فِي الْأَبْدَانِ وَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرَاضِ ، وَأَصْلُهَا كَمَا وَقَعَ فِي

الحديث . ولهذه الحمياتُ علاجاتُ بقطعِ الغِذاءِ عن المريضِ أسابيحَ معلومةٌ ثم تناوله الأغذيةَ الملائمةَ حتى يتمَّ برؤه . وكذلك في حالِ الصِّحَّةِ له علاجٌ في التحفُّظِ من هذا المرضِ وغيره ، وأصله كما وقعَ في الحديثِ . وقد يكونُ ذلك العفنُ في عُضْوٍ مخصوصٍ ، فيتولدُ عنه مرضٌ في ذلك العضوِ ، أو تحدثُ جراحاتٌ في البدنِ : إما في الاعضاءِ الرئيسةِ ؛ أو في غيرها . وقد يمرضُ العضوُ ويحدثُ عنه مرضُ القوى الموجودةِ له . هذه كلها جماعُ الأمراضِ ، وأصلها في الغالبِ من الأغذيةِ ، وهذا كله مرفوعٌ إلى الطبيبِ .

ووقوعُ هذه الأمراضِ في أهلِ الحضرِ والأمصارِ أكثرُ ، لحسبِ عيشهم ، وكثرةِ مآكلهم ، وقلةِ اقتصارهم على نوعٍ واحدٍ من الاغذيةِ ، وعدمِ توقيتهم لتناولها . وكثيراً ما يخلطون بالأغذيةِ من التوابلِ والبقولِ والفواكهِ ، رطباً ويابساً ، في سبيلِ العلاجِ بالطبخِ ، ولا يقتصرونَ في ذلك على نوعٍ أو أنواعٍ . فربما عددنا في اللونِ الواحدِ من ألوانِ الطبخِ أربعينَ نوعاً من النباتِ والحيوانِ ، فيصيرُ للغذاءِ مزاجٌ غريبٌ . وربما يكونُ بعيداً عن ملاءمةِ البدنِ وأجزائه . ثم إنَّ الأهويةَ في الأمصارِ تفسدُ بمخالطةِ الأبخرةِ العفنةِ من كثرةِ الفضلاتِ . والأهويةُ منشطةٌ للأرواحِ ومقويةٌ بنشاطها لأثرِ الحارِّ الغريزيِّ في الهضمِ . ثم الرياضةُ مفقودةٌ لأهلِ الأمصارِ ، إذ هم في الغالبِ وادعونَ ساكنونَ ، لا تأخذُ منهم الرياضةُ شيئاً ، ولا تؤثِّرُ فيهم أثراً ؛ فكانَ وقوعُ الأمراضِ كثيراً في المدنِ والأمصارِ ، وعلى قدرِ وقوعه كانت حاجتهمُ إلى هذه الصناعةِ .

وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَأَكُوهُمْ قَلِيلٌ فِي الْغَالِبِ ، وَالْجُوعُ أَغْلَبُ عَلَيْهِمْ لِقَلَّةِ الْحُبُوبِ ، حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَةً . وَرَبَّمَا يُظَنُّ أَنَّهَا جِيلَةٌ لَا اسْتِمْرَارَ لَهَا . ثُمَّ الْأَذْمُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ مَفْقُودَةٌ بِالْجَمَلَةِ . وَعِلَاجُ الطَّبَخِ بِالتَّوَابِلِ وَالْفَوَاكِهِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهِ تَرَفُ الْحِضَارَةِ الَّذِينَ هُمْ بِمَعَزَلٍ عَنْهُ ؛ فَيَتَنَاوَلُونَ أَغْذِيَتَهُمْ بِسِيطَةٍ بَعِيدَةٍ عَمَّا يُخَاطِبُهَا وَيَقْرَبُ مَزَاجَهَا مِنْ مُلَاءَمَةِ الْبَدَنِ . وَأَمَّا أَهْوِيَّتُهُمْ فَقَلِيلَةُ الْغَفَنِ ، لِقَلَّةِ الرُّطُوبَاتِ وَالْعَفُونَاتِ ، إِنْ كَانُوا أَهْلِينَ ؛ أَوْ لاختلافِ الْأَهْوِيَّةِ إِنْ كَانُوا ظَوَاعِينَ .

ثُمَّ إِنْ الرِّيَاضَةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ مِنْ كَثَرَةِ الْحَرَكَةِ فِي رَكْضِ الْخَيْلِ أَوْ الصَّيْدِ أَوْ طَلَبِ الْحَاجَاتِ أَوْ مَهْنَةِ أَنْفُسِهِمْ فِي حَاجَاتِهِمْ ؛ فَيَحْسُنُ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْهَضْمُ وَيَجُودُ وَيُفْقَدُ إِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ . فَتَكُونُ أَمْرَجَتُهُمْ أَصْلَحَ وَأَبْعَدَ عَنِ الْأَمْرَاضِ ، فَتَقِلُّ حَاجَتُهُمْ إِلَى الطَّبِّ . وَلِهَذَا لَا يَوْجَدُ الطَّبِيبُ فِي الْبَادِيَةِ بَوَاجِهِ . وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِلْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ ، إِذْ لَوْ احتِيجَ إِلَيْهِ لَوُجِدَ . لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ فِي الْبَدْوِ مَعَاشٌ يَدْعُوهُ إِلَى سُكْنَاهُ . ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

الفصل الثالثون

في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية

وهو رسوم وأشكالٌ حرفيةٌ تدلُّ على الكلماتِ المسموعةِ الدالةِ على ما في النفسِ . فهو ثاني رتبةٍ عن الدلالةِ اللغويةِ ، وهو صناعةٌ شريفةٌ ، إذ الكتابةُ من خواصِّ الانسانِ التي يُميّزُ بها عن الحيوانِ . وأيضاً فهي تُطْلَعُ على ما في الضمائرِ وتتأدَّى بها الأغراضُ إلى البلدِ البعيدِ ، فتقضى الحاجاتُ ، وقد دُفِعتْ مؤونةُ المباشرةِ لها ، ويُطْلَعُ بها على العلومِ والمعارفِ وصُحُفِ الأولينَ ، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم ، فهي شريفةٌ بجميع هذه الوجوه والمنافع . وخروجها في الانسانِ من القُوَّةِ إلى الفعلِ إنما يكون بالتعليمِ ، وعلى قدرِ الاجتماعِ والعمرانِ والتناغمي في الكمالاتِ والطلبِ لذلك ، تكونُ جودةُ الخطِّ في المدينةِ إذ هو من جملةِ الصنائعِ . وقد قدّمنا أنَّ هذا شأنها وأنها تابعةٌ للعمرانِ ، ولهذا نجدُ أكثرَ البدوِّ أميينَ لا يكتبون ولا يقرأون ، ومن قرأ منهم أو كتبَ فيكونُ خطُّه قاصراً وقراءتهُ غيرَ نافذةٍ . ونجدُ تعليمَ الخطِّ في الأمصارِ الخارجِ عمرانها عن الحدِّ أبلغَ وأحسنَ وأسهلَ طريقاً ، لاستحكامِ الصناعةِ فيها . كما يُحكى لنا عن مصرَ لهذا العهدِ ، وأنَّ بها معلمينَ مُتَّصِينَ لتعليمِ الخطِّ يُلَقَّونَ على المتعلِّمِ قوانينَ وأحكاماً في وضعِ كلِّ حرفٍ ، ويزيدونَ الى ذلك المباشرةَ بتعليمِ وضعهِ ،

فتعزّضُ لديه رتبةُ العلمِ والحسِّ في التعليمِ ، وتأتي مَلَكتُهُ على
أتمِّ الوجوه .

وإنما أتى هذا من كمالِ الصنائعِ ووفورِها بكثرةِ العمرانِ
وانفساحِ الأعمالِ . وليس الشأنُ في تعليمِ الخطِّ بالأندلسِ والمغربِ
كذلك في تعلُّمِ كلِّ حرفٍ بانفراده ، على قوانينِ يلقيها المعلمُ للمتعلمِ ،
وإنما يتعلمُ بمحاكاةِ الخطِّ من كتابةِ الكلماتِ جملةً . ويكون ذلك
من المتعلمِ ومطالعةِ المعلمِ له ، إلى أن يحصلَ له الاجادةُ ويتمكنَ
في بنائه الملكةُ ؛ فيسمى مجيداً . وقد كان الخطُّ العربيُّ بالغاً مبالغتهُ
من الإحكامِ والاتقانِ والجودةِ في دولةِ التباينةِ ، لما بلغت من
الحضارةِ والتّرفِ ، وهو المسمى بالخطِّ الحُمَيْرِيِّ . وانتقل منها الى
الحيرةِ لما كانَ بها من دولةِ آلِ المنذِرِ نُسباءِ التباينةِ في العصبيةِ ،
والمجديدينَ لملكِ العربِ بأرضِ العراقِ . ولم يكن الخطُّ عندهم من
الاجادةِ كما كان عندَ التباينةِ ، لقصورِ ما بينَ الدولتينِ . فكانت
الحضارةُ وتوابعُها من الصنائعِ وغيرها قاصرةً عن ذلك . ومن الحيرةِ
لَقِنَةُ أَهْلِ الطائفِ وقريشٍ فيما ذكر . ويقالُ : إنَّ الذي تعلَّمِ الكتابةَ
من الحيرةِ هو سُفْيَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وأخذها
من أسلمَ بنِ سدرَةَ . وهو قولٌ ممكنٌ ، وأقربُ ممن ذهبَ إلى
أنهم تعلّموها من إيادِ أَهْلِ العراقِ لقولِ شاعرهم :

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ ، إِذَا سَارُوا جَمِيعاً ، وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وهو قولٌ بعيدٌ ، لأنَّ إياداً ، وإن نزلوا ساحةَ العراقِ ؛ فلم

يزالوا على شأنهم من البداوة. والخطُّ من الصنائع الحضريّة. وإِنَّمَا
 معنى قول الشاعر أَنهم أَقْرَبُ إِلَى الخطِّ والقلمِ من غيرهم من
 العرب ، لُقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَاحِيهَا ؛ فالقولُ بأنَّ أَهْلَ
 الْحِجَازِ إِنَّمَا لُقِنُوهَا مِنَ الْحِيرَةِ ، وَلُقِنَهَا أَهْلُ الْحِيرَةِ مِنَ التَّبَاعَةِ وَحِمِيرِ
 هُوَ الْأَلْيَقُ مِنَ الْأَقْوَالِ . ورأيت في كتاب التكملة لابن الأَبَارِ ،
 عند التعريف بابن فروخ القيرواني القاسي الأندلسي ، من أصحاب
 مالك رضي الله عنه ، واسمه عبدالله بن فروخ بن عبدالرحمن بن زياد
 ابن أنعم ، عن أبيه قال : قلت لعبدالله بن عباس : يا معشر قريش !
 خبروني عن هذا الكتاب العربي ، هل كنتم تكتبونه قبل أن
 يبعث الله محمداً ﷺ ، تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما
 افترق ، مثل الألف واللام ، والميم والنون ؟ قال نعم قلت : وممن
 أخذقوه ؟ قال من حرب بن أمية . قلت : وممن أخذه حرب ؟ قال
 من عبدالله بن جدعان . قلت : وممن أخذه عبدالله بن جدعان ؟
 قال من أهل الأنبار . قلت : وممن أخذه أهل الأنبار ؟ قال من
 طاريء طراً عليه من أهل اليمن . قلت : وممن أخذه ذلك الطاريء ؟
 قال من الخُلُجَّان بن القسم كاتب الوحي لهُود النبي عليه السلام .
 وهو الذي يقول :

أَفِي كُلِّ عَامٍ سُنَّةٌ تُحَدِّثُونَهَا ورأيٌ على غير الطريق يُعَبَّرُ
 وَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ تَسْبُنَا بِهَا جُرْهُمُ فَيَمْنُ يُسَبُّ وَخَيْرُ

انتهى ما نقله ابن الأَبَار في كتاب التكملة . وزاد في آخره :

حدثني بذلك أبو بكر بن أبي حمير في كتابه عن أبي بحر بن العاص
عن أبي الوليد الوقشي عن أبي عمر الطلمنكي ابن أبي عبدالله ابن
مفرح . ومن خطه نقلته عن أبي سعيد بن يونس عن محمد بن موسى
ابن النعمان عن يحيى بن محمد بن حشيش بن عمر بن أيوب المغافري
التونسي عن بهلول بن عبيدة الحمي عن عبدالله بن فروخ . انتهى .
وكان لحمير كتابته تسمى المسند حروفها منفصلة ، وكانوا
يُمنعون من تعلّمها إلا بإذنهم . ومن حمير تعلّمت مُضَرُّ الكتابة
العربية ، إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت
بالبدو ، فلا تكون محكمة المذهب ولا ماثلة إلى الإتقان والتنميق
لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الأكثر ؛
فكانت كتابة العرب بدويةً مثل كتابتهم أو قريباً من كتابتهم
لهذا العهد ، أو نقول إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعةً ، لأنّ
هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول . وأما مُضَرُّ
فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن وأهل
العراق وأهل الشام ومصر ؛ فكان الخط العربي لأوّل الإسلام
غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والاتقان والإجادة ، ولا إلى
التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعديهم عن الصنائع .
وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه
الصحابه بخطوطهم ، وكانت غير مُستحكمة في الإجادة ، فخالف
الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند
أهلها . ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبرّكاً بما رسمه

أصحابُ رسول الله ﷺ ، وخيرُ الخلق من بعدي المتلقونَ لوجيه من كتابِ الله وكلامه ، كما يُقتفى لهذا العهد خطُّ وليٍّ أو عالم تبرُّكاً ، ويُتبعُ رسمُه خطأً أو صواباً . وأينَ نسبةُ ذلك من الصحابةِ فيما كتبوه ، فأتبعَ ذلك وأثبتَ رسماً ، ونسبةَ العلماء بالرسمِ على مواضعه .

ولا تلتفتنَ في ذلك إلى ما يزعمه بعضُ المغفلينَ من أنهم كانوا حَكَمِينَ لصناعةِ الخطِّ ، وأنَّ ما يُتَخَيَّلُ من مخالفةِ خُطوطِهِم لأصولِ الرسمِ ليس كما يُتَخَيَّلُ ؛ بل لكُلِّها وجهٌ . ويقولونَ في مثلِ زيادةِ الألفِ في لا أدبجتهُ : إنه تنبيهٌ على أنَّ الذبحَ لم يقع ، وفي زيادةِ الياءِ في «بأيدهُ» إنه تنبيهٌ على كمالِ القدرةِ الربَّانيةِ ، وأمثالُ ذلك مما لا أصلَ له إلا التحكُّمُ المحضُ . وما حملهم على ذلك إلا اعتقادُهم أنَّ في ذلك تنزيهاً للصحابةِ عن توهمِ النقصِ في قلةِ إجادَةِ الخطِّ . وحسبوا أن الخطَّ كمالٌ ، فزَّهَّوهم عن نقصِهِ ، ونسبوا إليهم الكمالَ بإجادتهِ ، وطلبوا تعليلَ ما خالفَ الإجادَةَ من رسمه ، وذلك ليس بصحيحٍ . واعلم أنَّ الخطَّ ليس بكمالٍ في حقِّهم ، إذ الخطُّ من جملةِ الصنائعِ المَدَنِيَّةِ المَعاشِيَّةِ كما رأيتُهُ فيما مرَّ . والكمالُ في الصنائعِ إضافيٌّ ، وليس بكمالٍ مطلقٍ ، إذ لا يعودُ نقصُهُ على الذاتِ في الدينِ ولا في الخلالِ ، وإنما يعودُ على أسبابِ المعاشِ ، وبحسبِ العمرانِ والتعاونِ عليه لاجلِ دلالتهِ على ما في النفوسِ . وقد كان النبي ﷺ أَمِيّاً ، وكان ذلك كمالاً في حقِّهِ ، وبالنسبةِ إلى مقامه ، لشرفِهِ وتنزُّهِهِ عن الصنائعِ العَمَلِيَّةِ ، التي

هي أسبابُ المعاشِ والعُمرانِ كُلِّها . وليست الأُمِّيَّةُ كَمَلاً في حِصْنِنا نحنُ ، إذ هو منقَطِعٌ إلى رَبِّهِ ، ونحنُ متعاونونَ على الحياةِ الدُنيا ، شأنُ الصنائعِ كُلِّها ، حتى العلومِ الاصطلاحِيَّةِ . فإنَّ الكَمالَ في حِقِّهِ هو تنزُّهُهُ عنها جملةً بخلافنا .

ثم لما جاء المُلُكُ للعربِ ، وفَتَحُوا الأَمصارَ ، وملَكُوا الممالكَ ونَزَلُوا البصرةَ والكوفةَ ، واحتاجتِ الدولةُ إلى الكتابةِ ، استعملُوا الخطَّ وطلبوا صناعتَهُ وتعلَّمُوهُ وتداولُوهُ ؛ فترَقَّتْ الإِجادَةُ فيه ، واستحكمتْ ، وبلغَ في الكوفةِ والبصرةِ رتبةً من الإتقانِ ، إلا أنها كانت دونَ الغايةِ . والخطُّ الكوفيُّ معروفُ الرسمِ لهذا العهدِ .

ثم انتَشَرَتِ العربُ في الأقطارِ والممالكِ ، وافتتَحُوا إفريقياً والأندلسَ ، واختطَّ بنو العبَّاسِ بغدادَ وترَقَّتْ الخطوطُ فيها إلى الغايةِ ، لما استبحَرَتْ في العُمرانِ ، وكانت دارُ الإسلامِ ومركزُ الدولةِ العربيَّةِ ، وخالفت أوضاعَ الخطِّ ببغدادَ أوضاعه بالكوفةَ ، في الميلِ إلى إِجادَةِ الرسومِ وجمالِ الرنقِ وحسنِ الرواءِ . واستحكمت هذه الخِلافَةُ في الأَمصارِ إلى أن رفعَ رايتها ببغدادَ عليُّ بنُ مقلَّةَ الوزيرِ ثم تلاه في ذلك عليُّ بنُ هلالٍ ، الكاتبُ الشهيرُ بابنِ البوابِ ، ووقفَ سندَ تعليمها عليه في المائةِ الثالثةِ وما بعدها . وبعُدَتْ رسومُ الخطِّ البَغْدادِيِّ وأوضاعه عن الكوفةَ ، حتى انتهى إلى المِباينةِ . ثم ازدادت الخِلافَةُ بعد تلك العصورِ بتفنُّنِ الجهابِذةِ في إحكامِ رسومه وأوضاعه ، حتى انتهت إلى المتأخِّرين مثلِ ياقوتٍ والوليِّ عليِّ العجميِّ . ووقفَ سندَ تعليمِ الخطِّ عليهم ، وانتقلَ ذلك

إلى مصر ، وخالفت طريقة العراق بعض الشيء ، ولقّنها العجم هنالك ؛ فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو مباينة . وكان الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد يقرب من أوضاع الخط المشرقي . وتميّز ملك الأندلس بالأُمويين ؛ فتميّزوا بأحوايلهم من الحضارة والصنائع والخطوط ؛ فتميّز صنف خطهم الأندلسي ، كما هو معروف الرسم لهذا العهد . وطما بحرُ العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر . وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها (١) ، ومُلئت بها القصور والخزائن الملوّنة بما لا كفاء له ، وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه .

ثم لما انحَلَّ نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ، ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة ؛ فانتقل شأنها من الخط والكتابة ، بل والعلم إلى مصر والقاهرة ؛ فلم تزل أسواقها بها نافذة لهذا العهد . وللخط بها معلّمون يُرُسُّون للتعلّم الحروف بقوانين في وضعها . وأشكالها متعارفة بينهم . فلا يلبث المتعلّم أن يُحكّم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع . وقد لقّنها حسناً وحديق فيها دُرّةً وكتاباً ، وأخذها قوانين عملية ؛ فتجبي أحسن ما يكون .

وأما أهل الأندلس ، فافترقوا في الأقطار ، عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلّفهم من البربر ، وتغلّبت عليهم أمم النصرانية ،

(١) كذا ، وفي ب : وتجليدها .

فانتشروا في عُدوةِ المغربِ وإفريقيّةٍ ، من لدن الدولة الممتونيّةِ إلى هذا العهدِ . وشاركوا أهلَ العُمرانِ بما لديهم من الصنائعِ ، وتعلّقوا بأذيالِ الدولةِ ؛ فغلَبَ خطُّهم على الخطِّ الإفريقيّ وعقّى عليه . ونُسِيَ خطُّ القَيْرَوَانِ والمهديّةِ بنسيانِ عوانديهما وصنائيهما . وصارت خُطوطُ أهلِ إفريقيّةٍ كلّها على الرسمِ الأندلسيّ بتونسَ وما إليها ، لتوفّرِ أهلَ الأندلسِ بها عند الجاليّةِ من شرقِ الأندلسِ . وبقي منه رسمٌ ببلادِ الجريدِ الذين لم يخالطوا كتابَ الأندلسِ ولا تمرّسوا بجوارِهم . إنما كانوا يفدونَ على دارِ الملكِ بتونسَ ؛ فصار خطُّ أهلِ إفريقيّةٍ من أحسنِ خُطوطِ أهلِ الأندلسِ ؛ حتى إذا تقلّصَ ظلُّ الدولةِ الموحّديّةِ بعضَ الشيءِ ، وتراجعَ أمرُ الحضارةِ والترّفِ بتراجعِ العُمرانِ ، نقصَ حينئذٍ حالُ الخطِّ وفُسدَتِ رُسومُهُ ، وجُهلَ فيه وجهُ التعليمِ بفسادِ الحضارةِ وتناقصِ العُمرانِ . وبقيت فيه آثارُ الخطِّ الأندلسيّ ، تشهدُ بما كان لهم من ذلكَ ، لما قدّمناه من أن الصنائعَ إذا رسختْ بالحضارةِ فيعسرُ محوُّها . وحصلَ في دولةِ بني مرّينَ من بعدِ ذلكَ بالمغربِ الأقصى لونٌ من الخطِّ الأندلسيّ ، لقربِ جوارِهم وسقوطِ من خرجَ منهم إلى فاسَ قريباً ، واستعمالهم إياهم سائرَ الدولةِ . ونُسِيَ عهدُ الخطِّ فيما بعدَ عن سُدّةِ الملكِ ودارِهِ كأنه لم يُعرفَ . فصارت الخُطوطُ بإفريقيّةٍ والمغربيينَ ماثلةً الى الرداءةِ بعيدةً عن الجودةِ ، وصارت الكتبُ إذا انشِختْ فلا فائدةَ تحضُلُ لمُتصِفِها منها ، إلا العنايةُ والمشقةُ لكثرةِ ما يقعُ فيها من الفسادِ والتصحيفِ وتغييرِ

الأشكال الخبيثة عن الجودة ، حتى لا تكاد تُقرأ إلا بعد عُسْرِ .
ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع ، بنقص الحضارة وفساد
الدول . والله يحكم لا معقب لحكمه .

وللاستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير
بابن البواب قصيدة^(١) من بحر البسيط^(٢) على رويِّ الراء يذكر فيها
صناعة الخط وموادها من أحسن ما كتب في ذلك . رأيت إثباتها
في هذا الكتاب من هذا الباب لينتفع بها من يريد تعلم هذه
الصناعة . وأولها :

يا من يريد إجادة التحرير	ويروم حسن الخط والتصوير
إن كان عزمك في الكتابة صادقاً	فارغب إلى مولاك في التيسير
أعِدْ من الأقلام كلَّ مثقّف	صلب يصوغ صناعة التحرير
وإذا عمدت لبريه فتوخّه	عند القياس بأوسط التقدير
أنظر إلى طرفيه فاجعل برّيه	من جانب التدقيق والتخضير
واجعل جلفته قواماً عادلاً	خلواً عن التطويل والتقصير
والشقّ وسطه ليبقى برّيه	من جانبيه مُشاكِلَ التقدير
حتى إذا اتقنت ذلك كله	فالقَطُّ فيه جملة التدبير
لا تطمعن في أن أبوح بسرّه	إني أضنُّ بسرّه المستور
لكنّ جملة ما أقول بآئه	ما بين تحريف إلى تدوير
وألِقْ دوائك بالدخان مدبراً	بالخلّ أو بالخصم المعصور

(١) كذا بالأصل ، وهذه القصيدة هي من بحر الكامل .

وأضف إليه مغرةً قد صوّلت
حتى إذا ما نُجِّرت فاعمد إلى
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كي
ثم اجعل التمثيل دأبك صابراً
ابداً به في اللوح مُنْتَضِياً له
لا تُخْجَلَنَّ من الردى تُخْطِطُهُ
فالأمر يصعب ثم يرجع هيناً
حتى إذا أدركت ما أملت
فاشكر آلهك واتبِعْ رضوانه
وارغب لكفك أن تُخْطَّ بِنَانِهَا
فجميع فعل المرء يلقاهُ غداً
مع أصفر الزَّنبِيخِ والكافورِ
الوَرَقِ النقيِّ الناعمِ المخبورِ
ينأى عن التشغيثِ والتغيرِ
ما أدرك المأمول مثل صبورِ
عزماً تجرِّده عن التسميرِ
في أوّل التمثيل والتسطيرِ
ولربّ سهل جاء بعد عسيرِ
اضحيت ربّ مسرة وجورِ
أنّ الإله يجب كلّ شكورِ
خيراً تُخْلِفُهُ بدارِ غُورِ
عند الشقاء كتابة المنشورِ

واعلم بأنّ الخطّ بيان عن القول والكلام ، كما أن القول
والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني ؛ فلا بد لكل
منهما أن يكون واضح الدلالة .

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلِمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(١) وهو يشمل
بيان الأدلّة كلها . فالخط المجوّد كماله أن تكون دلالاته واضحة ،
بإبانة حروفه المتواضعة وإجادة وضعها ورسمها كلّ واحدٍ على
حدة متميز عن الآخر ؛ إلّا ما اصطلاح عليه الكتاب من إيصال
حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض ، سوى حروف اصطلاحوا

(١) آية ٣ و ٤ من سورة الرحمن .

على قطعها ، مثل الألف المتقدمة في الكلمة ، وكذا الراء والزاي والذال والذال وغيرها ؛ بخلاف ما إذا كانت متأخرة ، وهكذا إلى آخرها . ثم إن المتأخرين من الكتاب اصطلاحوا على وصل كلمات ، بعضها ببعض ، وحذف حروف معروفة عندهم ، لا يعرفها إلا أهل مصطلحهم فتستعجم على غيرهم . وهؤلاء كتّاب دواوين السلطان وسجلات القضاة ؛ كأنهم انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم ، لكثرة موارد الكتابة عليهم ، وشهرة كتابتهم وإحاطة كثير من دونهم بمصطلحهم . فإن كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي أن يعدلوا عن ذلك إلى البيان ما استطاعوه ؛ وإلا كان بمثابة الخط الأعجمي ، لأنها بمنزلة واحدة من عدم التواضع عليه . وليس بعذر في هذا القدر ؛ إلا كتاب الأعمال السلطانية في الأموال والجيوش ، لأنهم مطلوبون بكتمان ذلك عن الناس ؛ فإنه من الاسرار السلطانية التي يجب إخفاؤها ، فيبالغون في رسم اصطلاح خاص بهم ، ويصير بمثابة المعنى . وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف بكلمات من أسماء الطيب والفواكه والطيور أو الأزاهر ، ووضع أشكال أخرى غير أشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة . وربما وضع الكتاب للعشور على ذلك ، وإن لم يضعوه أولاً ، قوانين بمقاييس استخراجوها لذلك بمدار كمهم يسمونها فك المعنى . وللناس في ذلك دواوين مشهورة . والله العليم الحكيم .

الفصل الحادي والثلاثون

في صناعة الوراقة

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات ، في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط . وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة . وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران ، بعد ان كان منه في الملة الاسلامية محرّ زاهر بالعراق والاندلس ، إذ هو كلّه من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق اسواق ذلك لديها . فكثر التأليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار ؛ فانسخت وجلّت . وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران . وكانت السجلات أوّلاً لانتساخ العلوم ، وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات ، والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد ، لكثرة الرفه وقلة التأليف صدر الملة كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك ؛ فاقصروا على الكتاب في الرقّ تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها الى الصحة والاتقان .

ثم طما بحر التأليف والتدوين ، وكثرت إرسال السلطان وصكوكه وضاق الرقّ عن ذلك . فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد ،

وَصَنَعَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلَ السُّلْطَانِ وَصَكُوكَهُ . وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ مِنْ
بَعْدِهِ صُحُفًا لِمَكْتُوبَاتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ . وَبَلَغَتْ الْإِجَادَةُ فِي
صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ . ثُمَّ وَقَفَتْ عِنَايَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهَمُّ أَهْلِ الدُّوَلِ ،
عَلَى ضَبْطِ الدَّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَصْحِيحِهَا بِالرَّوَايَةِ الْمُسْنَدَةِ إِلَى مَوْلَاهَا
وَوَاضِعِهَا ، لِأَنَّهُ الشَّأْنُ الْأَهَمُّ مِنَ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ ؛ فَبِذَلِكَ
تُسْنَدُ الْأَقْوَالُ إِلَى قَائِلِهَا ، وَالْفُتْيَا إِلَى الْحَاكِمِ بِهَا الْمُجْتَهِدِ فِي طَرِيقِ
اسْتِبَاطِهَا . وَمَا لَمْ يَكُنْ تَصْحِيحُ الْمَتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مَدَوْنِهَا ، فَلَا
يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلٍ لَهُمْ وَلَا فُتْيَا . وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَحَمَلَتِهِ فِي الْعَصُورِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ . حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَائِدَةُ
الصِّنَاعَةِ الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرَّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ فَقَطْ ، إِذْ ثَمَرَتِهَا الْكُبْرَى
مِنْ مَعْرِفَةِ صَحِيحِ الْأَحَادِيثِ وَحَسَنِهَا وَمُسْنَدِهَا وَمُرْسَلِهَا وَمَقْطُوعِهَا
وَمَوْقُوفِهَا مِنْ مَوْضُوعِهَا ، قَدْ ذَهَبَتْ وَتَمَحَّضَتْ زُبْدَةٌ فِي تِلْكَ
الْأُمَمَاتِ الْمُتَلَقَّاةِ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأُمَّةِ . وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لَفْوًا
مِنَ الْعَمَلِ . وَلَمْ تَبْقَ ثَمَرَةُ الرَّوَايَةِ وَالِاسْتِغَالِ بِهَا ، إِلَّا فِي تَصْحِيحِ
تِلْكَ الْأُمَمَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ ، وَسِوَاهَا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ لِلْفُتْيَا ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالتَّأْلِيفِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَاتِّصَالَ سَنَدِهَا بِمَوْلَاهَا ،
لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ . وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ
وَالْأَنْدَلُسِ مَعْبَدَةً الطَّرِيقِ وَاضِحَةً الْمَسَالِكِ . وَلِهَذَا نَجَدُ الدَّوَاوِينَ
الْمُنْتَسَخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ
وَالصِّحَّةِ . وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ أَصُولٌ عَتِيقَةٌ
تَشْهَدُ بِلَوْغِ الْغَايَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ . وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنَ

ويشدُّون عليها يدَ الضنَّانة . ولقد ذهبَتْ هذه الرسومُ لهذا العهدِ جملةً بالمغربِ وأهله ، لانقطاعِ صناعةِ الخطِّ والضبطِ والروايةِ منه بانتقاصِ عُمرانه وبدَاوةِ أهله . وصارتِ الأمَّهاتُ والدواوينُ تُنسخُ بالخطوطِ البدويَّةِ ، يَنسخُها طلبةُ البربرِ صحائفَ مستعجمةً برداءةِ الخطِّ وكثرةِ الفسادِ والتصحيفِ ؛ فتستغلِقُ على متصحِّحها ، ولا يحصلُ منها فائدةٌ إلا في الأقلِّ النادرِ .

وأيضاً فقد دخلَ الخلُّ من ذلك في الفُتيا ؛ فإنَّ غالبَ الأقوالِ المعروضةِ غيرُ مرويةٍ عن أئمةِ المذهبِ ، وإنما تُتَلَقَّى من تلك الدواوينِ على ما هي عليه . وتبع ذلك أيضاً ما يتصدَّى إليه بعضُ أئمتهم من التآليفِ لقلَّةِ بَصَرهم بصناعتِهِ ، وعدمِ الصنائعِ الوافيةِ بمقاصده . ولم يبقَ من هذا الرسمِ بالآندلسِ ، إلا اثارَةٌ خفيَّةٌ بالأنحاءِ ، وهي على الاضمحلالِ . فقد كاد العلمُ ينقطعُ بالكليةِ من المغربِ . واللهُ غالبٌ على أمره .

ويبلغنا لهذا العهدِ أنَّ صناعةَ الروايةِ قائمةٌ بالشرقِ ، وتصحيحُ الدواوينِ لمن يرومه بذلك سهلٌ على مبتغيهِ ، لنفاقِ أسواقِ العلومِ والصنائعِ كما نذكره بعدُ . إلا أنَّ الخطَّ الذي بقي من الإِجادةِ في الانتساخِ هنالك إنما هو للعجمِ ، وفي خُطوطِهِم . وأما النسخُ بمصرَ ففسدَ كما فسدَ بالمغربِ وأشدَّ . واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ ، وبه التوفيقُ .

الفصل الثاني والثلاثون

في صناعة الغناء

هذه الصناعة هي تلحينُ الأَشعارِ الموزونة ، بتقطيعِ الأصواتِ على نِسَبٍ منتظمةٍ معروفةٍ ، يوقَّعُ على كل صوتٍ منها توقيعاً عند قطعِهِ فيكونُ نَغْمَةً . ثم تؤلَّفُ تلك النغمُ بعضها إلى بعضٍ على نِسَبٍ متعارفةٍ فيلذُّ سماعُها لاجلِ ذلك التناسبِ ، وما يحدث عنه من الكيفيةِ في تلك الأصواتِ . وذلك أنه تبين في علمِ الموسيقى أنَّ الأصواتِ تتناسبُ ، فيكونُ : صوتٌ ، نصفُ صوتٍ ، ورُبُعُ آخرَ ، وخمُسُ آخرَ ، وجزءٌ من أحد عشر من آخرَ . واختلافُ هذه النَسَبِ ، عند تأديتها الى السَّمْعِ ، يُخرِجُها من البساطةِ إلى التركيبِ . وليس كلُّ تركيبٍ منها ملذوذاً عند السَّمْعِ ، بل للملذوذِ تركيبٌ خاصٌّ هي التي حصَّرها أهلُ علمِ الموسيقى ؛ وتكلَّموا عليها كما هو مذكورٌ في موضِعِهِ . وقد يساوقُ ذلك التلحينُ في النغماتِ الغنائيةِ بتقطيعِ أصواتٍ أخرى من الجماداتِ ، إما بالقرعِ أو بالنفخِ في آلاتٍ تُتخذُ لذلك ، فتزيدها لذةً عند السَّمْعِ . فمنها لهذا العهدِ بالمغربِ أصنافٌ : منها المزمارُ ويسمونه الشَّبابَةَ ، وهي قصبةٌ جوفاءٌ بأبخاشٍ في جوانبها معدودةٌ ، يُنفخُ فيها فتصوَّتُ . ويخرُجُ الصوتُ من جوفها على سِدادةٍ من تلك الأبخاشِ . ويُقطعُ الصوتُ بوضعِ الأصابعِ من اليدينِ جميعاً على

تلك الأبخاش وضعاَ متعارفاً ، حتى تحدث النسبُ بين الأصواتِ فيه ، وتتصل كذلك متناسبةً ؛ فيلتدّ السمعُ بأدراكها للتناسبِ الذي ذكرناه . ومن جنسِ هذه الآلةِ المزمارُ الذي يُسمّى الزلامي ، وهو شكلُ القصبةِ منحوتةِ الجانبينِ من الخشبِ ، جوفاء من غير تدويرٍ لأجلِ ائتلافها من قطعتينِ منفوذتينِ كذلك بأبخاشٍ معدودةٍ ؛ ينفخُ فيها بقصبةٍ صغيرةٍ توصلُ ؛ فينفذُ النفخُ بواسطتها إليها ، وتصوّتُ بنغمةٍ حادثةٍ . ويجري فيها من تقطيعِ الأصواتِ من تلك الأبخاشِ بالأصابعِ مثلَ ما يجري في الشبابةِ .

ومن أحسنِ آلاتِ الزمرِ لهذا العهدِ البوقُ ، وهو بوقٌ من نحاسٍ ، أجوف في مقدارِ الذراعِ ، يتّسعُ إلى أن يكونَ انفراجُ مخرجهِ في مقدارِ دَوْرِ الكفِّ في شكلِ بَريِ القلمِ . وينفخُ فيه بقصبةٍ صغيرةٍ تؤدّي الرّيحَ من الفمِ إليه ، فيخرجُ الصوتُ ثخيناً دويّاً ، وفيه أبخاشٌ ايضاً معدودةٌ . وتُقطعُ نغمةٌ منها كذلك بالأصابعِ على التناسبِ ، فيكونُ ملذوداً . ومنها آلاتُ الأوتارِ وهي جوفاءُ كلّها : إما على شكلِ قطعةٍ من الكرةِ ، مثل البربطِ والربابِ ؛ أو على شكلِ مربعٍ كالقانونِ ، توضعُ الأوتارُ على بساطها مشدودةً في رأسها إلى دُسرٍ جائلةٍ ليتأقّى شدُّ الأوتارِ ورخوها عند الحاجةِ إليه بآدائها . ثم تُقرعُ الأوتارُ إمّا بعودٍ آخرٍ أو بوترٍ مشدودٍ بين طَرَفَيْ قوسٍ يمرُّ عليها بعد أن يُطلى بالشمعِ والكندرِ . ويُقطعُ الصوتُ فيه بتخفيفِ اليدِ في إمراره أو نقله من وترٍ إلى وترٍ . واليدُ اليسرى مع ذلك في جميعِ آلاتِ الأوتارِ توقّعُ

بأصابعها على أطراف الأوتار ، فيما يُقرعُ أو يُحكُّ بالوتر ؛ فتحدثُ الأصواتُ متناسبةً ملذوذةً . وقد يكونُ القرعُ في الطسوتِ بالقضبانِ أو في الأعوادِ بعضها ببعضٍ ، على توقيعٍ متناسبٍ يحدثُ عنه التذاذُ بالمسموع .

ولنبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء . وذلك أن اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراكُ الملائمِ ؛ والمحسوسُ إنما تدركُ منه كيفيةٌ . فإذا كانت مناسبةً للمدركِ وملائمةً كانت ملذوذةً ؛ وإذا كانت منافيةً له مُنافرةً كانت مؤلمةً . فالملائمُ مِنَ الطعومِ ما ناسبت كَيْفِيَّتُهُ حَاسَةَ الذوقِ في مزاجها ، وكذا الملائمُ من الملموساتِ ، وفي الروائحِ ، ما ناسب مزاجَ الروحِ القلبيِّ البخاريِّ . لأنه المدركُ ، وإليه تُؤدِّيهِ الحاسةُ . ولهذا كانت الرياحينُ والأزهارُ العِطْرِيَّاتُ أحسنَ رائحةً وأشدَّ ملاءمةً للروحِ ، لغلبةِ الحرارةِ فيها ، التي هي مزاجُ الروحِ القلبيِّ .

وأما المُرْتِيَّاتُ والمسموعاتُ فالملائمُ فيها تناسبُ الاوضاعِ في أشكالها وكيفيةاتها ؛ فهو أنسبُ عند النفسِ وأشدُّ ملاءمةً لها . فإذا كان المُرْتِيُّ متناسباً في أشكالِهِ وتخطيطِهِ التي له بحسبِ مادتهِ ، بحيثُ لا يخرجُ عما تقتضيه مادتهُ الخاصَّةُ من كمالِ المناسبةِ والوضعِ ، وذلك هو معنى الجمالِ والحسنِ في كلِّ مدركٍ ، كان ذلك حينئذٍ مناسباً للنفسِ المدركةِ فتلتذُّ بإدراكِ ملاءمتها . ولهذا تجدُ العاشقينَ المستهترين^(١) في المحبةِ يُعبرونَ عن غايةِ محبتهم وعشقهم بامتزاجِ

(١) كذا ، وفي نسخة : المستهترين .

أرواحهم بروح المحبوب . وفي هذا سرُّ تفهمه إن كنتَ من أهله ، وهو اتِّحادُ المبدأ ، وإن كل ما سواك إذا نظرته وتأمَّلته رأيتَ بينك وبينه اتِّحاداً في البداية ، يشهد لك به اتِّحادُ كما في الكون . ومعناه من وجهٍ آخر أنَّ الوجودَ يُشركُ بين الموجوداتِ كما تقوله الحكماء . فتودُّ أن تترجَّع بما شاهدتَ فيه الكمالَ لتتحدَّ به ، بل ترومُ النفسُ حينئذٍ الخروجَ عن الوهم إلى الحقيقة التي هي اتِّحادُ المبدأ والكون . ولما كان أنسبُ الأشياءِ إلى الإنسانِ وأقربُها إلى مدركِ الكمالِ في تناسبِ موضوعها هو شكله الإنسانيُّ ، فكان إدراكُه للجمالِ والحسنِ في تخاطيطه وأصواته من المداركِ التي هي أقربُ إلى فطرته ، فيلهجُ كلُّ إنسانٍ بالحسنِ في المرنى أو المسموعِ بمقتضى الفطرة . والحسنُ في المسموعِ أن تكونَ الأصواتُ متناسبةً لا متنافرةً . وذلك أنَّ الأصواتَ لها كميَّاتٌ من الهمسِ والجرِّ والرخاوة والشدَّة والقلقَّة والضغطِ وغير ذلك ، والتناسبُ فيها هو الذي يوجبُ لها الحسنَ .

فأولاً : أن لا يخرجَ من الصوتِ إلى مدِّه دفعةً بل بتدريجٍ ، ثم يرجعُ كذلك وهكذا إلى المثلِ ، بل لا بدُّ من توسُّطِ المُغايرِ بين الصوتين . وتأمَّلْ هذا من استقباحِ أهلِ اللسانِ التراكيبَ من الحروفِ المتنافرة أو المتقاربة الخارجِ ، فانه من بابه .

وثانياً : تناسبُها في الأجزاء كما مرَّ أوَّلَ البابِ ؛ فيخرجُ من الصوتِ إلى نصفه أو ثلثه أو جزءٍ من كذا منه ، على حسب ما يكونُ التنقُّلُ مناسباً على ما حصره أهلُ صناعةِ الموسيقى . فإذا

كانت الأصواتُ على تناسُبٍ في الكيفياتِ كما ذكره أهلُ تلك الصنعةِ كانت ملائمةً ملذوذةً . ومن هذا التناسُبِ ما يكونُ بسيطاً ، ويكونُ الكثيرُ من الناسِ مطبوعين عليه ، لا يحتاجون فيه إلى تعليمٍ ولا صنعةٍ ، كما نجدُ المطبوعينَ على الموازينِ الشعريةِ وتوقيعِ الرقصِ وأمثالِ ذلك . وتسمي العامةُ هذه القابليةَ بالمضمارِ . وكثيرُ من القراءِ بهذه المثابةِ ، يقرأونَ القرآنَ ؛ فيجيدونَ في تلاحينِ أصواتهم كأنها المزاميرُ فيطربونَ بحسنِ مساقمهم وتناسُبِ نغماتهم . ومن هذا التناسُبِ ما يحدثُ بالتركيبِ ، وليس كلُّ الناسِ يستوي في معرفته ولا كلُّ الطبائعِ توافقُ صاحبها في العملِ به إذا عُلِمَ .

وهذا هو التلحينُ الذي يتكفلُ به علمُ الموسيقى ، كما نشرحُه بعدُ عند ذكرِ العلومِ . وقد أنكرَ مالكٌ رحمه الله تعالى القراءةَ بالتلحينِ ، وأجازها الشافعيُّ رضي الله تعالى عنه . وليس المرادُ تلحينَ الموسيقى الصناعيِّ ، فإنه لا ينبغي أن يُختلفَ في حظره ، إذ صناعةُ الغناءِ مباينةٌ للقرآنِ بكل وجهٍ ، لأنَّ القراءةَ والأداءَ تحتاجُ إلى مقدارٍ من الصوتِ لتعيينِ أداءِ الحروفِ من حيث إنباعِ الحركاتِ في مواضعها ، ومقدارُ المدِّ عند من يُطلِّفه أو يُقصرُه ، وأمثالُ ذلك . والتلحينُ أيضاً يتعينُ له مقدارٌ من الصوتِ لا يتمُّ إلا به من أجل التناسُبِ الذي قلناه في حقيقةِ التلحينِ . فاعتبارُ أحدهما قد يُخلُّ بالآخرِ إذا تعارضا . وتقديمُ التلاوةِ متميِّناً فراراً من تغييرِ الروايةِ المتنولةِ في القرآنِ ، فلا يمكنُ اجتماعُ التلحينِ والأداءِ المعتبرِ في

القرآن بوجه . وإنما المراد من اختلافهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه ، فيردّد أصواته ترديداً على نسبٍ يُذكرُهَا العالمُ بالغناء وغيره ، ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك . هذا هو محلُّ الخلاف . والظاهرُ تنزيهُ القرآن عن هذا كَلِّهِ كما ذهبَ إليه الإمامُ رحمه الله تعالى ، لأنَّ القرآنَ هو محلُّ خشوعٍ بذكرِ الموتِ وما بعده ؛ وليس مقامَ التذاذِ بإدراكِ الحَسَنِ من الأصواتِ . وهكذا كانت قراءةُ الصحابةِ رضي الله عنهم كما في أخبارهم .

وأما قوله ﷺ : لقد أوتيَ زمزماً من زميرِ آل داودَ ؛ فليس المرادُ به التريّدَ والتلحينَ ؛ إنما معناهُ حسنُ الصوتِ وأداءُ القراءةِ والإبانةُ في مخارجِ الحروفِ والنطقِ بها . وإذا قد ذكرنا معنى الغناء ، فاعلم أنه يحدثُ في العُمرانِ ، إذا توفّرَ وتجاوزَ حدَّ الضروريِّ إلى الحاجيِّ ، ثم إلى الكمالِيِّ ، وتفنّنوا فيه ؛ فتحدثُ هذه الصّناعةُ . لأنّه لا يستدعيها إلا من فرَغَ من جميعِ حاجاتهِ الضروريّةِ والمهمّةِ من المعاشِ والمنزلِ وغيره ، فلا يطلبها إلا الفارغونَ عن سائرِ أحوالهم تفنّناً في مذاهبِ الملوذاتِ . وكان في سلطانِ العَجَمِ قبلَ المِلَّةِ منها بحرٌ زاخرٌ في أمصارهم ومدنهم . وكان ملوكهم يتخذونَ ذلك ويولعونَ به ، حتى لقد كانَ لملوكِ الفرسِ اهتمامٌ بأهلِ هذه الصناعةِ ، ولهم مكانٌ في دولتهم ، وكانوا يحضرونَ مشاهدتهم ومجامعهم ويُغنّونَ فيها . وهذا شأنُ العَجَمِ لهذا العهدِ في كلّ أقطارٍ من آفاقهم ، ومملكةٍ من ممالكهم .

وأما العرب فكان لهم أولاً فنُّ الشعر ، يؤلّفون فيه الكلامَ أجزاءً متساويةً على تناسُبٍ بينها ، في عدّة حُرُوفها المتحرّكة والسّاكنة . ويفصّلون الكلامَ في تلك الأجزاء تفصيلاً يكونُ كلُّ جزءٍ منها مستقلاًّ بالافادة ، لا ينقطعُ على الآخر . ويُسمونه البيت . فيُلائِمُ الطّبعَ بالتجزئةِ أولاً ؛ ثمّ بتناسُبِ الأجزاء في المقاطع والمبادئ ؛ ثمّ بتأدية المعنى المقصودِ وتطبيّقِ الكلامِ عليها . فلهجوا به ، فامتازَ من بينِ كلامِهِم بحظٍّ من الشرفِ ليس لغيره ، لأجلِ اختصاصه بهذا التناسُبِ . وجعلوه ديواناً لأخبارِهِم وحكَمِهِم وشرفِهِم ومحكاً لقراءتِهِم في إصابة المعاني وإجادة الأساليب . واستمرّوا على ذلك .

وهذا التّناسُبُ الذي من أجلِ الأجزاء والمتحرّك والسّاكن من الحروف ، قطرةٌ من بحرٍ من تناسُبِ الأصوات ، كما هو معروفٌ في كتبِ الموسيقى . إلا أنّهم لم يشعروا بما سواه ، لأنهم حينئذٍ لم ينتحلوا علماً ولا عرفوا صناعةً . وكانت اليدُ أَعْلَبَ فِجْلِهِم . ثمّ تغنّى الحداةُ منهم في حُداةِ إبلِهِم ، والفتيانُ في قضاءِ خلواتِهِم ؛ فرجّعوا الأصواتَ وترنّموا . وكانوا يسمونَ الترنّمَ إذا كانَ بالشعرِ غناءً ، وإذا كانَ بالتلهيلِ أو نوعِ القراءةِ تغبيراً بالغينِ المعجمة والباءِ الموحدة . وعلّما أبو اسحقَ الزّجاجُ بأنها تذكّرُ بالغايرِ وهو الباقي ، أي بأحوالِ الآخرة . وربما ناسبوا في غنائِهِم بينَ النغماتِ مناسبةً بسيطةً ، كما ذكره ابنُ رشيقي آخرُ كتابِ العُمدة وغيره . وكانوا يسمونه السّنادَ ، وكانَ أكثرُ ما يكونُ منهم في الخفيف الذي

يُرَقَصُ عليه ويمشى بالدُفِّ والمزمارِ ؛ فيطربُ ويستخفُّ الحلوَمَ . وكانوا يسمُّونَ هذا الهزَجَ ، وهذا البسيطَ ، كله من التلاحينِ هو من أوائلها ، ولا يبعدُ أن تتفطنَ له الطبائعُ من غير تعليمٍ شأنَ البسائطِ كُلِّها من الصنائعِ .

ولم يزل هذا شأنَ العربِ في بداوتِهِمْ وجاهليَّتِهِمْ . فلما جاء الإسلامُ ، واستولوا على ممالك الدنيا ، وحازوا سُطانَ العِجمِ ، وغلبوهم عليه ، وكانوا من البداوةِ والغضاضةِ على الحالِ التي عرفت لهم مع غُضارةِ الدينِ وشِدَّتِهِ في تركِ أحوالِ الفراغِ ، وما ليس بنافعٍ في دينٍ ولا معاشٍ ؛ فهجروا ذلك شيئاً ما . ولم يكن المذودُ عندهم إلا ترجيعُ القِراءةِ^(١) والترثُّمَ بالشعرِ الذي كان دَيْدَنَهُمْ ومذهبَهُمْ . فلما جاءهم الترفُّ وغلبَ عليهم الرِّقَّةُ بما حصلَ لهم من غنائِمِ الأُمَمِ صاروا إلى نَضارةِ العيشِ ورِقَّةِ الحاشيةِ واستحلاءِ الفراغِ . وافترقَ المغنُّونَ من الفُرسِ والرومِ فوقعوا إلى الحجازِ وصاروا موالِيَّ للعربِ ، وغنُّوا جميعاً بالعيدانِ والطنابيرِ والمعازِفِ والزَّماميرِ ، وسمعَ العربُ تلحينَهُمْ للأصواتِ ولحنوا عليها أشعارَهُمْ . وظهرَ بالمدينةِ نَشيطُ الفارسيِّ وطويسٌ وسائبٌ وحائرٌ^(٢) مولى عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ؛ فسمعوا شعرَ العربِ ولحنوهُ وأجادوا فيه وطارَ لهم ذكرُ . ثم أخذَ عنهم معبداً وطبقتهُ وابنُ سريجٍ وأنظارُهُ . وما زالتِ صِناعةُ الغِناءِ تتدرَّجُ إلى أن كملت أيامَ بني العباسِ عند

(١) كذا ، وفي نسخة : ترجيع القرآن .

(٢) كذا ، وفي ب : خاتر مولى عبد الله بن جعفر .

ابراهيم بن المهدي ، و ابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد .
 وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ، ما تبعه الحديث بعده به وبجالسه
 لهذا العهد ، وأمعنوا في اللهو واللعب ، واتخذت آلات الرقص في
 الملابس والقضبان والأشعار التي يُترنمُ بها عليه . وجعل صنفاً وحده ،
 واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج^(١) ، وهي تماثيل
 خيل مُسرَّجة من الحشب ، معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ،
 ويجاكن بها امتطاء الخيل فيكروُن ويفرُون ويتناقفون^(٢) ، وأمثال
 ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس
 الفراغ واللهو .

وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق وانتشر منها الى غيرها .
 وكان للموصلين غلام اسمه زرياب ، أخذ عنهم الغناء فأجاد ،
 فصرفوه إلى المغرب غيرة منه ؛ فليحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن
 الداخل أمير الأندلس . فبالغ في تكميمته ، وركب للقائه واسني
 له الجوائز والإقطاعات والجزايات ، وأحلّه من دولته وندمائه
 بمكان . فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان
 الطوائف . وطما منها باشبيلية بحر زاهر ، وتناقل منها بعد ذهاب
 غضايتها إلى بلاد العدو بإفريقية والمغرب . وانقسم على أمصارها ،
 وبها الآن منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص ذويها . وهذه
 الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كالية في

(١) كذا ، وفي نسخة : بالكرج .

(٢) ثاقفه : لاعبه بالسلاح .

غير وظيفة من الوظائف، إلا وظيفة الفراغ والفرح. وهي أيضاً أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعِهِ. والله أعلم.

الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للإنسان، إنما توجد فيه بالقوة. وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات عن المحسوسات أولاً؛ ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً؛ فتكون ذاتاً روحانيةً وتستكمل حينئذ وجودها. فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدُها عقلاً فريداً^(١)، والصنائع أبدأً يحصل عنها وعن ملكيتها قانونٌ علميٌ مُستفادٌ من تلك الملكة. فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيدُ عقلاً، والملكات الصناعية تفيدُ عقلاً؛ والحضارة الكاملة تفيدُ عقلاً؛ لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل، ومعاشرة أبناء الجنس، وتحصيل الآداب في مخالطتهم؛ ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائطها. وهذه كلها قوانينٌ تنتظم علوماً، فيحصل منها زيادةٌ عقل.

(١) كذا، وفي ب: عقلاً مزيداً.

والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك ، لأنها تستعمل على العلوم والأنظار بخلاف الصنائع . وبيانه أن في الكتابة انتقالاً من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال ؛ ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس ؛ فهو ينتقل أبداً من دليل إلى دليل ، ما دام ملتبساً بالكتابة وتعود النفس ذلك دائماً . فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات ، وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة ، فتكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل . ويحصل به مزيد فطنة وكيس في الأمور ، لما تعودوه من ذلك الانتقال . ولذلك قال كسرى في كتابه ، لما رآهم بتلك الفطنة والكيس ، فقال : « ديوانه ؛ أي شياطين أو جنون » . قالوا : وذلك أصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة . ويلحق بذلك الحساب فإن في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق ، يحتاج فيه إلى استدلال كثير ؛ فيبقى متعوداً للاستدلال والنظر ، وهو معنى العقل . ﴿ وَاللّٰهُ اَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ اَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴾

الْبَيِّنَاتُ لِلنَّبِيِّينَ

من الكتاب الأول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

فالمقدمة في الفكر الانساني ، الذي تميز به البشر عن الحيوانات
واهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والنظر
في معبوده ، وما جاءت به الرسل من عنده ؛ فصار جميع الحيوانات
في طاعته وملك قدرته وفضله به على كثير خلقه .

الفصل الأول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمان البشري

وذلك أنَّ الانسان قد شاركته جميع الحيوانات ، في حيوانيته
من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك . وإنما تميز عنها
بالفكر الذي يهتدي به ، لتحصيل معاشه ، والتعاون عليه بأبناء
جنسه ، والاجتماع المهيء لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به
الأنبياء عن الله تعالى ، والعمل به واتباع صلاح أخراؤه . فهو
مفكر في ذلك كله دائماً ، لا يفتري عن الفكر فيه طرفة عين ،

بل اختلاجُ الفكرِ أسرعُ من لمحِ البصرِ . وعن هذا الفكرِ تنشأُ العلومُ وما قدّمناه من الصنائعِ . ثم لأجل هذا الفكرِ وما جُبلَ عليه الانسانُ بل الحيوانُ من تحصيلِ ما تستدعيهِ الطِبَاعُ ؛ فيكونُ الفكرُ راغباً في تحصيلِ ما ليس عندهُ من الادراكاتِ ، فيرجعُ إلى من سبقه بعلمٍ ، أو زادَ عليه بمعرفةٍ أو إدراكٍ ، أو أخذهُ من تقدّمه من الأنبياء الذين يبلّغونه لمن تلقّاه ؛ فيلقنُ ذلك عنهم ويحرصُ على أخذِهِ وعلمِهِ . ثم إنَّ فكرَهُ ونظرَهُ يتوجّهُ إلى واحدٍ واحدٍ من الحقائقِ ، وينظرُ ما يعرضُ له لذاته واحدًا بعد آخرٍ ، ويتمرّنُ على ذلك حتى يصيرَ إلحاقُ العوارضِ بتلك الحقيقةِ مَلَكَةً له ؛ فيكونُ حينئذٍ علمُهُ بما يعرضُ لتلك الحقيقةِ علماً مخصوصاً . وتتشوّفُ نفوسُ أهلِ الجيلِ الناشيءِ إلى تحصيلِ ذلك ، فيفزعونَ إلى أهلِ معرفتهِ ويحيي التعليمُ من هذا . فقد تبَيَّنَ بذلك أنَّ العلمَ والتعليمَ طبعيّانِ في البشرِ . والله أعلم .

الفصل الثاني

في أن تعليم العلم من جملة الصنائع

وذلك أنَّ الخلقَ في العلم والتفنّن فيه والاستيلاء عليه ، إمّا هو بحصولِ مَلَكَةٍ في الإحاطة بمبادئه وقواعيده والوقوف على مسائله واستنباطِ فروعه من أصوله . وما لم تحضُرْ هذه المَلَكَةُ لم يكن الخلقُ في ذلك الفنِّ المتناولِ حاصلًا . وهذه المَلَكَةُ هي في

غير الفهم والوعي . لأننا نجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعيا ، مشتركا بين من شدا في ذلك الفن ، وبين من هو مبتدى فيه ؛ وبين العامي الذي لم يحصل علماً ، وبين العالم النحرير . والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواها ، فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي . والملكات كلها جسمانية ، سواء كانت في البدن أو في الدماغ ، من الفكر وغيره ، كالحساب . والجسمانيات كلها محسوسة ، فتفتقر إلى التعليم . ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفقر وجيل . ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة تختلف الاصطلاحات فيه . فكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به ، شأن الصنائع كلها ؛ فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم ، إذ لو كان من العلم لكان واحداً عند جميعهم . ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقديمين والمتأخرين ، وكذا أصول الفقه وكذا العربية ؛ وكذا كل علم يتوجه^(١) إلى مطالعته ، تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة ؛ فدل على أنها صناعات في التعليم . والعلم واحد في نفسه . وإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب ، باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه . وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر . وذلك أن القيروان وقُرطبة كانتا حاضرتي المغرب

(١) كذا ، وفي ب : يحتاج .

والأندلس ، واستبحر عُمرانُهما ، وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواقٌ نافقةٌ وبجورٌ زاخرةٌ . ورَسَخَ فيهما التعليمُ لامتدادِ عصورهما ، وما كان فيهما من الحضارة . فلما خربتَا انقطعَ التعليمُ من ^(١) المغرب إلا قليلاً ، كان في دولة الموحدين براكش مستفاداً منها . ولم ترسُخ الحضارةُ براكش لبداءة الدولة الموحدية في أولها ، وقرب عهد انقراضها بمبدئها ؛ فلم تتصل أحوال الحضارة فيها إلا في الأقل . وبعد انقراض الدولة براكش ، ارتحل إلى المشرق من إفريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون ، لعهد أواسطِ المائة السابعة ؛ فأدرك تلميذَ الامام ابن الخطيب ، فأخذ عنهم ، ولقّن تعليمهم . وحذق في العقليات والنقليات ، ورجع إلى تونس بعلمٍ كثيرٍ وتعليمٍ حسنٍ . وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله ابن شعيب الدكالي . كان ارتحل إليه من المغرب ؛ فأخذ عن مشيخة مِصرَ ورجع إلى تونس واستقرَّ بها . وكان تعليمه مُفيداً ؛ فأخذ عنهما ^(٢) أهل تونس . واتصلَ سَنَدُ تعليمهما في تلاميذهما جيلاً بعد جيلٍ ، حتى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام ، شارح ابن الحاجب ، وتلميذه ، وانتقل من تونس إلى تلمسان في ابن الامام وتلميذه . فإنه قرأ مع ابن عبد السلام ، على مشيخة واحدة ، وفي مجالس بأعيانها ، وتلميذ ابن عبد السلام بتونس ، وابن الإمام بتلمسان لهذا العهد ؛ إلا أنهم من القلّة بحيث يُحصى انقطاعُ سندهم .

(١) كذا ، وفي نسخة باريس تحقيق (كاترمير M. Quatremère) : عن المغرب الخ .

(٢) أي عن القاضي أبي القاسم بن زيتون وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي .

ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المَشْدُ إلى المشرق وأدرك تلميذاً أبي عمرو بن الحاجب، وأخذ عنهم ولقن تعليمهم. وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة، وحنق في العقليات والنقلات. ورجع إلى المغرب يعلم كثير وتعليم مفيد، وزل بجاية والتصل سَنَدُ تعليمه في طلبتها. وربما انتقل إلى تلمسان عمران المَشْدُ إلى^(١) تلميذه وأوطنها وبث طريقته فيها. وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل.

وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قُرْطُبَة والقيروان، ولم يتصل سَنَدُ التعليم فيهم، فسَرَّ عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم. وأيسر طرق هذه الملكة قوة اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يُقَرِّبُ شأنها ويُحْصِلُ مرادها. فتجد طالب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوتاً لا ينطقون ولا يُفَاوِضُونَ، وعنائيتهم بالحفظ أكثر من الحاجة. فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم. ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد مَلَكَته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علّم، وما أتاها القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده. وإلا فحفظهم أبلغ

(١) كذا في الأصول، ولم نجد له ترجمة في معجم الأعلام. ويستفاد من كتب التراجم أن لفظة مشدالي أو مشداني نسبة إلى مشدالة من قبائل زواوة في المغرب. وهكذا تصبح العبارة كما يلي: وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي، تلميذه و... الخ.

من حفظ من سواهم ، لشدة عنايتهم به ، وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك . ومما يشهد بذلك في المغرب ، أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهي بتونس خمس سنين . وهذه المدة بالمدارس ، على المتعارف ، هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها ؛ فطال أمدها في المغرب لهذه العصور لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة ، لا مما سوى ذلك . وأما أهل الأندلس ؛ فذهب رسم التعليم من بينهم ، وذهبت عنايتهم بالعلوم ، لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين . ولم يبق من رسم العلم عندهم إلا فن العربية والأدب ، اقتصروا عليه ، وانحفظ سند تعليمهم بينهم ، فأنحفظ بحفظه . وأما الفقه بينهم فرسم خلو وأثر بعد عين . وأما العقليات فلا أثر ولا عين . وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران ، وتغلب العدو على عايتها ، إلا قليلاً بسيف البحر شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها . والله غالب على أمره .

وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل أسواقه نافقة وبجوده زاخرة ، لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه . وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت ، مثل بغداد والبصرة والكوفة ؛ إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك . وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان ، وما وراء النهر من المشرق ، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب ؛ فلم

تزل موفورةً وعمرانها متصلًا وسندُ التعليمِ بها قائمًا . فأهلُ المشرقِ على الجُملةِ أرسخُ في صناعةِ تعليمِ العلمِ ، بل وفي سائرِ الصنائعِ . حتى إنه ليظنُّ كثيرٌ من رَحالةِ أهلِ المغربِ إلى المشرقِ في طلبِ العلمِ ، أنَّ عقولَهُم^(١) على الجُملةِ أكملُ من عقولِ أهلِ المغربِ ، وأنَّهُم أشدُّ نباهةً وأعظمُ كينسًا بفطرتهم الأولى . وأن نفوسَهُم الناطقةُ أكملُ بفطرتها من نفوسِ أهلِ المغربِ . ويمتقدون التفاوتَ بيننا وبينهم في حقيقةِ الإنسانيةِ ويتشيعون لذلك ، ويولعون به ، لما يرون من كينسِهِم في العلومِ والصنائعِ وليس كذلك .

وليسَ بينَ قُطرِ المشرقِ والمغربِ تفاوتٌ بهذا المقدارِ الذي هو تفاوتٌ في الحقيقةِ الواحدةِ ، اللهمَّ إلا الأقاليمَ المنحرفةَ مثلَ الأوَّلِ والسابعِ ، فإنَّ الأمزجةَ فيها منحرفةٌ والنفوسَ على نسبتها كما مرَّ . وإنما الذي فضلَ به أهلُ المشرقِ أهلَ المغربِ ، هو ما يحصلُ في النفسِ من آثارِ الحضارةِ ، من العقلِ ، المزيْدُ ، كما تقدَّم في الصنائعِ ، ونزيدهُ الآنَ شرحاً وتحقيقاً . وذلك أنَّ الحضَرَ لهم آدابُ في أحوالِهِم في المعاشِ والمسكنِ والبناءِ وأمورِ الدينِ والدنيا ، وكذا سائرُ أعماليهِم وعاداتِهِم ومعاملاتِهِم ، وجميعُ تصرفاتِهِم . فلم في ذلك كَلِّهِ آدابُ يوقفُ عندها في جميعِ ما يتناولونه ويتلبَّسونَ^(٢) به من أخذٍ وتركٍ ؛ حتى كأنها حدودٌ لا تُتعدَّى . وهي مع ذلك صنائعُ يتلقاها الآخرُ عن الأوَّلِ منهم . ولا شكَّ

(١) أي عقول أهل المشرق .

(٢) كذا ، وفي نسخة : يتكسبون .

أَنْ كُلَّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَثَرٌ يُكْسِبُهَا عَقْلاً جَدِيداً ، تَسْتَعِدُّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى ، وَيَتَهَيَّأُ بِهَا الْعَقْلُ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ .

ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تُدرَكُ، مثل أنهم يعلمون الحمر الإنسانية والحيوانات العجم من الماشي والطارئ مفردات من الكلام والأفعال يُستغربُ ندورها ، ويعجزُ أهل المغرب عن فهمها فضلاً عن تعليمها . وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية ، تريدُ الإنسان ذكاءً في عقله وإضاءةً في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس . إذ قدّمنا أَنَّ النفسَ إنما تنشأ بالادراكات وما يُرجعُ إليها من الملكات ، فيزدادون بذلك كَيْساً لما يرجعُ الى النفس من الآثار العلمية ، فيظنُّه العالمِيُّ تفاوتاً في الحقيقة الإنسانية وليس كذلك . ألا ترى إلى أهل الحضريِّ مع أهل البدو ، كيف تجدُ الحضريَّ متحلياً بالذكاء ممتلئاً من الكَيْسِ ، حتى إنَّ البدويَّ ليظنُّه أَنَّهُ قد فاتهُ في حقيقة إنسانيَّته وعقله ، وليس كذلك . وما ذاك إلا لإجادته من ملكات الصنائع والآداب ، في العوائد والأحوال الحضريَّة ، ما لا يعرفه البدويُّ . فلما امتلأ الحضريُّ من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ، ظنَّ كلُّ من قصَّرَ عن تلك الملكات أَنَّها لكمال في عقله ، وأن نفوس أهل البدو قاصرةٌ بفطرتها وجيلتها عن فطرته ، وليس كذلك . فإننا نجدُ من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته ، وإنما الذي ظهر على أهل الحضريِّ من ذلك فهو

رونقُ الصنائعِ والتعليمِ ؛ فإنَّ لهما آثاراً ترجعُ إلى النفسِ كما قدَّمناه . وكذا أهلُ المشرقِ لما كانوا في التعليمِ والصنائعِ أرسخَ رتبةً وأعلى قدماً ، وكان أهلُ المغربِ أقربَ إلى البداوةِ ، لما قدَّمناه في الفصلِ قبل هذا ، ظنُّ المغفلونَ في بادئِ الرأي أنه لكِبَالٌ في حقيقةِ الإنسانيةِ اختصَّوا به عن أهلِ المغربِ ، وليس ذلك بصحيحٍ فتنهَمه . واللهُ يزيِدُ في الخلقِ ما يشاء ، وهو إلهُ السماواتِ والأرضِ .

الفصل الثالث

في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتتعظم الحضارة

والسببُ في ذلك أنَّ تعليمَ العلمِ ، كما قدَّمناه ، من جملةِ الصنائعِ . وقد كنا قدَّمنا أنَّ الصنائعَ إنما تكثرُ في الأمصارِ . وعلى نسبةِ عُمرانها في الكثرةِ والقِلَّةِ والحضارةِ والتَّرفِ ، تكونُ نسبةُ الصنائعِ في الجودةِ والكثرةِ ، لأنه أمرٌ زائدٌ على المعاشِ . فنتي فُضِّلَتِ أعمالُ أهلِ العُمرانِ عن معاشِهِمْ ، انصَرَفَت إلى ما وراءَ المعاشِ من التصرُّفِ في خاصيَّةِ الإنسانِ ، وهي العلومُ والصنائعُ . ومن تشوَّفَ بفطرتهِ إلى العلمِ ، ممن نشأ في القرى والأمصارِ غيرِ المتمدِّنةِ ؛ فلا يجدُ فيها التعليمَ الذي هو صناعيٌّ ، لفقدانِ الصنائعِ في أهلِ البدوِ كما قدَّمناه ، ولا بدَّ له من الرِّحلةِ في طلبه إلى الأمصارِ المستبحرةِ ، شأنَ الصنائعِ في أهلِ البدوِ .

واعتبر ما قرّره بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثرتُ عمرانها صدر الإسلام، واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم، واستنبط المسائل والفنون؛ حتى أربوا على المتقدمين وفاقوا المتأخرين. ولما تناقص عمرانها وابتدع سُكّانها، انطوى ذلك البساط بما عليه جملة، وفقد العلم بها والتعليم، وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام. ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة، من بلاد مصر، لما أن عمرانها مستبحرة وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين؛ فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جعلتها تعليم العلم. وأكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها، منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا. وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم، لما له عليهم من الرق أو الولاء، ولما يخشى من معايب الملك ونكباته. فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط^(١) ووقفوا عليها الأوقاف المئّلة يجعلون فيها شركاً^(٢) لوّدهم، ينظر عليها أو يُصيب منها، مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والصلاح والتماس الأجور في المقاصد والأعمال. فكثر الأوقاف لذلك

(١) ربط جمع رباط: الحصن أو المكان الذي يربط فيه الجيش. وردت هكذا في الأصل. والأنسب لسياق العبارة هنا كلمة رباطات، وهي المعاهد المبنية والموقوفة للفقراء.
(٢) الشرك: الحصة.

وعظمت الغلات والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة
جرايتهم منها ، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق
والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بجارها . والله يخلق
ما يشاء .

الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

إعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار،
تحصيلًا وتعليمًا، هي على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدي
إليه بفكره؛ وصنف نقلي يأخذُه عن وضعه . والأول هي العلوم
الحكيمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة
فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وانحاء
براهينها ووجوه تعليمها، حتى يقف^(١) نظره وبحته على الصواب
من الخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم
النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي.
ولا مجال فيها للعقل، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول؛
لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة، لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد
وضعه؛ فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي. إلا أن هذا القياس

(١) علق الهوريني في طبعة بلاق على هذه الكلمة بقوله: قوله، حتى يقفه نظره، يستعمل
وقف متعدياً، فتقول: وقفته على كذا أي أطلعته عليه.

يُتَفَرَّعُ عن الخبر ، بثبوت الحكم في الأصل ، وهو نقليٌّ ؛ فَرَجَعَ هذا القياسُ الى النقل لتفرُّعه عنه . وأصلُ هذه العلومِ النقليَّةِ كُلِّها هي الشرعيَّاتُ ، من الكتابِ والسُّنَّةِ التي هي مشروعةٌ لنا من الله ورسوله ، وما يتعلَّقُ بذلك من العلومِ التي تَهَيَّأُها للافادَةِ . ثمَّ يَسْتَبِيعُ ذلك علومُ اللسانِ العربيِّ ، الذي هو لسانُ المِلَّةِ وبه نُزِّلَ القرآنُ . وأصنافُ هذه العلومِ النقليَّةِ كثيرةٌ ؛ لأنَّ المكلفَ يَحِبُّ عليه أن يعرفَ أحكامَ الله تعالى المفروضةَ عليه وعلى أبناءِ جنسه ، وهي مأخوذةٌ من الكتابِ والسُّنَّةِ بالنصِّ أو بالإجماعِ أو بالالحاقِ ، فلا بدَّ من النظرِ في الكتابِ : ببيانِ ألفاظِهِ أَوَّلًا ، وهذا هو علمُ التفسيرِ ؛ ثمَّ باسنادِ نقلِهِ وروايَتِهِ إلى النبيِّ ﷺ الذي جاء به من عندِ الله ، واختلافِ رواياتِ القُرَّاءِ في قراءَتِهِ ، وهذا هو علمُ القِراءاتِ ؛ ثمَّ باسنادِ السُّنَّةِ الى صاحبِها ، والكلامِ في الرواَةِ الناقلينَ لها ، ومعرفةِ أحوالهم وعدالتهم ليقعَ الوثوقُ بأخبارِهِم ، ويُعَمَلَ ما يَحِبُّ العملُ بمقتضاه من ذلك . وهذه هي علومُ الحديثِ .

ثمَّ لا بدَّ في استنباطِ هذه الأحكامِ من أصولِها من وجهٍ قانونيٍّ ، يُفِيدُنَا العلمَ بكيفيةِ هذا الاستنباطِ ، وهذا هو أصولُ الفقهِ . وبعدَ هذا تحصيلُ الثمرةِ بمعرفةِ أحكامِ الله تعالى في أفعالِ المكلفينَ ، وهذا هو الفقهُ . ثمَّ إِنَّ التكاليفَ : منها بدنيٌّ ؛ ومنها قلبيٌّ ، وهو المختصُّ بالإيمانِ وما يَحِبُّ أن يعتقده مما لا يُعْتَقَدُ . وهذه هي العقائدُ الإيمانيةُ في الذاتِ والصفاتِ وأمورِ الحشرِ والنعمِ والعذابِ والقدَرِ . والحُجُاجُ عن هذه بالأدلةِ العقليةِ هو علمُ الكلامِ .

ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية ،
لأنه متوقف عليها وهي أصناف . فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم
البيان وعلم الأدب ، حسبما نتكلم عليها كلها . وهذه العلوم
النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها ، وإن كانت كل ملة
على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك ؛ فهي مشاركة لها في الجنس
البعيد من حيث إنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على
صاحب الشريعة المبلغ لها . وأما على الخصوص فباينة لجميع الملل
لأنها ناسخة لها . وكل ما قبلها من علوم الملل فهجورة ، والنظر
فيها محظور . فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير
القرآن . وقال ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ،
﴿ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ
وَاحِدٌ ﴾ . ورأى النبي ﷺ في يد عمر رضي الله عنه ورقة من
التوراة ؛ فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ، ثم قال : ألم آتكم
بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حياً ما وسعته إلا إتباعي .

ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها ، في هذه
الملة بما لا مزيد عليه ، وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية
التي لا شيء فوقها ، وهذبت الاصطلاحات ورُتبت الفنون ، فجاءت
من وراء الغاية في الحسن والتنميق . وكان لكل فن رجال
يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم . واختص المشرق من
ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبما نذكره الآن عند تعديد
هذه الفنون . وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب ،

لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم ، كما قدمناه في الفصل قبله . وما أدري ما فعل الله بالشرق ، والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم ، وفي سائر الصنائع الضرورية والكمالية ، لكثرة عمرانه والحضارة ، ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم . والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد ، وبيده التوفيق والإعانة .

الفصل الخامس

علوم القرآن من التفسير والقراءات

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه ، المكتوب بين دفتي المصحف . وهو متواتر بين الأمة ؛ إلا أن الصحابة رَوَوْهُ عن رسول الله ﷺ على طرقٍ مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها . وتُنَوَّلَ ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرقٍ معينة ، تواتر نقلها أيضاً بأدائها ، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجَمِّ الغفير ؛ فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة . وربما زيد بعد ذلك قراءاتٌ أُخرُ لحقت بالسبع ؛ إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قُوَّتُهَا في النقل . وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها . وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لأنها عندهم كيفياتٌ للأداء ، وهو غير منضبط . وليس ذلك

عندهم بقادحٍ في تواتر القرآن . وأباهُ الأكثرُ ، وقالوا بتواترها ؛ وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها ، كالمَدِّ والتسهيل^(١) ، لعدم الوقوفِ على كَيْفِيَّتِهِ بالسمعِ وهو الصحيحُ .

ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءاتِ وروايتها ، إلى أن كتبت العلومُ ودُوِّنت فكتبت فيما كُتِبَ من العلومِ ، وصارت صناعةً مخصوصةً وعلماً منفرداً ، وتناقله الناسُ بالشرقِ والأندلسِ . في جيلٍ بعد جيلٍ . إلى أن ملكَ بَشَرُ الأندلسِ مجاهدٌ من موالي العامريين ، وكان معنياً بهذا الفنِ من بين فنونِ القرآنِ ، لما أخذه به مولاهُ المنصورُ بنُ أبي عايرٍ ، واجتهدَ في تعليمه وعرضه على من كان من أئمةِ القراء بحضرته ؛ فكان سهمه في ذلك وافراً . واختصَّ مجاهدٌ بعد ذلك بإمارةِ دانيةِ والجزائرِ الشرقية ؛ فنَقَّطَ بها سوقُ القراءة ، لما كان هو من أئمتها ، وبما كان له من العنايةِ بسائرِ العلومِ عموماً والقراءاتِ خصوصاً . فظهر لعهدِه أبو عمرو الدانيُّ وبلغ الغاية فيها ، ووقفَ عليه معرفتها . وانتهت إلى روايته أسانيدُها ، وتعددت تأليفه فيها . وعوَّلَ الناسُ عليها وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتابَ التيسيرِ له .

ثم ظهرَ بعد ذلك فيما يليه من العصورِ والأجيالِ أبو القاسمِ ابنُ فيره^(٢) من أهلِ شاطِبَةِ ؛ فعمدَ إلى تهذيبِ ما دونه أبو عمرو

(١) كذا ، وفي نسخة : والتسهيل .

(٢) كذا بالأصل . وفي الاعلام للزركلي : القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد البرعيني أبو محمد الشاطبي ، إمام القراء . كان ضريراً .

وتلخيصه . فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف
(أ ب ج د) ، على ترتيب أحكامه ليتيسر عليه ما قصده من
الاختصار ، وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها . فاستوعب فيها
الفن استيعاباً حسناً ، وعني الناس بحفظها وتلقيها للولدان^(١) المتعلمين ،
وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس .

وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضاً ، وهي أوضاع
حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية ؛ لأن فيه حروفاً
كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط ؛ كزيادة
الـ يا في باييد وزيادة الألف في لا أذبحته ، ولا أوضعوا ، والواو
في جزاء الظالمين ، وحذف الألفات في مواضع دون أخرى ، وما
رسم فيه من التات ممدوداً ، والأصل فيه مربوط على شكل
الهاء ، وغير ذلك . وقد سرت قليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام
في الخط . فلما جاءت هذه مخالفة لأوضاع الخط وقانونيه ، احتيج
إلى حصرها ؛ فكتب الناس فيها أيضاً عند كتبهم في العلوم .
وانتهت بالمغرب إلى أبي عمرو الدافي المذكور ؛ فكتب فيها كتباً ،
من أشهرها : كتاب المقنع ، وأخذ به الناس وعولوا عليه . ونظمه
أبو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روي الراء ، وولع
الناس بحفظها . ثم كثرت الخلاف في الرسم ، في كلمات وحروف
أخرى ، ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى مجاهد ، في

(١) كذا ، وفي ب : للولد .

كتبه ، وهو من تلاميذ^(١) أبي عمرو الداني ، والمشتهرُ بِحملِ علومِهِ وروايةِ كتبه . ثم نقلَ بعده خلافاً آخرُ ؛ فنظّمَ الخرازُ من المتأخرين بالمغربِ أرجوزةً أخرى ، زاد فيها على المقتنعِ خلافاً كثيراً ، وعزاه لناقله ، واشتهرت بالمغربِ ، واقتصرَ الناسُ على حفظها . وهَجروا بها كتبَ أبي عمرو والشاطبيّ في الرسم .

التفسير

وأما التفسير فاعلم أنَّ القرآنَ نُزِّلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَعَلَى أَسَالِبِ بِلَاغَتِهِمْ ؛ فَكَانُوا كُلُّهُمْ يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهُ فِي مَفْرَدَاتِهِ وَتَرَاكِيْبِهِ . وَكَانَ يُنْزَلُ جَمَلًا جَمَلًا ، وَآيَاتٍ آيَاتٍ ، لِبَيَانِ التَّوْحِيدِ وَالْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ ، وَمِنْهَا مَا يَتَقَدَّمُ وَمِنْهَا مَا يَتَأَخَّرُ وَيَكُونُ نَاسِخًا لَهُ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمُبَيِّنُ لَذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(٢) . فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبَيِّنُ الْمَجْمَلَ وَيُمَيِّزُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ ، وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ ؛ فَعَرَفُوهُ ، وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمَقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَنْقُولًا عَنْهُ . كَمَا عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، أَنَّهَا نَعْيُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنْ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ التَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَنُقِلَ ذَلِكَ

(١) كذا ، وفي ب : وهو تلميذ . . . الخ .

(٢) من آية ٤٤ من سورة النحل .

عنهم . ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف ، حتى صارت المعارفُ علوماً ، ودوّنت الكتب ؛ فكتب الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثالهم من المفسرين ؛ فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار .

ثم صارت علوم اللسان صناعة^(١) من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب ؛ فوضعت الدواوين في ذلك ، بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب ؛ فتنوسي ذلك وصارت تُتلقى من كتب أهل اللسان . فاحتيج الى ذلك في تفسير القرآن ، لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم . وصار التفسير على صنفين : تفسير نقلي مستند الى الآثار المنقولة عن السلف ، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي . وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين . وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود . والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية . فإذا تشوّقوا الى معرفة شيء مما تشوّق اليه النفوس البشرية^(٢) في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ؛ فانما يسألون

(١) كذا ، وفي نسخة : صناعة .

(٢) في ب : النفوس الإنسانية .

عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية . فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم ، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها ، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الجدات والملاحم وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الأخبار ووهب بن منبج وعبد الله بن سلام وأمثالهم . فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم^(١) ، في أمثال هذه الأغراض ، أخباراً موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل . وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات . واصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ؛ إلا أنهم بعد صيغهم وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقت بالقبول من يومئذ . فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص ، وجاء أبو محمد ابن عطية من المتأخرين بالمغرب ؛ فلخص تلك التفاسير كلها ، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى . وتبعه الشريطي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالشرق .

(١) في ب : من النقولات عنهم .

والصنف الآخر من التفسير ، وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب . وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول ، إذ الأول هو المقصود بالذات . وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات . نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً . ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير ، كتاب الكشف للزنجشري من أهل خوارزم^(١) العراقي ؛ إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد ؛ فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة ، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة . فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكانه ، مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة . وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السيئة ، محسناً للحجاج عنها ؛ فلا جرم أنه مأمون من غوائله ، فليفتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان .

ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين ، وهو شرف الدين الطيبي ، من أهل توديز من عراق العجم ، شرح فيه كتاب الزنجشري هذا ، وتتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تريفها^(٢) . ويبيّن أن البلاغة إنما تقع في الآية

(١) ورد في معجم البلدان لياقوت : وخوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للساحية بجملتها . وورد في قاموس الاعلام للزركلي : الزنجشري ولد في زنجش من قرى خوارزم .
(٢) كذا ، وفي ب : وأدلتها يزيها .

على ما يراه أهل السنة ، لا على ما يراه^(١) المعتزلة ؛ فأحسن في ذلك ما شاء ، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة . وفوق كل ذي علم عليم.

الفصل السادس

علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة ، لأن منها ما يُنظر في ناسخه ومنسوخه ، وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتخفيفاً عنهم ، باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها . قال تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(٢) . [ومعرفة النسخ والمنسوخ وإن كان عاماً للقرآن والحديث ، إلا أن الذي في القرآن منه اندرج في تفاسيره ، وبقي ما كان خاصاً بالحديث راجعاً إلى علومه ؛ فإذا تعارض الخبران بالنفي والإثبات ، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل ، وعلم تقدم أحدهما ، تعين أن المتأخر ناسخ] . وهو من أهم علوم الحديث وأصعبها . قال الزهري : « أعياء الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه » . وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة . [ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد ،

(١) كذا ، وفي ب : لا على مذهب المعتزلة .

(٢) آية ١٠٦ من سورة البقرة .

ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط ؛ لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ ؛ فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن ، وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط . وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك .

وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين ، وتفاوتهم في ذلك وتمييزهم فيه واحداً واحداً . وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها ، بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه ، وبسلامتها من العلل الموهنة لها ، وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين فحكم^(١) بقبول الأعلى ورد الأسفل . ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة ، مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمقطوع والمعضل والشاذ والغريب ، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم . وبوؤوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان أو الوفاق . ثم النظر في كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة ، وتفاوت رتبها ، وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد .

ثم أتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق منها أو مختلف ، وما

(١) كذا ، وفي ب : إلى طريقين يحكم . . . الخ .

يناسب ذلك . هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه . وكانت أحوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلده ؛ فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ؛ ومنهم بالشام ومصر . والجميع معروفون مشهورون في أعصارهم . وكانت طريقة أهل الحجاز في أعصارهم في الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن في الصحة ، لاشتدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط ، وتجاوهم عن قبول المجهول الحال في ذلك .^(١)

(١) إن المحصورين [] ورد في النسخة الباريسية على شكلين : ورد في الشرح كما ورد هنا في المتن . وورد في المتن على الوجه التالي ومن علوم الحديث معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين ، لمعرفة الأسانيد والرواة وأسائهم وكيفية أخذ بعضهم عن بعض ، وأحوالهم وطبقاتهم ، واختلاف اصطلاحاتهم . وتحصيل ذلك أن الإجماع واقع على وجود العمل بالخير الثابت عن رسول الله (ص) ، وذلك بشرط أن يغلب على الظن صدقه فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي تحصل ذلك الظن . وذلك بالنظر في أسانيد الحديث ، بمعرفة رواته بالعدالة والضبط والاتقان والبراءة من السهو والغفلة ، بوصف عدول الأمة لهم بذلك . ثم تساوت مراتبهم فيه ، ثم كيفية رواية بعضهم عن بعض ، بساع الراوي من الشيخ أو قراءته عليه أو سماعه يقرأ عليه . وكتابة الشيخ له أو مناويلته أو إجازته في الصحة والقبول منقول عنهم . وأعلى مراتب المقبول عندهم الصحيح ثم الحسن ، وأدون مراتبها الضعيف ، ويشتمل على المرسل والمنقطع والمعضل والمعلل والشاذ والغريب والمنكر : فمنها ما اختلفوا في رده ؛ ومنها ما اجتمعوا عليه . وذلك شأنهم في الصحيح : فمنه ما اجتمعوا على قبوله وصحته ، ومنه ما اختلفوا فيه . وبينهم في تفسير هذه الألقاب اختلاف كثير . ثم أتبعوا ذلك بالكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق . ووضعوا لهذه الفصول كلها قانوناً كفيلاً ببيان تلك المراتب والألقاب وسلامة الطرق عن دخول النقص فيها . وأول من وضع في هذا القانون من فحول أئمة الحديث أبو عبد الله الحاكم وهو الذي هذبه وأظهر محاسنه . وتواليفه فيه مشهورة . ثم كتب أئمتهم فيه من بعده . وأشهر كتاب للمتاخرين فيه كتاب أبي عمر بن الصلاح ، كان في أوائل المائة السابعة وتلاه محيي الدين النووي بمثل ذلك . والفن شريف في مغزاه لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى يتعين قبولها أو ردها . واعلم أن رواية السنة من الصحابة والتابعين معروفون في أمصار الإسلام . منهم بالحجاز والكوفة والبصرة ثم بالشام ومصر . والجميع معروفون ومشهورون في أعصارهم . وكانت طريقة أهل الحجاز في الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن في الصحة ، لاشتدادهم في شروط النقل ، من العدالة والضبط ، بتجاوهم عن قبول المستورين المجهولة أحوالهم .

وسيد الطريقة الحجازية بعد السلف الإمام مالك عالم المدينة رضي الله تعالى عنه ، ثم أصحابه مثل الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وابن وهب وابن بكير والقعني ومحمد بن الحسن ومن بعدهم الإمام أحمد بن حنبل في آخرين من أمثالهم . وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الامر نقلاً صرفاً ، شَرَّ لها السلف وتحرّوا الصحيح حتى أكملوها . وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ ، أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ، ورثبه على أبواب الفقه . ثم عني الحفاظ بغيره طرق الأحاديث وأسانيد مختلف . وربما يقع إسناد الحديث من طرق متعدّدة عن رواة مختلفين ، وقد يقع الحديث أيضاً في أبواب متعدّدة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها . وجاء محمد بن إسماعيل البخاري إمام الحديثين في عصره ، فخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين . واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، وكرّر الأحاديث يسوقها في كل باب ، بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث ؛ فتكرّرت لذلك أحاديثه ، حتى يقال : إنه اشتمل على تسعة^(١) آلاف حديث ومائتين ، منها ثلاثة آلاف متكرّرة ، وفرق الطرق والأسانيد عليها مختلفة في كل باب .

ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى ؛

(١) علق الموريني في الطبعة البولاقية على هذا الحديث بقوله : قوله تسعة الذي في النووي عن مسلم أنها سبعة .

فَأَلَّفَ مَسْنَدَهُ الصَّحِيحَ ، حَذَا فِيهِ حَذْوَ الْبُخَارِيِّ فِي نَقْلِ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ ، وَحَذَفِ التَّكَرُّرَ مِنْهَا . وَجَمَعَ الطَّرِيقَ وَالْأَسَانِيدَ ، وَبَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ وَتَرَاجَمَهُ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الصَّحِيحَ كُلَّهُ . وَقَدْ اسْتَدْرَكَ النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ . ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ ، فِي السَّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ ، وَقَصَدُوا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْعَمَلِ : إِمَّا مِنَ الرِّبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَإِمَّا مِنَ الَّذِي دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلْسَّنَةِ وَالْعَمَلِ . وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ فِي الْمِلَّةِ ، وَهِيَ أُمَهَاتُ كُتُبِ الْحَدِيثِ فِي السَّنَةِ ، فَإِنَّمَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ فِي الْأَغْلَبِ . وَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ ، وَرَبَّمَا يَفْرُدُ عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ ، فَيَجْعَلُ فَنَاءً بِرَأْسِهِ وَكَذَا الْغَرِيبُ . وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفُ مَشْهُورَةٌ ، ثُمَّ الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ . وَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَأَكْثَرُوا . وَمِنْ فُحُولِ عُلَمَائِهِ وَأَثْمَتِهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ ، وَتَأْلِيفُهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي هَذَّبَهُ وَأَظْهَرَ مُحَاسِنَهُ . وَأَشْهُرُ كِتَابٍ لِلتَّأَخَّرِينَ فِيهِ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ ، كَانَ لِعَهْدِ أَوَائِلِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ ، وَتَلَاهُ مَحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَالْفَنُّ شَرِيفٌ فِي مَغْزَاهُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةُ مَا تُحْفَظُ بِهِ السَّنَنُ الْمُنْقُولَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ . وَقَدْ انْقَطَعَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَحْرِيجُ شَيْءٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَاسْتَدْرَاكُهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ ، إِذِ الْعَادَةُ تُشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَثَمَةَ ، عَلَى تَعَدُّدِهِمْ وَتَلَاحُقِ عَصُورِهِمْ وَكَيْفَايَتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ ، لَمْ

يكونوا ليُغفلوا شيئاً من السُّنةِ أو يتركوه حتى يعثرَ عليه المتأخِّرُ، هذا بعيدٌ عنهم . وإنما تنصرفُ العنايةُ لهذا العهدِ إلى تصحيحِ الأُمّهاتِ المكتوبةِ ، وضبطِها بالروايةِ عن مصنفيها ، والنظرِ في أسانيدِها إلى مؤلفيها ، وعرضِ ذلك على ما تقرَّرَ في علمِ الحديثِ من الشروطِ والأحكامِ ، لتتصلَ الأسانيدُ بحكمةٍ إلى مُنتهاها . ولم يزدوا في ذلك على العنايةِ بأكثرَ من هذه الأُمّهاتِ الخمسِ إلا في القليلِ .

فأما البخاريُّ ، وهو أعلاها رتبةً ؛ فاستصعبَ الناسُ شرحَهُ واستغلَّقوا منحاَهُ ، من أجل ما يحتاجُ إليه من معرفةِ الطُّرقِ المتعدِّدةِ ورجالِها من أهلِ الحجازِ والشامِ والعراقِ ، ومعرفةِ أحوالِهِم واختلافِ الناسِ فيهِم . ولذلك يحتاجُ إلى إمعانِ النظرِ في التفقهِ في تراجمِهِ ؛ لأنَّهُ يترجمُ الترجمةَ ويوردُ فيها الحديثَ بسندٍ أو طريقٍ ، ثم يترجمُ أخرى ويوردُ فيها ذلك الحديثَ بعينه لما تضمنهُ من المعنى الذي ترجمَ به . البابُ . وكذلك في ترجمةٍ وترجمةٍ إلى أن يتكرَّرَ الحديثُ ، في أبوابٍ كثيرةٍ ، بحسبِ معانيهِ واختلافِها . ومن شرحَهُ ، ولم يستوفِ هذا فيه ، فلم يوفِّ حقَّ الشرحِ : كابن بطَّالٍ وابن المَهلبِ وابن التينِ ونحوهم . ولقد سمعتُ كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون : شرحُ كتابِ البخاريِّ دَيْنٌ على الأُمَّةِ ، يعنونَ أن أحداً من علماء الأُمَّةِ لم يُوفِّ ما يجبُ له من الشرحِ بهذا الاعتبارِ .

وأما صحيحُ مسلمٍ فكثرتْ عنايةُ علماء المغربِ به ، وأكبو

عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري، من غير الصحيح، مما لم يكن على شرطه، وأكثر ما وقع له في التراجم. وأملى الامام المارزي من فقهاء المالكية عليه شرحاً، وسماه (المعلم بفوائد مسلم). اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه. ثم أكمله القاضي عياض من بعده وتممه، وسماه إكمال المعلم. وتلاهما محيي الدين النووي، بشرح استوفى ما في الكتابين، وزاد عليهما، فجاء شرحاً وافياً.

وأما كتب السنن الأخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء، فأكثر شرحها في كتب الفقه، إلا ما يُختص بعلم الحديث؛ فكتب الناس عليها، واستوفوا من ذلك ما يحتاج إليه من علم الحديث وموضوعاتها، والاسانيد التي اشتملت على الأحاديث الممولى بها من السنة.

واعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد، بين صحيح وحسن وضعيف ومغلول وغيرها، تنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها. ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها، بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفتنون إلى أنه قد قلب عن وضعه. ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري، حين ورد على بغداد، وقصد الحديثون امتحانه فسأله عن أحاديث قبلوا أسانيداً فقال: «لا أعرف هذه، ولكن حدثني فلان».

ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح ، ورد كل متن إلى سنده ، وأقروا له بالإمامة .

واعلم أيضاً أنَّ الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعات والاقلال ؛ فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، يقالُ بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها ، ومالك رحمه الله إنما صحَّ عنده ما في كتاب الموطأ ^(١) وغايتها ثلاثمائة حديث أو نحوها ، وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون ألف حديث ، ولكل ما أداه إليه اجتهاده في ذلك . وقد تقول بعض المبغضين المتسفين ، إلى أنَّ منهم من كان قليل البضاعة في الحديث ؛ فهذا قلَّت روايته . ولا سبيل إلى هذا المعتمد في كبار الأئمة لأنَّ الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة . ومن كان قليل البضاعة من الحديث ؛ فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشمير في ذلك ليأخذ الدين عن أصول صحيحة ، ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها . وإنما قلَّ منهم من قلَّ الرواية ، لاجل المطاعن التي تعترض فيها والعلل التي تعرض في طرقها ، سيما والجرح مقدم عند الأكثر ؛ فيؤدِّيهِ الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد . ويكثر ذلك فتقلُّ روايته لضعف في الطرق .

(١) علق الهوريني على هذه العبارة بقوله : الذي في شرح الزرقاني على الموطأ ، حكاية أقوال خمسة في عدة أحاديث : أولها خمسمائة ، ثانيها سبعمائة ، ثالثها ألف ونيّف ، رابعها ألف وسبعمائة وعشرون ، خامسها ستمائة وستة وستون . وليس فيه قول بما في هذه النسخة .

هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق، لأن المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة، ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر. والامام أبو حنيفة إنما قلّت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحليل، وضعف رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسي. وقلّت من أجلها روايته فقلّ حديثه. لا أنه ترك رواية الحديث متعمداً، فحاشاه من ذلك. ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم، والتعويل عليه واعتباره رداً وقبولا. وأما غيره من الحديثين وهم الجمهور؛ فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم، والكل عن اجتهاد. وقد توسّع أصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم.

وروى الطحاويُّ فاكثراً وكتب مسنده، وهو جليل القدر؛ إلا أنه لا يغيّر الصحيحين، لأن الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع عليها بين الأئمة كما قالوه. وشروط الطحاوي غير متفق عليها، كالرواية عن المستور الحال وغيره؛ فهذا قديم الصحيحين، بل وكتب السنن المعروفة قديمت عليه لتأخر شروطه عن شروطهم. ومن أجل هذا قيل في الصحيحين بالإجماع على قبولهما من جهة الإجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها. فلا تأخذك ريبة في ذلك؛ فالقوم أحق الناس بالظن الجليل بهم، والتماس الخارج الصحيحة لهم. والله سبحانه وتعالى أعلم بما في حقائق الأمور.

الفصل السابع

علم الفقه وما يتبعه من القرائن

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، بالوجوب والحظر والندب والكرهية والإباحة ؛ وهي متلقة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ؛ فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه . وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم . ولا بد من وقوعه ضرورة . فإن الأدلة من النصوص وهي بلغة العرب ، وفي اقتضات ألفاظها لكثير من معانيها وخصوصاً الأحكام الشرعية اختلاف بينهم معروف . وأيضاً فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها ؛ فتحاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً . فالأدلة من غير النصوص مختلفة فيها ، وأيضاً فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص . وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما ، وهذه كلها مشاراة للخلاف ضرورة الوقوع . ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم . ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصاً بالخاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه وحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم من عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك

القرّاء ، أي الذين يقرأون الكتاب لأنّ العرب كانوا أمة أميّة ،
فاختصّ من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ .
وبقي الأمر كذلك صدر الملة . ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت
الأميّة من العرب بممارسة الكتاب ، وتمكّن الاستنباط وكمّل الفقه
وأصبح صناعة وعلماً فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القرّاء . وانقسم
الفقه فيهم الى طريقتين : طريقة أهل الرأي والقياس ، وهم أهل
العراق ، وطريقة أهل الحديث ، وهم أهل الحجاز . وكان الحديث
قليلاً في أهل العراق كما قدّمناه ، فاستكثروا من القياس ومهروا
فيه ، فلذلك قيل أهل الرأي . ومقدّم جماعتهم الذي استقرّ المذهب
فيه وفي أصحابه أبو حنيفة ، وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس
والشافعي من بعده .

ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به ، وهم
الظاهرية . وجعلوا مدارك الشرع كلّها منحصرة في النصوص
والإجماع وردّوا القياس الجلي والعلّة المنصوصة إلى النص ، لأنّ
النص على العلة نصّ على الحكم في جميع محالها . وكان إمام هذا
المذهب داود بن علي وابنه وأصحابهما . وكانت هذه المذاهب
الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة . وشذّ أهل البيت
بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به ، وبنّوه على مذهبهم في تناول
بعض الصحابة بالقدح ، وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف
عن أقوالهم ، وهي كلّها أصول واهية^(١) . وشذّ بمثل ذلك الخوارج .

(١) قال الله سبحانه : «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت - هود ٧٣ - إنما يريد الله ليذهب =

ولم يحفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقدرح .
فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم ولا نزوي كتبهم ، ولا أثر لشيء
منها إلا في مواطنهم . فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت
دولهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن ، والخوارج كذلك .
ولكل منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة . ثم درس مذهب
أهل الظاهر اليوم بدروس أئمتيه وإنكار الجمهور على منتجليه ، ولم
يبق إلا في الكتب المجلدة^(١) . وربما يعكف كثير من الطالبين ،

= عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً - الأحزاب ٣٣ - . ويقول صاحب المقدمة : « شذ أهل
البيت بمذاهب ابتدعوها » وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رسول الله (ص) أنه قال :
« النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب ذهبوا ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي
ذهل أهل الأرض » . وجاء في صحيح مسلم أن رسول الله قال : « إني تارك فيكم الثقلين : أولهما
كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به . . . » ثم قال : أهل بيتي ! أذكركم
الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي . ومحال أن يحث النبي (ص)
على التمسك بأهل البدع .

أما فقه أهل البيت فلا مصدر له إلا كتاب الله وسنة الرسول . جاء في كتاب « الكافي » ، وهو
من أمهات كتب الحديث عن الإمامية أن الإمام جعفر الصادق قال : « كل شيء مردود إلى كتاب الله
والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف » . وفي كتاب « الحقائق » وهو من كتب الفقه
المعتبرة عند الإمامية أن الإمام الصادق قال : « لا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإننا إن تحدثنا حدثنا
بموافقة القرآن والسنة ، إنا عن الله وعن رسوله نتحدث . . . فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك
فردوه . إن لكلامنا حقيقة ، وعليه نوراً ، فما لا حقيقة له ، ولا نور عليه فذلك قول الشيطان » .

أما عصمة الأئمة فإن أهل البيت قالوا : لا تجوز إمامة الفساق والعصاة والسراق ، هذا إلى أن
الله سبحانه قد طهرهم من الرجس والإثم . وعهد النبي بأنهم أمان لأهل الأرض ، ومن كان أماناً
للناس كافة يجب أن يكون معصوماً من الزلل . أما نفي الخلاف عن أقوالهم فليس بأغرب من
القول بعدالة جميع الصحابة . قال الشيخ محمد الخضري في كتابه « أصول الفقه » باب عدالة
الصحابة « الصحابة جميعاً عدول لا يسأل عنهم ، ولا تطلب تزكيتهم » . وإن كثيراً من أهل السنة
جعلوا قول الصحابي دليلاً شرعياً يجب العمل به فقول أهل البيت أولى بالعمل والاتباع ، حيث لا
يقاس بهم أحد ، كما جاء في الحديث الشريف .

(١) كذا ، وفي ب : في الكتب المخلفة .

ممن تكلفَ بارتِحَالِ مذهبِهِمْ ، على تلك الكُتُبِ ، يرومُ أَخَذَ فقهِهِمْ منها ومذهبِهِمْ ، فلا يحلو بطلانُ ، ويصيرُ الى مخالفةِ الجمهورِ وإنكارِهِمْ عليه . وربما عُدَّ بهذه النحلة من أهل البدع بتلقيهِ العلم من الكُتُبِ ، من غيرِ مفتاحِ المعلمين .

وقد فعلَ ذلك ابنُ حزمٍ بالأندلسِ ، على علوِّ رتبته في حفظِ الحديثِ ، وصار الى مذهبِ أهلِ الظاهرِ ، ومهرَ فيه ، باجتِهَادِ زعمه في أقوالِهِمْ . وخالفَ إمامَهُمْ داودَ وتعرضَ للكثيرِ من أئمةِ المسلمين ؛ فنقمَ الناسُ ذلكَ عليه ، وأوسعوا مذهبَهُ استِهْجاناً وإنكاراً ، وتلقَّوا كُتُبَهُ بالاغفالِ والتَّركِ ، حتى إنها يُحْظَرُ بيعُها بالأسواقِ ، وربما تُتْرَقُ في بعضِ الأحيان . ولم يبقَ إلا مذهبُ أهلِ الرأي من العراقِ وأهلِ الحديثِ من الحجازِ .

فأما أهلُ العراقِ فإمامُهُمُ الذي استقرَّتْ عنده مذاهِبُهُمْ أبو حنيفةَ النُّعمانُ بنُ ثابتٍ ، ومقامُهُ في الفقه لا يُلْحَقُ ، شَهِدَ له بذلك أهلُ جلدته وخصوصاً مالكٌ والشافعيُّ .

وأما أهلُ الحجازِ فكانَ إمامُهُمُ مالكُ بنُ أنسٍ الأصْبَحيُّ إمامَ دارِ الهجرةِ رحمه الله تعالى . واختُصَّ بزيادةٍ مُدْرِكِ آخرَ الأحكامِ غيرِ المدارِكِ المعتبرَةِ عند غيره ، وهو عملُ أهلِ المدينة . لأنَّه رأى أنهم ، فيما يَتَّفِقُونَ عليه ، من فعلٍ أو تركٍ ، متابِعُونَ لمن قبلَهُمْ ، ضرورةً لدينِهِمْ واقتداءً بهم ؛ وهكذا الى الجيلِ المباشرينَ لفعلِ النبيِّ ﷺ الآخذينَ ذلكَ عنه . وصار ذلكَ عنده من أصولِ الأدلَّةِ الشرعيَّةِ . وظنَّ كثيرٌ أنَّ ذلكَ من مسائلِ الإجماعِ فانكره ،

لأنَّ دليلَ الإجماعِ لا يخصُّ أهلَ المدينةِ من سواهم ، بل هو شاملٌ للأمةِ .

واعلم أنَّ الإجماعَ إمَّا هو الاتفاقُ على الأمرِ الدينيِّ عن اجتهادٍ . ومالكٌ رحمه الله تعالى لم يعتزَّ عملَ أهلِ المدينةِ من هذا المعنى ؛ وإمَّا اعتبره من حيثُ اتباعُ الجليلِ بالمشاهدةِ للجيلِ إلى أن ينتهيَ إلى الشارعِ صلوات الله وسلامه عليه . وضرورةُ اقتدائهم [بعينِ ذلك يعمُّ الملةُ ^(١)] . ذُكرت في بابِ الإجماعِ لأنها أُلِّقَ الأبوابِ بها ، من حيثُ ما فيها من الاتفاقِ الجامعِ بينها وبين الإجماعِ . إلا أنَّ اتفاقَ أهلِ الإجماعِ عن نظريِّ واجتهاديِّ في الأدلَّةِ ، واتفاق هؤلاء في فعلٍ أو تركٍ مستنديٍّ إلى مشاهدةٍ من قبلهم . ولو ذُكرتِ المسئلةُ في بابِ فعلِ النبيِّ ﷺ وتقريره ، أو مع الأدلَّةِ المختلفِ فيها مثلَ مذهبِ الصحابيِّ وشرعٍ من قبلنا والاستصحابِ لكان أُلِّقَ بها .

ثم كان من بعدِ مالكٍ بن أنسٍ محمدُ بنُ إدريسَ المَظَلِّيُّ الشافعيُّ رحمه الله تعالى . رحلَ إلى العراقِ من بعدِ مالكٍ ولقيَ أصحابَ الإمامِ أبي حنيفةَ وأخذَ عنهم ، ومزجَ طريقةَ أهلِ الحجازِ بطريقةَ أهلِ العراقِ ، واختصَّ بمذهبٍ . وخالفَ ما لكَأ رحمه الله تعالى في كثيرٍ من مذهبه . وجاء من بعدهما أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله . وكان من عليَّةِ الحديثينِ . وقرأ أصحابُه على أصحابِ الإمامِ أبي حنيفةَ مع وفورِ بضاعتهم من الحديثِ ، فاخصُّوا بمذهبٍ آخر . ووقفَ

(١) المحصور بين [] ورد في نسخة ب : «تعين ذلك نعم المسئلة» وأظنه تحريفاً .

التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ، ودرس المقلدون لمن سواهم . وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم . ولما عاق عن الوصول الى ذنب الاجتهاد ، ولما خشي من إسناده ذلك إلى غير أهله ، ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه ، فصرحوا بالعجز والإعواز ، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء ، كل من اختص به من المقلدين . وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب . ولم يبق إلا نقل مذاهبهم . وعمل كل مقلد بذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية ، لا محصول اليوم للفقه غير هذا .

ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود من كوص على عقبيه هجور تقليده . وقد صار أهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة . فأما أحمد بن حنبل ، فقلده قليل لبعده مذهب عن الاجتهاد واصالته في معاصرة الرواية ، وللأخبار بعضها ببعض . وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها ، وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث وميلاً بالاستنباط إليه عن القياس ما أمكن ، وكان لهم ببغداد صولة وكثرة ، حتى كانوا يتوقعون مع الشيعة في نواحيها . وعظمت الفتنة من أجل ذلك ، ثم انقطع ذلك عند استيلاء التتر عليها . ولم يراجع وصارت كثرتهم بالشام . وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين ، وما وراء النهر وبلاد العجم كلها . ولما كان مذهبه أخص بالعراق ودار السلام ، وكان تلاميذه صحابة الخلفاء من بني العباس ، فكثرت

تأليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات ،
وجاؤوا منها بعلم مستطرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس .
وبالمغرب منها شيء قليل نقله إليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد
الباجي في رحلتها .

وأما الشافعي فقلّده بمصر أكثر مما سواها ، وقد كان انتشر
مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر ، وقاسموا الحنفية في
الفتوى والتدريس في جميع الأمصار . وعظمت مجالس المناظرات
بينهم وشجنت كتب الخلافات بأنواع استدلالاتهم . ثم درس
ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره . وكان الامام محمد بن إدريس
الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر ، أخذ عنه جماعة منهم .
وكان من تلميذه بها : البويطي والمزني وغيرهم ، وكان بها من
المالكية جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز
وغيرهم . ثم الحرث بن مسكين وبنوه ، ثم القاضي أبو اسحق بن
شعبان وأصحابه .

ثم انقرض فقه أهل السنة والجماعة من مصر بظهور دولة
الرافضة ، وتداول بها^(١) فقه أهل البيت وكاد من سواهم يتلاشوا
ويذهبوا . وارتحل إليها القاضي عبد الوهاب من بغداد ، آخر المائة
الرابعة ، على ما أعلم ، من الحاجة والتقلب في المعاش . فتأذن
خلفاء العبيدين باكرامه ، وإظهار فضله نعيًا على بني العباس في
إطراح مثل هذا الامام ، والاعتباط به . فنفتت سوق المالكية

(١) كذا في الأصل ومقتضى السياق : وتداول الناس بها فقه أهل البيت .

بمصر قليلاً ، إلى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ فذهب منها فقه أهل البيت وعاد فقه الجماعة إلى الظهور بينهم ورجع إليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام ؛ فعاد إلى أحسن ما كان ونفقت سوقه . واشتهر فيهم محيي الدين النووي من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الأيوبية بالشام وعز الدين بن عبد السلام أيضاً ، ثم ابن الرفعة بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد ، ثم تقي الدين السبكي بعدها . إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الإسلام بمصر لهذا العهد ، وهو سراج الدين البلقيني ؛ فهو اليوم كبير الشافعية بمصر ، لا بل كبير العلماء من أهل العصر .

وأما مالك رحمه الله تعالى فاخص بمذهبه أهل المغرب والأندلس . وإن كان يوجد في غيرهم ؛ إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما ان رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز ، وهو منتهى سفرهم . والمدينة يومئذ دار العلم ، ومنها خرج إلى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم ، فاقترضوا على الأخذ عن علماء المدينة . وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده . فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ، ممن لم تصل إليهم طريقته . وأيضاً فاليداوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ؛ فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة اليداوة . ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصناً عندهم ، ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع

في غيره من المذاهب . ولما صارَ مذهبُ كلِّ إمامٍ عالماً مخصوصاً عند أهل مذهبه ، ولم يكن لهم سبيلٌ إلى الاجتهاد والقياس ؛ فاحتاجوا الى تنظير المسائل في اللاحاق وتفريقها عند الاشتباه ، بعد الاستناد الى الأصول المقررة من مذهب إمامهم . وصارَ ذلك كله يحتاجُ الى ملكة راسخة ، يُقْتَدَرُ بها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة ، واتباع مذهب إمامهم فيهما ما استطاعوا .

وهذه الملكة هي علمُ الفقه لهذا العهد . وأهلُ المغرب جميعاً مقلِّدونَ لما لكِ رحمه الله . وقد كان تلاميذهُ اُفترقوا بمصرَ والعراق ؛ فكان بالِإِراق منهم القاضي اسماعيلُ وطبقتهُ مثلُ ابنِ خُوَيْرَمَنْدَادَ وابنِ اللَّبَّانِ^(١) والقاضي أبو بكر الأبهري^(٢) ، والقاضي أبو الحسين^(٣) ابنُ القَصَّارِ والقاضي عبدُ الوهابِ ومن بعدهم . وكان بمصرَ ابنُ القاسمِ وأشهبُ وابنُ عبدِ الحَكَمِ والحَرْثِ^(٤) بنُ مِسْكِينٍ وطبقَتُهُم . ورحل من الأندلسِ يحيى بن يحيى الليثي ، ولقي مالكا . وروى عنه كتاب الموطأ ، وكان من جملة أصحابه . ورحل بعده عبدُ الملك ابن حبيب ؛ فأخذَ عن ابنِ القاسمِ وطبقتهُ ، وبثَ مذهبَ مالكٍ في الأندلسِ ودوَّن فيه كتابَ الواضحة . ثم دوَّن العُتَيْبِيُّ من تلامذته كتابَ العُتَيْبَةِ . ورحل من إفريقية أسدُ بنُ القُرَاتِ ؛ فكتبَ عن أصحابِ أبي حنيفة أولاً ، ثم انتقل الى مذهبِ مالكٍ . وكتبَ

(١) كذا، وفي ب: ابن المتاب.

(٢) كذا، وفي ب: أبو الحسن.

(٣) كذا، وفي ب: الحارث.

علي ابن^(١) القاسم في سائر أبواب الفقه ، وجاء الى القيروان بكتابه
وُسَمِيَ الْأَسْدِيَّةَ نَسَبَةً إِلَى أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ ، فَقَرَأَ بِهَا سُحْنُونَ
عَلَى أَسَدٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَقِيَ ابْنَ الْقَاسِمِ وَأَخَذَ عَنْهُ ،
وَعَارَضَهُ بِمَسَائِلِ الْأَسْدِيَّةِ ؛ فَرَجَعَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا . وَكَتَبَ سُحْنُونَ
مَسَائِلَهَا وَدَوَّنُهَا وَأَثْبَتَ مَا رَجَعَ عَنْهُ مِنْهَا ، وَكَتَبَ مَعَهُ ابْنُ الْقَاسِمِ
إِلَى أَسَدٍ أَنْ يَمْحُو مِنْ أَسْدِيَّتِهِ مَا رَجَعَ عَنْهُ ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِكِتَابِ
سُحْنُونَ فَأَنْفَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَتَرَكَ النَّاسُ كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا مَدْوَنَةَ
سُحْنُونَ ، عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ اخْتِلَاطِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَبْوَابِ
فَكَانَتْ تَسَمَّى الْمَدْوَنَةَ وَالْمُخْتَلِطَةَ . وَعَكَفَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ عَلَى هَذِهِ
الْمَدْوَنَةِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْوَاضِحَةِ وَالْعُتْبِيَّةِ . ثُمَّ اخْتَصَرَ ابْنُ أَبِي
زَيْدٍ الْمَدْوَنَةَ وَالْمُخْتَلِطَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُخْتَصَرِ وَلِخُصِّهِ أَيْضاً
أَبُو سَعِيدٍ الْبَرَادِئِيُّ مِنْ فُقَهَاءِ الْقَيْرَوَانِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْتَهْذِيبِ ،
وَعَتَمَدَةُ الْمَشِخَّةُ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ وَأَخَذُوا بِهِ ، وَتَرَكَوْا مَا سِوَاهُ .
وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كِتَابَ الْعُتْبِيَّةِ وَهَجَرُوا الْوَاضِحَةَ
وَمَا سِوَاهَا . وَلَمْ يَزَلْ عِلْمَاءُ الْمَذْهَبِ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ الْأُمُتَاتِ بِالْإِشْرَاحِ
وَالْإِيضَاحِ وَالْجَمْعِ ؛ فَكَتَبَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ عَلَى الْمَدْوَنَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ
أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ ابْنِ يُونُسَ وَاللَّخْمِيِّ وَابْنِ مُحَرَّرٍ وَالتُّونُسِيِّ وَابْنِ
بَشِيرٍ وَأَمْثَالِهِمْ . وَكَتَبَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْعُتْبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ
أَنْ يَكْتُبُوا ، مِثْلَ ابْنِ رَشْدٍ وَأَمْثَالِهِ . وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ جَمِيعَ مَا
فِي الْأُمُتَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْإِخْلَافِ وَالْأَقْوَالِ فِي كِتَابِ النُّوَادِرِ ،

(١) كَذَا ، وَفِي ب : وَكَتَبَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ .

فاشتملَ عين جميع أقوال المذاهب، وفرّع الأُمّهاتِ كلّها في هذا الكتاب. ونقلَ ابنُ يونسَ مُعظَمَهُ في كتابه على المدوّنة، وزخرتَ بجارِ المذهبِ المالِكِيِّ في الأفقَيْنِ إلى انقراضِ دولةِ قُرُطْبَةَ والقَيْرَوَانِ، ثمّ تمسّكَ بهما أهلُ المغربِ بعدَ ذلك، [إلى أن جاءَ كتابُ أبي عمرو ابنِ الحَاجِبِ، لَخَّصَ فيه طُرُقَ أهلِ المذهبِ في كل بابٍ، وتعددِ أقوالهم في كل مسألةٍ، فجاءَ كالبرنامجِ للمذهبِ. وكانت الطريقتُ المالِكِيَّةُ بقيت في مصرَ من لدنِ الحارثِ بنِ مسكينَ، وابنِ المُبَشَّرِ وابنِ اللُّهَيْتِ وابنِ رَشِيقٍ وابنِ شَاسِرٍ. وكانت بالاسكندريَّةِ في بني عوفٍ وبني سَنَدٍ وابنِ عطاءِ الله. ولم أدرِ عَمَّن أخذها أبو عمرو ابنُ الحَاجِبِ، لكنه جاءَ بعد انقراضِ دولةِ العُبَيْدِيِّينَ، وذهابِ فقهِ أهلِ البيتِ وظهورِ فقهاءِ السُّنَّةِ من الشافعيَّةِ والمالِكِيَّةِ. ولما جاءَ كتابُهُ إلى المغربِ آخِرَ المائةِ السابعةِ^(١)] عكفَ عليه الكثيرُ

(١) إن المحصور بين [] ورد في نسخة ب هكذا:

وغيّزت للمذهب المالكي ثلاث طرق: (للقرويين) وكبيرهم سحنون، الأخذ عن أبي القسم؛ و(للقرطبيين) وكبيرهم ابن حبيب، الأخذ عن مالك ومطرف وابن الماحشون وأصبغ؛ و(للعراقيين) وكبيرهم القاضي إسماعيل وأصحابه. وكانت طريقة المصريين تابعة للعراقيين وإن القاضي عبد الوهاب انتقل إليها من بغداد آخر المائة الرابعة وأخذ أهلها عنه. وكانت للطريقة المالكية بمصر من لدن الحارث بن مسكين وابن ميسر وابن آللهيب وابن رشيق وكانت خافية بسبب ظهور الرافضة وفقه أهل البيت. وأما طريقة العراقيين، فكانت مهجورة عند أهل القيروان والأندلس لبعدها وخفاء مدرّكها وقلة اطلاعهم على مآخذهم فيها. والقوم أهل اجتهد، وإن كان خاصاً، لا يرون التقليد ولا يرضونه طريقاً. وكذلك نجد أهل المغرب والأندلس لا يأخذون برأي العراقيين، فيما لا يجدون فيه رواية عن الإمام أو أحد من أصحابه. ثم امتزجت الطرق بعد ذلك، ورحل أبو بكر الطرطوشي من الأندلس في المائة السادسة، ونزل البيت المقدس وأوطنه. وأخذ عنه أهل مصر والاسكندرية ومزجوا طريقة الأندلسية بطريقتهم المصرية. وكان من جملة أصحابه الفقيه سند صاحب الطراز وأصحابه، وأخذ عنهم جماعة، كان منهم بنو عوف وأصحابهم. وأخذ عنهم أبو=

من طلبة المغرب، وخصوصاً أهل بجاية، لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب . فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك؛ فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلميذه، ومنهم انتقل الى سائر الأمصار المغربية. وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه، لما يؤثروا عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه . وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد^(١) وابن هارون، وكلهم من مشيخة أهل تونس، وسابق حلبتهم في الإجازة في ذلك ابن عبد السلام، وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

=عمرو بن الحاجب وبعده شهاب الدين القرافي. واتصل ذلك في تلك الأمصار. وكان فقه الشافعية أيضاً قد انقرض بمصر منذ دولة العبيدين من أهل البيت؛ فظهر بعدهم في الفقهاء الذين جددوه الرافعي فقيه خراسان منهم. وظهر بالشام محبي الدين النووي من تلك الحلبة ثم امتزجت طريقة المغاربة من المالكية أيضاً بطريقة العراقيين، من لدن الشرمساحي. كان بالإسكندرية ظاهراً في الطريقة المغربية والمصرية؛ فبنى المستنصر العباسي أبو المعتمد وابن الظاهر مدرسته ببغداد واستدعاه لها من خلفاء العبيدين الذين كانوا يومئذ بالقاهرة؛ فأذنوا له في الرحيل إليه. فلما قدم بغداد ولأه تدریس المستنصرية، وأقام هنالك إلى أن استولى هولاكو على بغداد سنة ست وخمسين من المائة السابعة. وخلص من تيار تلك النكبة وخلا سبيله؛ فعاش هنالك، إلى أن مات في أيام ابنه أحمد أبغا. وتلخصت طرق هؤلاء المصريين ممتزجة بطرق المغاربة، كما ذكرناه، في مختصر أبي عمرو بن الحاجب، بذكر فقه الباب في مسائله المتفرقة، وبذكر الأقوال في كل مسألة على تعدادها؛ فجاء كالبرنامج للمذهب. ولما ظهر بالمغرب آخر المائة السابعة.

(١) كذا، وفي ب: ابن راشد.

الفصل الثامن

علم الفرائض

وأما علم الفرائض ، وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة ، من كم نصيب ، باعتبار فروضها الأصول أو مناسبتها . وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته ؛ فانه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعاً في الفريضتين إلى فروضهم من غير تجزئة . وقد تكون هذه المناسبات أكثر من واحد واثنين ، وتعدد كذلك بعدد أكثر . وبقدر ما تعدد يحتاج إلى الحساب ، وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين ، مثل أن يُقر بعض الورثة بوارث ويُنكره الآخر فتصحح على الوجهين حينئذ . ويُنظر مبلغ السهام ، ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة . وكل ذلك يحتاج إلى الحساب ، فافردوا هذا الباب من أبواب الفقه ، لما اجتمع فيه إلى الفقه من الحساب . وكان غالباً فيه ، وجعلوه فناً مفرداً . وللناس فيه تأليف كثيرة ، أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ، ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ، ومن متأخري إفريقية ابن النير^(١) الطرابلسي وأمثالهم .

(١) كذا ، وفي ب : ابن المنير .

وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ وَالْحَنَفِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ ، فَلَهُمْ فِيهِ تَأْلِيفُ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ صَعْبَةٌ ، شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَاعِ فِي الْفِقْهِ وَالْحِسَابِ ، وَخُصُوصاً أَبَا الْمَعَالِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَذْهَبِ . وَهُوَ فَنُّ شَرِيفٌ لَجَّعَهُ بَيْنَ الْمَقْضُوعِ وَالْمَنْقُولِ ، وَالْوَصُولِ بِهِ إِلَى الْحَقُوقِ فِي الْوَرَائِثِ ، بِوُجُودِ صَحِيحَةٍ يَقِينَةٍ ، عِنْدَمَا يُجْهَلُ الْخُطُوطُ وَتُشْكِكُلُ عَلَى الْقَاسِمِينَ . وَلِلْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِهَا عَنَاءٌ . وَمِنَ الْمُصَنِّفِينَ مَنْ يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الْغُلُوفِ فِي الْحِسَابِ ، وَفَرَضِ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَجْهُولَاتِ مِنْ فُنُونِ الْحِسَابِ : كَالْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْجُدُورِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ، فَيَمْلَأُونَ بِهَا تَأْلِيفَهُمْ . وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَدَاوِلًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا يَفِيدُ فِيمَا يَتَدَاوَلُونَهُ مِنْ وَرَائِهِمْ لِعَرَابَتِهِ وَقَلَّةِ وَقُوعِهِ ، فَهُوَ يَفِيدُ الْمِرَانَ وَتَحْصِيلَ الْمُلْكَةِ فِي الْمَتَدَاوِلِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُودِ .

وَقَدْ يَحْتَاجُ الْأَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ عَلَى فَضْلِهِ ، بِالْحَدِيثِ الْمَنْقُولِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ الْفَرَائِضَ ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْسَى ، وَفِي رَوَايَةٍ : نَصْفُ الْعِلْمِ ، خَرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ . وَاحْتِجَّ بِهِ أَهْلُ الْفَرَائِضِ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْفَرَائِضِ فُرُوضُ الْوَرَائِثِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا الْمَحْمَلَ بَعِيدٌ ، وَإِنَّ الْمَرَادَ بِالْفَرَائِضِ إِنَّمَا هِيَ الْفَرَائِضُ التَّكْلِيفِيَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا . وَبِهَذَا الْمَعْنَى يَصِحُّ فِيهَا النِّصْفِيَّةُ وَالثُّلُثِيَّةُ .

وَأَمَّا فُرُوضُ الْوَرَائِثِ فَهِيَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عُلُومِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا . وَيَعْنِي هَذَا الْمَرَادُ أَنَّ حَلَّ لَفْظِ الْفَرَائِضِ عَلَى

هذا الفن المخصوص ، أو تخصيصه بفروض الوراثة ، إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات . ولم يكن ، صدر الاسلام ، يُطلق هذا اللفظ إلا على عموميه مشتقاً من الفرض الذي هو ، لغة ، التقدير أو القطع . وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه ، وهي حقيقتها الشرعية ، فلا ينبغي أن يُحمل إلا على ما كان يُحمل في عصرهم فهو أليق بمرادهم منه . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق .

الفصل التاسع

أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

إعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة ، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف . وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ، ثم السنة المبينة له . فعلى عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تُتلقى منه ، بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله ، بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظرية وقياس . ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر . وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها ، قولاً أو فعلاً ،

بالتنقل الصحيح ، الذي يغلبُ على الظنِّ صدقُهُ . وتعينت دَلَالَةُ الشرع في الكتابِ والسُّنَّةِ بهذا الاعتبار ، ثم تنزَّلَ الإجماعُ منزلتهما لإجماعِ الصَّحَابَةِ على التَّكْيِيرِ على مخالفيهم . ولا يكونُ ذلك إلا عن مستندٍ لَأَنَّ مثلَهُمْ لا يتفقونَ من غير دليلٍ ثابتٍ ، مع شهادة الأَدِلَّةِ بعصمةِ الجماعةِ ؛ فصارت الإجماعُ دليلاً ثابتاً في الشرعياتِ .

ثم نظرنا في طرقِ استدلالِ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ؛ فإذا هم يقيسونَ الأَشْبَاهَ منها بالأَشْبَاهِ . وينظرونَ الأمثالَ بالأمثالِ بإجماعٍ منهم ، وتسليمٍ بعضهم لبعضٍ في ذلك . فَإِنَّ كثيراً من الواقعاتِ بعده صلوات الله وسلامُهُ عليه ، لم تندرج في النصوصِ الثابتةِ ؛ ففاسوها بما ثَبَتَ ، وألحقوها بما نُصَّ عليه ، بشروطٍ في ذلك الإلحاقِ ، تصحِّحُ تلك المساواة بين الشبهين أو المثليين . حتى يغلبَ على الظنِّ أَنَّ حكمَ الله تعالى فيهما واحدٌ ، وصارَ ذلك دليلاً شرعياً بإجماعِهِمْ عليه ، وهو القياسُ ، وهو رابعُ الأَدِلَّةِ .

واتفقَ جمهورُ العلماء على أَنَّ هذه هي أصولُ الأَدِلَّةِ ، وإن خالفَ بعضهم في الإجماعِ والقياسِ ، إلا أَنَّهُ شذوذٌ . وألحقَ بعضهم بهذه الأَدِلَّةِ الأربعةَ أدِلَّةً أخرى لا حاجةَ بنا إلى ذكرها ، لضعفِ مدارِكِها وشذوذِ القولِ فيها . فكانَ من أوَّلِ مباحثِ هذا الفنِّ النظرُ في كَوْنِ هذه أدلةً . فأما الكتابُ فدليلُهُ المعجزةُ القاطعةُ في متبهِه ، والتواترُ في نقلهِ ؛ فلم يبقَ فيه مجالٌ للاحتمالِ . وأما السُّنَّةُ وما نُقِلَ إلينا منها ؛ فالإجماعُ على وجوبِ العملِ بما يصحُّ منها كما قلناه ، معترضداً بما كان عليه العملُ في حياته صلوات

الله وسلامه عليه ، من إنفاذ الكتب والرسل الى النواحي
بالأحكام والشرائع آيماً وناهيماً . وأما الاجماع فلا تفاقيم رضوان
الله تعالى عليهم على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة . وأما
القياس فبإجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه . هذه
أصول الأدلة . ثم إن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر ،
بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين ، لتمييز الحالة المحصلة
للظن بصدقه ، الذي هو مناط وجوب العمل بالخبر . وهذه أيضاً
من قواعد الفن .

ويلحق بذلك ، عند التعارض بين الخبرين ، وطلب المتقدم
منهما ، معرفة الناسخ والمنسوخ ؛ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه .
ثم بعد ذلك يتمين النظر في دلالات الألفاظ ؛ وذلك أن استفادة
المعاني على الإطلاق ، من تراكيب الكلام على الإطلاق ، يتوقف
على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة . والقوانين اللسانية
في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان . وحين كان الكلام^(١)
ملكاً لأهله لم تكن هذه علوماً ولا قوانين ، ولم يكن الفقه
حينئذ يحتاج إليها ، لأنها جيلة وملكة . فلما فسدت الملكة في
لسان العرب ، قيدها الجهايزة المتجردون لذلك ، بنقل صحيح
ومقاييس مستبطة صحيحة ، وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في
معرفة أحكام الله تعالى . ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من
تراكيب الكلام ، وهي استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من

(١) كذا ، وفي ب: اللسان .

أدلتها الخاصة بين تراكيب الكلام وهو الفقه .

ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق ، بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة ، وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك ، وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة . مثل أن اللغة لا تثبت قياساً ، والمشتراك لا يُراد به معناه معاً ؛ والواو لا تقتضي الترتيب ، والعام إذا أُخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها ؟ والأمر للوجوب أو النذب واللفور أو التراخي ، والنهي يقتضي الفساد أو الصحة ، والمطلق هل يُحمل على المقيّد ؟ والنص على العلة كافر في التعدد ام لا ^(١) ؟ وأمثال هذه . فكانت كلها من قواعد هذا الفن . ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية . ثم إن النظر في القياس من أعظم قواعد هذا الفن ، لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام وتنقيح الوصف الذي يغلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل ، من تبين أوصاف ذلك المحل ، أو وجود ذلك الوصف في الفرع ، من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه إلى مسائل أخرى من قواعد ذلك ، كلها قواعد لهذا الفن .

واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة ، وكان السلف في غنيمة عنه ، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية . وأما القوانين التي

(١) كذا ، ب : في التعدي أولاً .

يُحتاجُ إليها في استفادة الأحكام خصوصاً ، فعنهم أخذَ معظمُها .
وأما الاسانيدُ فلم يكونوا يحتاجون إلى النَّظَرِ فيها ، لقربِ العصرِ
وممارسةِ النقلةِ وخبرتهمَ بهم . فلما انقرضَ السَّلفُ ، وذهبَ الصدرُ
الأوَّلُ وانقلبتِ العلومُ كُلُّها صِنَاعَةً كما قرَّرناه من قبل ، احتاجَ
الفقهاءُ والمجتهدون إلى تحصيلِ هذه القوانينِ والقواعدِ ، لاستفادةِ
الأحكامِ من الأدلَّةِ ؛ فكتبوها فناً قائماً برأيه سنوهُ أصولِ الفقهِ .
وكان أوَّلَ من كتبَ فيه الشافعيُّ رضي الله تعالى عنه . أملى فيه
رسالتَهُ المشهورة ، تكلمَ فيها في الأوامرِ والنواهي والبيانِ والخبرِ
والنسخِ وحُكمِ العِلَّةِ المنصوصَةِ من القياسِ . ثم كتبَ فقهاءُ الحنفيَّةِ
فيه وحقَّقوا تلكَ القواعدَ وأوسعوا القولَ فيها . وكتبَ المتكلمونَ
أيضاً كذلك ؛ إلا أنَّ كتابةَ الفقهاءِ فيها أمسُّ بالفقهِ وأليقُ بالفروعِ ،
لكثرةِ الأمثلةِ منها والشواهدِ ، وبناءِ المسائلِ فيها على النكتِ
الفقهيةِ . والمتكلمونَ يجرِّدونَ صورَ تلكَ المسائلِ عن الفقهِ ، ويميلونَ
إلى الاستدلالِ العقليِّ ما أمكنَ ، لأنه غالبُ فنونهم ومقتضى
طريقتهم ؛ فكانَ لفقهاءِ الحنفيَّةِ فيها اليدُ الطولى من الغوصِ على
الشككِ الفقهيةِ ، والتقاطِ هذه القوانينِ من مسائلِ الفقهِ ما أمكنَ .
وجاء أبو زيدٍ الدبوسيُّ من أثمتهم ؛ فكتبَ في القياسِ بأوسعَ
من جميعهم ، وتَمَّ الأبحاثُ والشروطُ التي يحتاجُ إليها فيه ، وكمَلتِ
صناعةُ أصولِ الفقهِ بكَماله ، وتهذبتِ مسائلُهُ وتمهدتِ قواعدهُ ، وعُنيَ
الناسُ بطريقةِ المتكلمينَ فيه . وكان من أحسنِ ما كتبَ فيه
المتكلمونَ ، كتابُ البرهانِ لإمامِ الحرمين ، والمستصفي للغزاليِّ ،

وهما من الأشعرية. وكتاب العهد^(١) لعبد الجبار ، وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري ، وهما من المعتزلة. وكانت الأربعة ، قواعد هذا الفن وأركانه . ثم لخص هذه الكتب الأربعة فحلان من المتكلمين ، المتأخرين ، وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب الحصول ، وسيف الدين الأمدئي في كتاب الأحكام . واختلف طرائقهما في الفن بين التحقيق والاحتجاج . فابن الخطيب أميل الى الاستكثار من الأدلة والاحتجاج ، والأمدئي مولع بتحقيق المذاهب وتفريغ المسائل . وأما كتاب الحصول ، فاختصره تلميذ الامام مثل سراج الدين الأرموي في كتاب التحصيل ، وتاج الدين الأرموي في كتاب الحاصل . واقتطف شهاب الدين القرافي^٢ منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات . وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج . وغني المبتدئون بهذين الكتابين ، وشرحها كثير من الناس . وأما كتاب الأحكام للأمدئي وهو أكثر تحقيقاً في المسائل ؛ فلخصه أبو عمرو بن الحاجب في كتابه المعروف بالمختصر الكبير . ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبه العلم ، وغني أهل المشرق والمغرب به وبطلعه وشرحه . وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات .

وأما طريقة الحنيفة فكتبوا فيها كثيراً ، وكان من أحسن كتابة المتقدمين فيها تأليف أبي زيد الدبوسي ؛ وأحسن كتابة

(١) كذا ، وفي ب : كتاب العمدة .

المتأخرين فيها تأليف سيف الإسلام البردوي من أئمتهم ، وهو مستوعب . وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الأحكام وكتاب البردوي في الطريقتين ، وسمى كتابه بالبدائع ؛ فجاء من أحسن الأوضاح وأبدعها ، وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءةً وبحثاً . وأولع كثير من علماء العجم بشرحه . والحال على ذلك لهذا العهد .

هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعدد التأليف المشهورة لهذا العهد فيه . والله ينفعنا بالعلم ، ويجعلنا من أهله ، بمنه وكرمه ، إنه على كل شيء قدير .

الخلافات

وأما الخلافات فاعلم أن هذا الفئة المستنبط من الأدلة الشرعية كثيرة في الخلاف بين المجتهدين ، باختلاف مداركهم وأنظاريهم ، خلافاً لا بد من وقوعه لما قدمناه . واتسع ذلك في الملة اتساعاً عظيماً ، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاؤوا منهم . ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار ، وكانوا بمكان من حسن الظن بهم ، اقتصر الناس على تقليديهم ، ومنعوا^(١) من

(١) الضمير في منعوا يعود إلى : «الناس» أي ، ومنع الناس . . . الخ . وهل يجوز أن يصدر منع يختص بأمر ديني مهم عن غير الله أو رسوله ؟ روي أن أحد المعصمين قال للإمام المصلح الشيخ محمد عبده : «إن باب الاجتهاد مسدود ، وإننا نراك تجتهد» فأجاب الشيخ جوابه التاريخي قائلًا : «ومن سده» ؟ فارتج على السائل ولم يحجر جواباً . يجب أن تصدر المسائل الدينية الإسلامية عن ينبوعين أساسيين هما : القرآن الكريم وكلام الرسول وهو السنة النبوية .

تقليد سواهم ، لذهاب الاجتهاد ، لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده ، باتصال الزمان واقتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة . فأقيمت هذه المذاهب الأربعة على أصول الملة ، وأجري الخلاف بين المتمسكين بها ، والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والأصول الفقهية .

وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، تجري على أصول صحيحة وطرائق قديمة ، يحتاج بها كل على صحة مذهبه الذي قلده وتمسك به . وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه : فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك ، وأبو حنيفة يوافق أحدهما ؛ وتارة بين مالك وأبي حنيفة ، والشافعي يوافق أحدهما ؛ وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ، ومالك يوافق أحدهما . وكان في هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء الأئمة ، ومشاراتهم باختلافهم ومواقع اجتهادهم . كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات . ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد ؛ إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط ، وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بادلتها .

وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مأخذ الأئمة وأدلتهم ، ويران^(١) المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه . وتأليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تأليف المالكية ؛ لأن

(١) كذا ، وفي ب : وميزات .

القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت ، فهم لذلك أهل النظر والبحث . وأما المالكية فالأثر أكثر معتمديهم وليسوا بأهل نظر . وأيضاً فأكثرهم أهل المغرب ، وهم بادية غفل من الصنائع إلا في الأقل . وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المآخذ ، ولأبي بكر العربي من المالكية كتاب التلخيص جلبه من المشرق ، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة ، ولابن القصار من شيوخ المالكية عيون الأدلة ، وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافية ، مدرجاً في كل مسألة منه ما ينبنى عليها من الخلافات .

الجدل

وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ؛ فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عناناً في الاحتجاج . ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ ؛ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً ، وكيف يكون مخصوماً منقطعاً ، ومحل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال . ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد ،

من الحدود والآداب ، في الاستدلال ، التي يتوصل بها الى حفظ رأي أو هدمه ، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره . وهي طريقتان : طريقة البزدوي ، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال ؛ وطريقة العميدي ، وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان ، وأكثره استدلال . وهو من المناحي الحسنة ، والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة . وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي . إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاةً يتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي . وهذا العميدي هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه . وضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصراً ، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره ، جاؤوا على أثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التآليف . وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الأمصار الإسلامية . وهي مع ذلك كالأية وليست ضرورية . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

الفصل العاشر

علم الكلام

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد . فلنقدم هنا

لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ، ثم نزجُ إلى تحقيق علم الكلام وفيما ينظرُ ونشيرُ إلى حدوثه في الملة، وما دعا إلى وضعه فنقول: إعلم أن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة، وعنهما يتم كونه. وكل واحد من تلك الأسباب حادث أيضاً، فلا بد له من أسباب أخرى. ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدِها وخالقها. لا إله إلا هو سبحانه.

وتلك الأسباب في ارتقاها تتضاعف فتفسح طولاً وعرضاً، ويحار العقل في إدراكها وتعديدها. فإذا لا يحصرها إلا العلم المحيط، سيما الأفعال البشرية والحيوانية؛ فإن من جملة أسبابها في الشاهد القُصود والإرادات، إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه. والقصودات والإرادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضاً. وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل. وقد تكون أسباب تلك التصورات تصورات أخرى، وكل ما يقع في النفس من التصورات فجهول سببه، إذ لا يطلع أحد على مبادئ الأمور النفسانية، ولا على ترتيبها. إنما هي أشياء يلقيها الله في الفكر، يتبع بعضها بعضاً، والإنسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها. وإنما يحيط علماء في الغالب بالأسباب التي هي طبيعة ظاهرة، وتقع في مداركها على

نظامٍ وترتيبٍ ، لأنَّ الطبيعةَ محصورةٌ للنفسِ وتحتَ طورِها . وأمَّا التصوراتُ فنطاقُها أوسعُ من النفسِ ، لأنها للعقلِ الذي هو فوقَ طورِ النفسِ ؛ فلا تكادُ النفسُ تدركُ الكثيرَ منها فضلاً عن الإحاطةِ . وتأملُ من ذلكِ حِكْمَةَ الشارِعِ في نهيهِ عن النظرِ إلى الأسبابِ والوقوفِ معها ، فإنه وإدِ يهيمُ فيه الفكرُ ولا يخلو^(١) منه بطائلٌ ، ولا يظفرُ بحقيقةٍ . قل اللهُ ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وربما انقطعَ في وقوفهِ عن الارتقاء الى ما فوقهُ فزلت قدمُهُ ، وأصبحَ من الضالينَ الهالكينَ . نعوذُ باللهِ من الحرمانِ والخسرانِ المبينِ .

ولا تحسبنَّ أنَّ هذا الوقوفُ أو الرجوعُ عنه في قدرتكِ أو اختياركِ ؛ بل هو لونٌ يحصلُ للنفسِ وصِبْغَةٌ تستحْكِمُ من الخوضِ في الأسبابِ على نسبةٍ لا نعلمُها . إذ لو علمناها لتحرزنا منها . فلنتحرزُ من ذلكِ بقطعِ النظرِ عنها جملةً . وأيضاً فوجهُ تأثيرِ هذه الأسبابِ في الكثيرِ من مسبباتِها مجهولٌ ؛ لأنها إنما يوقفُ عليها بالعادةِ ، وقضيةِ الاقتِرانِ الشاهدِ بالاستنادِ الى الظاهرِ . وحقيقةُ التأثيرِ وكيفيةُ مجهولةٌ ، ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، فلذلكِ أمرنا بقطعِ النظرِ عنها وإلغائها جملةً ، والتوجهُ الى مسببِ الأسبابِ كُلِّها وفاعلِها وموجدِها ؛ لترسُخِ صبغةِ التوحيدِ في النفسِ ، على ما علَّمنا الشارِعُ الذي هو أعرفُ بمصالحِ ديننا ، وطُرُقِ سعادتنا ، لإطلاعهِ على ما وراءِ الحسِّ .

(١) ورد في لسان العرب : «قال ابن بري : وقولهم لم يحل بالباطل أي لم يظفر ولم يستفد» .

قال ﷺ: « من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ». فان وقف عند تلك الأسباب ، فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر ؛ وإن سبَح في بحر النظر والبحث عنها وعن أسبابها وتأثيراتها واحداً بعد واحد ، فأنا الضامن له أن لا يعود إلا بالحيرة . فذلك نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ ﴾^(١) . ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها ، والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وسفه رأيته في ذلك . واعلم أن الوجود عند كل مدرك في باديء رأيه أنه منحصر في مداركه لا يعدوها ، والأمر في نفسه بخلاف ذلك ، والحق من ورائه . ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات . وكذلك الأعمى أيضاً يسقط من الوجود عنده صنف المرئيات ، ولولا ما يردهم الى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة ، لما أقروا به . لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف ، لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم ؛ ولو سُئل الحيوان الأعجم ونطق ، لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية . فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا ، لأن إدراكنا مخلوقة محدثة ، وخلق الله أكبر من خلق الناس . والحرص مجهول والوجود

(١) سورة الإخلاص بكاملها .

أوسع نطاقاً من ذلك ، والله من ورائهم محيط . فأتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر ، وأتبع ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك ؛ فهو أحرص على سعادتك ، وأعلم بما ينفعك ؛ لأنه من طورٍ فوق إدراكك ، ومن نطاقٍ أوسع من نطاق عقلك . وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه ؛ بل العقل ميزانٌ صحيحٌ ، فأحكامه يقينيةٌ لا كذب فيها . غير أنك لا تطمع أن ترن به أمور التوحيد والآخرة ، وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره ، فإن ذلك طمعٌ في محال .

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب ؛ فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدرك . على أن الميزان في أحكامه غير صادق ؛ لكن للعقل حدٌ يقف عنده ولا يتعدى طوره ، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته ، فانه ذرةٌ من ذرات الوجود الحاصل منه . وتفطن من هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا ، وقصور فهمه واضمحلال رأيه ؛ فقد تبين لك الحق من ذلك . وإذا تبين ذلك ، فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا ، خرجت عن أن تكون مُدركةً ؛ فيضلُّ العقل في بيداء الأوهام ، ويجار وينقطع . فإذا : التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيراتها ، وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها ، إذ لا فاعل غيره . وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته ، وعلمنا به إنما هو من حيث صدورنا عنه لا غير . .

وهذا هو معنى ما نُقِلَ عن بعض الصديقين : « العجزُ عن الادراكِ ادراكٌ ». ثم إنَّ المعتبرَ في هذا التوحيدِ ليس هو الايمانَ فقط ، الذي هو تصديقٌ حُكْمِيٌّ ؛ فإنَّ ذلك من حديثِ النفس . وإنما الكمالُ فيه حصولُ صفةٍ منه ، تتكَيَّفُ بها النفسُ . كما أنَّ المطلوبَ من الأعمالِ والعباداتِ أيضاً حصولُ ملكةِ الطاعةِ والانقيادِ ، وتفرُّغِ القلبِ عن شواغلٍ ما سوى المعبودِ ، حتى ينقلبَ المريدُ السالكُ ربّانياً . والفرقُ بينَ الحالِ والعلمِ في العقائدِ فرقٌ ما بينَ القولِ والاتِّصافِ . وشرحه أنَّ كثيراً من الناسِ يعلمُ أنَّ رحمةَ اليتيمِ والمسكينِ ، قربَةً إلى الله تعالى ، مندوبٌ إليها ، ويقولُ بذلك ويعترفُ به ويذكرُ مأخذَهُ من الشريعةِ ؛ وهو لو رأى يتيماً أو مسكيناً من أبناءِ المستضعفينِ ، لقرَّ عنه ، واستكفَّ أنَّ يباشرَهُ ، فضلاً عن التمسُّحِ عليه للرحمةِ ، وما بعدَ ذلك من مقاماتِ العطفِ والحنوِّ والصدقةِ . فهذا إنما حصلَ له من رحمةِ اليتيمِ مقامُ العلمِ ، ولم يحصلْ له مقامُ الحالِ والاتِّصافِ . ومن الناسِ من يحصلُ له مع مقامِ العلمِ والاعترافِ بأنَّ رحمةَ المسكينِ قربَةً إلى الله تعالى مقامٌ آخرُ أعلى من الأوَّلِ ، وهو الاتِّصافُ بالرحمةِ وحصولُ ملكتها . فتنى رأى يتيماً أو مسكيناً بادَرَ إليه ومسحَ عليه والتمسَ الثوابَ في الشفقةِ عليه ، لا يكادِ يصبرُ عن ذلك ، ولو دُفِعَ عنه . ثم يتصدَّقُ عليه بما حضرَهُ من ذاتِ يده . وكذا علمكُ بالتوحيدِ مع اتِّصافكُ به ، والعلمُ الحاصلُ عن الاتِّصافِ ضرورةً ، هو أوثقُ مبنىً من العلمِ الحاصلِ قبل الاتِّصافِ . وليس

الاتصافُ بحاصلٍ عن مجردِ العلم ، حتى يقعَ العملُ ويتكررَ مراراً غيرَ منحصرةٍ ، فترسخَ الملكةُ ويحصلَ الاتِّصافُ والتحقيقُ ، ويجيءُ العلمُ الثاني النافعُ في الآخرةِ . فإنَّ العلمَ الأوَّلَ المجردَ عن الاتصافِ قليلُ الجدوى والنفعِ ، وهذا علمُ أكثرِ النظائرِ ، والمطلوبُ إنما هو العلمُ الحاليُّ الناشئُ عن العادة .

واعلم أنَّ الكمالَ عندَ الشارعِ في كلِّ ما كلفَ به إنما هو في هذا : فما طَلَبَ اعتقادهُ فالكمالُ فيه في العلمِ الثاني الحاصلِ عن الاتِّصافِ ؛ وما طَلَبَ عملهُ من العباداتِ ، فالكمالُ فيها في حصولِ الاتصافِ والتحقيقِ بها . ثم إنَّ الاقبالَ على العباداتِ والمواظبةَ عليها هو المحصلُ لهذه الشَّرةِ الشريفةِ . قالَ ﷺ : « في رأسِ العباداتِ جعلتُ قرَّةَ عيني في الصلاةِ » ؛ فإنَّ الصلاةَ صارتَ له صفةً وحالاً يحدُّ فيها منتهى لذَّته وقرَّةَ عينه ، وأبْنِ هذا من صلاةِ الناسِ ومن لهم بها ؟ « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » ^(١) . اللهم وفقنا ، ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢) .

فقد تبينَ لك من جميعِ ما فرَّناهُ ، أنَّ المطلوبَ في التكليفِ كُلِّها حصولُ ملكةٍ راسخةٍ في النفسِ ، ينشأ عنها علمٌ اضطراريٌّ للنفسِ ، هو التوحيدُ ، وهو العقيدةُ الايمانيةُ ، وهو الذي تحصلُ به السعادةُ ، وأنَّ ذلكَ سواءٌ في التكليفِ القلبيِّ والبدنيِّ .

(١) الآيتان : ٤ و ٥ من سورة (الماعون) .

(٢) الآيتان : ٥ و ٦ من سورة (الفاتحة) .

ويتفهم منه أن الإيمان الذي هو أصل التكاليف كلها ويذبوعها، هو بهذه المثابة وأنه ذو مراتب : أولها التصديق القلبي الموافق للسان، وأعلها حصول كيفية، من ذلك الاعتقاد القلبي، وما يتبعه من العمل، مستولية على القلب؛ فيستتبع الجوارح. وتندرج في طاعتها جميع التصرفات، حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني. وهذا أرفع مراتب الإيمان، وهو الإيمان الكامل الذي لا يقارِف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة. إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين. قال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ». وفي حديث هرقل، لما سأل أبا سفيان بن حرب عن النبي ﷺ وأحواله؛ فقال في أصحابه : هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال لا، قال وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. ومعناه أن ملكة الإيمان إذا استقرت عسرت على النفس مخالفتها، شأن الملكات إذا استقرت؛ فإنها تحصل بمثابة الجبلية والفطرة. وهذه هي المرتبة العالية من الإيمان، وهي في المرتبة الثانية من العصمة. لأن العصمة واجبة للأنبياء وجوباً سابقاً، وهذه حاصلة للمؤمنين حصولاً تابعاً لأعمالهم وتصديقهم. فبهذه الملكة ورسوخها، يقع التفاوت في الإيمان، كالذي يتلى عليك من أقاويل السلف.

وفي تراجم البخاري رضي الله عنه، في باب الإيمان، كثير منه، مثل : أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص؛ وأن الصلاة

والصيام من الايمان ؛ وأن تطوَّعَ رَمَضانَ من الايمان ، والحياء من الايمان . والمرادُ بهذا كِلَهُ الايمان الكامل ، الذي أشرنا اليه وإلى ملكته ، وهو فعلي . وأما التصديقُ الذي هو أولُ مراتبه فلا تفاوتَ فيه . فمن اعتبرَ أوائلَ الأسماء ، وحمله على التصديق مُنَعَ من التفاوتِ ، كما قال أئمةُ المتكلمين ؛ ومن اعتبرَ أواخرَ الأسماء ، وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكاملُ ظهرَ له التفاوتُ . وليس ذلك بقادحٍ في اتحادِ حقيقته الأولى التي هي التصديقُ ، إذ التصديقُ موجودٌ في جميعِ رتبته ، لأنه أولُ ما يُطلقُ عليه اسمُ الايمان ؛ وهو المخلصُ من عُهدَةِ الكُفْرِ ، والفيصلُ^(١) بينَ الكافرِ والمؤمنِ ؛ فلا يجزي أقلُّ منه . وهو في نفسه حقيقةٌ واحدةٌ لا تفاوتُ ، وإنما التفاوتُ في الحالِ الحاصِلَةِ عن الاعمالِ كما قلناه ، فافهم . واعلم أن الشارعَ وصفَ لنا هذا الايمانَ ، الذي في المرتبةِ الاولى ، الذي هو تصديقٌ ؛ وعيَّنَ أموراً مخصوصةً ، كلّفنا التصديقَ بها بقلوبنا ، واعتقادها في أنفسنا مع الاقرارِ بها بألسنتنا ؛ وهي العقائدُ التي تَقَرَّرت في الدين . قال ﷺ ، حين سُئلَ عن الايمانِ فقال : « أن تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبه ورسله واليومِ والآخرِ ، وتؤمنَ بالقدرِ : خيرِهِ وشرِّهِ » .

وهذه هي العقائدُ الايمانيةُ المقرَّرةُ في علم الكلام . ولنشرَ إليها مُجْمَلَةً لتبينَ لك حقيقةُ هذا الفنِ وكيفيةُ حدوثه ، فنقول : اعلم أن الشارعَ لما أَمَرنا بالايانِ بهذا الخالقِ ، الذي رَدُّ الأفعالِ

(١) في نسخة ب : والفاصل .

كلّها إليه ، وأفرده بها كما قدّمناه ، وعرفنا أنّ في هذا الايمان
نجاةً عند الموت إذا حضرنا ، لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق
المعبود ؛ إذ ذلك متعذرٌ على إدراكنا ومن فوقِ طورنا . فكلفنا :
أولاً ، اعتقادَ تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين ، وإلا لما صحَّ
أنه خالقٌ لهم ، لعدم الفارقِ على هذا التقدير ؛ ثم تنزيهه عن
صفاتِ النقص ، وإلا لشابه المخلوقين ؛ ثم توحيدِهِ بالإنجاء ، وإلا
لم يتمّ الخلقُ للتمانع ؛ ثم اعتقادُ أنه عالمٌ قادرٌ ، فبذلك تتمّ الأفعالُ
شاهدَ قضيتِهِ لكمالِ الإيجادِ والخلقِ ، ومُريدٌ وإلا لم يُخصَّصْ شيءٌ
من المخلوقاتِ ؛ ومُقدِّرٌ لكل كائن ، وإلا فالإرادةُ حادثةٌ . وأنه
يعيدنا بعد الموتِ تكميلاً لعنايته بالإيجادِ ، ولو كان للغناء الصّرف
كان عبثاً ، فهو للبقاء السرمديّ بعد الموتِ . ثم اعتقادُ بعثة الرُّسلِ
للنجاة من شقاء هذا المعادِ ، لاختلاف أحواله بالشقاء والسعادة ،
وعدم معرفتنا بذلك ، وقام لطفه بنا في الإنباء بذلك ، وبيانِ
الطريقين . وأنّ الجنةَ للنعيمِ وجهنمَ للعذابِ . هذه أمّهاتُ العقائدِ
الايمانية ، معلّلة بأدلتها العقلية ؛ وأدلتها من الكتابِ والسنةِ
كثيرةٌ . وعن تلك الأدلّة أخذها السلفُ وأرشد إليها العلماءُ
وحقّقها الأئمّة ؛ إلا أنه عرضَ بعد ذلك خلافٌ في تفاصيلِ
هذه العقائدِ ، أكثرُ مشارها من الآي المتشابهة ؛ فدعا ذلك إلى
الخصامِ والتناظرِ والاستدلالِ بالعقلِ زيادةً إلى النقلِ . فحدثَ
بذلك علمُ الكلامِ .

ولنبينَ لك تفصيلَ هذا المجلدِ . وذلك أنّ القرآنَ وردَ فيه

وصفُ المعبودِ ، بالتنزيه المطلق ، الظاهر الدلالة من غير تأويلٍ في أي كثيرة ، وهي سلوبٌ ^(١) كلها وصريجةٌ في بابها ؛ فوجب الإيمان بها . ووقع في كلام الشارع صلواتُ الله عليه وكلام الصَّحابة والتابعين تفسيرُها على ظاهرها ثم وردت في القرآن أي أخرى قليلة توهمُ التشددَ، مرةً في الذاتِ وأخرى في الصِّفات . فأما السلفُ فغلبوا أدلةَ التنزيه لكثرتها ووضوح دالاتها ، وعلموا استحالة التشبيه . وقضوا بأن الآيات من كلام الله ؛ فأمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ، ببحثٍ ولا تأويلٍ . وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرأوها كما جاءت ، أي آمنوا بأنها من عند الله . ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها ، لجواز أن يكون ابتلاء ، فيجب الوقف والإذعان له . وشدَّ لعصرهم مبتدعةً اتبعوا ما تشابه من الآيات ، وتوغلوا في التشبيه : ففريقٌ شبهوا في الذاتِ باعتقاد اليد والقدم والوجه ، عملاً بطواهر وردت بذلك ؛ فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق ، لأنَّ مقولةَ الجسم تقتضي النقص والافتقار . وتغلبُ آيات السلوب في التنزيه المطلق ، التي هي أكثرُ مواردٍ وأوضحُ دلالةً ، أولى من التعلق بطواهر هذه التي لنا عنها غنيَّة ، وجمع بين الدليلين بتأويلها . ثم يفرِّشون من شناعة ذلك بقولهم جسمٌ لا كالأجسام . وليس ذلك بدافع عنهم ، لأنَّه قولٌ متناقضٌ ، وتجمع بين نفي وإثبات : إن كانا لمقولة

(١) ورد في لسان العرب : «والسلوب من النوق : التي ألقت ولدها لغبر غمام . وظبية سلوب وسالب : سلبت ولدها» . واستعمال الكلمة هنا على المجاز بمعنى : ينقصها التأويل .

واحدة من الجسم ؛ وإن خالفوا بينهما ونفوا المعنوية المتعارفة ، فقد وافقونا في التنزيه ، ولم يبقَ إلا جعلهم لفظَ الجسم اسماً من اسمائه . ويتوقف مثله على الإذن . وفريقٌ منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات ، كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك . وآل قولهم إلى التجسيم ؛ فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم صوتٌ لا كالأصوات ، جهةٌ لا كالجهات ، نزولٌ لا كالنزول ، يعنون من الأجسام .

واندفع ذلك بما اندفع به الأول ، ولم يبقَ في هذه الطواهير إلا اعتقادات السلف ومذاهبهم والايان بها كما هي ؛ لئلا يكره^(١) النفي على معانيها بنفيها ، مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن . ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له ، وفي كتاب الحافظ بن عبد البر وغيرهم ، فانهم يحومون على هذا المعنى . ولا تُغض عينك عن القرائن الدالة على ذلك في غضون كلامهم . ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء ، وألف المتكلمون في التنزيه ، حدثت بدعة المعتزلة ، في تعميم هذا التنزيه في أي السلوب ؛ فقصوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة ، زائدة على أحكامها ؛ لما يلزم ذلك من تعدد القديم بزعمهم ، وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها ، وقصوا بنفي صفة الارادة فلزمهم نفي القدر لأن معناه سبق الارادة للكائنات

(١) بمعنى يعود .

وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما من عوارض الأجسام . وهو مردود لعدم اشتراط اليقينية في مدلول هذا اللفظ ، وإنما هو ادراك للمسموع أو المبصر . وقضوا بنفي الكلام لشبهه ما في السمع والبصر ، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس ، فقضوا بأن القرآن مخلوق ، وذلك بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ، ولقننها بعض الخلفاء عن أئمتهم ؛ فحيل الناس عليها . وخالفهم أئمة السلف ، فاستحلّ لخلافهم أيسار^(١) كثير منهم ودماءهم .

وكان ذلك سبباً لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد ، دفعاً في صدور هذه البدع . وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين ؛ فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه . وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزية على ما قصره عليه السلف . وشهدت له الأدلة المخصصة لعموميه ؛ فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق العقل والنقل . ورد على المبتدعة في ذلك كله ، وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والأصلح والتحسين والتقبيح ، وكمل العقائد في البعثة وأحوال المعاد والجنة والنار والشواب والعقاب . وألحق بذلك الكلام في الإمامة ، لما ظهر حينئذ من بدعة

(١) أيسار هنا بمعنى : أموال ، على المجاز . ورد في لسان العرب : «والميسر : الجزور نفسه ، والياسر : الجازر ، جمعه : أيسار . وفي نسخة ب : أيسار» .

الإمامية، في قولهم إنها من عقائد الإيمان^(١). وإنها يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة فيها لمن هي له، وكذلك على الأمة. وقصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحة إجماعية، ولا تلحق بالعقائد، فذلك ألحقوها بمسائل هذا الفن وسموا مجموعته علم الكلام: إما لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرف، وليست براجعة إلى عمل؛ وإما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفسي. وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلميذه، كإبي مجاهد وغيره. وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدّر للإمامة في طريقته، وهذّبها ووضع المقدمات العقلية، التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل: إثبات الجوهر الفرد والخلاء،

(١) ورد في كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

النجفي ما يلي:

الإمامة: قد أنبأناك أن هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية، واختلفت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهرية أصلي، وما عداه من الفروق فرعية عرضية، كالفرق التي تقع بين أئمة الاجتهاد عندهم كالحنفي والشافعي وغيرهما، وعرفت أن مرادهم بالإمامة كونها منصباً إلهياً يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه. ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي وينصبه علماً للناس من بعده، وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس، وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لابن عمه وصهره. ومن المعلوم أن الناس ذلك اليوم وإلى اليوم ليسوا في مستوى واحد من الإيمان واليقين بنزاهة النبي وعصمته عن الهوى والغرض؛ ولكن الله سبحانه لم يعذره في ذلك فأوحى إليه: «يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته». فلم يجد بداً من الامتناع بعد هذا الإنذار الشديد، فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم فنادى وجلهم يسمعون: «ألمست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا اللهم نعم». فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، إلى آخر ما قال. ثم أكد ذلك في مواطن أخرى تلويحاً وتصريحاً، وإشارة ونصيحاً حتى أدى الوظيفة، وبلغ عند الله المعذرة. (انظر صفحة ١٠٧ و ١٠٨ طبع بيروت، دار البحار).

وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ ، وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى رِمَانَيْنِ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَدِلَّتُهُمْ . وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وَجُوبِ اعْتِقَادِهَا ، لِتَوَقُّفِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ بُطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذِنُ بِبُطْلَانِ الْمَدْلُولِ . فَكَمَلَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفَنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ . إِلَّا أَنَّ صُورَةَ الْأَدِلَّةِ فِيهَا بَعْضُ الْأَحْيَانِ ، عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الصَّنَاعِيِّ لِسَدَاجَةِ الْقَوْمِ ، وَلِأَنَّ صِنَاعَةَ الْمَنْطِقِ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا الْأَدِلَّةُ وَتَعْتَبَرُ بِهَا الْأَقْيَسَةُ ، لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ ظَاهِرَةً فِي الْمِلَّةِ ، وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا بَعْضُ الشَّيْءِ ؛ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِمَلَابَسَتِهَا لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُبَايِنَةِ لِلْعَقَائِدِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْجَمَلَةِ ، فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ .

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيَّ مِنْ أَتَمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي ؛ فَأَمَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ فِيهِ . ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعَقَائِدِهِمْ . ثُمَّ انْتَشَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عِلْمُ الْمَنْطِقِ فِي الْمِلَّةِ . وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، بِأَنَّهُ قَانُونٌ وَمَعْيَارٌ لِلْأَدِلَّةِ فَقَطْ ، يُسَبَّرُ بِهِ الْأَدِلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسَبَّرُ مِنْ سِوَاهَا . ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ الْقَوَاعِدِ وَالْمَقْدِمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ ؛ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي أَدَّتْهُمْ إِلَى ذَلِكَ . وَرَبَّمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَسَفَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ . فَلَمَّا سَبَرُوهَا بِمَعْيَارِ الْمَنْطِقِ رَدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فِيهَا ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا بُطْلَانَ الْمَدْلُولِ مِنْ بَطْلَانِ دَلِيلِهِ ، كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ فِي مَصْطَلَحِهِمْ

مباينةً للطريقة الأولى ، وتسمى طريقة المتأخرين . وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية ، وجعلوهم من خصوم العقائد ، لتناسيب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم . وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله ، وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم . ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة ، والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحداً ، من اشتباه المسائل فيهما .

واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته ، وهو نوع استدلالهم غالباً . فالجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات ، هو بعض من هذه الكائنات . إلا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم ، وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن ، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل . وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ، ونظر المتكلم في الوجود من حيث إنه يدل على الموجد . وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الايمانية بعد فروضها صحيحة من الشرع ، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ، فترفع البدع وترال الشكوك والشبه عن تلك العقائد . وإذا تأملت حال الفن في حدوده ، وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرأ بعد صدر ، وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجب والأدلة ،

علمت حينئذٍ ما قررناه لك في موضوع الفن ، وأنه لا يعدوه .
ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين ، والتبست
مسائل الكلام ، بمسائل الفلسفة ، بحيث لا يتميز أحد الفئتين عن
الآخر . ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في
الطوابع ، ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفهم . إلا
أن هذه الطريقة ، قد يعنى بها بعض طلبة العلم ، للاطلاع على
المذاهب والاعراق في معرفة الحجاج ، لوفور ذلك فيها . وأما
محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام ، فإنما هو في الطريقة
القديمة للمتكلمين ، وأصلها كتاب الإرشاد ، وما هذا حدوه .

ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائده ؛ فعليه بكتب
الغزالي والإمام ابن الخطيب ؛ فإنها وإن وقع فيها مخالفة
للاصطلاح القديم ، فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس
في الموضوع ، ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم . وعلى
الجملة ، فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير
ضروري لهذا العهد على طالب العلم ، إذ الملحة والمبتدعة قد
انقرضوا ، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا ،
والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا . وأما
الآن ، فلم يبق منها إلا كلام تنزعة الباري عن الكثير من
إيهاماته واطلاقاته . ولقد سئل الجنيّد رحمه الله ، عن قوم مرّ بهم من
المتكلمين يفيضون فيه ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : قوم ينزّهون
الله بالأدلة عن صفات الحدوث ويسمّون النقص ، فقال : « نفى

العيب حيث يستحيل العيب عيباً. لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسنُ بحامل السنة الجمل بالحجج النظرية على عقائدها. والله ولي المؤمنين.

الفصل الحادي عشر

في أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر^(١)

إعلم أن عالم الكائنات يشتمل على ذوات محضة، كالعناصر وآثارها والمكونات الثلاثة عنها، التي هي المعدن والنبات والحيوان. وهذه كلها متعلقات القدرة الإلهية وعلى أفعال صادرة عن الحيوانات، واقعة بمقصودها؛ متعلقة بالقدرة التي جعل الله لها عليها؛ فمنها منتظم مرتب، وهي الأفعال البشرية؛ ومنها غير منتظم ولا مرتب؛ وهي أفعال الحيوانات غير البشر. وذلك الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع؛ فإذا قصد إيجاد شيء من الأشياء، فلأجل الترتيب بين الحوادث لا بُدَّ من التفتُّن بسببه أو علته أو شرطه، وهي على الجملة مبادئه؛ إذ لا يوجد إلا ثانياً عنها ولا يمكن إيقاع المتقدم متأخراً ولا المتأخر متقدماً. وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ آخر من تلك المبادئ لا يوجد إلا متأخراً

(١) هذا الفصل غير موجود في طبعة بولاق وبعض الطبعات الأخرى. نقلناه عن الطبعة الباريسية تحقيق M. Quatremère وردت بعد: «فصل في الفكر الإنساني».

عنه ؛ وقد يرتقي ذلك أو ينتهي . فإذا انتهى إلى آخر المبادئ ، في مرتبتين أو ثلاثٍ أو أزيدَ ، وشرع في العمل الذي يوجد به ذلك الشيء . بدأ بالمبدأ الأخير الذي انتهى إليه الفكر ؛ فكان أولَ عمله . ثم تابع ما بعده إلى آخر المسببات التي كانت أولَ فكرته مثلاً : لو فكر في إيجاد سقفٍ يُكُنُّه انتقلَ بذهنه إلى الحائط الذي يدعّمه ، ثم إلى الأساس الذي يقفُ عليه الحائطُ فهو آخرُ الفكرِ ثم يبدأ في العمل بالأساس ، ثم بالحائط ، ثم بالسقف ، وهو آخرُ العمل . وهذا معنى قوليهم : أولُ العملِ آخرُ الفكرة ، وأولُ الفكرة آخرُ العملِ ؛ فلا يتمُّ فعلُ الإنسان في الخارجِ إلا بالفكرِ في هذه المرتباتِ لتوقُّفِ بعضها على بعض . ثم يشرعُ في فعلها . وأولُ هذا الفكرِ هو المسبَّبُ الأخيرُ ، وهو آخرُها في العملِ . وأولُها في العملِ هو المسبَّبُ الأولُ وهو آخرُها في الفكرِ . ولأجلِ العُشورِ على هذا الترتيبِ يحصلُ الانتظامُ في الأفعالِ البشرية .

وأما الأفعالُ الحيوانيةُ لغيرِ البشرِ فليس فيها انتظامٌ لعدمِ الفكرِ الذي يعثرُ به الفاعلُ على الترتيبِ فيما يفعلُ ، إذ الحيواناتُ إنما تُندركُ بالحواسِ ومدرَكاتها متفرقةٌ خليةً من الربطِ لأنه لا يكونُ إلا بالفكرِ . ولما كانت الحواسُ المعتبرةُ في عالمِ الكائناتِ هي المنتظمةُ ؛ وغيرِ المنتظمةِ إنما هي تبعٌ لها ، اندرجت حينئذٍ أفعالُ الحيواناتِ فيها ؛ فكانت مسخرةً للبشرِ . واستولت أفعالُ البشرِ على عالمِ الحوادثِ ، بما فيه ؛ فكان كلُّه في طاعته وتسخره . وهذا معنى الاستخلافِ المشارِ إليه في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

أَلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿١﴾ فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر عن غيره من الحيوان . وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته . فمن الناس من تتوالى له السببية في مرتبتين أو ثلاث ؛ ومنهم من لا يتجاوزها ، ومنهم من ينتهي إلى خمس أو ست فتكون إنسانيته أعلى . واعتبر ذلك بلاعب الشطرنج : فإن في اللاعبين من يتصور الثلاث حركات والخمس الذي ترتيبها وضعي ؛ ومنهم من يقصر عن ذلك لقصور ذهنه . وإن كان هذا المثال غير مطابق ، لأن لعب الشطرنج بالملكة ، ومعرفة الأسباب والمسببات بالطبع ، لكنه مثال يتخذي به الناظر في تعقل ما يورد عليه من القواعد . والله خلق الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً .

الفصل الثاني عشر

في العقل التجريبي وكيفية حدوثه (٢)

إنك تسمع في كتب الحكماء قولهم أن الإنسان هو مدني الطبع ، يذكرونه في إثبات النبوات وغيرها . والنسبة فيه إلى المدينة ، وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشري . ومعنى هذا القول ، أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر ، ولا يتم وجوده

(١) من آية (٣٠) من سورة البقرة .

(٢) نقل هذا الفصل أيضاً عن الطبعة الباريسية .

إِلَّا مع أبناء جنسِهِ . وذلك لما هو عليه من العَجْزِ عن استكمال وجودِهِ وحياتِهِ ، فهو محتاجٌ إلى المعاونةِ في جميع حاجاتِهِ أبدأً بطبعِهِ . وتلك المعاونةُ لا بدَّ فيها من المفاوضةِ أولاً ، ثم المشاركةِ وما بعدها . وربما تفضي المعاملةُ عند اتِّحادِ الأعراضِ إلى المنازعةِ والمشاجرةِ فتنشأُ المنافرةُ والمؤالفةُ ، والصداقةُ والعداوةُ . ويؤولُ إلى الحربِ والسَّلمِ بين الأممِ والقبائلِ . وليس ذلك على أيِّ وجهٍ اتَّفَقَ ، كما بين الهملِ من الحيواناتِ ؛ بل للبشرِ بما جعل الله فيهم من انتظامِ الأفعالِ وترتيبها بالفكرِ ، كما تقدَّم . جعلَ منتظماً فيهم ، ويسرَّهم لايقاعِهِ على وجودِ سياسيَّةٍ وقوانينِ حكميَّةٍ ، ينكبُّون فيها عن المفسدِ إلى المصالحِ ، وعن الحسنِ إلى القبيحِ ، بعد أن يميزوا القبائحَ والمفسدةَ ، بما ينشأُ عن الفعلِ من ذلك عن تجربةٍ صحيحةٍ ؛ وعوائدٍ معروفةٍ بينهم ؛ فيفارقون الهملِ من الحيوانِ ، وتظهرُ عليهم نتيجةُ الفكرِ في انتظامِ الأفعالِ وبعديها عن المفسدِ .

هذه المعاني التي يحصلُ بها ذلك لا تبعدُ عن الحسِّ كلَّ البعدِ ولا يتعمَّقُ فيها الناظرُ ؛ بل كلُّها تُدركُ بالتجربةِ وبها يستفادُ ، لأنَّها معانٍ جزئيَّةٌ تتعلَّقُ بالمحسوساتِ وصدقها وكذبها ، يظهرُ قريباً في الواقعِ ؛ فيستفيدُ طالبُها حصولَ العلمِ بها من ذلك . ويستفيدُ كلُّ واحدٍ من البشرِ القدرَ الذي يُسرَّ له منها مقتنصاً له بالتجربةِ بين الواقعِ في معاملةِ أبناءِ جنسِهِ ، حتى يتعيَّنَ له ما يجبُ وينبغي ، فعلاً وتركاً . وتحصلُ في ملابسةِ الملكةِ في معاملةِ أبناءِ جنسِهِ . ومن تتبَّعَ ذلك سائرَ عمرِهِ حصلَ له العُثورُ على كلِّ قضيةٍ قضيةٍ .

ولا بدّ بما تسعه التجربة من الزّمن . وقد يسهّل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في أقرب زمن التجربة ، إذ قلّد فيها الآباء والمشيخة والأكابر ، ولقّن عنهم ووعى تعليمهم ؛ فيستغني عن طول المعاناة في تتبع الوقائع واقتناص هذا المعنى من بينها . ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه أو أعرض عن حسن استماعه وإتباعه ، طال عناؤه في التأديب بذلك ؛ فيجري في غير مألوف ويؤدركها على غير نسبة ؛ فتوجد أدابُه ومعاملاتُه سيئة الأوضاع بادية الخلل ، ويفسد حالُه في معاشِه بين أبناء جنسِه . وهذا معنى القول المشهور : « من لم يؤدّبهُ والدُه أدّبهُ الزّمان » . أي من لم يُلقّن الآداب في معاملته البشري من والديه - وفي معناها المشيخة والأكابر - ويتعلّم ذلك منهم ، رجع إلى تعلّمه بالطبع من الوقائع على توالي الأيام ؛ فيكون الزمان معلّمه ومؤدّبُه لضرورة ذلك بضرورة المعاونة التي في طبعه .

وهذا هو العقل التجريبي ، وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي تقع به الأفعال كما بيّناه . وبعد هذين مرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسيره أهل العلوم ؛ فلا يحتاج إلى تفسيره في هذا الكتاب . ﴿ وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

الفصل الثالث عشر

في علوم البشر وعلوم الملائكة

إِنَّا نَشْهَدُ فِي أَنْفُسِنَا بِالْوُجْدَانِ الصَّحِيحِ وجودَ ثلاثةِ عوالمٍ :
 أوَّلُها : عالمُ الحسِّ ، ونعتبرُهُ بمداركِ الحسِّ الذي شارَكْنَا فِيهِ
 الحيواناتِ بالأدراكِ ، ثُمَّ نعتبرُ الفِكرَ الذي اخْتَصَّ بِهِ البَشَرُ فنَعْلَمُ
 مِنْهُ وجودَ النفسِ الإنسانيَّةِ علماً ضرورياً بما بين جنبَيْنَا من مداركِ
 العِلْمِيَّةِ التي هي فوقَ مداركِ الحسِّ ؛ فتراهُ عالِماً آخرَ فوقَ عالمِ
 الحسِّ . ثُمَّ نَسْتَدِلُّ على عالمِ ثالثٍ فوقَنَا بما نَجِدُ فِيْنَا مِنْ آثارِهِ الَّتِي
 تُلْقَى فِي أَفْئِدَتِنَا كَالْإِرَادَاتِ وَالوُجْهَاتِ ، نَحْوَ الحَرَكَاتِ الفِعْلِيَّةِ ،
 فنَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ فاعِلاً يَبْعَثُنَا عَلَيْهَا مِنْ عَالَمٍ فوقَ عَالِمِنَا وَهُوَ عَالَمُ
 الْأَزْوَاجِ وَالْمَلَائِكَةِ . وَفِيهِ ذَوَاتٌ مُذَكَّرَةٌ لوجودِ آثارِهَا فِيْنَا مَعَ
 مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا مِنَ المَغَايِرَةِ . وَرَبَّمَا يُسْتَدَلُّ على هَذَا الْعَالَمِ الْأَعْلَى
 الرُّوحَانِيِّ وَذَوَاتِهِ بِالرُّؤْيَا وَمَا نَجِدُ فِي النُّومِ ، وَيُلْقَى إِلَيْنَا فِيهِ مِنَ
 الْأُمُورِ الَّتِي نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا فِي اليَقَظَةِ ، وَتَطَابِقِ الْوَاقِعِ فِي
 الصَّحِيحَةِ مِنْهَا ؛ فنَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ وَمِنْ عَالَمِ الْحَقِّ . وَأَمَّا أَصْغَاتُ
 الْأَحْلَامِ فَصُورٌ خَيَالِيَّةٌ يُخْزِنُهَا الْإِدْرَاكُ فِي الْبَاطِنِ وَيَجُولُ فِيهَا الْفِكْرُ
 بَعْدَ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحَسِّ . وَلَا نَجِدُ على هَذَا الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ بَرَهَاناً
 أَوْضَحَ مِنْ هَذَا ؛ فنَعْلَمُهُ كَذَلِكَ على الْجَمَلَةِ وَلَا نَدْرِكُهُ لَهُ تَفْصِيلاً .
 وَمَا يَزُجُّهُ الْحُكَمَاءُ الْإِلَهِيُّونَ فِي تَفْصِيلِ ذَوَاتِهِ وَتَرْتِيبِهَا ، الْمَسْمُوعِ

عندهم بالعقول ، فليس شيء من ذلك بيقيني لاختلال شرط البرهان النظري فيه ، كما هو مقرر في كلامهم في المنطق . لأن من شرطه أن تكون قضاياه أولية ذاتية . وهذه الذوات الروحانية مجهولة الذاتيات ، فلا سبيل للبرهان فيها . ولا يبقى لنا مدرك في تفاصيل هذه العوالم إلا ما نقتبس من الشرعيات التي يوضحها الايمان ويحكمها . وأعقد هذه العوالم في مدركنا عالم البشر ؛ لأنه وجداني مشهود في مداركنا الجسائية والروحانية . ويشارك في عالم الحس مع الحيوانات وفي عالم العقل والأزواج مع الملائكة الذين ذواتهم من جنس ذواته ، وهي ذوات مجردة عن الجسائية والمادة ، وعقل صرف يتحد فيه العقل والعقل والمعقول ، وكأنه ذات حقيقتها الإدراك والعقل ، فعلوهم حاصلة دائماً مطابقة بالطبع لمعلوماتهم لا يقع فيها خلل البتة .

وعلم البشر هو حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد أن لا تكون حاصلة . فهو كلة مكتسب ، والذات التي يحصل فيها صور المعلومات وهي النفس مادة هيولانية تلبس صور الوجود بصور المعلومات الحاصلة فيها شيئاً شيئاً ، حتى تستكمل ، ويصح وجودها بالموت في مادتها وصورتها . فالمطلوبات فيها مترددة بين النفي والاثبات دائماً ، بطلب أحدهما بالوسط الرابط بين الطرفين . فإذا حصل وصار معلوماً افتقر إلى بيان المطابقة ، وربما أوضحها البرهان الصناعي ، لكنه من وراء الحجاب . وليس كالمعانية التي في علوم الملائكة . وقد ينكشف ذلك الحجاب فيصير إلى المطابقة بالعيان

الإدراكيّ. فقد تبين أن البشرَ جاهلٌ بالطبع للتردد الذي في علمه، وعالمٌ بالكسب والصناعة لتحصيله المطلوب بفكرة الشروط الصناعية. وكشف الحجاب الذي أشرنا إليه إنما هو بالرياضة بالاذكار التي أفضلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبالتزوّ عن المتناولات المهمة ورأسها الصوم، وبالوجهة إلى الله بجميع قواه. والله علم الإنسان ما لم يعلم.

الفصل الرابع عشر

في علوم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام

إننا نجد هذا الصنف من البشر تعثرهم حالة إلهية خارجة عن منازع البشر وأحوالهم فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية في القوى الإدراكية والزوعية من الشهوة والغضب وسائر الأحوال البدنية، فتجدهم متنزهين عن الأحوال الربانية، من العبادة والذكر لله بما يقتضي معرفتهم به، مخبرين عنه بما يوحى إليهم في تلك الحالة، من هداية الأمة على طريقة واحدة وسنن معهود منهم لا يتبدل فيهم كأنه جيلة فطرهم الله عليها. وقد تقدّم لنا الكلام في الوحي أول الكتاب في فصل المدرّكين للغيب. وبينّا هنالك أن الوجود كلّ في عوالمه البسيطة والمركبة على تركيب طبيعي من أعلاها وأسفلها متصلة كلّها اتصالاً لا ينخرم. وأن الذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تنقلب إلى الذات

التي تجاورها من الأسفل والأعلى ، استعداداً طبيعياً ، كما في العناصر
الجسمانية البسيطة ، وكما في النخل والكرم من آخر أفق النبات
مع الحزون والصدف من أفق الحيوان وكما في القردة التي استجمع
فيها الكينس والإذراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية . وهذا
الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها .

وفوق العالم البشري عالمٌ روحانيٌّ ، شهدت لنا به الآثار التي
فيها منه ، بما يعطينا من قوى الإدراك والارادة فذوات العلم
العالم إدراكٌ صرف وتعلُّلٌ محضٌ ، وهو عالم الملائكة ؛ فوجب من
ذلك كَلَّةُ أن يكون للنفس الإنسانية استعدادٌ للانسلاخ من
البشرية إلى الملكية ، لتصيرَ بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من
الأوقات ، وفي لحظة من اللحظات . ثم تراجع بشريتها وقد تلقت في
عالم الملكية ما كلفت بتبليغه إلى أبناء جنسها من البشر . وهذا
هو معنى الوحي وخطاب الملائكة . والأنبياء كلهم مفطورون
عليه ، كأنه جيلةٌ لهم ويمالجون في ذلك الانسلاخ من الشدة
والغطيظ ما هو معروف عنهم . وعلوهم في تلك الحالة علم شهادة
وعيان ، لا يلحمه الخطأ والزلل ، ولا يقع فيه الغلط والوهم ، بل
المطابقة فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة ،
عند مفارقة هذه الحالة إلى البشرية ، لا يفارق علمهم الوضوح ،
استصحاباً له من تلك الحالة الأولى ، ولما هم عليه من الذكاء المفضي
بهم إليها ، يتردد ذلك فيهم دائماً إلى أن تكمل هداية الأمة التي
بعثوا لها ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ

إِلَهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴿١﴾ . فافهم ذلك وراجع ما قدّمناه لك أوّل الكتاب ، في أصناف المدرّكين للغيب ، يتّضح لك شرحه وبيانّه ، فقد بسطنا ههناك بسطاً شافياً . والله الموفق .

الفصل الخامس عشر

في ان الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب

قد بيّنا أول هذه الفصول أنّ الإنسان من جنس الحيوانات؛ وأن الله تعالى ميّزه عنها بالفكر الذي جعل له ، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي أو يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه ، وهو العقل التجريبي ؛ أو يحصل به في تصوّر الموجودات غائباً وشاهداً ، على ما هي عليه ، وهو العقل النظري . وهذا الفكر إنّما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ، ويبدأ من التمييز ؛ فهو قبل التمييز خلوّ من العلم بالجملة ، معدود من الحيوانات ، لاحق بمبدئه في التكوين ، من النطفة والعلقة والمضغة . وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحسّ والأفئدة التي هي الفكر . قال تعالى في الامتنان علينا : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ . فهو في الحالة الأولى قبل التمييز هيولاً فقط ، لجهله بجميع المعارف . ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته ، فكمّل ذاته الإنسانية في وجودها . وانظر إلى

قوله تعالى مبدأ الوحي على نبيه « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ،
 خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ،
 علم الإنسان ما لم يعلم » أي أكسبه من العلم ما لم يكن حاصلاً
 له بعد أن كان علقاً ومضغة فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو
 عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبي وأشارت إليه الآية
 الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه بأول مراتب وجوده ، وهي
 الإنسانية . وحالاته الفطرية والكسبية في أول الترتيل ومبدأ
 الوحي . وكان الله عليمًا حكيمًا .

الفصل السادس عشر

في كشف الخطأ عن المتشابه من الكتاب والسنة

وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنية والمبتدعة في الاعتقادات

إعلم أن الله سبحانه بعث إلينا نبينا محمداً ﷺ يدعونا إلى
 النجاة والفوز بالنعيم ، وأنزل عليه الكتاب الكريم باللسان العربي
 المبين ، يخاطبنا فيه بالتكاليف المفضية بنا إلى ذلك . وكان في خلال
 هذا الخطاب ، ومن ضروراته ، ذكر صفاته سبحانه وأسمائه ،
 ليعرفنا بذاته ، وذكر الروح المتعلقة بنا ، وذكر الوحي والملائكة ،
 الوسائط بينه وبين رسله إلينا . وذكر لنا يوم البعث وإنذاراته
 ولم يعين لنا الوقت في شيء منه . وثبت في هذا القرآن الكريم
 حروفاً من الهجاء مقطعة في أوائل بعض سورته ، لا سبيل لنا

إلى فهم المراد بها . وسمى هذه الأنواع كليها من الكتاب مُتَشَابِهًا .
 وذمَّ على اتباعها فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
 تُحْكَمُ مِنْهُ أَمَّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا
 تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
 الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) « وحمل العلماء
 من سلف الصحابة والتابعين هذه الآية على أنَّ المحكمات هي المبيِّنات
 الثابتة الأحكام . ولذا قال الفقهاء في اصطلاحهم : المحكمُ المتَّضحُ
 المعنى . وأما المتشابهات فلهم فيها عبارات . فقيل هي التي تفتقر
 إلى نظير وتفسير يُصحِّح معناها ، لتعارضها مع آية أخرى أو مع
 العقل ، فتخفى دلالتها وتشبه . وعلى هذا قال ابن عباس :
 « المتشابهة يُؤمنُ به ولا يُعملُ به » وقال مجاهدٌ وعكرمة : « كلما
 سوى آيات الأحكام والقصاص متشابهة » وعليه القاضي أبو بكر
 وإمام الحرمين . وقال الثوريُّ والشَّعْبِيُّ وجماعة من علماء السلف :
 « المتشابهة ، ما لم يكن سبيلٌ إلى علمه ، كشروط الساعة وأوقات
 الإنذارات وحروف الهجاء في أوائل السور ؛ وقوله في الآية
 « هذه أم الكتاب » أي مُعْظَمُهُ وَغَالِبُهُ والمتشابهة أقله ، وقد يردُّ
 إلى المحكم . ثم ذمَّ المتبعين للمتشابهة بالتأويل أو يحتملها على معانٍ
 لا تفهم منها في لسان العرب الذي خوطبنا به . وسأهم أهل زيغ ،
 أي ميل عن الحق من الكفار والزنادقة وجهلة أهل البدع .

وَأَنَّ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ قِصْدُ الْفِتْنَةِ الَّتِي هِيَ الشِّرْكَ أَوِ اللَّبْسُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَوْ قِصْدًا لِتَأْوِيلِهَا بِمَا يَشْتَهَوْنَ فَيَقْتَدُونَ بِهِ فِي بِدْعَتِهِمْ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سَبْحَانُهُ بِأَنَّهُ اسْتَأْثَرَ بِتَأْوِيلِهَا وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ فَقَالَ :
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ . ثُمَّ أَثْنَى عَلَى الْعُلَمَاءِ بِالْإِيمَانِ بِهَا فَقَطَّ . فَقَالَ :
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ . وَلِهَذَا جُعِلَ السَّلَفُ وَالرَّاسِخُونَ
مُسْتَأْنَفًا ، وَرَجَّحُوهُ عَلَى الْمَطْفِ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أَبْلَغُ فِي الشَّاءِ
وَمَعَ عَطْفِهِ إِنَّمَا يَكُونُ إِيمَانًا بِالشَّاهِدِ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ التَّأْوِيلَ حِينَئِذٍ
فَلَا يَكُونُ غَيْبًا . وَيَمُضِدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : « كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبَّنَا » وَيَدُلُّ
عَلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ فِيهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ . إِنَّ الْأَلْفَافَ اللَّغَوِيَّةَ إِنَّمَا يَفْهَمُ
مِنْهَا الْمَعَانِي الَّتِي وَضَعَهَا الْعَرَبُ لَهَا ، فَإِذَا اسْتَحَالَ إِسْنَادُ الْخَبَرِ إِلَى
مَخْبَرٍ عَنْهُ جَهَلْنَا مَدْلُولَ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ ؛ وَإِنْ جَاءَنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
فَوَضَعْنَا عِلْمَهُ إِلَيْهِ وَلَا نُشْغِلُ أَنْفُسَنَا بِمَدْلُولِ نَلْتَمِسُهُ ؛ فَلَا سَبِيلَ لَنَا
إِلَى ذَلِكَ . وَبَقْدَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ
يُحَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ ، فَهَمُّ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ » ، فَاحْذَرُوهُمْ . هَذَا مَذْهَبُ
السَّلَفِ فِي الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ . وَجَاءَ فِي السَّنَةِ أَلْفَاظٌ مِثْلُ ذَلِكَ مُحْمَلُهَا
عِنْدَهُمْ مَحْمَلُ الْآيَاتِ لِأَنَّ الْمَنْبَعَ وَاحِدٌ .

وَإِذَا تَقَرَّرَتْ أَصْنَافُ الْمُتَشَابِهَاتِ عَلَى مَا قَلْنَا ، فَلَنَرْجِعْ إِلَى
اِخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا . فَأَمَّا مَا يَرْجِعُ مِنْهَا عَلَى مَا ذَكَرُوهُ إِلَى السَّاعَةِ
وَأَشْرَاطِهَا وَأَوْقَاتِ الْإِنْذَارَاتِ وَعَدَدِ الزَّيَانِيَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ، فَلَيْسَ
هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِيهِ لَفْظٌ مُجْمَلٌ وَلَا غَيْرُهُ

وإنما هي أزمنة لحادثات استأثر الله بعلمها بنصه^(١) في كتابه وعلى لسان نبيه. وقال: « إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ». والعجب ممن عدّها من المتشابه. وأما الحروف المقطّعة في أوائل السور فحقيقتها حروف الهجاء وليس ببعيد أن تكون مرادة. وقد قال الزخسري: فيها إشارة إلى بعد الغاية في الاعجاز، لأن القرآن المنزل مؤلف منها، والبشر فيها سواء، والتفاوت موجود في دلالتها بعد التأليف. وإن عدل عن هذا الوجه الذي يتضمن الدلالة على الحقيقة فإنما يكون بنقل صحيح، كقولهم في طه، إنه نداء من طاهر وهادي وأمثال ذلك. والنقل الصحيح متعذر، فيجيء المتشابه فيها من هذا الوجه. وأما الوحي والملائكة والروح والجن، فاشتباها من خفاء دلالتها الحقيقية لأنّها غير متعارفة؛ فجاء التشابه فيها من أجل ذلك. وقد ألحق بعض الناس بها كل ما في معناها من أحوال القيامة والجنة والدجال والفتن والشروط، وما هو بخلاف العوائد المألوفة، وهو غير بعيد؛ إلا أن الجمهور لا يوافقونهم عليه. وسيما المتكلمون فقد عيّنوا محاملها على ما تراه في كتبهم، ولم يبق من المتشابه إلا الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، ممّا يؤهم ظاهره نقصاً أو تعجيزاً. وقد اختلف الناس في هذه الظواهر من بعد السلف الذين قرّنا مذهبهم. وتنازعوا وتطرقت البدع إلى العقائد. فلنشر إلى بيان مذاهبهم وإيثار الصحيح منه على الفاسد فنقول، « وما توفيقي إلا بالله »: أعلم أن الله سبحانه وصف نفسه

(١) كذا، وفي نسخة، بنعته.

في كتابه بأنه عالمٌ، قادرٌ، مريدٌ، حيٌ، سميعٌ، بصيرٌ، متكلمٌ، جليلٌ، كريمٌ، جوادٌ، مُنعمٌ، عزيزٌ، عظيمٌ. وكذا أثبت لنفسه اليدين والعينين والوجهَ والقدمَ واللسانَ، إلى غير ذلك من الصفات : فمنها ما يقتضي صحّة ألوهيّة ، مثل العلمِ والفُدرّة والارادة ، ثم الحياة التي هي شرط جميعها ؛ ومنها ما هي صفة كمال ، كالسمع والبصر والكلام ؛ ومنها ما يوهّم النقص كالاستواء والنزول والحجب ، وكالوجه واليدَين والعينَين التي هي صفاتُ المحدثات . ثم أخبر الشارِعُ أَنَا زى ربّنا يوم القيامة كالقمر ليلة البدر ، لا نضام في رؤيته كما ثبت في الصحيح .

فأما السلف من الصحابة والتابعين فأثبتوا له صفات الألوهيّة والكمال وفوضوا إليه ما يوهّم النقص ساكتين عن مدلوله . ثم اختلف الناس من بعدهم ، وجاء المعتزلة فأثبتوا هذه الصفات أحكاماً ذهنيّةً مجردةً ؛ ولم يثبتوا صفةً تقوم بذاته ، وسَمّوا ذلك توحيداً ، وجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله ، ولا تتعلّق بها قدرة الله تعالى ، سيما الشرور والمعاصي منها ؛ إذ يمتنع على الحكيم فعلها . وجعلوا مراعاة الأصلح للعباد واجبة عليه . وسَمّوا ذلك عدلاً ، بعد أن كانوا أولاً يقولون بنفي القدر ، وأنّ الأمر كلّهُ مستأنفٌ بعلمٍ حادثٍ وقدرةٍ وإرادةٍ كذلك ، كما ورد في الصحيح . وان عبد الله بن عمر تبرأ من معبد الجنّ وأصحابه القائلين بذلك . وانتهى نفي القدر إلى وإصل بن عطاء الغزالي ، منهم ، تلميذ الحسن البصري ، لعهد عبد الملك بن مروان . ثم آخراً إلى معمر

السَّلَمِيِّ ، ورجعوا عن القولِ به . وكان منهم أبو الهذيل العَلَّاف ، وهو شيخُ الْمُعْتَزِلَةِ . أخذَ الطَّرِيقَةَ عن عُثْمَانَ بْنِ خَالِدِ الطَّوِيلِ عن واصل . وكان من نُفَاتِ الْقَدَرِ ، وَاتَّبَعَ رَأْيَ الْفَلَاسِفَةِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ لظُهُورِ مَذَاهِبِهِمْ يَوْمَئِذٍ .

ثم جاء إبراهيمُ النُّظَّامُ ، وقال بالقدر ، واتبعوه . وطالع كتب الفلاسفة وشدّد في نفي الصفاتِ وقرّر قواعد الاعتزال . ثم جاء الجاحِظُ والكِنَافِيُّ والجُبَّائِيُّ ، وكانت طريقتُهُمْ تسمّى علمُ الكلامِ : إمّا لما فيها من الججاج والجدال ، وهو الذي يسمّى كلاماً ؛ وإمّا أنّ أصلَ طريقتِهِمْ نفيُ صِفَةِ الكلامِ . فلهذا كان الشافعيُّ يقول : حقهم أن يُضْرَبُوا بالجريد ويطاف بهم . وقرّر هؤلاء طريقتَهُمْ وأثبتوا منها وردّوا ، إلى أن ظهرَ الشيخُ أبو الحسنِ الأشعريُّ وناظر بعضَ مشيختِهِمْ في مسائلِ الصّلاحِ والأصلحِ ؛ فرفضَ طريقتَهُمْ ، وكان على رأيِ عبدِالله بن سَمِيدِ بْنِ كَلَابٍ وأبي العباسِ القلانسيِّ والحَرْثِ ابنِ أسَدِ الحامِصِيِّ من أتباعِ السَّلَفِ وعلى طريقةِ السُّنَّةِ . فأيدَ مقالاتَهُمْ بالحججِ الكلاميّةِ وأثبتَ الصفاتِ القائمةَ بذاتِ الله تعالى ، من العلمِ والقدرةِ والإرادةِ التي يتم بها دليل التّامع وتصحّ المعجزاتِ للأنبياء . وكان من مذهبِهِمْ إثباتُ الكلامِ والسَّعْرِ والبَصَرِ لأنّها وإن أُوهم ظاهراً النقصُ بالصوتِ والحرفِ الجسمانيّين ؛ فقد وُجِدَ للكلامِ عند العربِ مدلولٌ آخر غير الحروفِ والصوت ، وهو ما يدور في الخلد . والكلامُ حقيقة فيه دون الأول ؛ فاثبتوها لله تعالى وانتفى إيهامُ النقص . وأثبتوا هذه الصفة قديمةً عامّةً التعلّق

بشأن الصفات الأخرى . وصار القرآن اسماً مشتركاً بين القديم بذات الله تعالى ، وهو الكلام النفسي والحدث الذي هو الحروف المؤلفة المقروءة بالأصوات . فإذا قيل قديمٌ ، فالمراد الأول ؛ وإذا قيل مقروءٌ ، مسموعٌ ، فلذلك القراءة والقراءة عليه . وتورّع الإمام أحمد بن حنبلٍ من إطلاق لفظ الحدوث عليه ، لأنه لم يسمع من السلف قبله : لأنه يقول أن المصاحف المكتوبة قديمة ؛ ولا أن القراءة الجارية على السنة قديمة ، وهو شاهدها محدثة . وإنما منعه من ذلك الورع الذي كان عليه . وأما غير ذلك فإنكاراً للضروريات ، وحاشاه منه . وأما السمع والبصر ، وإن كان يوهم إدراك الجارية ، فهو يدل أيضاً لغة على إدراك المسموع والمبصر ، وينتفي إيهام النقص حينئذ لأنه حقيقة لغويةٌ فيهما . وأما لفظ الاستواء والمجيء والنزول والوجه واليدنين والعينين وأمثال ذلك ؛ فعدلوا عن حقائقها اللغوية لما فيها من إيهام النقص بالتشبيه إلى مجازاتها ، على طريقة العرب ، حيث تتعذر حقائق الألفاظ ؛ فيرجعون إلى المجاز . كما في قوله تعالى : « يُريدُ أن يَنْقُضَ » وأمثاله ، طريقة معروفة لهم غير منكورة ولا مبتدعة . وحملهم على هذا التأويل ، وإن كان مخالفاً لمذهب السلف في التفويض أن جماعة من أتباع السلف وهم الحديثون والمتأخرون من الحنابلة ارتكبوا^(١) في محمل هذه الصفات فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى ، بمجولة الكيفية . فيقولون في « استوى على العرش » ثبت له استواء ،

(١) كذا ، ومقتضى سياق العبارة : ارتكبوا .

بحيث مدلول اللفظة ، فراراً من تعطيله . ولا نقول بكيفيته فراراً من القول بالتشبيه الذي تنفيه آيات السلوب ، من قوله « ليس كمثل شيء » ، سبحانه الله عما يصفون ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، لم يلد ولم يولد » ولا يعلمون مع ذلك أنهم ولجوا من باب التشبيه في قولهم بآثبات استواء ، والاستواء عند أهل اللغة إنما موضوعه الاستقرار والتمكن ، وهو جسماني . وأما التعطيل الذي يشنعون بالزيمه ، وهو تعطيل اللفظ ، فلا محذور فيه . وإنما المحذور في تعطيل الآلة . وكذلك يشنعون بالزام التكليف بما لا يطاق ، وهو تمويه . لأن التشابه لم يقع في التكليف . ثم يدعون أن هذا مذهب السلف ، وحاشا لله من ذلك . وإنما مذهب السلف ما قرّضناه أولاً من تفويض المراد بها الى الله ، والسكوت عن فهمها . وقد يحتجّون لآثبات الاستواء لله بقول مالك : « ان الاستواء معلوم الثبوت لله » وحاشاه من ذلك ، لأنه يعلم مدلول الاستواء . وإنما أراد أن الاستواء معلوم من اللغة ، وهو الجسماني ، وكيفيته أي حقيقة . لأن حقائق الصفات كلها كفيات ، وهي مجهولة الثبوت لله . وكذلك يحتجّون على إثبات المكان بحديث السوداء ، وأنها لما قال لها النبي ﷺ . أين الله ؟ وقالت في السماء ، فقال أعتقها فإنها مؤمنة . والنبي ﷺ لم يثبت لها الإيمان بآثباتها المكان لله ؛ بل لأنها آمنت بما جاء به من ظواهر ، أن الله في السماء ، فدخلت في جملة الراسخين الذين يؤمنون بالمتشابه من غير كشف عن معناه . والقطع بنفي المكان حاصل من دليل العقل النافي للافتقار . ومن أدلة السلوب

المؤذنة بالتنزيه مثل « ليس كمثل شيء » وأشباهه . ومن قوله : « وهو الله في السموات وفي الأرض » ، إذ الموجود لا يكون في مكانين ، فليست في هذا للمكان قطعاً ، والمراد غيره ، ثم طردوا ذلك المحمل الذي ابتدعوه في ظواهر الوجه والعينين واليدين ، والزول والكلام بالحرف والصوت يجعلون لها مدلولات أعم من الجسمانية وينزهونه عن مدلول الجسماني منها . وهذا شيء لا يعرف في اللغة . وقد درج على ذلك الأول والآخر منهم . ونافروهم أهل السنة من المتكلمين الأشعرية والحنفية . ورفضوا عقائدهم في ذلك ، ووقع بين متكلمي الحنفية ببخارى وبين الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ما هو معروف . وأما المجسمة ففعلوا مثل ذلك في إثبات الجسمية ، وأنها لا كالأجسام . ولفظ الجسم له يثبت في منقول الشرعيات . وإنما جرأهم عليه إثبات هذه الظواهر ؛ فلم يقتصروا عليه ، بل توغّلوا وأثبتوا الجسمية ، يزعمون فيها مثل ذلك وينزهونه بقول متناقض سفساف ، وهو قولهم : « جسم لا كالأجسام » . والجسم في لغة العرب هو العميق المحدود وغير هذا التفسير من أنه القائم بالذات أو المركب من الجواهر وغير ذلك ، فاصطلاحات للمتكلمين يريدون بها غير المدلول اللغوي . فلهذا كان المجسمة أوغل في البدعة بل والكفر . حيث اثبتوا لله وصفاً موهماً يوهم النقص لم يرد في كلامه ، ولا كلام نبيه . فقد تبين لك الفرق بين مذاهب السلف والمتكلمين السنية والمحدثين والابتدعة من المعتزلة والمجسمة بما أطلعناك عليه . وفي المحدثين غلاة يسمون المشبه لتصريحهم

بالتشبيه ، حتى إنه يحكى عن بعضهم أنه قال : اعفوني من اللحية والفرج وسلوا عما بدا لكم من سواها . وإن لم يتأول ذلك لهم ، بأنهم يريدون حصر ما ورد من هذه الظواهر الموهمة ، وحملها على ذلك الحمل الذي لأنتمهم ؛ وإلا فهو كفر صريح والعياذ بالله . وكتب أهل السنة مشحونة بالحجاج على هذه البدع ، وبسط الرد عليهم بالأدلة الصحيحة . وإنما أومأنا إلى ذلك إيماء يتميز به فصول المقالات وجلها . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأما الظواهر الخفية الأدلة والدلالة ، كالوحي والملائكة والروح والجن والبرزخ وأحوال القيامة والدجال والفتن والشروط ، وسائر ما هو متعذر على الفهم أو مخالف للعادات ؛ فان حملناه على ما يذهب إليه الأشعرية في تفاصيله ، وهم أهل السنة ، فلا تشابه ؛ وإن قلنا فيه بالتشابه ، فلنوضح القول فيه بكشف الحجاب عنه فنقول : اعلم أن العالم البشري أشرف العوالم من الموجودات ، وأرفعها . وهو وإن اتحدت حقيقة الانسانية فيه فله أطوار يُخالف كل واحد منها الآخر بأحوال يختص به حتى كأن الحقائق فيها مختلفّة .

فالطور الأول : عالمه الجسائي بحسب الظاهر وفكره المعاشي . وسائر تصرفاته التي أعطاه إياها وجوده الحاضر .

الطور الثاني : عالم النوم ، وهو تصور الخيال بانفاذ تصوراته جائلة في باطنه فيدرك منها بجواسه الظاهرة مجردة عن الأزمنة

والأُمُكِنَةُ وسائر الأحوال الجَسَامِيَّةِ ، ويشاهدها في إمكان ليس هو فيه . ويحدث للصالح منها البُشْرَى بما يترقّب من مسرّاته الدنيويّة والأخرويّة ، كما وعد به الصادق صلوات الله عليه . وهذان الطوران عامّان في جميع أشخاص البَشَرِ ، وهما خَتَلِفَانِ في المدارِكِ كما تراه .

الطور الثالث : طور النبوة ، وهو خاص بأشرف صنف البشر بما خصّه الله به من معرفته وتوحيده ، وتنزل ملائكيته عليهم بوحيه ، وتكليفهم بإصلاح البشر في أحوال كلها مغايرة للأحوال البشريّة الظاهرة .

الطور الرابع : طور الموت الذي تفارق أشخاص البشر فيه حياتهم الظاهرة إلى وجود قبل القيامة يسمّى البرزخ يتنعمون فيه ويُعَذَّبُونَ على حسب أعمالهم ثم يُفَضُّون إلى يوم القيامة الكبرى ، وهي دارُ الجزاء الأكبر نعيماً وعذاباً في الجنة أو في النار .

والطوران الأولان شاهدهما وجدانيّ ، والطور الثالث النبويّ شاهده المعجزة والأحوال المختصة بالأنبياء ، والطور الرابع شاهده ما تنزل على الأنبياء من وحي الله تعالى في المعاد وأحوال البرزخ والقيامة ، مع أنّ العقل يقتضي به ، كما نبّهنا الله عليه ، في كثير من آيات البعثة . ومن أوضح الدلالة على صحّتها أن أشخاص الإنسان لو لم يكن لهم وجود آخر بعد الموت غير هذه المشاهد يتلقّى فيه أحوالاً تليق به ، لكان إيجادُه الأوّل عبثاً . إذ الموت إذا كان عدماً كان مأل الشخص إلى العدم ، فلا يكون لوجوده

الأوّل حكمة . والعبثُ على الحكيم محال . وإذا تقرّرت هذه الأحوال الأربعة ، فلنأخذ في بيان مدارك الإنسان فيها كيف تختلف اختلافًا يبيّن يكشف لك غور المُتّشابه . فأما مداركه في الطور الأوّل فواضحة جليّة . قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ^(١) ﴾ . فهذه المدارك يستولي على ملكات المعارف ويستكمل حقيقة إنسانية ويوفي حق العبادة المُفضيّة به إلى النّجاة .

وأما مداركه في الطور الثاني ، وهو طور النوم ، فهي المدارك التي في الحسّ الظاهر بعينها . لكن ليست في الجوارح كما هي في اليقظة . لكن الرأي يتيقّن كلّ شيء أدركه في نومه لا يشكّ فيه ولا يرتاب ، مع خلو الجوارح عن الاستعمال العاديّ لها . والناس في حقيقة هذه الحال فريقان : الحكماء ، ويزعمون أنّ الصّور الخياليّة يدفعها الخيال بحركة الفكر إلى الحسّ المشترك الذي هو الفصل المشترك بين الحسّ الظاهر والحسّ الباطن ، فتصوّر محسوسه بالظاهر في الحواسّ كلّها . ويشكل عليهم هذا بأنّ المرائي الصادقة التي هي من الله تعالى أو من الملك أثبت وأرسخ في الإدراك من المرائي الخياليّة الشيطانيّة ، مع أنّ الخيال فيها على ما قرّره واحد .

الفريق الثاني : المتكلّمون ، أجملوا فيها القول ، وقالوا : هو إدراك يُخلّفه الله في الحاسة فيقع كما يقع في اليقظة ، وهذا أليق ،

(١) آية ٧٨ من سورة النحل .

وإن كنا لا نتصور كيفية. وهذا الإدراك النومي أوضح شاهد على ما يقع بعده من المدارك الحسية في الأطوار.

وأما الطور الثالث ، وهو طور الأنبياء ، فالمدارك الحسية فيها بجهولة الكيفية عند وجدانيتها عندهم بأوضح من اليقين . ف يرى النبيُّ الله والملائكة ، ويسمع كلام الله منه أو من الملائكة ، ويرى الجنة والنار ، والعرش والكرسي ، ويخترق السموات السبع في إسرائه ويركب اليراق فيها ، ويلقى النبيين هنالك ، ويصلي بهم ، ويدرك أنواع المدارك الحسية ، كما يدرك في طوره الجسماني والنومي ، بعلم ضروري يخلقه الله له ، لا بالادراك العادي للبشر في الجوارح ، ولا يلتفت في ذلك إلى ما يقوله ابن سينا من تنزيه أمر النبوة على أمر النوم في دفع الخيال صورة إلى الحس المشترك . فان الكلام عليهم هنا أشد من الكلام في النوم ، لأن هذا التنزيل طبيعة واحدة كما قرأناه ، فيكون على هذا حقيقة الوحي والرؤيا من النبي واحدة في يقينها وحقيقتها ، وليست كذلك على ما علمت من رؤيا النبي ﷺ قبل الوحي ستة أشهر وأنها كانت بمدة الوحي ومقدمته ، ويشعر ذلك بأنه رؤيته^(١) في الحقيقة . وكذلك حال الوحي في نفسه فقد كان يصعب عليه ويقاسي منه شدة كما هي في الصحيح ، حتى كان القرآن يتنزل عليه آيات مقطعات . وبعد ذلك نزل عليه (براءة)^(٢) في غزوة (تبوك)

(١) كذا ، وفي نسخة : دونه .

(٢) هي السورة التاسعة من القرآن الكريم . وهي سورة (التوبة) .

جملةً واحدةً ، وهو يسيرُ على نَاقَتِهِ . فلو كان ذلك من تنزّلِ الفكر إلى الخيال فقط ، ومن الخيال إلى الحسّ المشترك ، لم يكن بين هذه الحالاتِ فرق . وأمّا الطورُ الرابع ، وهو طورُ الأمواتِ في برزخِهِم الذي أوله القبر ، وهم مجردون عن البدن ، أو في بعثِهِم عندما يرجعون إلى الأجسام ، فداركهم الحسيةُ موجودةٌ ، فيرى الميتُ في قبرِهِ الملكانِ يسابِلانِيهِ ، ويرى مقعدهُ من الجنةِ أو النارِ بعَيْنِي رَأْسِهِ ، ويرى شهودَ الجنازةِ ويسمعُ كلامَهُم وخفقَ نِعالِهِم في الانصرافِ عنه ، ويسمع ما يذكرونه به من التوحيدِ أو من تقريرِ الشهادَتَيْنِ ، وغير ذلك . وفي الصحيح أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ وقف على قلبِ بَذْرٍ^(١) ، وفيه قتلى المشركين من قريش ، وناداهم بأسمائِهِم ، فقال عمر : يا رسول الله ! أتكلم هؤلاء الجيفِ ؟ فقال ﷺ : والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع منهم لما أقول . ثم في البعثةِ يومَ القيامةِ يعاينون بأسمائِهِم وأبصارِهِم — كما كانوا يعاينون في الحياة — من نعيم الجنةِ على مراتبِهِ وعذاب النارِ على مراتبِهِ ، ويرون الملائكةَ ويرون ربَّهُم ، كما ورد في الصحيح : إنكم ترون ربَّكم يومَ القيامة ، كالقَمَرِ ليلةَ البدرِ لا تُضامونَ في رؤْيَتِهِ . وهذه المدارِكُ لم تكن لهم في الحياةِ الدُّنيا وهي حسيةٌ مثلها ، وتقع في الجوارحِ بالعلمِ الضروريِّ الذي يخلقه الله كما قلناه . وسرّ هذا أن تعلمَ أنَّ النفسَ الإنسانيّةَ هي تنشأ بالبدن وبمداركِهِ ؛

(١) كان ذلك إثر انتهاء وقعة بدر الكبرى التي أظهر الله بها دين الإسلام على المشركين . انظر ابن خلدون ط دار الكتاب اللبناني - بيروت م ٢ ص ٧٤٤ - ٧٤٦ .

فاذا فارقت البدن بنومٍ أو بموتٍ أو صارَ النبيُّ حالةَ الوحي من المَدَارِكِ البَشَرِيَّةِ إلى المَدَارِكِ المَلَكِيَّةِ ، فقد استصحبت ما كان معها من المَدَارِكِ البَشَرِيَّةِ بجرِّدةٍ عن الجوارحِ ، فيُذركُ بها في ذلك الطورِ أيَّ إدراكٍ شأَتْ منها ، أَرْفَعَ من إدراكها ، وهي في الجسد . قاله الغزاليُّ رحمه الله ، وزاد على ذلك أنَّ النفسَ الإنسانيَّةَ صورةٌ تبقى لها ، بعد المفاارقة فيها العيان والأذنانِ وسائرِ الجوارحِ المدركة أمثالا لها ، كان في البدن وصوراً .

وأنا أقول : إنّما يشيرُ بذلك إلى المَلَكاتِ الحاصِلَةِ من تصريف هذه الجوارحِ في بدنِها زيادةً على الإدراكِ . فاذا تَفَطَّنْتَ لهذا كله عَلِمْتَ أَنَّ هذه المَدَارِكِ موجودةٌ في الأطوارِ الأَرْبَعَةِ ، لكن ليس على ما كانت في الحياة الدنيا ؛ وإنّما هي تختلفُ بالقوَّةِ والضعفِ بحسب ما يعرضُ لها من الأحوال . ويشير المتكلمونَ الى ذلك إشارةً مجمَلةً بأنَّ اللهَ يَخْلُقُ فيها علماً ضرورياً بتلك المَدَارِكِ ، أيَّ مدركٍ كان ، ويعنون به هذا القَدَرُ الذي أَوْضَحْنَاهُ . وهذه نبذة أومأنا بها إلى ما يوضح القول في المتشابه . ولو أَوْسَعْنَا الكلامَ فيه لَقَصُرَتْ المَدَارِكُ عنه . فلنَفْرَغْ إلى الله سُبْحَانَهُ في الهدايةِ والفهمِ عن أنبيائه وكتابه ، بما يحصلُ به الحقُّ في توحيدنا ، والظفر بنجاتنا والله يَهْدِي من يشاء .

الفصل السابع عشر

في علم التصوف

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة . وأصله أن طريقة هؤلاء القوم ، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومالٍ وجام ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة . وقال القشيري رحمه الله : ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس . والظاهر أنه لقب . ومن قال : اشتقاقه من الصفاء ، أو من الصفة ؛ فبعيد من جهة القياس اللغوي ، قال : وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه .

قلت : والأظهر أن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم في الغالب يختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالطة الناس في لبس . فآخِر الثياب إلى لبس الصوف . فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة ، اختصوا بآخذ مدركة لهم ؛ وذلك أن الانسان بما هو انسان إنما يتميز عن سائر الحيوان

بالادراك ، وإدراكه نوعان : ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم ؛ وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر ، وأمثال ذلك . فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ^(١) من إدراكات وإرادات وأحوال ، وهي التي تُمَيِّزُ بها الانسان . وبعضها ينشأ من بعض ، كما ينشأ العلم عن الأدلة ، والفرح والحزن عن ادراك المؤلم أو المتلذذ به ، والنشاط عن الحما ، والكسل عن الاعياء . وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته ، لا بد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة . وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة ، فترسخ وتصير مقاماً للمريد ؛ وإما أن لا تكون عبادة ، وإنما تكون صفة حاصلة للنفس ، من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات . ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام ، الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة . قال ﷺ : « من مات يشهد أن لا إله الا الله دخل الجنة » . فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الأطوار ، وأصلها كلها الطاعة والاخلاص ، ويتقدّمها الايمان ويصاحبها ، وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات . ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان . وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه انما أتى من قبل التقصير في الذي قبله . وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية . فلذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه

(١) كذا ، وفي ب : فالعنى العاقل والمتصرف في البدن ينشأ . . الخ .

في سائر أعماله ، وينظرُ في حقائقها ؛ لأنَّ حصولَ النتائجِ عن الأعمالِ ضروريٌّ وقصورها من الخللِ فيها كذلك . والمريدُ يجدُ ذلك بذوقه ويحاسبُ نفسه على أسبابه . ولا يشاركهم في ذلك الا القليلُ من الناسِ ، لأنَّ الغفلةَ عن هذا كأنها شاملةٌ .

وغايةُ أهلِ العباداتِ ، إذالم ينتهوا الى هذا النوعِ ، أنهم يأتون بالطاعاتِ مغلصةً من نظرِ الفقه في الأجزاء والامثالِ . وهؤلاءِ يبحثون عن نتائجها بالأذواقِ والمواجِدِ ، ليطلعوا على أنها خالصةٌ من التفسيرِ أو لا ؛ فظهرَ أنَّ أصلَ طريقتهم كلها محاسبةُ النفسِ على الأفعالِ والتروكِ ، والكلامِ في هذه الأذواقِ والمواجِدِ التي تحصلُ عن المجاهداتِ ؛ ثم تستقرُّ للدريدِ مقاماً ، ويترقى منها الى غيرها . ثم لهم مع ذلك آدابٌ مخصوصةٌ بهم واصطلاحاتٌ في ألفاظِ تدورُ بينهم ، إذ الأوضاعُ اللغويةُ إنما هي للمعاني المتعارفة . فاذا عرضَ من المعاني ما هو غيرُ متعارفٍ ، اصطلاحنا عن التعبيرِ عنه بلفظٍ يتيسرُ فهمه منه . فلهذا اختصَّ هؤلاءِ بهذا النوعِ من العلمِ الذي ليسَ لواحدٍ غيرهم من أهلِ الشريعةِ الكلامُ فيه . وصار علمُ الشريعةِ على صنفين : صنفٍ مخصوصٍ بالفقهاءِ وأهلِ الفتيا ، وهي الاحكامُ العامةُ في العباداتِ والعباداتِ والمعاملاتِ ؛ وصنفٍ مخصوصٍ بالقومِ في القيامِ بهذه المجاهدةِ ومحاسبةِ النفسِ عليها ، والكلامِ في الأذواقِ والمواجِدِ العارضةِ في طريقتها ، وكيفيةِ الترقى منها من ذوقٍ إلى ذوقٍ ، وشرحِ الاصطلاحاتِ التي تدورُ بينهم في ذلك .

فلما كُتِبَت العلومُ ودُوِّنَت ، وأُلفَ الفقهاءُ في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك ، كتبَ رجالٌ من أهل هذه الطريقة في طريقتهم . فمنهم من كتبَ في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك ، كما فعله المحاسبيُّ في كتاب الرعاية له ؛ ومنهم من كتبَ في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم في الأحوال كما فعله القُشَيْرِيُّ في كتاب الرسالة ، والسهرورديُّ في كتاب عواريف المعارف وأمثالهم . وجمع الغزاليُّ رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء ، فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثم بيّن آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وصارَ علمُ التصوف في الملة علماً مدوّنًا ، بعد أن كانت الطريقة عبادةً فقط وكانت أحكامها إنما تُتَلَقَّى من صدور الرجال ، كما وقعَ في سائر العلوم التي دُوِّنَت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك .

ثم إن هذه المجاهدة والخلوّة والذكرَ يتبعها غالباً كشفُ حجابِ الحسِّ ، والاطلاعُ على عوالمٍ من أمر الله ، ليس لصاحبِ الحسِّ ادراكُ شيءٍ منها . والروحُ من تلك العوالم . وسببُ هذا الكشفِ أنَّ الروحَ إذا رجعَ عن الحسِّ الظاهرِ إلى الباطنِ ضعفتْ أحوالُ الحسِّ ، وقويتْ أحوالُ الروح ، وغلبَ سلطانه وتجدّدَ نشؤه ، وأعان على ذلك الذكرُ ؛ فإنه كالغذاء لتنمية الروح ، ولا يزالُ في نموٍّ وتزديدٍ ، إلى أن يصيرَ شهوداً بعد أن كان علماً . ويكشفُ حجابَ الحسِّ ، ويُتمُّ وجودة النفس الذي لها من ذاتها ، وهو عين

الادراك. فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي، وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى، أفق الملائكة. وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم. وكذلك يدركون كثيراً من الوقائع قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية، وتصير طوع إرادتهم. فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون، ولا يُخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالكلم فيه؛ بل يعدّون ما يقع لهم من ذلك محنة، ويتعوذون منه إذا هاجهم. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ؛ لكنهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها. وتبعهم في ذلك أهل الطريقة، ممن اشتملت رسالة الشيرازي على ذكرهم، ومن تبع طريقتهم من بعدهم.

ثم إن قوماً من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراءه، واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك، باختلاف تعليمهم في مائة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر، حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها. فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ؛ وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش. هكذا قال الغزالي رحمه الله في

كتاب الإحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة .

ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم ، إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة ؛ لأنَّ الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة ، وإن لم يكن هناك استقامة كالسحر وغيرهم من المرتاضين . وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة . ومثاله أنَّ المرأة الصقيلة إذا كانت محدبة أو مقعرة ، وحوزي بها جهة المري ؛ فإنه يتشكّل فيه معوجاً على غير صورته . وإن كانت مسطحة تشكّل فيها المري صحيحاً . فالاستقامة للنفس ، كالانبساط للمرأة ، فيما ينطبع فيها من الأحوال . ولما غني المتأخرون بهذا النوع من الكشف ، تكلّموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية ، وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك . وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجهتهم في ذلك . وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم . وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ، ردّاً وقبولاً ؛ إذ هي من قبيل الوجدانيات .

تفصيل وتحقيق : يقع كثيراً في كلام أهل العقائد ، من علماء الحديث والفقه أنَّ الله تعالى مبينٌ لخلوقاته . ويقع للمتكلّمين أنَّه لا مبينٌ ولا مُتّصلٌ . ويقع للفلاسفة أنَّه لا داخل العالم ولا خارجه . ويقع للمتأخّرين من المتصوّفة أنَّه مُتّحدٌ بالخلوقات : إما بمعنى الحلول فيها ؛ أو بمعنى إنّه هو عينها ، وليس هناك غيره جملةً ولا تفصيلاً . فلنبين تفصيل هذه المذاهب ونشرح حقيقة كل واحد منها ، حتى

تَتَضَحَّ معانيها فنقول ، إن المَبَايِنَةَ تقال لِمَعْنَيْنِ :
أحدهما المَبَايِنَةُ في الحِزْرِ والجهة ، ويقابلُهُ الاتِّصَالُ . وتشعر
هذه المَقَابَلَةُ على هذه التَقْيُّدِ بِالْمَكَانِ : إمَّا صريحاً ، وهو تجسيم ؛ أو
لزوماً وهو تشبيه من قبيل القول بالجهة . وقد نقل مثله عن بعض
علماء السلف من التصريح بهذه المَبَايِنَةِ ، فيحتملُ غير هذا المعنى .
ومن أجل ذلك أنكر المتكلمون هذه المَبَايِنَةَ وقالوا : لا يقال في
الباري ، أَنَّهُ مَبَايِنٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ ، ولا متصلٌ بها ، لأنَّ ذلك إنما يكون
للمتحيِّزات . وما يقال من أن المحل لا يخلو عن الاتِّصاف بالمعنى
وَضِدِّهِ ، فهو مشروط بصحة الاتِّصاف أولاً ، وأما مع امتناعه
فلا ؛ بل يجوز الخلو عن المعنى وِضْدَهُ ، كما يقال في الجماد ، لا عالمٌ
ولا جاهلٌ ولا قادرٌ ولا عاجزٌ ولا كاتبٌ ولا أُمِّيٌّ . وَصَحَّةُ الاتِّصافِ
بهذه المَبَايِنَةِ مشروطٌ بالحصول في الجهة على ما تقرَّر من مذلولها .
والباري ، سبحانه منزَّهٌ عن ذلك . ذكره ابن التِّلْمِسَانِي في شرح
اللُّمَعِ لإمامِ الحَرَمَيْنِ وقال : « لا يقال في الباري ، مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ
ولا مُتَّصِلٌ بِهِ ، ولا دَاخِلٌ فِيهِ ولا خَارِجٌ عَنْهُ . وهو معنى ما يقوله
الفلاسفة أَنَّهُ لا دَاخِلُ الْعَالَمِ ولا خَارِجُهُ ، بناءً على وجود الجواهر
غير المتحيِّزَةِ . وأنكرها المتكلمون لما يلزم من مساواتها للباري ،
في أخص الصفات ، وهو مبسوط في علم الكلام .

وأما المعنى الآخر للمَبَايِنَةِ ، فهو المَغَايِرَةُ والمَخَالَفَةُ ؛ فيقال :
الباري ، مَبَايِنٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ في ذاتِهِ وهُوِيَّتِهِ ووجودِهِ وصفَاتِهِ . ويقابلُهُ
الاتِّحَادُ والامْتِزَاجُ والاختِلَاطُ . وهذه المَبَايِنَةُ هي مذهبُ أَهْلِ الْحَقِّ

كلّهم من جمهور السلف وعلماء الشرائع والمتكلمين والمتصوّفة الأقدمين كأهل الرسالة ومن نحا منحاهم . وذهب جماعة من المتصوّفة المتأخرين الذين صيروا المدارك الوجدانيّة علميّة نظريّة ، إلى أن الباري تعالى متّحدٌ بمخلوقاتِه في هويّته ووجودِه وصفاتِه . وربما زعموا أنّه مذهبُ الفلاسفة قبل أرسطو ، مثل أفلاطون وسقراط ؛ وهو الذي يميّنه المتكلّمون حيث ينقلونه في علم الكلام عن المتصوّفة ويجاولون الردّ عليه لأنّه ذاتان ، تنتفي إحداهما ، أو تندرجُ اندراجَ الجزء ؛ فان تلك مغايّرة صريّحة ، ولا يقولون بذلك . وهذا الاتّحاد هو الحلُّ الذي تدّعيه النصارى في المسيح عليه السلام ، وهو أغربُ لأنّه حلُّ قديمٌ في محدثٍ أو اتّحاده به . وهو أيضاً عينُ ما تقوله الإماميّة من الشيعة في الأئمة . وتقرير هذا الاتّحاد في كلامهم على طريقين :

الأولى : أن ذاتَ القديم كائنةٌ في المحدثاتِ محسوسها ومعقولاتها ، متّحدةٌ بها في المتصوِّرين ، وهي كلّها مظاهر له ، وهو القائم عليها ، أي المقومُ لوجودها ، بمعنى لولاه كانت عدماً وهو رأيُ أهلِ الحلول .

الثانية : طريقُ أهلِ الوحدةِ المطلقةِ وكأنّهم استشعروا من تقرير أهلِ الحلولِ الغيريّةِ المنافيّةِ لمعقولِ الاتّحادِ ؛ فنفوها بين القديم وبين المخلوقاتِ في الذات والوجود والصفات . وغالطوا في غيريّة المظاهر المدركة بالحواس والعقل بأنّ ذلك من المدارك البشرية ، وهي أوهامٌ . ولا يريدون الوهم الذي هو قسيمُ العلم والظن والشك ؛ وإنما يريدون أنّها كلّها عدَمٌ في الحقيقة ، وجود في

المدرَكِ البشريّ فقط . ولا وجود بالحقيقةِ إِلَّا للقديمِ ، لا في الظاهرِ ولا في الباطنِ كما نقرّهُ بعد ، بحسب الإمكانِ . والتعويل في تعقُّل ذلك على النظر والاستدلال ، كما في المدارك البشرية ، غير مفيد ؛ لأنّ ذلك إنما ينقل من المدارك المملَكِيّة ؛ وإنّما هي حاصلة للأنبياء بالفطرة ومن بعدهم للأولياء بهدائيتهم . وقصدُ من يقصدُ الحصول عليها بالطريقة العلمية ضلال . وربما قصد بعض المصنّفين ذلك في كشف الموجودات وترتيب حقائقه على طريق أهل المظاهر فأثى بالأغمض فالأغمض .

وربما قصد بعض المصنّفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه ؛ فأثى بالأغمض فالأغمض ، بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم . كما فعل الفرغانيّ ، شارح قصيدة ابن الفارض ، في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح ؛ فإنه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ، أنّ الوجود كلّهُ صادرٌ عن صفة الوحدانية ، التي هي مظهر^(١) الأحديّة ، وهما معاً صادران عن الذات الكريمة التي هي عينُ الوحدة لا غيرُ . ويسمّون هذا الصدور بالتجلي .

وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه ، وهو يتضمّن الكمال بإفاضة الإيجاد والظهور ، لقوله في الحديث الذي يتناقلونه : « كنتُ كنزاً مخفياً ، فأحببتُ أن أعرف ، فخلقتُ الخلق

(١) كذا ، وفي نسخة ب : مصدر الأحديّة .

ليعرفوني». وهذا الكمال في الابتعاد المتنزل^(١) في الوجود وتفصيل الحقائق، وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية^(٢) والحقيقة الحمديدية، وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسول أجمعين، والكمال من أهل الملة الحمديدية. وهذا كله تفصيل الحقيقة الحمديدية. ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية، وهي مرتبة المثال؛ ثم عنها العرش، ثم الكرسي، ثم الافلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب. هذا في عالم الرتبة، فإذا تجلت، فهي في عالم الفتق. انتهى

ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات، وهو كلام لا يقدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لنموضه وانغلاقه، وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة^(٣) والوجدان وصاحب الدليل. وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب فإنه لا يُعرف في شيء من مناحيه. وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة، وهو رأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريقه، يزعمون فيه أن الوجود له قوى في تفاصيله، بها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادها.

والعناصر إنما كانت بما فيها من القوى، وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها. ثم إن المركبات فيها تلك القوى

(١) كذا، وفي إحدى النسخ: المشترك.

(٢) كذا، وفي ب: والحضرة العمادية، وفي نسخة أخرى: والحضرة العمادية.

(٣) كذا، وفي ب: صاحب المشاهد.

مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرَكِيبُ . كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى
الْعُنَاصِرِ بِهِيُولَاهَا ، وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ؛ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ
تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ وَزِيَادَةَ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا ؛ وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ
مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ؛ ثُمَّ الْفَلَكَ يُتَضَمَّنُ الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةً . وَكَذَا
الذَّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْكُلِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ ، هِيَ
الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي انْبَثَتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيَّةً وَجُزْئِيَّةً ،
وَجَمْعَتَهَا وَأَحَاطَتْ بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ
جِهَةِ الْخَفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْمَادَّةِ ؛ فَالْكُلُّ
وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ ،
وَالْإِعْتِبَارُ هُوَ الْمَفْصَلُ لَهَا ؛ كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا
مَنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَكَائِنَةٌ بِكُونِهَا . فَتَارَةً يُمَثِّلُونَهَا بِالْجِنْسِ مَعَ النُّوعِ ،
فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ؛ وَتَارَةً بِالْكُلِّ مَعَ الْجُزْءِ ، عَلَى طَرِيقَةِ
الْمِثَالِ . وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرَوْنَ مِنَ التَّرَكِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِهِ مِنْ
الْوُجُوهِ ، وَإِنَّمَا أَوْجَبَهَا عَنْدهُمْ الْوَهْمُ وَالْخَيَالُ . وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ
ابْنِ دَهْقَانَ فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْمَذْهَبِ ، أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ
شَبِيهٌ بِمَا يَقُولُهُ الْحُكَمَاءُ فِي الْأَلْوَانِ ، مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مُشْرُوطٌ
بِالضُّوءِ ؛ فَإِذَا عُدِمَ الضُّوءُ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً بِوَجْهِهِ .

وَكَذَا عَنْدهُمْ الْمَوْجُودَاتُ الْمَحْسُوسَةُ كُلُّهَا مُشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ
الْمُدْرِكِ الْحَسِيِّ ؛ بَلِ الْمَوْجُودَاتُ الْمَعْقُولَةُ وَالْمُتَوَهَّمَةُ أَيْضًا مُشْرُوطَةٌ
بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ ؛ فَإِذَا ، الْوُجُودُ الْمَفْصَلُ كُلُّهُ مُشْرُوطٌ بِوُجُودِ
الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ . فَلَوْ فَرَضْنَا عَدَمَ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ جَمَلَةً لَمْ يَكُنْ

هناك تفصيلٌ في الوجود ، بل هو بسيطٌ واحدٌ . فالحرُّ والبردُ ،
والصلابةُ واللينُ ، بل والأرضُ والماءُ ، والنارُ والسماءُ والكواكبُ ،
إنما وُجدت لوجودِ الحواسِّ المدركةِ لها ؛ لما جُعِلَ في المدركِ من
التفصيلِ ، الذي ليس في الموجودِ ، وإنما هو في المداركِ فقط . فإذا
فقدت المداركُ المفصلةُ فلا تفصيلَ ، إنما هو ادراكٌ واحدٌ ، وهو
أنا لا غيره . ويعتبرون ذلك بحالِ النائمِ ؛ فإنه إذا نامَ وفقدَ الحسَّ
الظاهرَ ، فقدَ كلُّ محسوسٍ ، وهو في تلك الحالةِ ؛ إلا ما يُفَصِّلُهُ
له الخيالُ . قالوا : فكذلك اليقظانُ إنما يعتيرُ تلك المدركاتِ كلها
على التفصيلِ بنوعِ مدركِهِ البشريِّ ، ولو قدِرَ فقدُ مدركِهِ فقدَ
التفصيلُ ؛ وهذا هو معنى قولهم : الوهمُ ، لا الوهمُ الذي هو من
جملةِ المداركِ البشريةِ .

هذا ملخصُ رأيهم على ما يُفهمُ من كلامِ ابنِ دهقانٍ ، وهو
في غايةِ السقوطِ ؛ لأننا نقطعُ بوجودِ البلدِ الذي نحنُ مسافرونُ
إليه يقيناً مع غيبتهِ عن أعيننا ، وبوجودِ السماءِ المظلمةِ والكواكبِ
وسائرِ الأشياءِ الغائبةِ عنا . والإنسانُ قاطعٌ بذلك ، ولا يكابرُ
أحدٌ نفسه في اليقينِ ، مع أنَّ المحققينَ من المتصوفةِ المتأخرينَ
يقولونَ : إنَّ المريدَ عندَ الكشفِ ربما يعرضُ له توهمُ هذه الوحدةِ ،
ويُسمَّى ذلك عندهم مَئَامَ الجمعِ . ثم يترقى عنه إلى التمييزِ بين
الموجوداتِ ، ويُعبِرونَ عن ذلك بمَئَامِ الفرقِ ، وهو مقامُ العارفِ
الحقيقِ . ولا بدَّ للمريدِ عندهم من عقبةِ الجمعِ ، وهي عقبةٌ صعبةٌ ؛
لأنه يُنجسُ على المريدِ من وقوفِهِ عندها ، فتخسرُ صفقتهُ . فقد

تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبَ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ .

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكَشْفِ وَفِي مَا وَرَاءَ الْحَسِّ ، تَوَغَّلُوا فِي ذَلِكَ ؛ فَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ ، وَمَلَأُوا الصُّخْفَ مِنْهُ ، مِثْلَ الْهَرَوِيِّ ، فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ ، وَغَيْرِهِ . وَتَبِعَهُمُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ سَبْعِينَ وَتَلَمِيذُهَا ثُمَّ ابْنُ الْعَفِيفِ وَابْنُ الْفَارِضِ وَالنَّجْمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قِصَائِهِمْ . وَكَانَ سَلْفُهُمْ مَخَالِطِينَ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الدَّائِنِينَ أَيْضًا بِالْحُلُولِ وَإِلَهِيَّةِ الْأَئِمَّةِ ، مَذْهَبًا لَمْ يُعْرِفْ لِأَوَّلِهِمْ ؛ فَاشْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَذْهَبَ الْآخَرِ . وَاخْتَلَطَ كَلَامُهُمْ وَتَشَابَهَتْ عَقَائِدُهُمْ . وَظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ ، وَمَعْنَاهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ . يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ ، حَتَّى يَقْبِضَهُ اللَّهُ . ثُمَّ يُوَرِّثُ مَقَامَهُ لِآخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الْإِشَارَاتِ ، فِي فُصُولِ التَّصَوُّفِ مِنْهَا ، فَقَالَ : « جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شَرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ ، أَوْ يُطَّلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ » . وَهَذَا كَلَامٌ لَا تَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَطَابَةِ ، وَهُوَ بَعِينُهُ مَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ فِي تَوَارِثِ الْأَئِمَّةِ عِنْدَهُمْ . فَانْظُرْ كَيْفَ سَرَقَتْ طَبَاعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا الرَّأْيَ مِنَ الرَّافِضَةِ وَدَانُوا بِهِ . ثُمَّ قَالُوا بِتَرْتِيبِ وَجُودِ الْأَبْدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ ، كَمَا قَالَهُ الشَّيْعَةُ فِي النُّبَاءِ . حَتَّى إِنَّهُمْ لَمَّا أَسْنَدُوا لِبَاسَ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ ، لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا

لطريقَتَيْهِمْ وَنَحْلَتَيْهِمْ ، رَفَعُوهُ^(١) إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضاً . وَإِلَّا فَعَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمْ يُخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ بِنَحْلَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِبَاسٍ وَلَا حَالٍ . بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَزْهَدَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَكْثَرُهُمْ عِبَادَةً . وَلَمْ يُخْتَصَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُوَثِّرُ عَنْهُ عَلَى الْخُصُوصِ ، بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْوَةً فِي الدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْمَجَاهِدَةِ .

تَشْهَدُ بِذَلِكَ سِيرَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ . نَعَمْ إِنَّ الشَّيْعَةَ يُخَيِّلُونَ بِمَا يَنْقُلُونَ مِنْ ذَلِكَ اخْتِصَاصَ عَلِيٍّ بِالْفَضَائِلِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ذَهَاباً مَعَ عَقَائِدِ التَّشْيِيعِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُتَصَوِّفَةَ بِالْعِرَاقِ ، لَمَّا ظَهَرَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَظَهَرَ كَلَامُهُمْ فِي الْإِمَامَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا مَا هُوَ مَعْرُوفٌ ؛ فَاقْتَبَسُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوَازِنَةَ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَجَعَلُوا الْإِمَامَةَ لِسِيَاسَةِ الْخَلْقِ فِي الْإِنْفِیَادِ إِلَى الشَّرْعِ ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ أَنْ لَا يَقَعَ اخْتِلَافٌ كَمَا تَمَرَّرَ فِي الشَّرْعِ . ثُمَّ جَعَلُوا الْقُطْبَ لِتَعْلِيمِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ لِأَنَّهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ تَشْبِيهاً بِالْإِمَامِ فِي الظَّاهِرِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى وَزَانِهِ فِي الْبَاطِنِ وَسَمَّوْهُ قُطْباً لِمَدَارِ الْمَعْرِفَةِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلُوا الْأَبْدَالَ كَالنُّقَبَاءِ مَبَالِغَةً فِي التَّشْبِيهِ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ .

يَشْهَدُ بِذَلِكَ كَلَامُ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ ، وَمَا شَحَنُوا بِهِ كِتَابَهُمْ فِي ذَلِكَ ، مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ

(١) كَذَا ، وَفِي ب : وَقَفُوهُ عَلَى عَلِيٍّ . . . الخ .

بنفي أو إثبات ؛ وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كثيرهم . والله يهدي إلى الحق .

تذييل : وقد رأيت أن أجلب هنا فصلاً من كلام شيخنا العاريف ، كبير الأولياء بالأندلس ، أبي مهدي عيسى بن الزيات ، كان يقع له أكثر الأوقات على أبيات الهروي التي وقعت له في كتاب المقامات توهم القول بالوحدة المطلقة أو يكاد يصرح بها وهي قوله :

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحد جاحد
توحيد من ينطق عن نعت تثنية أبطلها الواحد
توحيد إياه توحيد ونعت من ينعت لاحد

فيقول رحمه الله على سبيل العذر عنه : « استشكل الناس إطلاق لفظ الجحود على كل من وحد الواحد ولفظ الإلحاد على من نعت ووصفه . واستشعوا هذه الأبيات وحملوا قائلها على الكفر واستخفوه . ونحن نقول على رأي هذه الطائفة أن معنى التوحيد عندهم انتفاء عين الحدوث بثبوت عين القدم وأن الوجود كله حقيقة واحدة وانية واحدة . وقد قال أبو سعيد الجزائي من كبار القوم : الحق عين ما ظهر وعين ما بطن . ويرون أن وقوع التعدد في تلك الحقيقة وجود الاثنائية . وهم باعتبار حضرات الحس بمنزلة صور الضلال والصدأ والمراى . وأن كل ما سوى عين القدم ، إذا استتبع فهو عدم . وهذا معنى : كان الله ؛ ولا شيء معه ؛ وهو الآن على

ما هو عليه ، كان عندهم . ومعنى قول لبيد الذي صدّقه رسول الله ﷺ في قوله : « أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ، مَا خَلَا اللَّهَ ، بَاطِلٌ » . قالوا فمن وَحَدَ ونعت ، فقد قال بموجد مُحَدَّثٍ ، هو نفسه ؛ وتوحيد مُجَدَّثٍ هو فعله ، موجد قديم ، هو معبود .

وقد تقدّم معنى التوحيد انتفاء عين الحدوث ، وعينُ الحدوثِ الآن ثابتةٌ بل متعدّدة ، والتوحيدُ مجرّدٌ ، والدعوى كاذبةٌ . كمن يقول لغيره ، وهما معاً في بيت واحد : ليس في البيت غيرك افيقول الآخر بلسان حاله : لا يصحُّ هذا إلّا لو عُذِمَتَ أَنْتَ وقد قال بعض المحقّقين في قولهم : « خلقَ الله الزمانَ » ، هذه ألفاظُ تناقضٍ أصولها ، لأنَّ خلقَ الزمانِ مُتَقَدِّمٌ على الزمانِ ، وهو فعل لا بدّ من وقوعه في الزمانِ ؛ وإنّما حملَ ذلك ضيقُ العبارةِ عن الحقائق وعجزُ اللغاتِ عن تأديّةِ الحقِّ فيها وبها . فإذا تحقّقَ أنَّ الموحّد هو الموحّد ، وعدم ما سواه جملةً ، صحَّ التوحيدُ حقيقةً . وهذا معنى قولهم : « لا يعرفُ اللهَ إلّا اللهُ » . ولا حَرَجَ على من وَحَدَ الحقَّ مع بقاء الرسومِ والآثارِ ؛ وإنّما هو من باب : « حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين » . لأنَّ ذلك لا يَزِمُ التقييدَ والعبوديّةَ والشفعيةَ . ومن ترقى إلى مقامِ الجمعِ كان في حقه نقصاً ، مع علمه برتبته ، وأنّه تلبّسُ تستلزمُ العبوديّةَ ويرفعُ الشهودَ ، ويطهرُ من دَنَسِ حدوثهِ عينِ الجمعِ . وأعرقُ الأصنافِ في هذا الزعمُ القائِلونَ بالوَحدَةِ المطلقةِ . ومدارُ المعرفةِ بكلِّ اعتبارٍ على الانتهاءِ إلى الواحدِ ؛ وإنّما صدرَ هذا القولُ من الناظمِ على سبيلِ التحريضِ

والتَّنبُّيه والتَّفْطِين ، لمقام أعلى ، ترتفعُ فيه الشَّفِيعَةُ ويحصل التَّوْحِيدُ المطلقُ ، عِيناً لا خطاباً . وعِبَارَةٌ مِنْ سَلَمِ اسْتِرَاحَ ، ومن نازعته حَقِيقَةُ أَرَسَ بِقَوْلِهِ : كُنْتُ سَمَمَةً وَبَصَرَةً . وإذا عرفتَ المعاني لا مشاحة في الألفاظ . والذي يفيدُه هذا كُلُّهُ تَحْمِيقُ أَمْرِ فَوْقَ هَذَا الطَّوَرِ ، لا نَطَقَ فِيهِ وَلَا خَبَرَ عَنْهُ . وهذا المَفْدَارُ من الإِشَارَةِ كَافٍ . والتَّعَمُّقُ في مثل هذا حِجَابٌ ، وهو الذي أَوْقَعَ في المَقَالَاتِ المَعْرُوفَةِ . انتهى كَلَامُ الشَّيْخِ أَبِي مَهْدِي الزِّيَاتِ ، ونَقَلْتُهُ مِنْ كِتَابِ الوَازِرِ ابْنِ الخَطِيبِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي الحِجَّةِ ، وَسَمَّاهُ التَّعْرِيفَ بِالحَبِّ الشَّرِيفِ . وقد سَمِعْتُهُ مِنْ شَيْخِنَا أَبِي مَهْدِي يَرَاراً ! إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رُسُومَ الكِتَابِ أَوْعَى لَهُ ، لَطَوَّلَ عَهْدِي بِهِ . وَاللَّهُ المَوْفِّقُ .

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الفَتَّاهِ وَأَهْلِ الفُتْيَا ، انتدبوا للردِّ عَلَى هَؤُلَاءِ المتأخِّرِينَ فِي هَذِهِ المَقَالَاتِ وَأَمْثَالِهَا ، وَشَمَلُوا بِالنَّكِيرِ سَائِرَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ . والحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعَهُمْ فِيهِ تَفْصِيلٌ ، فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : أَحَدُهَا الكَلَامُ عَلَى المُجَاهَدَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الأَذْوَاقِ وَالمَوَاجِدِ وَمَحَاسِنِ النَفْسِ عَلَى الأَعْمَالِ ، لِتَحْصُلِ تِلْكَ الأَذْوَاقِ ، الَّتِي تَصِيرُ مَقَامًا وَيُتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا ؛ وَثَانِيهَا الكَلَامُ فِي الكَشْفِ وَالحَقِيقَةِ المَدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ ، مِثْلَ الصِّفَاتِ الرِّبَانِيَّةِ وَالعَرْشِ وَالكُرْسِيِّ وَالمَلَائِكَةِ وَالوَحْيِ وَالنَّبُوَّةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ ، وَتَرْكِيبِ الأَكْوَانِ فِي صُدُورِهَا عَنْ مَوْجِدِهَا وَمُكُونِهَا كَمَا مَرَّ ؛ وَثَالِثُهَا التَّصَرُّفَاتُ فِي العَوَالِمِ وَالأَكْوَانِ بِأنواعِ الكَرَامَاتِ ؛ وَرَابِعُهَا أَلْفَافُ مَوْهَمَةِ الظَّاهِرِ

صدرت من الكثير من أئمة القوم ، يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات ، تستشكل ظوايرها ، فمنكرٌ ومحسنٌ ومتأولٌ . فأما الكلام في المجاهدات والمقامات ، وما يحصل من الأذواق والمواجه في نتائجها ، ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها ؛ فأمرٌ لا مدفع فيه لأحدٍ ، وأذواقهم فيه صحيحةٌ ، والتحقيق بها هو عين السعادة ؛ وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات ، فأمرٌ صحيحٌ غير منكرٍ . وإن مال بعض العلماء الى إنكارها فليس ذلك من الحق . وما احتج به الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني من أئمة الأشعرية على إنكارها ، لالتباسها بالمعجزة ، فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدي ، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به . قالوا : ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية ؛ فإن صفة نفسها التصديق . فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال . هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات ، وإنكارها نوعٌ مكابرة .

وقد وقع للصحابية وأكابر السلف كثيرٌ من ذلك ، وهو معلومٌ مشهورٌ . وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات ؛ فأكثر كلامهم فيه نوعٌ من المتشابه ، لما أنه وجداني عندهم ؛ وفاقد الوجدان عندهم بعزلٍ عن أذواقهم فيه . واللغات لا تُعطي دلالة على مرادهم منه ؛ لأنها لم توضع إلا للمتعارف ، وأكثره من المحسوسات . فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم

في ذلك ، ونتركه فيما تركناه من المتشابه . ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات ، على الوجه الموافق لظاهر الشريعة ؛ فأكرم بها سعادة . وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ، ويؤاخذهم بها أهل الشرع ، فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب ، والمجبور معذور .

فمن علم منهم فضله واقتداؤه ، حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله . وإن العبارة عن المواجه صعبة لفقدان الوضع لها ، كما وقع لأبي يزيد البسطامي وأمثاله . ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر ، فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك ، إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه . وأما من تكلم بمثلها ، وهو حاضر في حسه ، ولم يملكه الحال ، فؤاخذ أيضاً . ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج ، لأنه تكلم في حضور ، وهو مالك لحاله . والله أعلم .

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل ، لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ، ولا هذا النوع من الإدراك ؛ إنما همم الاتباع والاقتراد ما استطاعوا . ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به ، بل يفرّون منه ويرون أنه من العوائق والمخن . وأنه إدراك من ادراكات النفس مخلوق حادث ، وأن الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان . وعلم الله أوسع وخلق أكبر ، وشريعته بالهداية أملك ؛ فلم ينطقوا بشيء مما يدركون . بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من

يُكشَفُ له الحجابُ من أصحابهم من الخوضِ فيه والوقوفِ عنده، بل يلتزمونَ طريقتَهُمْ كما كانوا في عالمِ الحسِّ قبلَ الكشفِ من الاتباعِ والاقتداء، ويأمرونَ أصحابهم بالتزامها. وهكذا ينبغي أن يكون حالُ المريد. والله الموفقُ للصواب.

الفصل الثامن عشر

علم تعبير الرؤيا

هذا العلمُ من العلومِ الشرعيَّةِ وهو حادثٌ في المِلَّةِ عندما صارتِ العلومُ صنائعَ ، وكتبَ الناسُ فيها . وأما الرؤيا والتعبيرُ لها ، فقد كانَ موجوداً في السَّلفِ كما هو في الخلفِ . وربما كانَ في الملوكِ^(١) والأئمَّةِ من قبلُ ؛ إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلامِ المعبرينَ من أهلِ الإسلامِ . وإلا فالرؤيا موجودةٌ في صنفِ البشرِ على الإطلاقِ ولا بدَّ من تعبيرها . فلقد كانَ يوسفُ الصِّديقُ صلوات الله عليه يُعَبِّرُ الرؤيا ، كما وقعَ في القرآنِ . وكذلك ثبتَ في الصحيحِ ، عن النبيِّ ﷺ ، وعن أبي بكرٍ رضي الله عنه . والرؤيا مُدركٌ من مداركِ الغيبِ . وقال ﷺ : « الرؤيا الصالحةُ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ » . وقال : « لم يبقَ من المبشراتِ إلا الرؤيا الصالحةُ ، يراها الرجلُ الصالحُ ، أو تُرى له » .

(١) كذا، وفي ب: في الملل والأمم.

وَأَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا ؛ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ ، إِذَا انْفَلَتَ^(١) مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟ » يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ ، مِمَّا فِيهِ ظُهُورُ الدِّينِ وَإِعْزَازُهُ .

وَأَمَّا السَّبَبُ فِي كَوْنِ الرُّؤْيَا مُذَرَّكَاً لِلْغَيْبِ فَهُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ ، وَهُوَ الْبُخَارُ اللَّطِيفُ الْمُنْبَعُثُ مِنْ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ اللَّحْمِيِّ ، يَنْتَشِرُ فِي الشَّرْيَافَاتِ وَمَعَ الدَّمِ فِي سَائِرِ الْبَدَنِ ، وَبِهِ تَكْمُلُ أَفْعَالُ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَإِحْسَاسُهَا . فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَلَالُ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي الْإِحْسَاسِ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، وَتَصْرِيفِ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ ، وَغَشْيِ سَطْحِ الْبَدَنِ مَا يَغْشَاهُ مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ ، انْخَسَ الرُّوحُ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الْبَدَنِ إِلَى مَرْكَزِهِ الْقَلْبِيِّ ؛ فَيَسْتَجِبُّ بِذَلِكَ لِمَعَاوَدَةِ فِعْلِهِ ، فَتَمَطَّلَتِ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى النُّومِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ هُوَ مَطِيَّةٌ لِلرُّوحِ الْعَاقِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَالرُّوحُ الْعَاقِلُ مَدْرِكُ الْجَمِيعِ مَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ بِذَاتِهِ ، إِذْ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ . وَإِنَّمَا يَمْنَعُ مِنْ تَعَقُّلِهِ لِلْمَدَارِكِ الْغَيْبِيَّةِ ، مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِجَابِ الْإِشْتَغَالِ بِالْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَحَوَاسِّهِ . فَلَوْ قَدْ خَلَا مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَتَجَرَّدَ عَنْهُ ، لَرَجَعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ ، فَيَعْقِلُ كُلَّ مَدْرَكٍ . فَإِذَا تَجَرَّدَ عَنْ بَعْضِهَا خَفَّتْ شَوَاغِلُهُ ؛ فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ إِدْرَاكِ لِحَقِّهِ مِنْ عَالَمِهِ بِقَدَرِ مَا تَجَرَّدَ لَهُ ، وَهُوَ فِي

(١) كَذَا ، وَفِي نَسْخَةٍ : انْتَقَلَ .

هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها ، وهي الشاغل الأعظم ؛ فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك الثلاثة به من عالمه . وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع به إلى بدنه . إذ هو ما دام في بدنه جسماني ، لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية . والمدارك الجسمانية للعلم إنما هي الدماغية ، والمتصرف منها هو الخيال . فانه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ، ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال . وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية ؛ فيترقى التجريد من المحسوس إلى المعقول ، والخيال واسطة بينهما . وكذلك إذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ، ألقت إلى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ، ويدفعه إلى الحس المشترك ، فيراه النائم كأنه محسوس ؛ فيتنزل المدرك من الروح العقلي إلى الحسي . والخيال أيضاً واسطة . هذه حقيقة الرؤيا .

ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام الكاذبة ؛ فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم . لكن إن كانت تلك الصور متنزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا ؛ وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها ، منذ اليقظة ، فهي أضغاث أحلام .

واعلم أن للرؤيا الصادقة علامات تؤذن بصديقها وتشهد بصحتها ؛ فيستشير الرائي البشارة من الله بما ألقى إليه في نومه ؛ فمنها سرعة انتباه الرائي عندما يُدرك الرؤيا ، كأنه يعاجل الرجوع إلى الحس .

باليَقَظَةِ ، ولو كان مستغرقاً في نومه ، لثقل ما أُلْقِيَ عليه من ذلك الإدراك فيفرُّ من تلك الحالة إلى حالة الحسّ التي تبقى النفس فيها منغمسةً بالبدن وعوارضه ؛ ومنها ثبوت ذلك الإدراك ودوامه بانطباع تلك الرؤيا بتفاصيلها في حفظه ، فلا يتخللها سهو ولا نسيان . ولا يحتاج إلى إحضارها بالفكر والتذكر ، بل تبقى متصورةً في ذهنه إذا انتبه . ولا يغرب عنه شيء منها ، لأنَّ الإدراك النفسانيّ ليس بزمنيّ . ولا يلحقه ترتيبٌ ، بل يدركه دفعةً في زمنٍ فرد . وأضغاث الأحلام زمنيةٌ ، لأنّها في القوى الدماغيّة يستخرجها الخيال من الحافظة إلى الحسّ المشترك كما قلناه . وأفعال البدن كلها زمنيةٌ فيلحقها الترتيب في الإدراك والمتقدّم والمتأخّر . ويعرض النسيان العارض للقوى الدماغيّة . وليس كذلك مدارك النفس الناطقة إذ ليست زمنيةً ، ولا ترتيب فيها . وما ينطبع فيها من الإدراكات فينطبع دفعةً واحدةً في أقرب من لمح البصر . وقد تبقى الرؤيا بعد الانتباه حاضرةً في الحفظ أياماً من العمر ، لا تشدُّ بالفقلة عن الفكر بوجه ، إذا كان الإدراك الأول قوياً ، وإذا كان إنما يتذكر الرؤيا بعد الانتباه من النوم بإعمال الفكر والوجهة إليها ، وينسى الكثير من تفاصيلها حتى يتذكرها فليست الرؤيا بصادقة ؛ وإنما هي من أضغاث الأحلام . وهذه العلامات من خواصّ الوحي . قال الله تعالى لَنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُمْ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنعِقُوا ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا نَبِإَهُمْ ﴾ (١)

والرؤيا لها نسبة من النبوة والوحي كما في الصحيح، قال ﷺ: «الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فلخواصها أيضاً نسبة إلى خواص النبوة، بذلك القدر؛ فلا تستبعد ذلك، فهذا وجه الحق. والله الخالق لما يشاء».

وأما معنى التعبير، فاعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال، فصورته؛ فانما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء، كما يدرك معنى السلطان الأعظم، فيصوره الخيال بصورة البحر؛ أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية. فإذا استيقظ، وهو لم يعلم من أمره، إلا أنه رأى البحر أو الحية؛ فينظر المعبر بقوة التشبيه، بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة، وأن المدرك وراءها، وهو يهتدي بقرائن أخرى تعين له المدرك؛ فيقول مثلاً هو السلطان؛ لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان؛ وكذلك الحية، يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها؛ وكذا الأواني تشبه بالنساء لأنهن أوعية؛ وأمثال ذلك. ومن المرنى ما يكون صريحاً، لا يفتقر إلى تعبير، لجلائها ووضوحها أو لقرب النسبة فيها بين المدرك وشبهه. ولهذا وقع في الصحيح، الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان. فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل؛ والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر إلى التعبير^(١)،

(١) كذا، وفي ب: إلى تأويل.

والرؤيا التي من الشيطان هي الأضغاثُ.

واعلم أيضاً أنَّ الحَيَالَ إذا ألقى إليه الروحُ مُذَرَكَهُ ، فإنما يَصَوِّرُهُ في القوالبِ المعتادةِ لِلْجَسِّ ، وما لم يكنِ الْجَسُّ أدركه قطُّ من القوالبِ فلا يَصَوِّرُ فيه شيئاً . فلا يمكنُ من ولدِ أعمى أكمه أن يَصَوِّرَ له السُّلْطَانُ بالبحرِ ، ولا العدوُّ بالحَيَّةِ ، ولا النساءُ بالأواني ؛ لأنه لم يُذَرِكْ شيئاً من هذه . وإنما يَصَوِّرُ له الحَيَالَ أمثالَ هذه ، في شَبْهِها ومُنَاسِبِها من جنسِ مدارِكِ التي هي المسموعاتُ والمشموماتُ . وَلِيَتَحَفَّظَ المعْبِرُ من مثل هذا ، فربما اختلطَ به التعبيرُ وفسدَ قانونُهُ .

ثم إنَّ عِلْمَ التعبيرِ ، علمٌ بقوانينِ كَلِيَّةٍ ، يبيِّنُ عليها المعْبِرُ عبارةً ما يُقْصَدُ عليه . وتَأْوِيلُهُ كما يقولونَ : البحرُ يدلُّ على السُّلْطَانِ ، وفي موضعٍ آخر يقولونَ : البحرُ يدلُّ على الغيظِ ، وفي موضعٍ آخر على الهمِّ والأمرِ الفادِحِ . ومثل ما يقولونَ : الحَيَّةُ تدلُّ على العدوِّ ؛ وفي موضعٍ آخر يقولونَ تدلُّ على الحياةِ وفي موضعٍ آخر هي كاتمٌ سرٍّ ؛ وأمثالُ ذلك . فيحفظُ المعْبِرُ هذه القوانينَ الكَلِيَّةَ . ويُعْبِرُ في كل موضعٍ بما تقتضيه القرائنُ التي تعيَّنُ من هذه القوانينِ ما هو أَلْيَقُ بالرُّؤْيَا . وتلك القرائنُ منها في اليَقَظَةِ ومنها في النومِ ، ومنها ما ينقَدِحُ في نفسِ المعْبِرِ بالخاصِّيةِ التي خُلِقَتْ فيه ، وكلُّ ميسِّرٍ لما خُلِقَ له . ولم يزل هذا العلمُ متناقلاً بين السَّلفِ . وكان مُحَمَّدُ بنُ سِيرِينَ فيه من أشهرِ العلماءِ ، وَكُتِبَتْ عنه في ذلكِ قوانينُ ، وتناقلها الناسُ لهذا العهدِ . وألَّفَ الكرمانيُّ فيه من بعده . ثم أَلَّفَ

المتكلمون المتأخرون وأكثروا. والمتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني، من علماء القيروان، مثل الممتع وغيره، وكتاب الإشارة للسالمي من أنفع الكتب فيه وأحضرها. وكذلك كتاب المرقبة العليا لابن راشد من مشيختنا بتونس. وهو علم مضي بنور النبوة للمناسبة التي بينهما ولكونها كانت من مدارك الوحي، كما وقع في الصحيح. والله علام الغيوب.

الفصل التاسع عشر

العلوم العقلية واصنافها

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بجملة؛ بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها. وهي موجودة في النوع الإنساني، منذ كان عمران الخليفة. وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة، وهي مشتملة على أربعة علوم:

الأول علم المنطق، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب، فيما يلتمسه الناظر [في الموجودات وعوارضها^(١)]، ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفياً وثبوتاً

(١) كذا، وفي ب: في التصورات والتصديقات الذاتية والعرضية.

بمنتهى فكره . ثم النَّظَرُ بعد ذلك عندهم إمَّا في المحسوسات من الأجسامِ العنصريَّةِ والمكوَّنة عنها من المعدنِ والنباتِ والحيوانِ والأجسامِ الفلكيَّةِ والحركاتِ الطبيعيَّةِ . أو النفسِ التي تنبعثُ عنها الحركاتُ وغير ذلك ، ويُسمَّى هذا الفنُّ بالعلمِ الطبيعيِّ وهو العلمُ الثاني منها . وإمَّا أن يكونَ النَّظَرُ في الأمورِ التي وراءَ الطبيعةِ من الروحانياتِ ، ويسمُّونه العلمَ الإلهيَّ وهو العلمُ الثالثُ منها . والعلمُ الرابعُ وهو الناظرُ في المقاديرِ ، ويشتملُ على أربعةِ علومٍ ، وهي تسمى التعاليمَ .

أولُّها : علمُ الهندسةِ ، وهو النَّظَرُ في المقاديرِ على الإطلاقِ . إمَّا المنفصلةُ من حيث كونها معدودةً ؛ أو المتَّصلةُ ، وهي إمَّا ذو بعدٍ واحدٍ وهو الخطُّ ، أو ذو بعدين وهو السطحُ ، أو ذو أبعادٍ ثلاثةٍ وهو الجسمُ التعليميُّ . ينظرُ في هذه المقاديرِ وما يعرضُ لها ، إمَّا من حيث ذاتها ، أو من حيثُ نسبةٍ بعضها إلى بعضٍ . وثانيها : علمُ الأرتماطيقي ، وهو معرفةُ ما يعرضُ للكمِّ المنفصلِ الذي هو العددُ ، ويؤخذُ له من الخواصِّ والعوارضِ اللاحقةِ .

وثالثها : علمُ الموسيقى ، وهو معرفةُ نَسَبِ الأصواتِ والنَّغمِ بعضها من بعضٍ وتقديرها بالعددِ ، وثمرتُه معرفةُ تلاحينِ الغناءِ . ورابعها : علمُ الهيئَةِ وهو تعيينُ الأشكالِ للأفلاكِ ، وحصَرُ أوضاعها وتعدُّدها لكلِّ كوكبٍ من السيَّارةِ والثابتةِ ، والقيامُ

على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها .
فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة : المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم ، فالارتماطيقي أولاً ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ، ثم الطبيعيات ، ثم الإلهيات ، ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه . فن فروع الطبيعيات الطب ؛ ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الأزياج ، وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها ، للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ؛ ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية . ونحن نتكلم عليها واحداً بعد واحد إلى آخرها .

واعلم أن أكثر من عني بها في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأئمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام ، وهما فارس والروم ؛ فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفوراً فيهم ، والدولة والسلطان قبل الإسلام وعصرهم ؛ فكان لهذه العلوم بحور زاهرة في آفاقهم وأمصارهم . وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرتهم من القبط عناية بالسحر والتجامة وما يتبعها من الطلسم^(١) . وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان ؛ فاخص بها القبط ، وطوى بحرهما فيهم ، كما وقع في المتلوه من خبر هاروت وماروت ، وشأن السحرة ، وما نقله أهل

(١) كذا ، وفي ب : من التأثيرات والطلسمات .

العلم من شأن البرابي بصعيد مصر . ثم تتابعت الملل بحظر ذلك وتحريمه ؛ فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن ، إلا بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنائع . الله أعلم بصحتها . مع أن سيوف الشر قائمة على ظهورها ، مانعة من اختبارها .

وأما الفرس ، فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ، ونطاقها متسعاً ، لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملوك . ولقد يقال : إن هذه العلوم ، إنما وصلت إلى يونان منهم ، حين قتل الإسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية ؛ فاستولى على كتبهم وعلومهم . إلا أن المسلمين لما افتتحو بلاد فارس ، وأصابوا من كتبهم وصحائف علومهم ، ما لا يأخذوا الحصر ؛ كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين . فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء . فإن يكن ما فيها هدى ، فقد هدانا الله بأهدى منه ؛ وإن يكن ضللاً فقد كفانا الله . فطرحوها في الماء أو في النار ، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا .

وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولاً ، وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب ، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم . واختص فيها المشاؤون منهم ، أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم . كانوا يقرأون في رواق يظلم من الشمس والبرد على ما زعموا . واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون ، من لدن لقمان الحكيم في تلميذه إلى سُقراط الدين ، ثم

إلى تلميذه أفلاطون ، ثم إلى تلميذه أرسطو ، ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفردوسي وتامسطيوس وغيرهم . وكان أرسطو معلماً للاسكندر ملكهم ، الذي غلب الفرس على ملوكهم ، وانتزع الملك من أيديهم . وكان أرسخهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيها صيتاً وشهرة . وكان يسمى المعلم الأول ، فطار له في العالم ذكر .

ولما انقرض أمر اليونان ، وصار الأمر للقباصرة وأخذوا بدني النصرانية ، هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها . وبقيت في صحتها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنها . ثم ملكوا الشام ، وكتب هذه العلوم باقية فيهم .

ثم جاء الله بالاسلام ، وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له ، وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم . وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع ؛ حتى اذا تبصّر^(١) السلطان والدولة ، وأخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم ، وتفننوا في الصنائع والعلوم . تشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية ، بما سمعوا من الأساقفة والأقسة المعاهدين بعض ذكر منها ، وبما تسمو إليه أفكار الانسان فيها . فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم ، أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة ؛ فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات . فقرأها المسلمون وأطلعوا على ما فيها ، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها . وجاء المأمون بعد ذلك ، وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتج له ، فانبعث لهذه

(١) تبصير : تمكن في المقام والحلول . وفي ب : انتجع .

العلوم حرصاً ، وأوفد الرُّسلَ على ملوكِ الرومِ في استخراجِ علومِ
اليونانيينَ وانتساخِها بالخطِّ العربيِّ . وبعثَ المترجمينَ لذلك ، فأوعى
منه واستوعبَ . وعكفَ عليها النُّظارُ من أهلِ الإسلامِ وحذقوا
في فنونها ، وانتهت إلى الغايةِ أنظارُهُم فيها . وخالفوا كثيراً من
آراءِ المُعلِّمِ الأوَّلِ ، واختصَّوه بالرَّدِّ والمَقْبُولِ ، لوقوفِ الشهرةِ عندهُ .
ودوَّنوا في ذلك الدواوينَ ، وأربَّوا على من تقدَّمهم في هذه العلومِ .
وكانَ من أكابرِهِم في المِلَّةِ أبو نصرٍ الفارابيِّ ، وأبو عليٍّ بن سينا
بالمشرقِ ، والقاضي أبو الوليدِ ابنُ رشدٍ ، والوزيرُ أبو بكرٍ بنُ
الصائغِ بالأندلسِ ، إلى آخرينَ بلغوا الغايةَ في هذه العلومِ . واختصَّ
هؤلاءُ بالشَّهرةِ والذِّكرِ ، واقتصرَ كثيرونَ على انتحالِ التعاليمِ ،
وما يضافُ إليها من علومِ النِّجامةِ والسِّحرِ والطِّلَسَماتِ . ووقفتِ
الشَّهرةُ في هذا المنتحلِ على جابرِ بنِ حَيَّانَ من أهلِ المشرقِ وعلى
مسلمةَ بنِ أحمدَ المجريطيِّ ، من أهلِ الأندلسِ وتلميذِهِ . ودخلَ
على المِلَّةِ من هذه العلومِ وأهلُها داخلةٌ ، واستهوتِ الكثيرَ من
الناسِ بما جنحوا إليها وقَلَّدوا آراءَها ، والذنبُ في ذلك لمن ارتكبه .
ولو شاء ربُّكَ ما فَعَلُوهُ .

ثم إنَّ المغربَ والأندلسَ ، لما ركبت ريحُ العُمرانِ بهما ،
وتناقستِ العلومُ بتناقضِهِ ، اضمحلَّ ذلك منهما ، إلا قليلاً من
رسومه تجدُّها في تفاريقَ من الناسِ ، وتحت رِقَبَةٍ من علماءِ السُّنَّةِ .
ويبلغنا عن أهلِ المشرقِ أنَّ بضائعَ هذه العلومِ لم تزل عندهم
موفورةً ، وخصوصاً في عراقِ العَجَمِ وما بعده فيما وراءَ النهرِ .

وأنهم على تَبَجٍ^(١) من العلوم العقلية والنقلية ، لتوفر عمارتهم واستحكام الحضارة فيهم . ولقد وقفت بمصر على تأليف المعقول متعدّد ، لرجل من عظماء هراة ، من بلاد خراسان ، يشتهر بسعد الدين التفتازاني ، منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان ، تشهد بأن له ملكة راسخة في هذه العلوم . وفي أثنائها ما يدل له على أن له اطلاعاً على العلوم الحكيمة وتضلّعاً بها وقدماً عالية في سائر الفنون العقلية . والله يؤيد بنصره من يشاء .

وكذلك بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الأفرنجية ، من أرض رومة وما إليها من العدو الشمالية نافقة الأسواق ، وأن رسومها هناك متجددة ، ومجالس تعليمها متعدّدة ، ودواوينها جامعة ومملتها متوفرون ، وطلبتها متكثرون . والله أعلم بما هنالك ، وهو يخلق ما يشاء ويختار .

الفصل العشرون

العلوم العددية

وأولها الأرنماطقي ، وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف ، إما على التوالي أو بالتضعيف . مثل أن الأعداد إذا توالى متفاضلة بعدد واحد : فإن جمع الطرفين منها مساوٍ لجمع كل

(١) تبج كل شيء : أعلاه ، وفي ب : على نهج .

عددين بعدئها من الطرفين بعد واحد ، ومثل ضعف الواسطة ، إن كانت عدّة تلك الأعداد فرداً مثل الأعداد على تواليها والأزواج على تواليها والأفراد على تواليها . ومثل أن الأعداد إذا تالت على نسبة واحدة بأن يكون أولها نصف ثانيها ، وثانيها نصف ثالثها الخ ، أو يكون أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ . فإن ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر . ومثل مربع الواسطة إن كانت العدّة فرداً ، وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية فستة عشر . ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والخمسات والمسدسات إذا وضعت متتالية في سطورها بأن تجمع من الواحد إلى العدد الأخير ، فتكون مثلثة . وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الأضلاع ، ثم تريد على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله ، فتكون مربعة . وتريد على كل مربع مثلث^(١) الضلع الذي قبله فتكون مخمسة وهلم جرا . وتتوالى الأشكال على توالي الأضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض . ففي عرضه الأعداد على تواليها ، ثم المثلثات على تواليها ، ثم المربعات ، ثم الخمسات الخ ، وفي طوله كل عدد وأشكاله بالغاً ما بلغ . ويحدث في جمعها وقسمتها بعضها على بعض طولاً وعرضاً خواص غريبة ، استقرت منها ، وتقررت في دواوينهم مسائلها . وكذلك ما يحدث للزوج والفرد ، وزوج الزوج وزوج

(١) كذا ، وفي ب : مثل الضلع ... الخ .

الفرد ، وزوج الزوج والفرد ؛ فإن لكلٍ منها خواصٌ مختصةٌ به تضمَّنَها هذا الفنُّ وليست في غيره .

وهذا الفنُّ أوَّلُ أجزاءِ التعاليمِ وأثبتُّها ، ويدخلُ في براهين الحسابِ . وللحكماء المتقدِّمين والمتأخِّرين فيه تآليفٌ ، وأكثرُهم يُدرِجونهُ في التعاليمِ ولا يُفردونه بالتآليفِ . فعل ذلك ابنُ سينا في كتابِ الشِّفاء والنِّجاة وغيرهُ من المتقدِّمين . وأمَّا المتأخِّرون فهو عندهم مهجورٌ إذ هو غيرُ متداولٍ ، ومنفعتهُ في البراهين لا في الحسابِ ، فهجروه لذلك بعد أن استخلصوا زبدتهُ في البراهين الحسابيةِ ، كما فعله ابنُ البناء في كتابِ رفعِ الحجابِ وغيره واللهُ سبحانه وتعالى أعلم .

علم الحساب

ومن فروعِ علمِ العدِّ صناعةُ الحسابِ ، وهي صناعةٌ عمليةٌ في حسابِ الأعدادِ بالضمِّ والتفريقِ . فالضمُّ يكونُ في الأعدادِ بالأفرادِ وهو الجمعُ . وبالتضعيفِ ، أي يُضاعَفُ عددٌ بأحدِ عدديٍّ آخرٍ ، وهذا هو الضربُ ، والتفريقُ أيضاً يكونُ في الأعدادِ ، إمَّا بالأفرادِ ، مثل إزالةِ عددٍ من عددٍ ومعرفةِ الباقي وهو الطَّرحُ ، أو تفصيلِ عددٍ بأجزاءٍ متساويةٍ ، تكونُ عدَّتُها محصلةٌ وهو القسمةُ . وسواء كان هذا الضمُّ والتفريقُ في الصحيحِ من العددِ أو الكسرِ . ومعنى الكسرِ نسبةُ عددٍ إلى عددٍ ، وتلك النسبةُ تسمى كسراً .

وكذلك يكون الضمُّ والتفريقُ في الجذورِ ، ومعناها العددُ الذي يُضربُ في مثله ، فيكونُ منه العددُ المربعُ . والعددُ الذي يكونُ مصرحاً به يسمى المنطقَ ، ومربعه كذلك ، ولا يحتاج فيه إلى تكلفِ عملٍ بالحسبان . والذي لا يكون مصرحاً به يسمى الأصمَّ ومربعه : إما مُنطقٌ مثل جذر ثلاثة الذي مربعه ثلاثة ، وإما أصمٌ ، مثل جذر ثلاثة الذي مربعه جذر ثلاثة ، وهو أصمٌ ، ويحتاج إلى عملٍ من الحسبان . فإنَّ تلك الجذورَ أيضاً يدخلها الضمُّ والتفريقُ . وهذه الصِّناعةُ الحسابيَّةُ حادثَةٌ احتيجَ إليها للحسبانِ في المعاملاتِ ، وألَّفَ الناسُ فيها كثيراً وتداولوها في الأمصارِ بالتعليمِ للولدانِ . ومن أحسنِ التعليمِ عندهم الابتداءُ بها لأنها معارفٌ متَّصحةٌ وبراهينها منتظمةٌ ؛ فينشأ عنها في الغالبِ عقلٌ مضيٌّ دَرَبٌ على الصوابِ . وقد يُقالُ من أخذَ نفسه بتعليمِ الحسابِ أوَّلَ أمرِهِ ، إنه يغلبُ عليه الصدقُ لما في الحسابِ من صِحَّةِ المباني ومناقشةِ النفسِ ؛ فيصيرُ ذلك له خُلُقاً ويتعوَّدُ الصدقَ ويلازمه مذهباً . ومن أحسنِ التآليفِ المبسوطَةِ فيها لهذا العهدِ بالمغربِ كتابُ الحصارِ الصغيرِ . ولابنِ البناءِ المراكشيِّ فيه تلخيصٌ ضابطٌ لقوانينِ أعمالِهِ مفيدٌ ، ثم شرحه بكتابِ سماه رفعَ الحجابِ وهو مستغلقٌ على المبتديِّ ، بما فيه من البراهينِ الوثيقةِ المباني ، وهو كتابٌ جليلٌ القدرِ أدرِ كنا المشيخةَ تعظيمه ، وهو كتابٌ جديرٌ بذلك . وساقَ فيه المؤلفُ رحمه الله كتابَ فقهِ الحسابِ ، لابنِ مُنعمٍ ، والكامل للأحدبِ ، ولخص براهينها وغيرها عن اصطلاحِ الحروفِ فيها ، إلى عِللٍ

معنوية ظاهرة ، هي سرُّ الإشارة بالحروف وزبدتها . وهي كلها مستغلقة ؛ وانما جاءها الاستغلاق من طريق البرهان شأن علوم التعاليم ، لأنَّ مسائلها وأعمالها واضحة كلها . وإذا قصد شرحها ، فإنما هو إعطاء العِلل في تلك الأعمال . وفي ذلك من العسر على الفهم ، ما لا يوجد في أعمال المسائل ، فتأملهُ . والله يهدي بنوره من يشاء ، وهو القوي المتين .

علم الجبر

ومن فروعه الجبر والمقابلة ، وهي صناعة يُستخرجُ بها العدُّ المجهول من قِبَلِ العلوم المفروض ، إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك . فاصطلحوا فيها على أن جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب : أولها العدُّ لأنَّ به يتعيَّن المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول إليه ؛ وثانيها الشيء ، لأنَّ كلَّ مجهول فهو من جهة إبهامه شيء ، وهو أيضاً جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية ؛ وثالثها المال وهو أمرٌ مبهم ، وما بعد ذلك فعلى نسبة الأس في المضروبين . ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فيخرجُ إلى معادلة بين مختلفين أو أكثر من هذه الأجناس ؛ فيقابلون بعضها ببعض . ويجبرون ما فيها من الكسر ، حتى يصير صحيحاً . ويخطون المراتب إلى أقلِّ الأسوس إن أمكن ، حتى يصير إلى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم ، وهي العدُّ والشيء

والمال . فان كانت المعادلة بين واحدٍ وواحدٍ ، تعين ؛ فالمال والجذر يزول إيهامه بمعادلة العدد ويتعين . والمال إن عادَل الجذور فيتعين بعدتها . وإن كانت المعادلة بين واحدٍ واثنين أخرجهُ العمل الهندسيُّ من طريق تفصيل الضرب في الاثنين ، وهي مبهمه ؛ فيعينها ذلك الضرب المفصل . ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين . وأكثر ما انتهت المعادلة عندهم إلى ست مسائل ، لأن المعادلة بين عددٍ وجذرٍ ومالٍ مفردة أو مركبة تجيء ستة . وأول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم ، وجاء الناس على أثره فيه . وكتابهُ في مسائل الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه . وشرحه كثير من أهل الأندلس فأجادوا . ومن أحسن شروحاته كتاب القريشي . وقد بلغنا أن بعض أئمة العالم من أهل المشرق أنهى المعادلات إلى أكثر من هذه الستة الأجناس ، وبلغها إلى فوق العشرين ، واستخرج لها كلها أعمالاً وثيقةً وأتبعها ببراهين هندسية . والله يزيد في الخلق ما يشاء ، سبحانه وتعالى .

المعاملات والفرائض

ومن فروعهِ أيضاً المعاملات ، وهو تصريف الحساب ، في معاملات المدن ، في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات ، تصرف في ذلك صناعتا الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها . والغرض

من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول المراتب والدربة بتكرار العمل ، حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب . ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الأندلس تأليف فيها متعددة ، من أشهرها معاملات الزهراوي وابن السّمح وأبي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة المريطي وأمثالهم .

ومن فروعه أيضاً الفرائض : وهي صناعة حسابية ، في تصحيح السّهام لذوي الفروض ، في الوراثة إذا تعددت ، وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته ؛ أو زادت الفروض عند اجتماعها وتراجها على المال كله ؛ أو كان في الفريضة إقرار أو إنكار من بعض الورثة دون بعض ، فيحتاج في ذلك كله إلى عمل يُعَيَّن به سهام الفريضة إلى كم تصح ، وسهام الورثة من كل بطن مصححاً ، حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة ساهيهم من جملة سهام الفريضة . فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسوره وجذوره ومعلومه ومجهوله ، ويترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها . فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه ، وهو أحكام الوراثة في الفروض ، والعول والإقراض والإنكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها ، وعلى جزء من الحساب في تصحيح السّهام باعتبار الحكم الفقهي ، وهي من أجل العلوم . وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها ، مثل : الفرائض ثلث العلم ، وإنها أول ما يرفع من العلوم ، وغير ذلك . وعندي أن ظواهر تلك الأحاديث كلها إنما هي في الفرائض

الْعَيْنِيَّةُ كَمَا تَقَدَّمَ لَا فَرَائِضَ الْوَرِاثَاتِ ، فَإِنَّهَا أَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي كَمِّيَّتِهَا ثَلَاثَ الْعِلْمِ . وَأَمَّا الْفَرَائِضُ الْعَيْنِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ ، وَقَدْ أَلْفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْفَنِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَأَوْعَبُوا . وَمَنْ أَحْسَنَ التَّالِيفِ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابُ ابْنِ ثَابِتٍ وَخُتَصِرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَوْفِيِّ ، وَكِتَابُ ابْنِ الْمُثَنَّى وَالْجَمْعِيُّ وَالصُّرَدِيُّ^(١) وَغَيْرُهُمْ . لَكِنَّ الْفَضْلَ لِلْحَوْفِيِّ ، فَكِتَابُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى جَمِيعِهَا . وَقَدْ شَرَحَهُ مِنْ شَيْوِخِنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الشَّطِيطِيُّ كَبِيرُ مُشَيْخَةِ فَاسٍ ؛ فَأَوْضَحَ وَأَوْعَبَ . وَلِإِمَامِ الْحَرَمِينَ فِيهَا تَأْلِيفٌ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، تَشْهَدُ بِاتِّسَاعِ بَاعِعِهِ فِي الْعُلُومِ ، وَرُسُوخِ قَدِيمِهِ ، وَكَذَا لِلْحَنْفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . وَمَقَامَاتُ النَّاسِ فِي الْعُلُومِ مُخْتَلِفَةٌ . وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ .

الفصل الحادي والعشرون

العلوم الهندسية

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ : إِمَّا الْمُتَّصِلَةَ كَالْخَطِّ وَالسَّطْحِ وَالْجَسْمِ ؛ وَإِمَّا الْمُنْفَصِلَةَ ، كَالْأَعْدَادِ فِيمَا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّائِيَّةِ . مِثْلُ أَنْ كُلَّ مِثْلٍ فَرْوَايَاهُ مِثْلُ قَائِمَتَيْنِ . وَمِثْلُ أَنْ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ لَا يَلْتَقِيَانِ فِي جِهَةٍ وَلَوْ خَرَجَا إِلَى غَيْرِ نِهَآيَةٍ . وَمِثْلُ أَنْ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَقَاطِعَيْنِ ، فَالزَّوَيَتَانِ الْمُتَقَابِلَتَانِ مِنْهُمَا

(١) كَذَا ، وَفِي ب : وَالضُّوْدِيُّ .

متساويتان. ومثل أن الأربعة مقادير المتناسبة، ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع، وأمثال ذلك. والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوكليدس، ويسمى كتاب الأصول الأركان، وهو أبسط ما وُضع فيها للمتعلمين، وأول ما تُرجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور، ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين. فمنها الحنين بن اسحاق، ولثابت ابن قرة، وليوسف بن الحجاج، ويشتمل على خمس عشرة مقالة. أربعة في السطوح، وواحدة في الأقدار المتناسبة، وواحدة في نسبة السطوح بعضها إلى بعض، وثلاثة في العدد، والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات، ومعناه الجدور، وخمس في المجسمات. وقد اختصره الناس مختصرات كثيرة، كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفاء. أفرده له جزءاً منها اختصه به. وكذلك ابن أبي الصلت في كتاب الاختصار وغيرهم. وشرحه آخرون شروحاً كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق.

واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره؛ لأن براهينها كلها بيّنة الانتظام جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها؛ فيبعد الفكر بمارستها عن الخط وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيج. وقد زعموا أنه كان مكتوباً على باب أفلاطون: «من لم يكن مهندساً، فلا يدخل منزلاًنا». وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون: «ممارسة علم الهندسة للفكر، بمثابة الصابون للشوب الذي يغسل منه الأقدار وينقي من

الأَوْضارِ والأَدْرانِ». وإِنَّمَا ذلك لما أَشرنا إِلَيْهِ من ترتيبيه وانتظامه. ومن فروع هذا الفن الهندسةُ المخصوصةُ بالأشكال الكُرِّيَّةِ والمخروطات. أمَّا الأشكالُ الكُرِّيَّةُ، ففيها كتابان من كُتُبِ اليونانيِّين لثاوذوسيوس وميلاؤش في سطوحها وقُطوعِها. وكتابُ ثاوذوسيوس مقدَّمٌ في التعليمِ على كتابِ ميلاؤش، لتوقُّفِ كثيرٍ من براهينهِ عليه. ولا بدُّ منهما لمن يريدُ الخوضَ في علمِ الهيئَةِ؛ لأنَّ براهينها متوقِّفةٌ عليهما. فالكلامُ في الهيئَةِ كُلُّهُ كلامٌ في الكُرَّاتِ السماويَّةِ، وما يعرِضُ فيها من القُطوعِ والدوائرِ بأسبابِ الحَرَكَاتِ كما نذكره؛ فقد يتوقَّفُ على معرفةِ أحكامِ الأشكالِ الكُرِّيَّةِ سطوحها وقُطوعُها. وأمَّا المخروطاتُ، فهو من فروع الهندسةِ أيضاً. وهو علمٌ ينظرُ فيما يقعُ في الأجسامِ المخروطَةِ من الأشكالِ والقُطوعِ، ويبرهنُ على ما يعرِضُ لذلك من العوارِضِ، ببراهينِ هندسيَّةٍ، متوقِّفةٍ على التعليمِ الأوَّلِ. وفائدُها تَظْهَرُ في الصنائعِ العمليَّةِ التي موادُّها الأجسامُ، مثلُ التِّجَارَةِ والبناءِ، وكيفُ تُصنَعُ التماثيلُ الغريبةُ والهيَّاكلُ النادرةُ؛ وكيفُ يُتَحَيَّلُ على جرِّ الأثقالِ ونقلِ الهيَّاكلِ بالهندامِ والمخالِ وأمثالِ ذلك. وقد أفرَدَ بعضُ المؤلِّفينَ في هذا الفنِ كتاباً في الحِجَلِ العمليَّةِ؛ يتضمَّنُ من الصناعاتِ الغريبةِ والحِجَلِ المستظرفَةِ كلَّ عجيبةٍ. وربما استغلقَ على الثُّمومِ لصعوبةِ براهينهِ الهندسيَّةِ، وهو موجودٌ بأيدي الناسِ، ينسبونهُ إلى بني شاكرٍ. والله تعالى اعلم.

المساحة

ومن فروع الهندسة المساحة، وهو فنٌ يُحتاجُ إليه في مسح الأرض؛ ومعناه استخراجُ مقدارِ الأرضِ المعلومةِ بنسبةٍ شبرٍ أو ذراعٍ أو غيرِهما، أو نسبةِ أرضٍ من أرضٍ إذا قويتَ بمثل ذلك. ويُحتاجُ إلى ذلك: في توظيفِ الخراجِ على المزارعِ والفُدنِ وبساتينِ الغراسَةِ؛ وفي قسمةِ الحوائطِ والأراضي بينَ الشركاءِ أو الورثةِ وأمثال ذلك. وللناسِ فيها موضوعاتٌ حسنةٌ وكثيرةٌ. واللهُ الموفق للصوابِ بيمينِهِ وكرمه.

المناظرة من فروع الهندسة: وهو علمٌ يُتَبَيَّنُ به أسبابُ الغلطِ في الإدراكِ البصريِّ، بمعرفةِ كيفيةِ وقوعِها، بناءً على أن إدراكَ البصرِ يكونُ بمخروطٍ شعاعيٍّ، رأسُهُ نقطةُ الباصِرِ وقاعدتُهُ المرئيُّ. ثم يقعُ الغلطُ كثيراً في رؤيةِ القريبِ كبيراً والبعيدِ صغيراً. وكذا رؤيةُ الأشباحِ الصغيرةِ تحت الماءِ وراءَ الأجسامِ الشفافةِ كبيرةٌ ورؤيةُ النقطِ النازلةِ من المطرِ خطأً مستقيماً، والسَّلَاقَةُ^(١) دائرةٌ وأمثال ذلك. فيتبيَّنُ في هذا العلم أسبابُ ذلك وكيفياتُهُ بالبراهينِ الهندسيةِ، ويتبيَّنُ به أيضاً اختلافُ المنظرِ في القمرِ، باختلافِ العروضِ^(٢) الذي ينبني عليه معرفةُ رؤيةِ الأهلةِ وحصولُ

(١) ورد في لسان العرب: «ابن شميل: السلق القاع المطمئن المستوي لا شجر فيه». ولم ترد فيه كلمة (سَلَقَة). فربما كانت هنا كلمة سَلَقَة محرفة عن السلق. وفي ب: والشعلة.

(٢) ورد في لسان العرب: «العرض خلاف الطول والجمع أعراض؛ وفي الكثير عروض وعراض». إذاً عروض جمع عرض، ويعني بها خطوط العرض. لذلك كان مقتضى السياق أن يقول: باختلاف العروض التي تبني عليها معرفة رؤية الأهلة... الخ.

الكسوفات وكثير من أمثال هذا . وقد أُلّف في هذا الفن كثير من اليونانيين . وأشهر من أُلّف فيه من الإسلاميين ابنُ الهيثم . ولغيره فيه أيضاً تأليف وهو من هذه العلوم الرياضية وتفاريعها .

الفصل الثاني والعشرون

علم الهيئة

وهو علمٌ ينظرُ في حركات الكواكب الثابتة والمتحرّكة والمتحرّكة . ويُستدلُّ بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك ، لزمّت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية . كما يُبرهنُ على أنّ مركز الأرض مباينٌ لمركز فلّك الشمس ، بوجود حركة الإقبال والإدبار ؛ وكما يُستدلُّ بالرجوع والاستقامة للكواكب ، على وجود أفلاك صغيرة ، حاملة لها ، متحرّكة داخل فلّكها الأعظم ؛ وكما يُبرهنُ على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة ؛ وكما يُبرهنُ على تعدّد الأفلاك للكوكب الواحد بتعداد الميول له ، وأمثال ذلك . وإدراك الموجود من الحركات وكيفياتها وأجناسها إنما هو بالرّصد ، فإنّا إنما علمنا حركات الإقبال والإدبار به . وكذا تركيب الأفلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك .

وكان اليونانيون يعنون بالرّصد كثيراً ، ويتخذون له

الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين . وكانت تسمى عندهم ذات الخلق . وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس . وأما في الاسلام فلم تقع به عناية إلا في القليل . وكان في أيام المأمون شيء منه ، وصنع هذه الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الخلق . وشرع في ذلك فلم يتم . ولما مات ذهب رسمه وأغفل ، واعتمد من بعده على الأرصاء القديمة ، وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الأحقاب . وإن مطابقة حركة الآلة في الرصد لحركة الأفلاك والكواكب إنما هو بالتقريب ولا يعطي التحقيق ؛ فإذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك التقريب . وهذه الهيئة صناعة شريفة ؛ وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السماوات وترتيب الأفلاك والكواكب بالحقيقة ؛ بل إنما تعطي أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات . وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازماً لمتلفين ، وإن قلنا إن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ، ولا يعطي الحقيقة بوجه ، على أنه علم جليل ، وهو أحد أركان التعاليم . ومن أحسن التأليف فيه كتاب المجسطي ، منسوباً لبطليموس . وليس من ملوك اليونان الذين أسأوهم بطليموس على ما حقه شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا ، وأدرجه في تعاليم الشفاء . ولخصه ابن رشد أيضاً من حكماء الأندلس ، وابن السنج ، وابن أبي الصلت في كتاب الاختصار . ولابن الفرغاني

هيئةً ملخّصةً قرّبها وحذفَ براهينها الهندسيّة . والله علّم الإنسان ما لم يعلم . سبحانه لا إله إلا هو ربّ العالمين .

علم الأزياج

ومن فروع علم الأزياج^(١) ، وهو صناعةٌ حسابيّةٌ على قوانينٍ عدديةٍ ، فيما يخصُّ كلَّ كوكبٍ من طريق حركته ، وما أدّى إليه برهانُ الهيئة في وضعه من سرعةٍ وبُطءٍ واستقامةٍ ورجوعٍ وغير ذلك ؛ يُعرفُ به مواضعُ الكواكب في أفلاكها لأيّ وقتٍ فرض من قبلِ حسابِ حركاتها ، على تلكَ القوانينِ المستخرجة من كتب الهيئة .

ولهذه الصناعة قوانينٌ ؛ كالمقدّمات والأصول ، لها في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية ؛ وأصولٌ متقرّرةٌ من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات ، واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداولٍ مرتبةٍ تسهلاً على المتعلّمين ، وتسمّى الأزياج . ويسمّى استخراجُ مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلاً وتقويماً . وللناس فيه تأليفٌ كثيرةٌ للمُتقدِّمين والمتأخّرين ، مثل البتاني^(٢) وابن الكماد . وقد عولّ المتأخّرون لهذا العهد بالمغرب على زيحٍ منسوب لابن إسحاق

(١) كذا ، وفي ب : حساب الأزياج ، وفي نسخة أخرى : حساب الزيح .

(٢) علق الهوري على هذه الكلمة بقوله : « قوله البتاني بفتح الموحدة وتشدد المثناة كما ضبطه

ابن خلكان في ترجمته قبيل آخر المحدثين » اهـ . وكذا ورد في موسوعة الأعلام للزركلي .

من منجمي تونس في أول المائة السابعة . ويؤمنون أن ابن اسحاق عول فيه على الرصد . وأن يهودياً كان بصقلية ماهرأ في الهيئة والتعاليم ، وكان قد عني بالرصد وكان ينبعث إليه بما ينع في ذلك^(١) من أحوال الكواكب وحركاتها ؛ فكان أهل المغرب لذلك عنوا به لوثاقه مبناه على ما يؤمنون . ولخصه ابن البناء في آخر سماه المنهاج ، فويلع به الناس لما سهل من الأعمال فيه ؛ وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتبنى عليها الأحكام النجومية ، وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان من الملك والدول والمواليد البشرية والكوائن الحادثة كما نبئته بعد ، ونوضح فيه أدلتهم إن شاء الله تعالى . والله الموفق لما يحبّه ويرضاه ، لا معبود سواه .

الفصل الثالث والعشرون

علم المنطق

وهو قوانين يُعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات ، والحجج المفيدة للتصديقات ؛ وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس . وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره ؛ وإنما يتميز الإنسان عنها بأدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات . وذلك بأن يحصل

(١) كذا ، وفي ب : بما يصح له من ذلك . . . الخ .

في الخيال من الأشخاص المتَّفَقَّةِ صورةٌ منطبقةٌ على جميع تلك الأشخاص المحسوسة ، وهي الكلِّيُّ . ثم ينظرُ الذَّهْنُ بين تلك الأشخاص المتَّفَقَّةِ وأشخاصٍ أخرى ، توافَّقُها في بعضٍ ؛ فيحصلُ له صورةٌ تنطبقُ أيضاً عليهما باعتبارٍ ما اتفقا فيه . ولا يزالُ يرتقي في التجريدِ إلى الكلِّيِّ الذي لا يجدُ كلياً آخرَ معه يوافقه ؛ فيكونُ لاجلِ ذلك بسيطاً . وهذا مثلُ ما يجرّدُ من أشخاصِ الإنسان صورةُ النوعِ المنطبقةُ عليها . ثم يُنظرُ بينه وبينَ الحيوانِ ويجرّدُ صورةَ الجنسِ المنطبقةُ عليهما ، ثم يُنظرُ بينهما وبينِ النباتِ إلى أن ينتهيَ إلى الجنسِ العالِيِّ ، وهو الجوهرُ ؛ فلا يجدُ كلياً يوافقه في شيءٍ ؛ فيقفُ العقلُ هنالك عن التجريدِ . ثم إنَّ الإنسانَ لما خلَقَ اللهُ له الفكرَ الذي به يدركُ العلومَ والصَّنائعَ ، وكان العلمُ : إما تصوّراً للماهياتِ ، ويعنى به إدراكُ ساذجٍ من غيرِ حكمٍ معه ؛ وإما تصديقاً ، أي حكماً بثبوتِ أمرٍ لأمرٍ ؛ فصارتِ سعيُ الفكرِ في تحصيلِ المطلوباتِ : إما بأن تُجمعَ تلك الكلياتُ بعضها إلى بعضٍ على جهةِ التآليفِ ، فتحصلُ صورةٌ في الذَّهْنِ كَلِيَّةٌ منطبقةٌ على أفرادٍ في الخارجِ ، فتكونُ تلك الصُّورةُ الذهنيَّةُ مفيدةً لمعرفةِ ماهيَّةِ تلك الأشخاصِ ؛ وإما بأن يُحكمَ بأمرٍ على أمرٍ فيثبتَ له ويكونَ ذلك تصديقاً . وغايتهُ في الحقيقةِ راجعةٌ إلى التصوُّرِ ، لأنَّ فائدةَ ذلك إذا حصلَ ، فإنما هي معرفةُ حقائقِ الأشياءِ التي هي مقتضى العلمِ الحكميِّ . وهذا السَّعيُّ من الفكرِ قد يكونُ بطريقٍ صحيحٍ وقد يكونُ بطريقٍ فاسدٍ ؛ فاقتضى ذلك تمييزَ الطريقِ

الذي يسعى به الفكرُ في تحصيلِ الطالبِ العلميَّةِ ، لِيتميّزَ فيها الصَّحِيحُ من الفاسدِ ، فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونََ المنطقِ . وتكَلَّمَ فيه المتقدمونَ أَوَّلَ ما تكلّموا به جملاً جملاً ومتفرقاً متفرقاً . ولم يُهذَّبْ طَرُقُهُ ولم تُجمع مسائلُهُ ، حتّى ظهرَ في يونانَ أرسطو ؛ فهذَّبَ مباحثَهُ^(١) ورَتَّبَ مسائلُهُ وفصولُهُ ، وجعله أَوَّلَ العلومِ الحكيمِيَّةِ وفاتحتها . ولذلك يُسمَّى بالمعلِّمِ الأَوَّلِ ، وكتابُهُ المخصوصُ بالمنطقِ يسمَّى النصُّ ، وهو يشتملُ على ثمانية كتبٍ : أربعة منها في صورةِ القياسِ ، وأربعة^(٢) في مادَّته . وذلك أَنَّ الطالبَ التصديقيَّةَ على أنحاء :

فمنها ما يكونُ المطلوبُ فيه اليقينَ بطبعه ، ومنها ما يكونُ المطلوبُ فيه الظنَّ ، وهو على مراتبٍ . فيُنظرُ في القياسِ من حيثُ المطلوبُ الذي يفيدُه ، وما ينبغي أَنْ تكونَ مقدّماتُهُ بذلك الاعتبارِ ، ومن أيِّ جنسٍ يكونُ من العلمِ أو من الظنِّ . وقد يُنظرُ في القياسِ ، لا باعتبارِ مطلوبٍ مخصوصٍ ؛ بل من جهةِ إنتاجِهِ خاصَّةً . ويقالُ للنظرِ الأَوَّلِ إنه من حيثُ المادَّةُ ، ونعني به المادَّةَ المنتجةَ للمطلوبِ المخصوصِ من يقينٍ أو ظنٍّ ؛ ويقالُ للنظرِ الثاني إنه من حيثُ الصورةُ وإنتاجُ القياسِ على الإطلاقِ ، فكانتَ لذلك كتبُ المنطقِ ثمانية :

الأَوَّلُ : في الاجتناسِ العاليةِ التي ينتهي إليها تجريدُ المحسوساتِ

(١) كذا ، وفي ب : مناحيه .

(٢) كذا ، وفي ب : وخمسة .

في الذهن ، وهي التي ليس فوقها جنسٌ ، ويسمى كتاب المقولات .
والثاني : في القضايا التصديقية وأصنافها ، ويسمى كتاب العبارة .
والثالث : في القياس وصورته إنتاجه على الإطلاق ، ويسمى
كتاب القياس ، وهذا آخر النظر من حيث الصورة .

ثم الرابع : كتاب البرهان ، وهو النظر في القياس المنتج
للبقين ، وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية . ويختص بشروط
أخرى لإفادة البقين المذكورة فيه ، مثل كونها ذاتية وأولية
وغير ذلك . وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود ، إذ
المطلوب فيها إنما هو البقين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا
يُحتمل غيرها ، فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب .

والخامس : كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب
وإفحام الخصم ، وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ،
ويختص أيضاً من جهة إفادته لهذا الغرض بشروط أخرى ، وهي
مذكورة هناك . وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط
منها صاحب القياس قياسه ، بتمييز الجامع بين طرفي المطلوب
المسمى بالوسط وفيه عكوس القضايا .

والسادس : كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف
الحق ، ويغايط به المناظر صاحبه وهو فاسد ، وهذا إنما كُتب
ليُعرف به القياس المغالطي فيحذر منه .

والسابع : كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور

وحملهم على المراد منهم ، وما يجب أن يُستعملَ في ذلك من المقالات .
والثامنُ : كتابُ الشَّعرِ ، وهو القياسُ الذي يفيدُ التمثيلَ
والتشبيهَ خاصَّةً للاقبالِ على الشيءِ أو النُقْرةِ عنه ، وما يجبُ أن
يُستعملَ فيه من القضايا التخيُّليَّةِ .

هذه هي كتبُ المنطقِ الثمانيةُ عند المتقدمين . ثم إنَّ حكماءَ
اليونانيين ، بعد أن تهذَّبتِ الصِّناعةُ ورُبِّتْ ، رأوا أنه لا بدَّ من
الكلامِ في الكليَّاتِ الخمسِ المفيدةِ للتصوُّرِ المطابقِ للماهياتِ في
الخارجِ ، أو لأجزائها أو عوارضها وهي الجنسُ والفصلُ والنوعُ
والخاص والعرض العام ؛ فاستدركوا فيها مقالةً ، تختصُّ بها مُقدِّمةُ
بين يدي الفنِّ ؛ فصارت مقالاته تسعاً ، وتُرجمتْ كُلُّها في المِلَّةِ
الإسلاميَّةِ . وكتبها وتناولها فلاسفةُ الاسلامِ بالشرحِ والتلخيصِ ،
كما فعله الفارابيُّ وابنُ سينا ، ثم ابنُ رُشدٍ من فلاسفةِ الأندلسِ .
ولابن سينا كتابُ الشِّفاءِ ، استوعبَ فيه علومَ الفلسفةِ السبعةَ
كُلَّها . ثم جاء المتأخرونَ فغيَّروا اصطلاحَ المنطقِ ، وألحقوا بالنظرِ
في الكليَّاتِ الخمسِ ثمرتهُ ، وهي الكلامُ في الحدودِ والرسومِ ،
نقلوها من كتابِ البرهانِ . وحذفوا كتابَ المقولاتِ ، لأنَّ نظرَ
المنطقيِّ فيه بالعرضِ لا بالذاتِ . وألحقوا في كتابِ العبارةِ الكلامَ
في العكسِ^(١) ، وإن كان من كتابِ الجدَلِ في كتب المتقدمين
لكنَّه من توابعِ الكلامِ في القضايا ببعضِ الوجوهِ . ثم تكلَّموا

(١) من الموضوعات المنطقية .

في القياس ، من حيث إنتاجه للمطالب على العموم ، لا بحسب مادة . وحدقوا النظر فيه بحسب المادة ، رهي الكتب الخمسة : البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة . وربما يُلمّ بعضهم باليسير منها إلاماً وأغفلوها كأن لم تكن ، وهي المهم المعتمد في الفن . ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاماً مستبحراً ونظروا فيه من حيث إنه فنُّ برأسه لا من حيث إنه آلة للعلوم ، فطال الكلام فيه واتسع . وأوّل من فعل ذلك الإمامُ فخر الدين ابن الخطيب ، ومن بعده أفضل الدين الخوافي ، وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد . وله في هذه الصناعة كتاب كشف الأسرار وهو طويل ، ومختصر الموجز وهو حسن في التعليم ، ثم مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق ، أخذ بجامع الفن وأصوله ؛ يتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به . وهجرت كتب المتقدمين وطرفهم كأن لم تكن ، وهي ممثلة من ثمرة المنطق وفائديته كما قلناه . والله الهادي للصواب .

اعلم أن هذا الفن قد اشتد النكير على انتحاله من متقدمي السلف والمتكلمين . وبالغوا في الطعن عليه والتحذير منه وحظروا تعلمه وتعليمه . وجاء المتأخرون من بعدهم من لدن الغزالي والإمام ابن الخطيب ؛ فساحوا في ذلك بعض الشيء . وأكب الناس على انتحاله من يومئذٍ إلا قليلاً ، ينجحون فيه إلى رأي المتقدمين ؛ فينفرون عنه ويبالغون في إنكاره . فلنبين لك نكتة القبول والرد في ذلك ، لتعلم مقاصد العلماء في مذاهبهم ، وذلك أن المتكلمين

لما وضعوا علم الكلام ، لنصر العقائد الإيمانية بالحجج العقلية ، كانت طريقتهم في ذلك بأدلة خاصة وذكروها في كتبهم كالدليل على حدث العالم بآثار الأعراض وحدوثها ، وامتناع خلو الأجسام عنها ، وما لا يخلو عن الحوادث حادث . وكأثر التوحيد بدليل التمانع وإثبات الصفات القديمة بالجوامع الأربعة إلحاقاً للغائب بالشاهد ، وغير ذلك من أدلتهم المذكورة في كتبهم . ثم قرروا تلك الأدلة بتمهيد قواعد وأصول هي كالمقدمات لها مثل إثبات الجوهر الفرد والزمن الفرد والخلأ بين الأجسام ونفي الطبيعة والتركيب العقلي للماهيات . وأن العرض لا يبقى زمنين وإثبات الحال ، وهي صفة لموجود ، لا موجودة ولا معدومة وغير ذلك من قواعدهم التي بنوا عليها أدلتهم الخاصة . ثم ذهب الشيخ أبو الحسن ، والقاضي أبو بكر والاستاذ أبو إسحق إلى أن أدلة العقائد منكمسة بمعنى أنها إذا بطلت بطل مدلولها . ولهذا رأى القاضي أبو بكر أنها بمثابة العقائد ، والقدر فيها قدح في العقائد لا بتناها عليها . وإذا تأملت المنطق وجدته كله يدور على التركيب العقلي وإثبات الكلّي الطبيعي في الخارج لينطبق عليه الكلّي الذهني المنقسم إلى الكليات الخمس ، التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، وهذا باطل عند المتكلمين . والكلّي والذاتي عندهم إنما هو اعتبار ذهني ليس في الخارج ما يطابقه ، أو حال عند من يقول بها فتبطل الكليات الخمس والتعريف المبني عليها والمقولات العشر ، ويبطل العرض الذاتي ؛ فتبطل بطلانه القضايا

الضرورية الذاتية المشروطة في البرهان وتبطل المواضع التي هي لبابُ كتابِ الجدَلِ . وهي التي يؤخذُ منها الوسط الجامع بين الطرفين في القياسِ ، ولا يبقى إلا القياسُ الصُّوَرِيُّ . ومن التعريفات المساوي في الصادقية على افراد المحمود ، لا يكون أهمّ منها ، فيدخل غيرها ، ولا أخصّ فيخرج بعضها ، وهو الذي يعبر عنه النحاة بالجمع والمنع ، والمتكلمون بالطرد والعكس ، وتنهدم أركانُ المنطقِ جملةً . وإن أثبتنا هذه كما في علم المنطقِ أبطلنا كثيراً من مقدمات المتكلمين فيؤدّي إلى إبطال أدلّتهم على العقائد كما مرّ ، فهذا بالغ المتقدّمون من المتكلمين في النكير على انتحال المنطق ، وعدّوه بدعةً أو كفراً على نسبة الدليل الذي يبطل . والمتأخرون من لدن الغزاليّ لما أنكروا انعكاس الأدلة ، ولم يلزم عندهم من بطلان الدليل بطلان مدلوله ، وصحّ عندهم رأي أهل المنطق في التركيب العقليّ ووجود الماهيات الطبيعيّة وكتلياتها في الخارج ، قضوا بأن المنطق غير منافٍ للعقائد الايمانية ، وإن كان منافياً لبعض أدلّتها ، بل قد يستدلّون على إبطال كثيرٍ من تلك المقدمات الكلاميّة ، كنفي الجوهر الفرد والخلاء وبقاء الأعراض وغيرها ، ويستبدلون من أدلة المتكلمين على العقائد بأدلة أخرى يصحّحونها بالنظر والقياس العقليّ . ولم يقدر ذلك عندهم في العقائد السنيّة بوجه ، وهذا رأي الإمام الغزاليّ وتابعهما لهذا العهد ، فتأمل ذلك واعرف مدارك العلماء وماخذهم فيما يذهبون إليه . والله الهادي والموفق للصواب .

الفصل الرابع والعشرون

الطبييات

وهو علمٌ يبحثُ عن الجسمِ من جهةٍ ما يلحقهُ من الحَرَكةِ والسُّكونِ ؛ فينظرُ في الأجسامِ السَّائِيةِ والعُنُصْرِيَّةِ وما يتولَّدُ عنها من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ ومعدِنٍ ، وما يتكوَّنُ في الأرضِ من العُيونِ والزَّلَازِلِ ، وفي الجَوِّ من السَّحابِ والبُخارِ والرعدِ والبرقِ والصَّواعِقِ وغيرِ ذلك . وفي مبدِئِ الحَرَكةِ للأجسامِ وهو النفسُ على تنوُّعِها في الإنسانِ والحيوانِ والنباتِ . وكتبُ أرسطو فيه موجودَةً بين أيدي الناسِ تُرجمتُ مع ما تُرجمَ من علومِ الفلسفةِ ، أيامَ المأمونِ ، وألَّفَ الناسُ على حذوِّها مستتبعين لها بالبيان والشرح . وأوعبُ من ألَّفَ في ذلك ابنُ سينا في كتابِ الشِّفاءِ ، جمعَ فيه العلومَ السَّبعةَ للفلاسيقةِ كما قدَّمنا ؛ ثم لَخَّصَهُ في كتابِ النجاةِ وفي كتابِ الإشاراتِ ، وكأَنَّهُ يخالفُ أرسطو في الكثيرِ من مسائلها ويقولُ برأيه فيها . وأمَّا ابنُ رشدٍ فلَخَّصَ كتبَ أرسطو وشرحها متَّبِعاً له غيرَ مخالفٍ . وألَّفَ الناسُ بعده في ذلك كثيراً ، لكنَّ هذه هي المشهورةُ لهذا العهدِ والمعتبرةُ في الصِّناعةِ . ولأهلِ المشرقِ عنايةٌ بكتابِ الإشاراتِ لابنِ سينا ، وللإمامِ ابنِ الخطيبِ عليه شرحٌ حَسَنٌ ، وكذا الآمديُّ . وشرحه أيضاً نصيرُ الدينِ

الطوسي^(١) المعروف بخواجه ، من أهل المشرق^(٢) ، وبُحث مع الامام
في كثير من مسائله ؛ فأوفى على أنظاره وبجوثه . وفوق كل ذي
علم علم . والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

الفصل الخامس والعشرون

علم الطب

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب ، وهي صناعة تنظر في
بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح ؛ فيحاول صاحبها حفظ الصحة
وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد أن يُبين المرض الذي يُخضع
كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ
عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ؛ مستدلين على ذلك بأمزجة
الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بضره وقبوله
للدواء ، أولاً : في السجية والفضلات والنفس ، محاذين لذلك قوة
الطبيعة ، فإنها المدبرة في حالي الصحة والمرض . وإنما الطبيب
يحاذيها ويُعينها بعض الشيء ، بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل
والسن ، ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب . وربما أفردوا
بعض الأعضاء بالكلام وجعلوه علماً خاصاً ، كالعين وعلماها وأكحالها .
وكذلك ألحقوا بالفن منافع الأعضاء ومعناه المنفعة التي خلق

(١) كذا ، وفي ب : من أهل العراق . ومقتضى السياق : المعروف بين أهل العراق بخواجه .
فالمذكور ولد بطوس من أعمال إيران وتوفي ببغداد . انظر قاموس الأعلام للزركلي .

لاجلها كلُّ عضوٍ من أعضاء البدن الحيواني. وإن لم يكن ذلك من موضوع علم الطب، إلا أنهم جعلوه من لواحقه وتوابعه. ولجالينوس في هذا الفن كتابٌ جليلٌ، عظيمُ المنفعة، وهو إمامُ هذه الصنعة التي تُرِجَّتْ كُتُبُها من الأقدمين؛ يقالُ إنه كان معاصراً لعيسى عليه السلام، ويُقالُ إنه مات بصِقْلِيَّةً في سبيل تغلب^(١) ومطاوعة اغتراب. وتألَّفَ فيها هي الأُنهات التي اقتدى بها جميعُ الأطباء من بعده. وكان في الاسلام في هذه الصنعة أئمةٌ جاءوا من وراء الغاية، مثل الرازي والمجوسي وابن سينا، ومن أهل الأندلس أيضاً كثيرٌ. وأشهرُهم ابنُ زُهْرٍ. وهي لهذا العهد في المدنِ الاسلاميّة كأنها نقصت لوقوف العُمران وتناقصه، وهي من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترفُّ كما نَبَّهْتُهُ بعد.

وللبادية من أهل العُمران طبٌّ يبنونه في غالب الأمر على تجربةٍ قاصرةٍ على بعض الأشخاص، ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحِرِّ وعجائزِهِ؛ وربما يصحُّ منه البعض، إلا أنه ليس على قانونٍ طبيعيٍّ، ولا عن موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطبِّ كثيرٌ، وكان فيهم أطباء معروفون: كالحارث^(٢) بن كَلْدَةَ وغيره. والطبُّ المنقولُ في الشرعيَّات^(٣) من هذا القبيل،

(١) كذا، وفي ب: تغلب.

(٢) كذا، وفي ب: كالحارث. وهكذا ورد في قاموس الأعلام.

(٣) كذا، وفي ب: في النبوات.

وليس من الوحي في شيء ، وإنما هو أمرٌ كان عادياً للعرب . ووقع في ذكرِ أحوالِ النبي ﷺ ، من نوعِ ذكرِ أحواله التي هي عادةٌ وجيلةٌ ، لا من جهةٍ أن ذلك مشروعٌ على ذلك النحو من العمل . فانه ﷺ إنما بُعثَ ليعلمنا الشرائعَ ، ولم يُبعثْ لتعريفِ الطبِّ ولا غيره من العاديات . وقد وقعَ له في شأنِ تلقيحِ النخلِ ما وقعَ ، فقال : « أنتم أعلمُ بأمورِ دنياكم » . فلا ينبغي أن يُحملَ شيءٌ من الذي وقعَ من الطبِّ الذي وقعَ في الأحاديثِ الصحيحةِ المنقولةِ على أنه مشروعٌ ، فليس هناك ما يدلُّ عليه ؛ اللهم إلا إن استعملَ على جهةِ التبرُّكِ وصدقِ العقْدِ الإيمانيِّ ؛ فيكونُ له أثرٌ عظيمٌ في النفعِ . وليس ذلك من الطبِّ المزاجيِّ وإنما هو من آثارِ الكلمةِ الإيمانيَّةِ ، كما وقعَ في مداواةِ المبْطونِ بالعسلِ ونحوه . والله الهادي إلى الصوابِ لا ربَّ سواه .

الفصل السادس والعشرون

الفلاحة

هذه الصِّناعةُ من فروعِ الطبيعياتِ ، وهي النَّظَرُ في النَّباتِ من حيثُ تنميتهُ ونشوؤه بالسَّقْيِ والعِلاجِ واستِجادةِ المنبتِ وصلاحيَّةِ الفصلِ وتعاھديه بما يُصلحُه ويَتَمُّه من ذلك كِلِه . وكان للمُتقدِّمينَ بها عنايةٌ كثيرةٌ ، وكان النَّظَرُ فيها عندهم عامّاً في النَّباتِ من جهةِ غرسِه وتنميتهِ ومن جهةِ خواصِّهِ وروحانيَّتهِ ومشاكلتها لروحانيَّاتِ

الكواكب والهيكل المستعمل ذلك كله في باب السحر ؛ فمظمت عنايتهم به لأجل ذلك . وترجم من كتب اليونانيين ، كتاب الفلاحة النبطية ، منسوبة لعلماء النبط ، مشتملة من ذلك على علم كبير . ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب ، وكان باب السحر مسدوداً ، والنظر فيه محظوراً ؛ فاقصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك ، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة . واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج ، وبقي الفن الآخر منه مغفلاً . نقل منه مسملة في كتبه السحرية أمهات من مسائله كما نذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله تعالى .

وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ، ولا يعدون فيها الكلام في الفراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه ، وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة .

الفصل السابع والعشرون

علم الهيئات

وهو علم ينظر في الوجود المطلق . فأولاً في الأمور العامة للجسمانيات والروحانيات ، من الماهيات والوحدات والكثرة والوجوب والإمكان وغير ذلك ؛ ثم ينظر في مبادي الموجودات وأنها روحانيات ، ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها^(١) ، ثم

(١) كذا ، وفي ب : وترتيبها .

في أحوال النفس بعد مفارقة الأجسام وعودها إلى المبدأ. وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه، وأن ذلك عين السعادة في زعمهم. وسيأتي الرد عليهم بعد. وهو تال للطبيعات في ترتيبهم، ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة. وكتب المعلم الأول فيه موجودة بين أيدي الناس. ولخصه^(١) ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة، وكذلك لخصها^(٢) ابن رشد من حكماء الاندلس. ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودوّنوا فيها، وردّ عليهم الغزالي ما ردّه منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكها في المباحث؛ وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد. ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعات والإلهيات وخططوها فناً واحداً، قدّموا فيه الكلام في الأمور العامة؛ ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها، إلى آخر العلم، كما فعله الإمام ابن الخطيب في المباحث المشرقية، وجميع من بعده من علماء الكلام.

وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها، كأن الغرض من موضوعها ومسائلها واحد. والتبس ذلك على الناس، وهو صواب؛ لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة، كما نقلها السلف من غير رجوع فيها

(١) أي لخص علم ما وراء الطبيعة، وفي ب: ولخصها، أي لخص الكتب.

(٢) أي لخص كتب المعلم الأول.

إلى العقل ولا تعويل عليه ، بمعنى أنها لا تثبت إلا به . فإنَّ العقل معزولٌ عن الشرع وأنظاريه . وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج ، فليس بجثاً عن الحق فيها ليعلم بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً هو شأنُ الفلسفة ؛ بل إنما هو التماسُ حجة عقلية تعضد عقائد الإيمان ومذاهب السلف فيها ، وتدفع شبه أهل البدع عنها ، الذين زعموا أنَّ مداركهم فيها عقلية . وذلك بعد أن تُفرض صحة الأدلة النقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها ؛ وكثير ما بين المقامين . وذلك أنَّ مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية ، فهي فوقها ومحيط بها لاستمدادها من الأنوار الإلهية ؛ فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المحاط بها . فإذا هدانا الشارعُ إلى مُدرك ، فينبغي أن نقدِّمه على مداركنا ونشق به دونها ، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه ؛ بل نعتقده ما أمرنا به اعتقاداً وعلماً ، ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه إلى الشارع ونعزل العقل عنه .

والمتكلمون إنما دعاهم إلى ذلك كلامُ أهل الإلحاد في معارضة العقائد السلفية بالبدع النظرية ؛ فاحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضتهم ، واستدعى ذلك الحجج النظرية ، ومحاذاة العقائد السلفية بها . وأما النظر في مسائل الطبيعيات والإلهيات بالتصحيح والبطالان ، فليس من موضوع علم الكلام ، ولا من جنس أنظار المتكلمين . فاعلم ذلك لتمييز به بين الفئتين فإنهما مختلطتان عند المتأخرين في الوضع والتأليف . والحق ، مغايرة كل منهما لصاحبه

بالموضوع والمسائل . وإنما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال ، وصار احتجاج أهل الكلام كأنه إنشاء لطلب الاعتقاد بالدليل ، وليس كذلك . بل إنما هو ردُّ على الملحدين ، والمطلوب مفروضُ الصِّدْقِ معلومه .

وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواد أيضاً ، فخطوا مسائل الفنون بفنهم وجعلوا الكلام واحداً فيها كلها . مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك . والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة ، وأبعدُها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة ، لأنهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل . والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وأبجائها^(١) وتوابعها كما بيناه ونبيته . والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم . والله أعلم بالصواب .

الفصل الثامن والعشرون

علوم السحر والطلسمات

هي علوم بكيفية استعدادات ، تقتدرُ النفوسُ البشريةُ بها على التأثيرات في عالم العناصر : إما بغير معين ، أو بمعين من الأمور السببية ؛ والاول هو السحر ، والثاني هو الطلسمات . ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع ، لما فيها من الضرر ، ولما يشترط

(١) كذا ، وفي ب : وأبحاثها .

فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره ، كانت كتبها كالمفقودة بين الناس . إلا ما وُجد في كتب الأئمة الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام ، مثل التبت والكلدانيين ؛ فإن جميع من تقدمه من الأنبياء لم يُشَرِّعوا الشرائع ولا جاءوا بالأحكام ؛ إنما كانت كتبهم مواعظ وتوحيداً لله وتذكيراً بالجنة والنار . وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم . وكان لهم فيها التأليف والآثار . ولم يُترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل ، مثل الفلاحة النبطية لابن وحشية من أوضاع أهل بابل ؛ فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه . ووُضعت بعد ذلك الأوضاع ، مثل مصاحف الكواكب السبعة ، وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها . ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة ؛ فتصنّف كتب القوم واستخرج الصناعة ، وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها عدّة من التأليف . واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء^(١) ، لأنّها من توابعها ، ولأنّ إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما تكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية ؛ فهو من قبيل السحر كما نذكره في موضعه .

ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات ؛ فلخصّ جميع تلك الكتب وهدّباها ، وجمع

(١) كذا ، وفي ب : الكيمياء .

طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ، ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده .

ولنقدّم هنا مقدّمةً يتيّنُ لك منها حقيقةُ السّحر ، وذلك أنّ النفوسَ البشريّةَ وإن كانت واحدةً بالنّوع ، فهي مختلفةٌ بالخواصِّ . وهي أصنافٌ ، كلُّ صنفٍ مختصٌّ بخاصّيّةٍ واحدةٍ بالنّوع لا توجدُ في الصنفِ الآخرِ . وصارت تلك الخواصُّ فِطرةً وحيّلةً لصنفها . فنفسُ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلامُ ، لها خاصّيّةٌ تستعدُّ بها للانسلاخِ من الروحانيةِ البشريّةِ إلى الروحانيةِ الملكيّةِ ، حتى يصير ملكاً في تلك اللّوحة التي انسلخت فيها . وهذا هو معنى الوحيِّ كما مرّ في موضعيه ، وهي في تلك الحالة محصّلةٌ للمعرفةِ الرّبانيّةِ ومخاطبةُ الملائكةِ عليهم السّلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر . وما يتبعُ ذلك من التأثيرِ في الأكوانِ . ونفوسُ السّحرةِ لها خاصّيّةُ التأثيرِ في الأكوانِ واستجلابِ روحانيةِ الكواكبِ ، للتصرفِ فيها ، والتأثيرِ بقوةِ نفسانيّةٍ أو شيطانيّةٍ . فأما تأثيرُ الأنبياء فمددُ إلهيٍّ وخاصّيّةُ ربانيّةٍ . ونفوسُ الكهنةِ لها خاصّيّةُ الاطّلاعِ على المغيّباتِ بقوى شيطانيّةٍ . وهكذا كلُّ صنفٍ مختصٌّ بخاصّيّةٍ لا توجدُ في الآخرِ .

والنفوسُ السّاحرةُ على مراتبٍ ثلاثٍ يأتي شرحها : فأولّها المؤثّرةُ بالهَمّةِ فقط من غير آلةٍ ولا مُعينٍ ، وهذا هو الذي تسمّيه الفلاسفةُ السّحرَ ، والثاني بمعينٍ من يزاجِ الأفلاكِ أو العناصرِ أو خواصِّ الأعدادِ ، ويسمّونه الطّلسماتِ ، وهو أضعفُ رتبةً من الأوّلِ ،

والثالثُ تأثيرٌ في القوى المتخيَّلة . يعمدُ صاحبُ هذا التأثيرِ إلى القوى المتخيَّلة ، فيتصرفُ فيها بنوعٍ من التصرفِ ويلقي فيها أنواعاً من الخيالاتِ والمحاكاةِ وصوراً مما يقصدهُ من ذلك ، ثم ينزلُها إلى الحسِّ من الرأينِ بقوةٍ نفسيهِ المؤثرةِ فيه ، فينظرُها الرأون كأنها في الخارجِ ، وليس هناك شيءٌ من ذلك ، كما يحكى عن بعضهم أنه يُرى البساتينَ والأنهارَ والقصورَ وليس هناك شيءٌ من ذلك . ويسمى هذا عندَ الفلاسفةِ الشعوذةَ أو الشعبةَ .

هذا تفصيلُ مراتبه . ثم هذه الخاصيةُ تكونُ في السَّاحِرِ بالقوةِ شأنَ القوى البشريةِ كلّها . وإنما تخرجُ إلى الفعلِ بالرياضةِ . ورياضةُ السَّحْرِ كلّها إنما تكونُ بالتوجُّهِ إلى الأفلاكِ والكواكبِ والعوالمِ العلويةِ والشَّياطينِ بأنواعِ التعظيمِ والعبادةِ والخضوعِ والتذلِّ ، فهي لذلك وُجْهَةٌ إلى غيرِ الله وسجودٌ له . والوُجْهَةُ إلى غيرِ الله كفرٌ . فلهذا كان السَّحَرُ كفراً والكفرُ من موادهِ وأسبابه كما رأيتَ . ولهذا اختلفَ الفقهاءُ في قتلِ السَّاحِرِ ، هل هو لكفرهِ السَّابِقِ على فعلهِ ، أو لتصرفهِ بالإفسادِ وما ينشأ عنه من الفسادِ في الأكوانِ ، والكلُّ حاصلٌ منه . ولما كانت المرتبتانِ الأوليانِ من السَّحْرِ لها حقيقةٌ في الخارجِ ، والمرتبةُ الأخيرةُ الثالثةُ لا حقيقةَ لها اختلفَ العلماءُ في السَّحْرِ : هل هو حقيقةٌ أو إنما هو تخيُّلٌ ؟ فالقائلونَ بأنَّ له حقيقةً نظروا إلى المرتبتينِ الأولىينِ ؛ والقائلونَ بأنَّ لا حقيقةَ له نظروا إلى المرتبةِ الثالثةِ الأخيرةِ . فليس بينهم اختلافٌ في نفسِ الأمرِ ، بل إنما جاء من قِبَلِ اشتباهِ هذه

المراتب . والله أعلم .

واعلم أن وجود السحر لا يرّية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه ، وقد نطق به القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ^(١) . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سحر ، حتى كان يُخِيلُ إليه أنه يفعلُ الشيء ولا يفعله ، وجعل سحره في مشطٍ ومُشَاقَّةٍ وجُفٍ طُلعةٍ ودُفِنَ في بئرِ ذروان ، فأُتِيَ الله عز وجل عليه في الموعودتين : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ^(٢) . قالت عائشة رضي الله عنها : فكان لا يقرأ على عُقدةٍ من تلك العُقَدِ التي سحرَ فيها إلا انحلّت .

وأما وجود السحر في أهل بابل ، وهم الكلدانيون من النبطِ والسريانيين فكثيرٌ ، ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار . وكان للسحر في بابل ومصرَ أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواقُ نافقةٌ . ولهذا كانت مُعجزةُ موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البراي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك . ورأينا بالعيان من يصوّرُ صورةَ الشخص المسحورِ بخواصِّ أشياءٍ مقابلةٍ لما نواه وحاوله موجودةً بالمسحور ، وأمثال تلك

(١) من آية ١٠٢ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤ من سورة الفلق .

المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق . ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عيناً أو معنى . ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخرج تلك الحروف من الكلام السوء ، ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك تفاؤلاً بالعقد واللزام ، وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفسه في فعله ذلك ، استشعاراً للعزيمة بالعزم . ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة ، تخرج منه مع النفخ ، متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث ، فتزل عنها أرواح خبيثة ، ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله السائر . وشاهدنا أيضاً من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ، ويتكلم عليه في سره ، فإذا هو مقطوع متخرق . ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج ، فإذا أعاوها ساقطة من بطونها إلى الأرض . وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحّث^(١) قلبه ويقع ميتاً وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ؛ ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من جوبها شيء . وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة . وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابة ، وهي : رك ر ف د ، أحد العددين مائتان وعشرون ، والآخر مائتان وأربعة وثمانون ، ومعنى المتحابة أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث ورابع وسدس وخمس وأمثالها ، إذا جمع كان مساوياً للعدد الآخر

(١) كذا ، وفي ب : فينخب .

صاحبه ، فتسمى لاجل ذلك المتحابة .

ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثراً في الألفة بين المتحابين واجتماعهما إذا وُضع لهما تمثالان . أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها أو شرفها ، ناظرة إلى القمر نظراً مودّة و قبول ، ويجعل طالع الثاني سابع الأول ، ويوضع على أحد التمثالين أحد العددين والآخر على الآخر . ويقصد بالأكثر الذي يراود ائتلافه ، أعني المحبوب ، ما أدري ، الأكثر كمية أو الأكثر أجزاء ؛ فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر . قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن ، وشهدت له التجربة .

وكذا طابع الأسد ، ويسمى أيضاً طابع الحصى ، وهو أن يرسم في قالب (هند إصبع) صورة أسد شائلاً ذنبه ، عاضاً على حصاة قد قسمها بنصفين ؛ وبين يديه صورة حية مناسبة من رجليه إلى قبالة وجهه فاغرة فاها إلى فيه ؛ وعلى ظهره صورة عقرب تديب . ويتحين برسمه حول الشمس بالوجه الأول أو الثالث من الأسد ، بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من النحوس . فإذا وُجد ذلك وعُثر عليه ، طُبع في ذلك الوقت في مقدار الميثقال فما دونه من الذهب ، وغمس بعد في الزعفران محلولاً بماء الورد ، ودُفِع في خرقه حرير صفراء ؛ فإنهم يزعمون أن لمسيكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه . وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم .

ذَكَرَ ذَلِكَ أَيْضاً أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْغَايَةِ وَغَيْرِهَا ، وَشَهِدَتْ لَهُ
التَّجَرُّبَةُ . وَكَذَلِكَ وَفَقُ الْمُسَدِّسِ الْمُخْتَصِرِ بِالشَّمْسِ ، ذَكَرُوا أَنَّهُ
يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَامَتِهَا مِنَ الشُّحُوسِ ، وَسَلَامَةِ
القَمَرِ ، بِطَالِيعِ مُلُوكِيٍّ يُعْتَبَرُ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَاشِرِ لِصَاحِبِ الطَّالِيعِ
نَظَرٌ مُوَدَّقٌ وَقَبُولٌ ، وَيَصْلُحُ فِيهِ مَا يَكُونُ فِي مُوَالِيدِ الْمُلُوكِ مِنْ
الْأَدِلَّةِ الشَّرِيفَةِ ، وَيُرْفَعُ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يُغَمَّسَ فِي
الطِّيبِ . فَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ أَثَرًا فِي صَحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ ، وَمُعَاشَرَتِهِمْ .
وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ .

وَكِتَابُ الْغَايَةِ لِمَسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْمَجْرِيطِيِّ هُوَ مَدُونَةٌ هَذِهِ
الصِّنَاعَةُ ، وَفِيهِ اسْتِيفَاؤُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا . وَذَكَرَ لَنَا : أَنَّ الْإِمَامَ
الْفَخْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَسَمَّاهُ بِالسِّرِّ الْمَكْتُومِ ،
وَأَنَّهُ بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَنَحْنُ لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ ، وَالْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ
مِنْ أَئِمَّةِ الشَّانِ فِيمَا نَظَنُّ ، وَلَعَلَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ . وَبِالْمَغْرِبِ صَنَفٌ
مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنتَحِلِينَ لَهُذِهِ الْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةُ يُعَرَّفُونَ بِالْبَعَّاجِينَ ،
وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى الْكِسَاءِ أَوْ الْجُلْدِ فَيَتَخَرَّقُونَ ،
وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ الْغَنَمِ بِالْبَعِجِ فَيَنْبَعِجُ . وَيُسَمَّى أَحَدُهُمْ لِهَذَا
الْعَهْدِ بِاسْمِ الْبَعَّاجِ ، لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْتَحِلُ مِنَ السَّحَرِ بَعِجُ الْأَنْعَامِ ،
يُرْهَبُ بِذَلِكَ أَهْلُهَا لِيُعْطَوْهُ مِنْ فَضْلِهَا وَهُمْ مُتَسَتِّرُونَ بِذَلِكَ فِي
الْغَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُكَّامِ . لَقِيتُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَشَاهَدْتُ
مِنْ أَفْعَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً خَاصَّةً
بِدَعَوَاتِ كُفْرِيَّةٍ وَإِشْرَاكِ لِرُوحَانِيَةِ الْجِنِّ وَالْكَوَكِبِ ، سَطَرَتْ

ففيها صحيفةٌ عندهم تسمّى الخزيرية^(١) يتدارسونها ؛ وأنّ بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم ؛ وأنّ التأثير الذي لهم إنّما هو فيما سوى الإنسان الحر^(٢) من المتاع والحيوان والرقيق ، ويميّرون عن ذلك بقولهم إنّما نفعلُ فيما يمشی فيه الدرهمُ أي ما يملكُ ويُباعُ ويشتري من سائرِ المملكات ، هذا ما زعموه . وسألتُ بعضهم فآخبرني به . وأما أفعالهم فظاهرةٌ موجودةٌ ، وقفنا على الكثير منها وعاینُها من غيرِ ريبةٍ في ذلك .

هذا شأنُ السحر والطلسمات وآثارُها في العالم ، فأما الفلاسفةُ ففرّقوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنّهما جميعاً أثرٌ للنفس الانسانية ، واستدلّوا على وجودِ الأثرِ للنفس الانسانية ، بأن لها آثاراً في بدنِها على غيرِ المجرى الطبيعيّ وأسبابه الجسمانية ، بل آثارٌ عارضةٌ من كیفیات الأرواح ؛ تارةً كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ؛ ومن جهة التصوّرات النفسانية أُخرى ، كالذي يقعُ من قبلِ التوهُم . فإنّ الماشي على حرفٍ حائطٍ أو على جبلٍ منتصبٍ ، إذا قويَ عنده توهُمُ السقوطِ سقطَ بلا شكٍ . ولهذا تجدُ كثيراً من الناسِ يعودونَ أنفسهم ذلك بالدربة عليه حتى يذهبَ عنهم هذا الوهمُ فتجدُهم يمشونَ على حرفِ الحائطِ والجبلِ المنتصبِ ولا يخافونَ السقوطَ .

فثبتَ أنّ ذلك من آثارِ النفس الانسانية ، وتصوّرها للسقوطِ

(١) كذا ، وفي ب : الخنزيرية .

(٢) كذا ، وفي ب : الإنسان والجن .

من أجل الوهم . وإذا كان ذلك أثراً للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسائية الطبيعية ، فجاز أن يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنها ؛ إذ نسبتها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة ، لأنها غير حائلة في البدن ولا منطبعة فيه ، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام .

وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات ، فهو أن السحر لا يحتاج الساجر فيه الى معين ، وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر ، كما يقوله المنجمون ، ويقولون : السحر اتحاد روح بروح ، والطلسم ، اتحاد روح بجسم ، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية . والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ، ولذلك يستعين صاحبها في غالب الأمر بالنجامة . والساجر عندهم غير مكتسب لسحره ، بل هو مفطور عندهم على تلك الجيلة المختصة بذلك النوع من التأثير . والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ، أن المعجزة قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير ، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك . والساجر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية ، وبامداد الشياطين في بعض الأحوال ؛ فينبغي الفرق في المعقولة والحقيقة والذات في نفس الأمر ، وإنما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير ، وفي مقاصد الخير ،

وللنفوس المتحصّصة^(١) للخير والتحدّي بها على دعوى النبوة . والسحر إنما يوجد لصاحب الشرّ ، وفي أفعال الشرّ في الغالب ، من التفريق بين الزوجين وضرر الأعداء وأمثال ذلك ، وللنفوس المتحصّصة للشرّ . هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الإلهيين .

وقد يوجد لبعض المتصوّفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر ، وإنما هو بالامداد الإلهي لأنّ طريقتهم ونحلّتهم من آثار النبوة وتوابعها . ولهم في المدد الإلهي حظٌ عظيمٌ على قدر حاجتهم وإيمانهم وتمسّكهم بكلمة الله^(٢) . وإذا اقتدر أحدٌ منهم على أفعال الشرّ فلا يأتيها لأنّه متقيّد فيما يأتيه وينذرهُ للأمر الإلهي . فما لا يقع لهم فيه الإذن لا يأتونه بوجهٍ ومن أتاه منهم فقد عدلَ عن طريق الحقّ وربما سلب حاله . ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الإلهية ، فلذلك لا يعارضها شيءٌ من السحر .

وانظر شأن سحر فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقّت ما كانوا يافكون ، وذهب سحرهم واضمحلت كأن لم يكن . وكذلك لما أنزل على النبي ﷺ في المعوذتين ، ومن شرّ النفّاثات في العقد . قالت عائشة رضي الله عنها : فكان لا يقرؤها على عُقدة من العقد التي سحر فيها إلا انحلت . فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره بالهمة الإيمانية . وقد نقل المؤرخون أنّ زركش^(٣) كاويان

(١) كذا ، وفي ب : المتحصّصة .

(٢) كذا ، وفي ب : بكلمة التوحيد .

(٣) كذا ، وفي ب : درفش .

وهي راية كسرى كان فيها الوقفُ المثنى العَدَدِيُّ منسوجاً بالذهب في أوضاع^(١) فلَكيّة رُصدت لذلك الوقف. ووجدتِ الراية يوم قُتل رُسُتُم بالقادِسيّة واقعةً على الأرض بعد انهزام أهل فارس وشتائهم. وهو فيما يزعمُ أهل الطَّلسمات والأوفاق مخصوصٌ بالغلب في الحروب، وأنّ الراية التي يكون فيها أو معها لا تنهزم أصلاً. إلا أنّ هذه عارضها المددُ الإلهي من إيمان أصحاب رسول الله ﷺ، وتمسكهم بكلمة الله، فانحلَّ معها كلُّ عقدٍ سحريٍّ ولم يثبت، وبطلَ ما كانوا يعملون. وأمّا الشريعة فلم تفرّق بين السحر والطَّلسمات والشعوذة وجعلته كلّهُ باباً واحداً محظوراً. لأنّ الأفعال إنما أباح لنا الشارعُ منها ما يَهْمُنُ في ديننا الذي فيه صلاحُ آخرتنا، أو في معاشنا الذي فيه صلاحُ دنيانا؛ وما لا يَهْمُنُ في شيءٍ منها. فإن كان فيه ضررٌ أو نوعٌ ضررٍ؛ كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع، ويلحقُ به الطَّلسمات، لأنّ أثرهما واحدٌ، كالنجامة التي فيها نوعٌ ضررٍ باعتقاد التأثير، فتفسدُ العقيدةُ الإيمانيةُ بردّ الأمورِ إلى غير الله، فيكونُ حينئذٍ ذلك الفعلُ محظوراً على نسبته في الضرر. وإن لم يكن مهماً علينا ولا فيه ضررٌ، فلا أقلُّ من تركه قُرْبَةً إلى الله، فإنّ من حُسنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. فجعلت الشريعةُ بابَ السحر والطَّلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من الضرر، وخصّته بالخطر والتحريم.

وأما الفرقُ عندهم بين المعجزة والسحر، فالذي ذكره

(١) كذا، وفي ب: طوالع.

المتكلمون أنه راجع إلى التحدي ، وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادّعاء . قالوا : والسّاحرُ مصروفٌ عن مثل هذا التحدي ، فلا يقعُ منه . ووقوعُ المعجزة على وفقِ دعوى الكاذبِ غيرُ مقدورٍ ، لأنّ دَلالةَ المعجزة على الصدقِ عقليةٌ ، لأنّ صِفَةَ نفسها التصديقُ ؛ فلو وقعت مع الكذبِ لاستحالَ الصادقُ كاذباً وهو محالٌ ، فإذا لا تقعُ المعجزةُ مع الكاذبِ باطلاقٍ . وأما الحكماءُ فالفرقُ بينهما عندهم كما ذكرناه ، فرقٌ ما بينَ الخيرِ والشرِّ في نهايةِ الطرفين . فالسّاحرُ لا يصدرُ منه الخيرُ ولا يُستعملُ في أسبابِ الخيرِ ، وصاحبُ المعجزة لا يصدرُ منه الشرُّ ولا يستعملُ في أسبابِ الشرِّ ، وكأنهما على طرفي النقيضِ في أصلِ فطريتهما . واللهُ يهدي من يشاء ، وهو القويُّ العزيزُ ، لا ربَّ سواه .

ومن قبيلِ هذه التأثيراتِ النفسانيةِ الإصابةُ بالعينِ وهو تأثيرٌ من نفسِ المعيانِ ، عندما يستحسنُ بعينه مدركاً من الذواتِ أو الأحوالِ ، ويُفْرِطُ في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسانِ حسدٌ يرومُ معه سلبَ ذلك الشيءِ عن اتّصف به ، فيؤثرُ فسادُهُ . وهو جبلةٌ فطريةٌ ، أعني هذه الإصابةُ بالعينِ . والفرقُ بينها وبين التأثيراتِ النفسانيةِ أن صدورَه فطريٌّ جبليٌّ لا يتخلّف ولا يرجعُ اختيارُ صاحبه ولا يكتسبه ، وسائرُ التأثيراتِ ، وإن كان منها ما لا يُكتسبُ ، فصدورها راجعٌ إلى اختيارِ فاعليها ، والفطريُّ منها قوّةُ صدورِها لا نفسُ صدورِها ، ولهذا قالوا : القاتِلُ بالسحرِ أو بالكرامةٍ يُقتلُ ، والقاتِلُ بالعينِ لا يقتلُ . وما ذلك إلا لأنّه ليس

مما يريدُهُ وَيَقْصِدُهُ أَوْ يَتْرَكُهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجْبُورٌ فِي صُدُورِهِ عَنْهُ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا فِي الْغُيُوبِ وَمَطْلَعٌ عَلَى مَا فِي السَّرَائِرِ .

الفصل التاسع والعشرون

علم اسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسيما . نُقِلَ وَضَعُهُ مِنَ الطَّلَسَاتِ
إِلَيْهِ فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ التَّصَرُّفِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ ؛ فَاسْتُعْمِلَ اسْتِعْمَالُ
الْعَامِّ فِي الْخَاصِّ . وَحَدَّثَ هَذَا الْعِلْمُ فِي الْمَلَّةِ بَعْدَ صَدْرِ مِنْهَا ، وَعِنْدَ
ظُهُورِ الْفَلَاةِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَجَنُوحِهِمْ إِلَى كَشْفِ حِجَابِ الْحُسْنِ ،
وُظُهورِ الْخَوَارِقِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَالتَّصَرُّفَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ ، وَتَدْوِينِ
الْكُتُبِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ ، وَمَزَاعِمِهِمْ فِي تَنْزُلِ الْوُجُودِ عَنِ الْوَاحِدِ
وَرَتْبِيهِ . وَزَعَمُوا أَنَّ الْكَمَالَ الْأَسْمَائِيَّ مَظَاهِرُهُ أَرْوَاحُ الْأَفْلَاقِ
وَالْكَوَاكِبِ ، وَأَنَّ طَبَائِعَ الْحُرُوفِ وَاسْرَارَهَا سَارِيَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ ،
فَهِيَ سَارِيَةٌ فِي الْأَكْوَانِ عَلَى هَذَا النِّسْبِ . وَالْأَكْوَانُ مِنْ لَدُنِ
الْإِبْدَاعِ الْأَوَّلِ تَتَنَقَّلُ فِي أَطْوَارِهِ وَتُعَرِّبُ عَنْ أَسْرَارِهِ ، فَحَدَّثَ
لِذَلِكَ عِلْمُ أَسْرَارِ الْحُرُوفِ ، وَهُوَ مِنْ تَفَارِيعِ عِلْمِ السِّيمَاءِ لَا
يُوقَفُ عَلَى مَوْضُوعِهِ وَلَا يُتَحَاطُ بِالْعَدَدِ مَسْأَلُهُ . تَعَدَّدَتْ فِيهِ تَأْلِيفُ
الْبَوْنِيِّ وَابْنِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَتْبَعَ آثَارُهَا . وَحَاصِلُهُ عِنْدَهُمْ
وَمَثَرَتُهُ تَصَرُّفُ النُّفُوسِ الرُّبَّانِيَّةِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان.

ثم اختلفوا في سرّ التصرف الذي في الحروف^(١) بما هو : فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه ، وقسم الحروف بقسمّة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر . واختصّت كلُّ طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلاً وانفعالاً بذلك الصنف ؛ فتنوَّعت الحروف بقانونٍ صناعيٍّ يسمونه التفسير إلى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر ، فالألف للنار والباء للهواء والجيم للماء والذال للتراب . ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر إلى أن تنفد . فتعين لعنصر النار حروفٌ سبعة : الالف والهاء والطاء والميم والفاء والسين والذال ؛ وتعين لعنصر الهواء سبعة أيضاً : الباء والواو والياء والنون والضاد والتاء والظاء ؛ وتعين لعنصر الماء أيضاً سبعة : الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والشاء والغين ؛ وتعين لعنصر التراب أيضاً سبعة : الدال والحاء واللام والعين والراء والحاء والشين .

والحروف النارية لدفع الأمراض الباردة والمضاعفة قوة الحرارة حيث تُطلب مضاعفتها ، إما حساً أو حكماً ، كما في تضعيف قوى المريخ في الحروب والقتل والفتك . والمائية أيضاً لدفع الأمراض

(١) علق الهوريني على هذه العبارة بقوله : ترتيب طبائع الحروف عند المغاربة غير ترتيب المشاركة ، ومنهم الغزالي . كما أن الجمل عندهم مخالف في ستة أحرف ، فإن الصاد عندهم بستين والضاد بتسعين والسين المهملة بثلاثمائة والظاء بثمانمائة والغين بتسعمائة والشين بألف . اهـ .

الحارّة من ثُمَيَاتٍ وغيرها ، ولتضعيفِ الثُّوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حساً أو حكماً ، كتضعيفِ قُوى القَمَرِ وأمثال ذلك .
 ومنهم من جعلَ سرَّ التصريفِ الذي في الحروفِ للنسبةِ العددية : فإنَّ حروفَ أيجد دالةً على أعدادِها المتعارفةِ وضِعاً وطبعاً فبينها من أجلِ تناسبِ الأعدادِ تناسبٌ في نفسها أيضاً ؛ كما بينَ الباء والكافِ والراء دلالتها كلها على الاثنينِ كلِّ في مرتبته ؛ فالباء على اثنينِ في مرتبةِ الآحادِ ، والكافُ على اثنينِ في مرتبةِ العشراتِ ، والراء على اثنينِ في مرتبةِ المئين . وكالذي بينها وبين الدالِّ والميمِ والتاء دلالتها على الأربعة ، وبين الأربعةِ والاثنينِ نسبةُ الضَّعْفِ . وخرجَ للأسماءِ أوافقٌ كما للأعدادِ يختصُّ كلُّ صنفٍ من الحروفِ بصنفٍ من الأوافقِ الذي يناسبُهُ من حيثُ عددُ الشكلِ أو عددُ الحروفِ ، وامتزجَ التصريفُ من السرِّ الحرفيِّ والسرِّ العدديِّ لأجلِ التناسبِ الذي بينهما . فأما سرُّ التناسبِ الذي بينَ هذه الحروفِ وأمزجةِ الطبائعِ ، أو بين الحروفِ والأعدادِ ، فأمرٌ عسيرٌ على الفهمِ ، إذ ليس من قبيلِ العلومِ والقياساتِ ، وإنما مستندُّهم فيه الذَّوقُ والكشفُ . قال البوني : ولا تظنَّ أنَّ سرَّ الحروفِ مما يُتوصَّلُ إليه بالقياسِ العقليِّ ، وإنما هو بطريقِ المشاهدةِ والتوفيقِ الإلهيِّ . وأما التصريفُ في عالمِ الطبيعةِ بهذه الحروفِ والأسماءِ المركَّبةِ فيها وتأثيرِ الأكوانِ عن ذلك فأمرٌ لا يُنكرُ لثبوتهِ عن كثيرٍ منهم تواتراً . وقد يُظنُّ أنَّ تصريفَ هؤلاءِ وتصريفَ أصحابِ الطَّلسماتِ واحدٌ ، وليس كذلك ؛

فإن حقيقة الطلسم وتأثيره على ما حتمه أهله أنه قوى روحانية من جوهر القهر ، تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر ، بأسرار فلكية ونسب عددية ونحورات جالبات لروحانية ذلك الطلسم ، مشدودة فيه بالهمة ؛ فائدتها ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية ، وهو عندهم كالخيرة المركبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية حاصلة في مجلتها ، تخيل وتصرف ما حصلت فيه إلى ذاتها وتقلبه إلى صورتها . وكذلك الأكسير للأجسام المعدنية ، كالخيرة تقلب المعدن الذي تسري فيه إلى نفسها بالإحالة . ولذلك يقولون : موضوع الكيمياء جسد في جسد لأن الأكسير أجزاءه كلها جسدانية . ويقولون : موضوع الطلسم روح في جسد لأنه ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية . والطبائع السفلية جسد والطبائع العلوية روحانية . وتحقيق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات وأهل الأسماء ، بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله إنما هو للنفس الإنسانية والهمم البشرية أن النفس الإنسانية محيطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات ؛ إلا أن تصرف أهل الطلسمات إنما هو في استئزال روحانية الأفلاك وربطها بالصور أو بالنسب العددية ، حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الإحالة والقلب بطبيعته ، فعل الخيرة فيما حصلت فيه . وتصرف أصحاب الأسماء إنما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور الإلهي والإمداد الرباني ؛ فيستخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ، ولا يحتاج إلى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها ، لأن مدده أعلى منها .

ويحتاج أهل الطَّلسمات إلى قليل من الرِّياضة تُفيد النفس قوةً على استنزال روحانية الأفلاك. وأهونُ بها وجهةً ورياضةً. بخلاف أهل الاسماء فإن رياضتهم هي الرياضة الكبرى، وليست لقصد التصرف في الأكوان إذ هو حجاب. وإنما التصرف حاصلٌ لهم بالعرض، كرامةً من كرامات الله لهم. فإن خلا صاحبُ الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت، الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف، واقتصر على مناسبات الاسماء وطباع الحروف والكلمات، وتصرف بها من هذه الحيثية وهؤلاء هم أهل السيمياء في المشهور. كان إذاً لا فرقَ بينه وبين صاحب الطَّلسمات؛ بل صاحب الطَّلسمات أوثقُ منه لأنه يرجعُ إلى أصولٍ طبيعيةٍ علميةٍ وقوانين مرتبة. وأما صاحبُ أسرارِ الأسماء إذا فاتهُ الكشف الذي يطلعُ به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات بفوات الخلوص في الوجهة، وليس له في العلوم الاصطلاحية قانونٌ برهانيٌّ يعولُ عليه يكون حاله أضعفَ رتبةً. وقد يُنْجُ صاحبُ الأسماء قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب، فيعينُ لذكرِ الاسماء الحسنى، أو ما يرسم من أوقافها، بل ولسائرِ الأسماء، أوقاتاً تكونُ من حظوظ الكوكب الذي يناسبُ ذلك الاسم؛ كما فعله البونِّي في كتابه الذي سمَّاه الأنماط. وهذه المناسبةُ عندهم هي من لدن الحضرة العمانية، وهي برزخية الكمال الأسائي، وإنما تنزلُ تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة. وإثباتُ هذه المناسبةِ عندهم إنما هو بحكم المشاهدة. فإذا خلا صاحبُ الأسماء عن تلك المشاهدة،

وتلقى تلك المناسبة تقليداً ، كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم ؛ بل هو أوثق منه كما قلناه . وكذلك قد يَزُجُ أيضاً صاحب الطلسمات عمله وقوى كواكب بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لماسبة بين الكلمات والكواكب ، إلا أن مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هي عند أصحاب الأسماء من الاطلاع في حال المشاهدة ، وإنما يرجع إلى ما اقتضته أصول طريقتهم السحرية ، من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكوّنات ، من جواهر وأعراض وذوات ومعاني ، والحروف والأسماء من جملة ما فيه .

فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصه ، ويبنون على ذلك مباني غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو ، كما فعله مسلمة الجريطي في الغاية . والظاهر من حال البوني في أنماطه أنه اعتبر طريقتهم . فإن تلك الأنماط إذا تصفحتها ، وتصفحت الدعوات التي تضمنتها ، وتقسمها على ساعات الكواكب السبعة ؛ ثم وقفت على الغاية ، وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها ، وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب ، ويسمونها قيامات الكواكب ، أي الدعوة التي يقام له بها ، شهد له ذلك : إما بأنه من مادتها ؛ أو بأن التناسب الذي كان في أصل الإبداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله . ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . وليس كل ما حرّمه الشارع من العلوم بنكر الثبوت ، فقد ثبت أن السحر حق مع حظره . لكن حسبنا من العلم ما علمنا .

ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الأجوبة من

الاسئلة ، بارتباطات بين الكلمات حرفية ، يوهمون أنها أصل في معرفة ما يُحاولون علمه من الكائنات الاستقبالية ؛ وإنما هي شبه المعاينة والمسائل السيالة . ولهم في ذلك كلام كثير من أدعية وأوراد . وأعجبهُ زايجةُ العالمِ للسبتي ، وقد تقدّم ذكرها . ونبيّنُ هنا ما ذكروه في كيفية العمل بتلك الزايجة بدائرتها وجدولها المكتوب حولها ؛ ثم نكشفُ عن الحقّ فيها وأنها ليست من الغيب ، وإنما هي مطابقة بين مسألة وجوابها في الإفادة فقط ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل . وليس عندنا روايةٌ يعولُ عليها في صحة هذه القصيدة إلا أننا تحرّينا أصحّ النسخ منها في ظاهر الأمر . والله الموفقُ بئنه . وهي هذه :

يقولُ سُبَيْتِي وَيَحْمَدُ رَبُّهُ	مُصَلِّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أُرْسِلَا
تُحَمَّدِ الْمَبْعُوثِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَا	وَيَرْضَى عَنِ الصَّخْبِ وَمَنْ لَمْ تَلَا
أَلَا هَذِهِ زَايَجَةُ الْعَالَمِ الَّذِي	تَرَاهُ بِحَيِّكُمْ وَبِالْمَقْلِ قَدْ حَلَا
فَمَنْ أَحْكَمَ الْوَضْعَ فَيَحْكُمُ جِسْمَهُ	وَيَدْرِكُ أَحْكَامًا تَدْبِرُهَا الْعَلَا
وَمَنْ أَحْكَمَ الرِّبْطَ فَيَدْرِكُ قُوَّةَ	وَيَدْرِكُ لِلتَّقْوَى وَلِلْكَرِّ حَصْلَا
وَمَنْ أَحْكَمَ التَّصْرِيفَ يَحْكُمُ سِرَّهُ	وَيَعْقِلُ نَفْسَهُ وَصَحَّ لَهُ الْوَلَا
وَفِي عَالَمِ الْأَمْرِ تَرَاهُ مُحِقِّقًا	وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ بِالْأَذْكَارِ كَمَلَا
فَهَذِي سِرَائِرُ عَلَيْكُمْ بِكُنْهِيهَا	أَقْمَهَا دَوَائِرَ وَلِلْحَاءِ عِدْلَا
فَطَاءُ لَهَا عَرْشٌ وَفِيهِ نُقُوشُنَا	بِنَظْمٍ وَنَثَرٍ قَدْ تَرَاهُ مُجَدِّدَلَا
وَنَسَبُ دَوَائِرِ كُنْسَبَةِ فُلُكِيهَا	وَأَوْسَمُ كَوَاكِبًا لِأَدْرَاجِهَا الْعَلَا

وأخرج لأوتادِ وارسمِ حروفها
 أقم شكلَ زيرهم وسوِ بُيوتَهُ
 وحصلَ علوماً للطِّباعِ مُهندِساً
 وسوِ لموسيقى وعِلمِ حروفهم
 وسوِ دواثرها ونسبِ حروفها
 أميرٌ لنا فهو نهايةُ دولةٍ
 وقطرٍ لأندلسٍ فابنِ لهودهم
 ملوكٌ وفُرسانٌ وأهلُ لحكمةٍ
 ومهديُّ توحيدٍ بتونسٍ حكمهم
 واقسم على القطرِ وكنْ مُتَقَدِّماً
 ففَقَّشْ وبرشَنونُ الراءِ حرفهم
 ملوكٌ كُناوةٍ دَلُوا لِقافهم
 فهندٌ حباشيٌ ويسندُ فيرمسُ
 فقِصرُهم جاءَ ويَزْدَجِرُهم
 وعَبَّاسُ كُلُّهم شَرِيفٌ مُعَظَّمٌ
 فان شئتَ تدقيقَ الملوكِ وكلُّهم
 على حُكمِ قانونِ الحُروفِ وعِلمها
 فمن عِلمِ العلومِ تعلَّمِ عِلمنا
 فيرسخُ علمهُ ويعرفُ رَبُّهُ
 وحيثُ ألقى اسمُ والعروضُ يَشُقُّهُ
 وتأتيكِ أحرفُ فسوِ لِضَرْبِها

وكوِّرَ بِمِثْلِهِ على حَدٍّ من خِلا
 وحَقِّقْ بِهايهم ونورُهم جَلا
 وعِلماً لموسيقى والارباعِ مِثْلا
 وعِلمِ بآلاتٍ فَحَقِّقْ وَحَصِّلا
 وعِلمها أَطْلِقِ والاقليمِ جَدولاً
 زنايَةِ آبَتِ وَحُكْمُها خِلا
 وجاءَ بنو نصرٍ وظفرُهم تَلا
 فان شئتَ نَصِّبهم وقطرُهم حَلا
 ملوكٌ وبالشرقِ بالأوفاقِ نُزْلاً
 فان شئتَ للرومِ فبالحرِّ شِكْلا
 وإفرنسُهم دالٌ وبالطاءِ كِلا
 واعرابُ قومنا بترقيقِ أَعْمالا
 وفُرسٌ ططاري وما بعدهم طَلا
 لكافٍ وقبطيهم بلامِ طوْلاً
 ولكنَّ تركيَ بذا الفِعلِ عَطْلاً
 فحِمْزُ بُيوتاً ثم نَسَبُ وَجَدولاً
 وعِلمِ طبائعها وكلُّهُ مِثْلا
 ويعلمُ أسرارَ الوجودِ وأَكْلا
 وعِلمُ ملاحيهم بِحاميمِ فَصْلاً
 فحُكْمُ الحَكيمِ فيه قطعاً لِيَقْتِلا
 وأحرفُ سيبويه تأتِيكَ فَيُصْلا

فمَكِّنْ بِنْتَكِيْرٍ وَقَايِلْ وَعَوِّضَنْ
وَفِي الْعَقْدِ وَالْمَجْزُورِ يَعْرِفُ غَالِباً
وَاخْتَرِ لِمُطْلَعٍ وَسُوِيَه رُتْبَةً
وَيُدْرِكُهَا الْمَرْءُ فَيَبْلُغُ قَصْدَهُ
إِذَا كَانَ سَعْدٌ وَالْكَوَاكِبُ اسْعَدَتْ
وَأَيْقَاعُ دَالِمْ بِمَرْمُوزٍ ثَمَّةٍ
وَأَوْتَارُ زِيرِهِمْ فَلَحَاءُ يَبِيهِمْ
وَأَدْخُلْ بِأَفْلَاكِ وَعَدِلْ بِجَدُولِ
وَجُوزِ شَذُوذِ النُّورِ تَجْرِي وَمِثْلُهُ
فَأَصْلُ لَدَيْنَا وَأَصْلُ لِفَقِيْهِنَا
فَادْخُلْ لِفِسْطَاطٍ عَلَى الْوَفْقِ جَذْرُهُ
فَتُخْرِجُ أَبْيَاتاً وَفِي كُلِّ مَطْلَبٍ
وَتَفْنِي بِمَحْصَرِهَا كَذَا حُكْمٌ عَلَيْهِمْ
فَتُخْرِجُ أَبْيَاتاً وَعَشْرُونَ ضُمِعَتْ
تَرْيِكُ صَنَائِعاً مِنَ الضَّرْبِ اكْمَلَتْ
وَسَجَّعَ بَزِيرِهِمْ وَأَثْنِي بِنَقْرَةٍ
أَقْمَاهَا بِأَوْفَاقٍ وَأَصْلٍ لَعْدِهَا

بِتَرْنِيمِكَ الْغَالِي. لِلْأَجْزَاءِ خَلْجَا
وَزِدْ لِمَحٍ وَصَفِيْهِ فِي الْعَقْلِ فَعَلَا
وَاعْكَسْ بِجَذْرِيْهِ وَبِالدَّوْرِ عَدَلَا؟
وَتَعْطِي حُرُوفُهَا وَفِي نَظْمِهَا انْجِلَا
فَحَسْبُكَ فِي الْمَلِكِ وَنِيلِ اسْمِهِ الْعَلَا
فَنَسَبُ دُنَايِنَا تَجِدُ فِيهِ مَنَهَلَا
وَمَشْنَاهُمْ الْمَثَلُ يُجِيْمُهُ قَدْ جَلَا
وَأَرْسَمَ أَبَا جَادٍ وَبَاقِيَهُ جَمَلَا
أَتَى فِي عُرُوضِ الشَّعْرِ عَنْ جَمَلَةٍ مَلَا
وَعَلِمْتُ لِنَحْوِنَا فَاحْفَظْ وَحَصِيْلَا
وَسَيِّحْ بِاسْمِهِ وَكَبِّرْ وَهَلِّلَا
بِنَظْمٍ طَبِيعِيٍّ وَسِرٍّ مِنَ الْعَلَا
فَعَلِمْتُ الْفَوَاتِيحِ تَرَى فِيهِ مَنَهَلَا
مِنَ الْأَلْفِ طَبِيعِيّاً فَيَا صَاحِبَ جَذْوِلَا
فَصَحِّحْ لَكَ الْمَنَى وَصَحِّحْ لَكَ الْعَلَا
أَقْمَاهَا دَوَائِرُ الزَّيْرِ وَحَصِلَا
مِنَ اسْرَارِ أَحْرُفِهِمْ فَعَذِّبْهُ سِلْسِلَا

٤٣ ك ا ك و ك ح و ا ه عم له ر لا سع ك ط ا
ل م ن ح ع ف ول منافرة .

الكلام على استخراج نسبة الأوزان وكيفيةاتها ومقادير المقابل منها
وقوة الدرجة المتميزة بالنسبة الى موضع المعلق من امتزاج
طبائعي وعلم طب او صناعة الكيمياء

أيا طالبا للطب مع علم جابر وعالم مقادير المقادير بالولا
إذا شئت علم الطب لا بد نسبة لاحكام ميزان تصادف منها
فيشفي عليكم والا كسير محكم وأمزاج وضعكم بتصحيح أنجلا

الطب الوداني

وشئت ايلوش ٥٦٥ ودهنه بجلا لبهرام برجيس وسبعة اكلا
لتحليل أوجاع البوارد صححوا كذلك والتركيب حيث تنقلا
كد منع مهم ٣٥٥ وهج ٦ صح لهاي ولح ١ آ ١ وهج وى
سكره لا ل ح مهت مهم ع ع مى مر ح ٢٢٤٢ ل ك
عا عر .

مطاريح الشعاعات في مواليد الملوك وبنينهم

وعلم مطاريح الشعاعات مُشكل
ولكن في حج مقام امامنا
بدال مراكز بين طول وعرضها
مواقع تربيع وسه مُسقط
يزاد لتربيع وهذا قياسه
ومن نسبة الربعين ركب شعاعك
وضلع قسيها بمنطقة جلا
ويبدو اذا عرض الكواكب عدلا
فن أدرك المعنى علا ثم فوضلا
لتسديسهم ثلث بيت التي تلا
يقينا وجذره وبالعين أعمالا
بصاد وضغفه وتربيعه انجلا

يَا طَالِبَ السِّرِّ لتَهْلِيلِ رَبِّهِ
تُطِيعُكَ أَخْيَارُ الْأَنَامِ بِقُلُوبِهِمْ
لَدَى أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى تُصَادِفُ مَنَهَلًا
كَذَلِكَ رِيْسُهُمْ فِي الشَّمْسِ أَعْمَلًا
وَمَا قَلَّتْهُ حَقًّا فِي الْغَيْرِ أَهْمَلًا
تَرَى عَامَّةَ النَّاسِ إِلَيْكَ تَقِيدُوا

ع مع ص و لم ع ۲۲ ک ل ح ع ا ا ل ح = س ج ا ع ۸۸ ح و د ک ص ر ک ل

مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحُب وتعشق وفناء الفناء، وتوجه ومراقبة وظلة وأئمة

الانفعال الطبيعيّ

لبرجيس في المحبة الوفق صرّفوا بقزدير أو نحاس الخلط أكمل
وقيلَ بفضة صحيحاً رأيتهُ فجعلك طالعاً خطوطه ماعلا
توخّ به زيادة النور للقمر وجعلك للقبول شمسهُ أصلا
ويومُهُ والبخورُ عودٌ لهنديهم ووقتُ لساعة ودعوتهُ ألا
ودعوته بغاية فهي أعملت وعن طسيان دعوة ولها جلا
وقيلَ بدعوة حروف لوضعها بحرّ هواء أو مطالب أهلا
فتنقش أحرفاً بدالٍ ولايها وذلك وفق للمربع حصلا
إذا لم يكن يهوى هواك دلاها فدال ليدو واو زينب معطلا
فحسن لبائه وبائهم اذا هواك وباقيهم قليلة جملا
ونقش مشاكل بشرط لوضعهم وما زدت أنسبه لفعلك عدلا
ومفتاح مريم ففعلها سوا فبوري وبسطامي بسورتها تلا
وجعلك بالقصدِ وكن متفقدًا أدلة وحشي لقبضة ميلا
فاعكس بيوتها بألف ونيف فباطنها سرٌّ وفي سرّها انجلا

فصل في المقامات للنهاية

لك الغيب صورةً من العالم العُلا وتوجدها دار أو ملبسها الحلا
ويوسف في الحسن وهذا شبيهه بنثر وترتيل حقيقة أنزلا

وفي يده طول وفي الغيب ناطقٌ
وقد جن بهلولٌ بعشق جمالها
ومات اجله وأشربَ حبها
فتطلب في التهليل غايته ومن
ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى
وتخبرُ بالغيب إذا جدت خدمةً
فهذا هو الفوزُ وحسن تنالُهُ
فيحكى الى عود يجاوب بلبلا
وعند تجليها لبسطام أخذلا
جنيد وبصرى والجسم أهملأ
بأسائه الحسنى بلا نسبة خلا
ويسهمُ بالزُلفى لدى جيرة العلا
تريك عجائباً بمن كان موثلاً
ومنها زيادات لتفسيرها تلا

الوصية والتختيم والإيمان والإسلام والتحريم والأهلية

فهذا قصيدنا وتسعون عده
عجبت لآيات وتسعون عدها
فمن فهم السرّ فيفهم نفسه
حرام وشرعيّ لآظهار سرّنا
فان شئت أهليه فغلظ يمينهم
لعلك أن تنجو وسامع سرّهم
فنجل لعباس لسره كاتم
وقام رسول الله في الناس خاطبا
وقد ركب الأرواح أجساد مظهر
الى العالم الملوّى يفنى فناؤنا
فقد تم نظاماً وصلى إلهنا
وما زاد خطبة وختم وجدولا
تولد أبياتاً وما حصرها انجلا
ويفهم تفسيراً تشابه أشكالها
لناس وان خصوا وكان التأهلاً
وتفهم برحلة ودين تطوّلاً
من القطع والافشا فترأس بالاعلا
فنال سعادات وتابعه علا
فمن يرأس عرشاً فذلك أكملأ
فألت لقتلهم بدق تطوّلاً
ويلبس أثواب الوُجودِ على الولا
على خاتم الرُّسل صلاة بها العلا

(تنبیه) - ترکیبُ حروفِ الأوتارِ والجدولِ على ثلاثة أصولٍ :
حروفٌ عربيَّةٌ تنقلُ على هيأتها ، وحروفٌ برسمِ الغبارِ . وهذه
تتبدلُ : فمنها ما ينقلُ على هيئته متى لم ترد الأوتارُ عن أربعة ،
فإن زادت عن أربعة نقلت إلى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات ،
وكذلك لمرتبة المئين على حسب العمل كما سنبيِّنُه ؛ ومنها حروفٌ
برسمِ الزمامِ كذلك ، غير أن رسمَ الزمامِ يعطى نسبةً ثانيةً ،

فهي بمنزلة واحد ألف وبمنزلة عشرة ، ولها نسبة من خمسة بالعربي ، فاستحق البيت من الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم ، فاختصروا من الجدول بيوتاً خالية . فمتى كانت أصول الأدوار زائدة على أربعة حُسِبَتْ في العدد في طول الجدول ، وإن لم ترد على أربعة لم يحسب إلا العاشر منها . والعمل في السؤال يفتقر إلى سبعة أصول : عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها ، اثني عشر اثني عشر ، وهي ثمانية أدوار في الكامل وستة في الناقص أبداً . ومعرفة درج الطالع وسلمان البرج ، والدور الأكبر الأصلي ، وهو واحد أبداً . وما يخرج من إضافة الطالع للدور الأصلي ، وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلمان البرج . وإضافة سلمان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة أدوار مضروبة في أربعة ، تكون اثني عشر دوراً . ونسبة هذه الثلاثة الأدوار التي هي كل دور من أربعة نشأة ثلاثية ، كل نشأة لها ابتداء . ثم إنها تضرب أدواراً رباعية أيضاً ثلاثية . ثم إنها من ضرب ستة في اثنين ، فكان لها نشأة ، يظهر ذلك في العمل . ويتبع هذه الأدوار الاثني عشر نتائج ، وهي في الأدوار ، إما أن تكون نتيجة أو أكثر إلى ستة .

فأول ذلك نفرض سؤالاً عن الزائرجة ؛ هل هي علم قديم ، أو محدث بطالع أول درجة من القوس أثناء حروف الاوتار ؟ ثم حروف السؤال . فوضعنا حروف وتر رأس القوس ونظيره من

رأس الجوزاء . وثالثه وترُ رأس الدَّوَرِ الى حدِّ المركز ، وأضفنا إليه حروف السُّؤالِ ، ونظرنا عدتها وأقلَّ ما تكونُ ثمانيةً وثمانين ، وأكثرُ ما تكون ستة وتسعين ، وهي جملةُ الدورِ الصَّحيح ؛ فكانت في سؤالنا ثلاثةً وتسعين . ويُختَصَرُ السُّؤالُ إن زاد عن ستةً وتسعين ، بأن يسقطَ جميع أدواره الاثني عشرية ، ويحفظَ ما خرجَ منها وما بقي ، فكانت في سؤالنا سبعةً أدوار ، الباقي تسعة ، أثبتنا في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشرة درجةً ، فان بلغها لم تثبت لها عدَّةٌ ولا دورٌ .

ثم تثبتُ أعدادها أيضاً إن زادَ الطَّالعُ عن أربعةٍ وعشرين في الوجه الثالث ، ثم تثبتُ الطالع وهو واحدٌ ؛ وسلطانُ الطَّالع وهو أربعةٌ ، والدورُ الأكبر وهو واحدٌ ؛ واجمع ما بين الطَّالع والدور وهو اثنان في هذا السُّؤالِ ، واضرب ما خرجَ منها في سلطان البرج يبلغ ثمانية ، وأضف السلطان للطَّالع فيكون خمسة ، فهذه سبعةُ أصولٍ . فما خرجَ من ضربِ الطَّالع والدور الأكبر في سلطان القوس ، مما لم يبلغ اثني عشر فيه تدخلُ في ضلع ثمانية من أسفل الجدولِ صاعداً ؛ وإن زادَ على اثني عشر طرح أدواراً ، وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية ، وتعلِّم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطَّالع ، يكونُ الطَّالع في ضلع السطحِ المبسوطِ الأعلى من الجدولِ ؛ وتعدُّ متوالياً خمساً أدواراً ، وتحفظها إلى أن يقفَ العددُ على حرفٍ من أربعةٍ ، وهي ألفٌ أو باءٌ أو جيمٌ أو زاي . فوقَ العددُ في عملنا على حرفِ الألف وخلف ثلاثة

أدوار ، فضربنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة ، وهو عددُ الدورِ
 الأوّل . فاثبتته واجمع ما بين الضّلعين : القائم والمبسوط يكن في
 بيت ثمانية في مقابلة البيوتِ العائرة بالعدد من الجدول ؛ وإن
 وقف في مقابلة الخالي من بيوتِ الجدول على أحدها ، فلا يعتبرُ
 وتستمرُّ على أدوارك . وادخل بعدد ما في الدورِ الأوّل ، وذلك
 تسعة في صدرِ الجدول مما يلي البيت الذي اجتمعا فيه ، وهي
 ثمانية ، ماراً إلى جهة اليسار ؛ فوقَ على حرفِ لام ألفه ولا يخرجُ
 منها أبداً حرفٌ مركبٌ . وإنما هو إذن حرف تاء أربعمائة برسم
 الزمام ، فعلم عليها بعد نقلها من بيتِ القصيد ، واجمع عددَ الدورِ
 للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ، أدخل بها في حروفِ الأوتار ، وأثبت
 ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيتِ القصيد . ومن هذا القانون
 تدري كم تدورُ الحروفُ في النظم الطبيعي ، وذلك أن تجمع حروفَ
 الدورِ الأوّل وهو تسعة لسلطانِ البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة عشر ،
 أضفها بمثلها تكون ستة وعشرين ، أسقط منها درج الطالع وهو
 واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون .

فعلى ذلك يكونُ نظم الحروفِ الأوّل ، ثم ثلاثة وعشرون
 مرتين ، ثم اثنان وعشرون مرتين ، على حسبِ هذا الطرح إلى أن
 ينتهي للواحد من آخر البيت المنظوم . ولا تقف على أربعة
 وعشرين لطرح ذلك الواحد أولاً . ثم ضع الدور الثاني وأضف
 حروفَ الدورِ الأوّل إلى ثمانية ، الخارجة من ضربِ الطالع والدورِ
 في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة . فاصعد في ضلع ثمانية

بخمسة من حيثُ انتهيتَ في الدورِ الأولِ وعِلِّمَ عليه ، وأدخل في صدر الجدولِ بسبعةَ عشرَ ، ثم بخمسة . ولا تعدُّ الخالي ، والدور عشرون ، فوجدنا حرف ثا خمسمائة ؛ وإنما هو نون لأنَّ دورنا في مرتبة العشرات ، فكانت الخمسمائة بخمسين لأنَّ دورها سبعة عشر فلو لم تكن سبعة عشر لكانت مئتين . فأثبت نوناً ثم أدخل بخمسة أيضاً من أوله . وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحداً ، فقهر العدد واحداً يَمُغ على خمسة ، أضف لها واحداً لسطح تكن ستة . أثبت واواً وعلم عليها من بيت القصيد أربعة ؛ وأضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثني عشر ؛ أضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر ، وهو ما للدور الثاني . فدخلنا بسبعة عشر في حروف الأوتار ، فوق العدد على واحد . أثبت الألف وعلم عليها من بيت القصيد وأسقط من حروف الأوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني ، وضع الدور الثالث وأضف خمسة إلى ثمانية تكن ثلاثة عشر ، الباقي واحد . انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وأدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر ، وخذ ما وقع عليه العدد وهو (ق) وعلم عليه . وأدخل بثلاثة عشر في حروف الأوتار وأثبت ما خرج ، وهو سين ، وعلم عليه من بيت القصيد ، ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد ، فخذ مما يلي حرف سين من الأوتار فكان (ب) أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد . وهذا يقال له : الدور المعطوف ، وميزانه صحيح ،

وهو أن تُضعِفَ ثلاثة عشر بمثلها ، وتضيف إليها الواحد الباقي من الدورِ تبلغ سبعةً وعشرين ، وهو حرف باء المستخرج من الأوتارِ من بيتِ القصيدِ . وأدخل في صدرِ الجدولِ بثلاثة عشر ، وانظر ما قابله من السطحِ وأضعفه بمثله ، وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر ؛ فكان حرف جيم ، وكانت للجملة سبعة ، فذلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيتِ القصيدِ . وميزانه أن تُضعِفَ السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر ، وهو الخامس عشر من بيتِ القصيدِ وهذا آخرُ أدوارِ الثلاثياتِ ، وضع الدورَ الرابعَ وله من العددِ تسعةً باضافة الباقي من الدور السابق ، فاضرب الطالعَ مع الدورِ في السلطانِ ، وهذا الدورُ آخرُ العملِ في البيتِ الأولِ من الرباعياتِ .

فاضرب على حرفينِ من الأوتارِ واصعد بتسعةً في ضلعِ ثمانيةٍ وادخل بتسعةً من دور الحرف الذي أخذته آخراً من بيتِ القصيدِ ، فالتاسعُ حرف راء ، فأثبتهُ وعلم عليه . وادخل في صدرِ الجدولِ بتسعةً وانظر ما قابله من السطحِ يكون (ج) ؛ فهقرِ العددَ واحداً يكون ألف وهو الثاني من حرفِ الراء من بيتِ القصيدِ فأثبتهُ وعلم عليه . وعدّ مما يلي الثاني تسعةً يكون ألف أيضاً أثبتهُ وعلم عليه واضرب على حرفٍ من الأوتارِ ، وأضعف تسعةً بمثلها تبلغ ثمانية عشر ، ادخل بها في حروفِ الأوتارِ تقف على حرفِ راء ، أثبتها وعلم عليها من بيتِ القصيدِ ثمانيةً واربعين . وادخل بثمانية عشرَ في حروفِ الأوتارِ تقف على (س) أثبتها وعلم عليها اثنين ،

وأُضِفَ اثْنَيْنِ إِلَى تِسْعَةٍ تَكُونُ أَحَدَ عَشَرَ. أُدْخِلَ فِي صَدْرِ الْجَدُولِ بِأَحَدِ عَشَرَ تَقَابِلَهَا مِنَ السَّطْحِ أَلْفَ أَثْبَتَهَا وَعَلِّمَ عَلَيْهَا سِتَّةً ، وَضَعَ الدَّوْرَ الْخَامِسَ وَعَدْتَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ الْبَاقِيَ خَمْسَةَ. أَصْعَدَ بِخَمْسَةِ فِي ضَلَعِ ثَمَانِيَةٍ وَاضْرَبَ عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَوْتَارِ وَأَضْعَفَ خَمْسَةً بِمِثْلِهَا ، وَأَضْفَهَا إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ عَدَدَ دَوْرِهَا الْجُمْلَةَ سَبْعَةً وَعِشْرُونَ ؛ ادْخُلْ بِهَا فِي حُرُوفِ الْأَوْتَارِ تَقَعُ عَلَى (ب) أَثْبَتَهَا وَعَلِّمَ عَلَيْهَا اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ وَاطْرَحَ مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ اثْنَيْنِ الَّتِي هِيَ فِي أُسِّ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ الْبَاقِيَ خَمْسَةَ عَشَرَ. ادْخُلْ فِي حُرُوفِ الْأَوْتَارِ تَقِفْ عَلَى (ق) أَثْبَتَهَا وَعَلِّمَ عَلَيْهَا سِتَّةً وَعِشْرِينَ ، وَادْخُلْ فِي صَدْرِ الْجَدُولِ بِسِتِّ وَعِشْرِينَ تَقِفْ عَلَى اثْنَيْنِ بِالْغَبَارِ ، وَذَلِكَ حَرْفُ (ب) أَثْبَتُهُ وَعَلِّمَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ ، وَأَضْرَبَ عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَوْتَارِ وَضَعَ الدَّوْرَ السَّادِسَ ، وَعَدْتُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ، الْبَاقِيَ مِنْهُ وَاحِدٌ ، فَتَبَيَّنَ إِذْ ذَاكَ أَنَّ دَوْرَ النِّظَمِ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ ، فَإِنَّ الْأَدْوَارَ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ وَسَبْعَةَ عَشَرَ وَخَمْسَةَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ وَوَاحِدٌ ؛ فَاضْرَبْ خَمْسَةَ فِي خَمْسَةِ تَكُنْ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ ، وَهُوَ الدَّوْرُ فِي نِظْمِ الْبَيْتِ ، فَانْقُلِ الدَّوْرَ فِي ضَلَعِ ثَمَانِيَةٍ بِوَاحِدٍ. وَلَكِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ بِثَلَاثَةِ عَشَرَ كَمَا قَدْ مَنَاهُ ، لِأَنَّهُ دَوْرُ ثَانٍ مِنْ نَشْأَةِ تَرْكِيبِيَّةٍ ثَانِيَةٍ ؛ بَلْ أَضْفْنَا الْأَرْبَعَةَ الَّتِي مِنْ أَرْبَعَةِ وَخَمْسِينَ الْخَارِجَةِ عَلَى حُرُوفِ (ب) مِنْ بَيْتِ الْقَصِيدِ إِلَى الْوَاحِدِ تَكُونُ خَمْسَةَ ، تَضِيفُ خَمْسَةَ إِلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ الَّتِي لِلدَّوْرِ تَبْلُغُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ، ادْخُلْ بِهَا فِي صَدْرِ الْجَدُولِ وَخُذْ مَا قَابَلَهَا مِنَ السَّطْحِ وَهُوَ أَلْفٌ ، أَثْبَتُهُ وَعَلِّمَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْقَصِيدِ اثْنِي عَشَرَ وَاضْرَبْ عَلَى حَرْفَيْنِ

من الاوتار . ومن هذا الجدول تنظر أحرف السؤال ؛ فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلاً في العدد في بيت القصيد ، وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال ؛ فما خرج منها زده إلى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ، ثم أضف إلى ثمانية عشر ما علمته على حرف الألف من الأحاد ، فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين . أدخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء ، أثبتته وعلم عليه من بيت القصيد ، ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوتري . فاضرب على حرفين من الأوتار وضع الدور السابع ، وهو ابتداء المخرع ثانياً ينشأ من الاختراعين . ولهذا الدور من العدد تسعة ، تضيف لها واحداً تكون عشرة للنشأة الثانية ، وهذا الواحد تريده بعد إلى اثني عشر دوراً ، إذا كان من هذه النسبة ، أو تنقصه من الأصل تبلغ الجملة خمسة عشر . فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وأدخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسمائة ، وإنما هي خمسون ، نون مضاعفة بمثلها ؛ وتلك (ق) أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين ، وأسقط من اثنين وخمسين اثنين ، وأسقط تسعة التي للدور ؛ الباقي واحد وأربعون ؛ فادخل بها في حروف الأوتار تقف على واحد أثبتته . وكذلك أدخل بها في بيت القصيد تجد واحداً ، فهذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين . علامة على الألف الأخير الميزاني ؛ وأخرى على الألف الأولى فقط ، والثانية أربعة

وعشرون واضرب على حرفين من الأوتار، وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ، ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقع على عين بسبعين ، أثبتتها وعلم عليها . وادخل في الجدول بخمسة ، وخذ ما قابلها من السطح ، وذلك واحد ، أثبتته وعلم عليه من البيت ثمانية وأربعين ، وأسقط واحداً من ثمانية وأربعين للأس الثاني وأضف إليها خمسة ، الدور. الجملة اثنان وخمسون . ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف (ب) غبارية وهي مرتبة مثنية لتزايد العدد ، فتكون مائتين وهي حرف راء ، أثبتتها وعلم عليها من القصيد أربعة وعشرين ، فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابتداء وهو أربعة وعشرون ، فأضف إلى أربعة وعشرين خمسة ، الدور ، وأسقط واحداً تكون الجملة ثمانية وعشرين . ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية ، أثبت (٢) وعلم عليها وضع الدور التاسع ، وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد ، اصعد في ضلع ثمانية بواحد . وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ، ولأنه من النشأة الثانية ، ولأنه أول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الرابعة من المثلثات . فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة ، الجملة اثنان وخمسون ، ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية ، وإنما هي مثنية لتجاوزها في العدد عن مرتبتي الأحاد والعشرات ، فاثبت مائتين راء ، وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين ، وأضف إلى

ثلاثة عشر ، الدور ، واحد الأس ، وادخل بأربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية ، فعلم عليها ثمانية وعشرين ، واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الأوتار ، وادخل بسبعة تقف على حرف لام ، أثبتته وعلم عليه من البيت . وضع الدور العاشر وعدده تسعة ، وهذا ابتداء المثلثة الرابعة ، واصعد في ضلع ثمانية بتسعة ، تكون خلاء ؛ فاصعد بتسعة ثمانية تصير في السابع من الابتداء . اضرب تسعة في أربعة لصعودنا بتسعتين ، وانما كانت تضرب في اثنين ، وادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على أربعة زمامية وهي عشرية ؛ فأخذناها أحادية لقلة الادوار ، فأثبت حرف دال ؛ وان أضفت إلى ستة وثلاثين واحد الأس كان حدثها من بيت القصيد ، فعلم عليها ؛ ولو دخلت بالتسعة لا غير من ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية ، فاطرح من ثمانية أربعة الباقي أربعة وهو المقصود . ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشري ، فاطرح منه اثنين تكرار التسعة ، الباقي ثمانية نصفها المطلوب . ولو دخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضربها في ثلاثة لوقعت على عشرة زمامية ، والعمل واحد . ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد وأثبت ما خرج وهو ألف ، ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط واحداً وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين ، وأثبت ما خرج وهو مائتان بحرف راء . وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين . واضرب على حرفين

من الأوتارِ وضع الدورَ الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة،
 اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكررَ عليه المشي في الدور
 الأول، وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خالٍ؛ فخذ ما
 قابله من السطح وهو واحد، فادخل بواحدٍ في بيت القصيد تكن
 سين، أثبتهُ وعلمَ عليه أربعة. ولو يكون الوقفُ في الجدول على
 بيتٍ عامرٍ لاثبتنا الواحد ثلاثة. وأضعف سبعة عشر بمثلها وأسقط
 واحداً وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين، ادخل بها
 في الأوتارِ تقف على ستة أثبتها وعلمَ عليها، وأضعف خمسة بمثلها.
 وادخل في البيت تقف على لام أثبتها وعلمَ عليها عشرين، واضرب
 على حرفين من الأوتارِ. وضع الدورَ الثاني عشر وله ثلاثة عشر
 الباقي واحد، اصعد في ضلع ثمانية بواحد، وهذا الدورُ آخر
 الأدوارِ وآخر الاختراعين وآخر المربعاتِ الثلاثية وآخر المثلثاتِ
 الرباعية. والواحد في صدر الجدول يقعُ على ثمانين زمامية، وإنما
 هي آحاد ثمانية، وليس معنا من الأدوارِ إلا واحد؛ فلو زاد عن
 أربعة من مربعات اثني عشر أو ثلاثة من مثلثات اثني عشر
 لكانت (ح)، وإنما هي (د)؛ فاثبتها وعلمَ عليها من بيتِ القصيدِ
 أربعة وسبعين؛ ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن خمسة، أضعفها
 بمثلها للأسّ تبلغ عشرة، أثبت (ي) وعلمَ عليها، وانظر في أيّ
 المراتب وقعت: وجدناها في الرابعة، دخلنا بسبعة في حروف
 الأوتارِ، وهذا المدخل يسمى التوليد الحرفي فكانت (ف)، اثبتها
 وأضف إلى سبعة واحد الدور، الجملة ثمانية. أدخل بها في الأوتارِ

تبلغ (س) أثبتها وعلم عليها ثمانية ، واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور ؛ فانها آخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ أربعة وعشرين ، ادخل بها في بيت القصيد وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون ، وهو نهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية ، واضرب على حرفين من الأوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة . وهذا العدد يناسبُ أبدأ الباقي من حروف الأوتار بعد طرحها أدواراً وذلك تسعة ، فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الأوتار ، وأضف لها واحداً الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين ، فادخل بها في حروف الأوتار تبلغ ألفاً ، أثبتته وعلم عليه ستة وتسعين . وان ضربت سبعة التي هي أدوار الحروف التسعين في أربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين ، والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كان كذلك ، واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية . واضرب تسعة فيما ناسب من السطح ، وذلك ثلاثة ، وأضف لذلك سبعة ، عدد الاوتار الحرفية ، واطرح واحداً الباقي من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ؛ ادخل بها في البيت تبلغ خمسة ، فاثبتها وأضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر ، وخذ ما في السطح وهو واحد ، ادخل به في حروف الأوتار تبلغ (م) أثبتته وعلم عليه ، واضرب على حرفين من الأوتار . وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة ، فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر ، أضف لها واحداً

الباقى من الدور الثانى عشر تكن تسعة ، وادخل بستة عشر فى بيت القصيد تبلغ (ت) اثبتهُ وعلم عليه أربعة وستين ، وأضف إلى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين ، وزد واحداً الباقي من الدور الثانى عشر يكن تسعة ، ادخل بها فى صدر الجدول تبلغ ثلاثين زمامية ، وانظر ما فى السطح تجد واحداً أثبتهُ وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع أيضاً من البيت ، وادخل بتسعة فى صدر الجدول تقف على ثلاثة وهى عشرات ، فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد . فانقل فى ضلع ثمانية بواحد وأضف إلى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين ، وواحد الباقي من الدور الثانى عشر تبلغ سبعة عشر ، وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ، ادخل بها فى حروف الاوتار تكن لاماً اثبتها فهذا آخر العمل .

والمثال فى هذا السؤال السابق : أردنا أن نعلم أن هذه الزايرة علمٌ محدثٌ أو قديمٌ ، بطالعٍ أولٍ درجةٍ من القوس ، أثبتنا حروف الأوتار ، ثم حروف السؤال ، ثم الأصول ، وهى عدة الحروف ثلاثة وتسعون أدوارها سبعة الباقي منها تسعة ، الطالع واحد ، سلطان القوس أربعة ، الدور الأكبر واحد ، درج الطالع مع الدور اثنان ، ضرب الطالع مع الدور فى السلطان ثمانية ، اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد .

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن

غرائب شك ضبطه الجد مثلاً

حروف الاوتار : ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه
س ا ن ل م ن ص ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف
ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش ط ي ع ح ص ر و ح ر و
ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي .

(حروف السؤال) ال ز ا ي ر ج ة ع ل م م ح د ث ا
م ق د ي م الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث
١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩ الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس
١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع
١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور
الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي
٥ النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١ .

هـ ع ح و ٦ ٦ في اى ٦									
٢١	ذ	٢١	.	.	.
٢٢	ن	٢٢	.	.	.
٢٣	غ	٢٣	.	.	.
٢٤	ر	٢٤	.	.	.
٢٥	ا	٢٥	.	.	.
٢٦	ى	٢٦	.	.	.
٢٧	ب	٢٧	.	.	.
٢٨	ش	٢٨	.	.	.
٢٩	ك	٢٩	.	.	.
٣٠	ض	٣٠	.	.	.
٣١	ب	٣١	.	.	.
٣٢	ط	٣٢	.	.	.
٣٣	هـ	٣٣	.	.	.
٣٤	ا	٣٤	.	.	.
٣٥	ل	٣٥	.	.	.
٣٦	ج	٣٦	.	.	.
٣٧	د	٣٧	.	.	.
٣٨	م	٣٨	.	.	.
٣٩	ث	٣٩	.	.	.
٤٠	ل	٤٠	.	.	.
٤١	ا	٤١	.	.	.

فوزاوس ردا اس ا ب ا ر ق ا ع ا ر ص ح
 ر ح ل د ا ر س ا ل دى و س ر ا د م ن ا ل ل .

دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين إلى أن تنتهي إلى الواحد من آخر البيت وتنتقل الحروف جميعاً والله أعلم ن ف ر و ح ر و ح ال و د س ا د ر ر س ر ه ال د ر ي س و ا ن س د ر و ا ب لا ا م ر ب و ا ال ع ل ل .

هذا آخر الكلام في استخراج الأجوبة من زائجة العالم منظومة . وللقوم طرائق أخرى من غير الزائجة يستخرجون بها أجوبة المسائل غير منظومة . وعندهم أن السر في استخراج الجواب منظوماً من الزائجة ، إنما هو مزجهم بيت مالك بن وهيب وهو : سؤال عظيم الخلق البيت ، ولذلك يخرج الجواب على دويّه . وأما الطرق الأخرى فيخرج الجواب غير منظوم . فن طرائقهم في استخراج الأجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم .

فصل في الإطلاع على الأسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم أرشدنا الله وإياك أن هذه الحروف أصل الاسئلة في كل قضية ، وإنما تستنتج الأجوبة على تجزئته بالكلية ، وهي ثلاثة وأربعون حرفاً كما ترى والله علام الغيوب ا و ل ا ع ظ س ال م خ ي د ل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ي ب م ض ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا .

وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشدداً
من حرفين وسماه القطب فقال :

سؤالٌ عظيمُ الخلقِ حزتَ فصنِ إذن
غرائبَ شكِّ ضبطه الجدّ مثلاً

فاذا أردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها
واثبت ما فضل منه . ثم احذف من الأصل وهو القطب لكل
حرف فضل من المسئلة حرفاً يماثله ، وأثبت ما فضل منه . ثم امزج
الفضلين في سطر واحد تبدأ بالأول من فضله ، والثاني من فضل
المسئلة . وهكذا إلى أن يتم الفضلان أو ينفد أحدهما قبل الآخر ؛
فتضع البقية على ترتيبها . فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج
موافقاً لعدد حروف الأصل قبل الحذف فالعمل صحيح ، فحينئذ
تضيف إليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل
الحروف ثمانية وأربعين حرفاً ، فتعمر بها جدولاً مربعاً يكون آخر
ما في السطر الأول أول ما في السطر الثاني ، وتنقل البقية على
حالتها ، وهكذا إلى أن تتم عمارة الجدول . ويعود السطر الأول
بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ، ثم تخرج وتر
كل حرف بقسمه مربعاً على أعظم جزء يوجد له ، وتضع الوتر
مقابلاً لحرفه ، ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية ،
وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية
وأصولها الأصلية من الجدول الموضوع لذلك ، وهذه صورته :

١	القوى	الموازين	الفرائز	الاسوس	و
ب	٢٨ هـ	٤٥ ٤٤ ٤٣	٤٠ ٣٩ ٣٨	٣٧ ٣٦ ٣٥	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
ج	٤٥ ٤٤ ٤٣	٤٠ ٣٩ ٣٨	٣٧ ٣٦ ٣٥	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
د	٤٥ ٤٤ ٤٣	٤٠ ٣٩ ٣٨	٣٧ ٣٦ ٣٥	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
هـ	٤٥ ٤٤ ٤٣	٤٠ ٣٩ ٣٨	٣٧ ٣٦ ٣٥	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
و	٤٥ ٤٤ ٤٣	٤٠ ٣٩ ٣٨	٣٧ ٣٦ ٣٥	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
ز	٤٥ ٤٤ ٤٣	٤٠ ٣٩ ٣٨	٣٧ ٣٦ ٣٥	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

π
 π
 2π
 5π
 2π
 13π
 5π
 2π
 2π
 5π
 2π

ثم تأخذ وترَ كلِّ حرفٍ بعد ضربه في أسوسِ أوتادِ الفلكِ الأربعة ، واحذر ما يلي الأوتاد وكذلك السَّواقط لأنَّ نسبتها مضطربة . وهذا الخارج هو أوَّل رتبِ الشُّريانِ . ثم تأخذُ مجموعَ العناصرِ وتخط منها أسوس المولداتِ ، يبقى أسُّ عالمِ الخلقِ بعد عروضهِ للمددِ الكونيةِ ، فتحملُ عليه بعضَ المجرّداتِ عن الموادِّ وهي عناصر الامدادِ ، يخرجُ أفقُ النَّفسِ الأوسطِ ؛ وتطرح أوَّل رتبِ الشُّريانِ من مجموعِ العناصرِ يبقى عالمُ التوسُّطِ . وهذا مخصوصٌ بـعِوالمِ الأكوانِ البسيطةِ لا المركَّبةِ . ثم تضربُ عالمَ التوسُّطِ في

أفق النفس الأوسط يخرج الأفق الأعلى ، فتحمل عليه أول رتب السريان ، ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الأصلي يبقى ثالث رتبة السريان ؛ فتضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبدأ في رابع مرتبة السريان ، يخرج أول عالم التفصيل ؛ والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل ، والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل ، والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل . فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل ، تبقى العوالم المجردة ، فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول ، ويقسم المنكسر على الأفق الأوسط يخرج الجزء الثاني ، وما انكسر فهو الثالث ، ويتعين الرابع هذا في الرباعي . وإن شئت أكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الأوافق بعد الحروف . والله يرشدنا وإياك . وكذلك إذا قسم عالم التجريد على أول رتب السريان خرج الجزء الأول من عالم التركيب ، وكذلك إلى نهاية الرتبة الأخيرة من عالم الكون . فافهم وتدبر والله المرشد المعين .

ومن طريقهم أيضاً في استخراج الجواب ، قال بعض المحققين منهم : اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه ، أن علم الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم ، وللعمل به شرائط تلتزم . وقد يستخرج العالم أسرار الخليفة وسرائر الطبيعة ؛ فيطلع بذلك على نتيجتي الفلسفة ، أعني السيميا وأختها ، ويرفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب .

وقد شهدتُ جماعةً بأرضِ المغربِ ، ممن اتصل بذلك ، فأظهرَ الغرائبَ وخرقَ العوائدَ وتصرفَ في الوجودِ بتأييدِ الله .

واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة مع الصبر ، مفتاح كل خير ؛ كما أن الخرق والعجلة رأس الحرمان ، فأقول : إذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايبوس أعني أجد إلى آخر العدد ، وهذا أول مدخل من علم الحروف ، فانظر ما لذلك الحرف من الأعداد ، فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات . ثم اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره . وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة ، لأن المنقوطة منها مراتب لمعان ياتي عليها البيان فيما بعد .

واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي أعني الكرسي ، ومنها المتحرك والسكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في أماكنه من الجداول الموضوعة في الزيارج .

واعلم أن قوى الحروف ثلاثة أقسام : الأول وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها ؛ فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم ؛ فتخرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همه كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام . الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها ، فهي قوة في الروحانيات العلويات ، وقوة شكلية في عالم الجسمانيات .

الثابت وهو يجمع الباطن ، أعني القوة النفسانية على تكوينه ، فتكون قبل النطق به صورة في النفس ، بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق .

وأما طبائعها فهي الطبيعيات المنسوبة للمتولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة ، والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة والرطوبة ؛ فهذا سر العدد الياني ، والحرارة جامعة للهواء والنار وهما : (ا ه ط م ف ش ذ ج ز ك س ق ث ظ) ، والبرودة جامعة للهواء والماء (ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ) واليبوسة جامعة للنار والأرض (ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض)^(١) فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعضها في بعض . وتداخل أجزاء العالم فيها علويات وسفليات بأسباب الأتبات الأولى ، أعني الطبائع الأربع المنفردة ؛ فتي أردت استخراج مجهول من مسألة ما ، فحقق طالع السائل أو طالع مسئله واستنطق حروف أوتارها الأربعة : الأول والرابع والسابع والعاشر مستوية مرتبة ، واستخرج أعداد القوى والأوتار كما سنبين ، واحمل وانسب واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب ، إما بصريح اللفظ أو بالمعنى . وكذلك في كل مسألة تقع لك . بيانه : إذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع ، مع اسم السائل والحاجة ، فاجمع أعدادها بالجمال الكبير ؛ فكان الطالع الحمل رابعة السرطان

(١) علق الهوريني هنا بقوله : لعل هذه عبارة بعض المشارقة ، لأن هذا ترتيب المشارقة ، لا ترتيب المغاربة .

سابعة الميزانُ عاشره الجدي ، وهو أقوى هذه الاوتاد ، فاسقط من كلِّ برجٍ حرفي التعريف ، وانظر ما يخصُّ كلَّ برجٍ من الأعدادِ المنطقيةِ الموضوعية في دائرتها ، واحذف أجزاء الكسر في النسبِ الاستنتاجية كلها واثبت تحت كلِّ حرفٍ ما يخصه من ذلك ، ثم أعدّ حروف العناصرِ الأربعة وما يخصها كالآول . وارسم ذلك كله أحرفاً ورتّب الاوتاد والقوى والقرائن سطرًا ممتزجاً . وكسّر واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين ، واجمع واستنتج الجوابَ يخرج لك الضمير وجوابه . مثاله افرض أن الطالع الحمل كما تقدّم ، ترسم (ح م ل) : فللحاء من العدد ثمانية لها النصف والرّبع والثلث (د ب ا) الميم لها من العدد أربعون ، لها النصف والرّبع والثلث والعشر ونصف العشر اذا أردت التدقيق . (م ك ي ه د ب) اللام لها من العدد ثلاثون ، لها النصف والثلثان والثلث والخمس والسادس والعشر (ك ي و ه ج) . وهكذا تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك . وأما استخراج الأوتاد فهو أن تقسم مربع كلِّ حرفٍ على أعظم جزء يوجد له . مثاله : حرف (د) له من الاعداد أربعة مرّبعها ستة عشر ، اقسّمها على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وترًا لدال ثمانية . ثم تضع كلَّ وترٍ مقابلًا لحرفه . ثم تستخرج النسب العنصرية ، كما تقدّم في شرح الاستنطاق ، ولها قاعدة تطرّد في استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح . والله أعلم .

فصل في الاستدلال على ما في الضمان الخفية بالقوانين الدفوية

وذلك لو سأل سائلٌ عن عليلٍ لم يعرف مرضه ما علته ، وما الموافق لبرئه منه ؛ فَعُرَّ السَّائِلَ أَنْ يسميَ ما شاء من الأشياء على اسمِ العلةِ المجهولة ، لتجعل ذلك الاسم قاعدةً لك . ثم استنطق الاسمَ مع اسمِ الطالعِ والعناصرِ والسائلِ واليومِ والساعةِ إن أردتَ التدقيقَ في المسئلة ، والا اقتصرت على الاسم الذي سماه السائلُ ، وفعلتَ به كما نبينُ . فأقولُ مثلاً : سَمِيَ السَّائِلُ فَرَساً فَأُثِبَتِ الحروفُ الثلاثة مع أعدادِها المنطقة . بيانه : أَنَّ للفاء من العدد ثمانين ولها (م ك ي ح ب) ثم الراء لها من العدد مائتان (ق ن ك ي) ثم السين لها من العدد ستون ولها (م ل ك) فالواو عدد تام له (د ج ب) والسين مثله ولها (م ل ك) . فإذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين ، فاحكم لاكثرهما حروفاً بالغلبة على الآخر ، ثم احمل عددَ حروف عناصر اسمِ المطلوبِ وحروفه دون بسط ، وكذلك اسم الطالبِ واحكم للأكثر والأقوى بالغلبة .

وصفة قوس استخراج العناصر^(١)

فَتَكُونُ الغلبةُ هُنَا للترابِ وَطَبْعُهُ البرودةُ ، واليبوسةُ طَبْعُ السَّوداءِ ، فتَحْكُمُ على المريضِ بالسَّوداءِ . فإذا أَلْفَتَ من حروفِ

(١) بياض بالأصل مقدار ثلاثة أسطر .

الاستنتاج كلاماً على نسبةٍ تقريبيةٍ خرج موضعُ الوجعِ في الحلق ،
ويوافقه من الأدويةِ حقنة ، ومن الأشربةِ شراب الليمون . هذا
ما خرج من قوى أعدادِ حروفِ اسمِ فرسٍ وهو مثالٌ تقريبيٌ
مختصرٌ . وأما استخراجُ قوى العناصر من الأسماءِ العلميةِ فهو أن
تسميَ مثلاً محمداً ، فترسم أحرفه مقطعةً ، ثم تضعُ أسماءَ العناصرِ
الأربعةِ على ترتيبِ الفلكِ ، يخرج لك ما في كل عنصرٍ من الحروفِ
والعددِ . ومثاله

ناري	ترابي	هوائي	مائي
١ ١ ١	ب ب ب	ج ج ج ج ج ج ج	د د د د د د د
و و و	ز ز ز ز ز ز ز	ح ح ح ح ح ح ح	
ط ط ط	ي ي ي ي ي ي ي	ك ك ك ك ك ك ك	ل ل ل ل ل ل ل
م م م	ن ن ن ن ن ن ن	ص ص ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض ض ض ض ض	ق ق ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر ر ر
س س س	ت ت ت ت ت ت ت	ث ث ث ث ث ث ث	خ خ خ خ خ خ خ
ذ ذ ذ	ط ط ط ط ط ط ط	غ غ غ غ غ غ غ	ش ش ش ش ش ش ش

فتجدُ أقوى هذه العناصرِ من هذا الاسمِ المذكورِ عنصرَ
الماء ، لأنَّ عددَ حروفه عشرون حرفاً ، فجعلت له الغلبة على بقيةِ
عناصرِ الاسمِ المذكورِ ، وهكذا يفعلُ بجميعِ الأسماءِ . حينئذٍ
تضافُ إلى أوتارِها ، أو للوترِ المنسوبِ للطالعِ في الزايرةِ ، أو
لوترِ البيتِ المنسوبِ للمالكِ بن وهيب ، الذي جعله قاعدةً لمزجِ
الاسئلةِ وهو هذا :

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذن غرائب شك ضبطه الجد مثلاً

وهو وترٌ مشهورٌ لاستخراجِ المجهولاتِ ، وعليه كان يعتمدُ ابن الرقام وأصحابُهُ . وهو عملٌ تامٌّ قائمٌ بنفسِهِ في المثالاتِ الوضعيّةِ . وصفهُ العملُ بهذا الوترِ المذكورِ أن ترسمهُ مقطعاً ممتزجاً بألفاظِ السُّؤالِ على قانونِ صنعةِ التّكسيرِ . وعدّةُ حروفٍ هذا الوترِ أعني البيتَ ثلاثةً وأربعونَ حرفاً ، لأنّ كلّ حرفٍ مشدّدٍ من حرفين .

ثمّ تحذفُ ما تكرّرَ عند المَزَجِ من الحروفِ ومن الأصلِ ، لكلِّ حرفٍ فضلٌ من المسئلةِ حرفٍ يماثلهُ ، وتثبتُ الفضلينِ سطراً ممتزجاً بعضُهُ ببعضِ الحروفِ . الأوّلُ من فضلةِ القطبِ والثاني من فضلةِ السُّؤالِ ، حتى يتمّ الفضلتانِ جميعاً ، فتكونُ ثلاثةً وأربعينَ ، فتضيفُ إليها خمسَ نوناتٍ ليكونَ ثمانيةً وأربعينَ ، لتعدلَ بها الموازينَ الموسيقيةَ . ثمّ تضعُ الفضلةَ على ترتيبها فإن كان عدّدُ الحروفِ الخارجةِ بعد المَزَجِ يوافقُ العدّدَ الأصليَّ قبلَ الحذفِ فالعملُ صحيحٌ ، ثمّ عمر بما مزجتِ جدولاً مربّعاً يكونُ آخرُ ما في السّطرِ الأوّلِ أوّلَ ما في السّطرِ الثاني .

وعلى هذا السّوقِ حتى يعودَ السّطرُ الأوّلُ بعينه ، وتتوالى الحروفُ في القطرِ على نسبهِ الحركةِ . ثمّ تخرجُ وترَ كلّ حرفٍ كما تقدّمَ تضعهُ مقابلاً لحرفِهِ ، ثمّ تستخرجُ النّسبَ العنصريةَ للحروفِ الجدوليةِ ، لتعرفَ قوّتها الطّبيعيّةَ وموازينها الروحانيّةَ وغرائزها النفسانيّةَ وأسسها الأصليّةَ من الجدولِ الموضوعِ لذلكِ . وصفهُ استخراجِ النّسبِ العنصريّةِ هو أن تنظرَ الحرفَ الأوّلَ من الجدولِ

ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه ؛ فان اتفقت فحسن ، والا فاستخرج بين الحرفين نسبة . ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية . وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دواثرها الموسيقية . ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أوتاد الفلك الأربعة كما تقدم . واحذر ما يلي الأوتاد . وكذلك السواقط لأن نسبتها مضطربة . وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان . ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عروضه للمدد الكونية ، فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد ، يخرج أفق النفس الأوسط . وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط . وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة . ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الأوسط يخرج الأفق الأعلى ، فتحمل عليه أول رتب السريان ، ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الأصلي يبقى ثالث رتبة السريان . ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبداً في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل ، والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل ، وكذلك الثالث والرابع ، فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل ، تبقى العوالم المجردة ؛ فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول . ومن هنا يطرّد العمل في التامة . وله مقامات في كتب ابن حشية والبوني وغيرهما . وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية ، وعليه

مدادُ وضع الزيارج الحرفية والصنعة الالهية والنيرجات الفلسفية .
والله الملهم وبه المستعان وعليه التكلان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفصل الثالثون

علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك ، فيتصفّحون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك ، حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعدرات فضلاً عن المعادن . ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل ، مثل حل الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجد الذائب منها بالتكليس ، وإهاء الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك . وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الأكسير ، وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل ، مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً إبريذاً . ويكون عن ذلك الأكسير إذا ألغزوا اصطلاحاتهم بالروح ، وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد . فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي

الذي يقلب هذه الاجساد المستعدة إلى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء .

وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً . وربما يُعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها . وإمام المدونين فيها جابر ابن حيان حتى إنهم يخصصونها به فيسمونها : علم جابر ؛ وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالألغاز . وزعموا أنه لا يفتح مقفلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها . والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء . وكتب فيها مَسَلَمَةُ المجرطي من حكماء الأندلس كتابه الذي سماه رُبَّةَ الحكيم ، وجعله قريناً لكتابه الآخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم . وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ، ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع .

وكلامه في ذلك الكتاب ، وكلامهم أجمع في تأليفهم ، هي ألغاز يتعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك . ونحن نذكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والألغاز . ولابن المغيرة من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية ، على حروف المعجم ، من أبدع ما يجي في الشعر ، ملفوفة كلها لغز الأحاجي والمعاية ، فلا تكاد تفهم . وقد ينسبون للغزالي رحمه الله بعض التأليف فيها ، وليس بصحيح ، لأن الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطأ ما يذهبون إليه ، حتى ينتحله . وربما نسبوا بعض المذاهب

والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم .
ومن المعلوم البين أن خالداً من الجيل العربي ، واليدوة إليه
أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ؛ فكيف له بصناعة
غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها ؟
وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم
تترجم ، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك
الصناعية تشبه باسمه فمكن .

وأنا أنقل لك هنا رسالة أبي بكر بن بشرون ، لأبي السنج
في هذه الصناعة ، وكلاهما من تلاميذ مسلمة ، فيستدل من كلامه
فيها على ما ذهب إليه في شأنها إذا أعطيت حقه من التأمل .
قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض :
والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة ، قد ذكرها الأولون واقتص
جميعها أهل الفلسفة ، من معرفة تكوين المعادن وتخلق الأحجار
والجواهر وطباع البقاع والأماكن ؛ فمنعنا اشتهاؤها من ذكرها .
ولكن آتين لك من هذه الصنعة ما يحتاج إليه فنبداً بمعرفته .
فقد قالوا : ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولاً ثلاث خصال :
أولها هل تكون ؟ والثانية من أي تكون ؟ والثالثة من أي
كيف تكون ؟ فإذا عرف هذه الثلاثة وأحكمها فقد ظفر بمطلوبه
وبلغ نهايته من هذا العلم . فأما البحث عن وجودها والاستدلال
عن تكونها فقد كفيناكه بما بعثنا به إليك من الاكسير . وأما
من أي شيء تكون ؛ فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي

يمكنه العمل ، وإن كان العمل موجوداً من كل شيء بالقوة لأنها من الطبائع الأربع ، منها تركبت ابتداءً وإليها ترجع انتهاء . ولكن من الأشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل ، وذلك أن منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها . فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التى تخرج من القوة إلى الفعل ؛ والتى لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لأنها فيها بالقوة فقط ، وإنما لم يمكن تفصيلها لاستغراق بعض طبائعها فى بعض ، وفضل قوة الكبير منها على الصغير . فينبغى لك - وفمك الله - أن تعرف أوفق الأحجار المنفصلة التى يمكن فيها العمل وجنسها وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتنقية والتكليس والتنشيف والتقليب ، فإن من لم يعرف هذه الأصول التى هى عماد هذه الصنعة ، لم ينجح ولم يظفر بخير أبداً .

وينبغى لك ان تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بغيره أو يكتفى به وحده ، وهل هو واحد في الابتداء أو شاركه غيره فصار في التدبير واحداً فسمي حجراً . وينبغى لك أن تعلم كيفية عمله وكية أوزانه وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه ؟ وهل تقدير النار على تفصيلها منه بعد تركيبها . فان لم تقدير فلاي علم وما السبب الموجب لذلك ؟ فان هذا هو المطلوب فافهم .

واعلم أن الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت أنها المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه . وذلك أن الجسد إذا

خَرَجَتِ النَّفْسُ مِنْهُ مَاتَ وَبَرَدَ ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نَوَدَ . وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ الْجَسَدَ وَالنَّفْسَ ، لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَرْكِبُهُ عَلَى الْغَدَاءِ وَالسَّاءِ ، وَقَوَامُهُ وَقَامُهُ بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ النُّورَانِيَّةِ ، الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْعِظَامَ وَالْأَشْيَاءَ الْمُتَقَابِلَةَ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا بِالْقُوَّةِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِيهَا . وَإِنَّمَا انْفَعَلَ الْإِنْسَانُ لِاخْتِلَافِ تَرْكِيبِ طَبَائِعِهِ ، وَلَوْ اتَّفَقَتْ طَبَائِعُهُ لَسَلِمَتْ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالتَّضَادِّ ، وَلَمْ تَقْدِرِ النَّفْسُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَدْنِهِ ، وَلَكِنْ خَالِدًا بَاقِيًا . فَسَبْحَانَ مَدِيرِ الْأَشْيَاءِ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الطَّبَائِعَ الَّتِي يَحْدُثُ عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ كَيْفِيَّةٌ دَافِعَةٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، فِيزِيَّةٌ ، مُحْتَاجَةٌ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . وَلَيْسَ لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْحَدِّ أَنْ تَسْتَحِيلَ إِلَى مَا مِنْهُ تَرْكَبَتْ كَمَا قُلْنَا أَنْفَاءً فِي الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَصَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا ، شَبِيهًا بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا وَفِعْلِهَا ، وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِيبِهِ وَمَجَسَّتِهِ ؛ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مَفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا . فَيَا عَجَبًا مِنْ أَفَاعِيلِ الطَّبَائِعِ ، أَنَّ الْقُوَّةَ لِلضَّعِيفِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِيبِهَا وَقَامِيهَا ، فَلِذَلِكَ قُلْتُ : قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ . وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالْفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِلِاخْتِلَافِ ، وَعُذِمَ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِلاتِّفَاقِ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ : التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ ، وَالتَّرْكِيبُ مَوْتُ وَفَنَاءٌ . وَهَذَا الْكَلَامُ دَقِيقُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْحَكِيمَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ خُرُوجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ ، لِأَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى تَرْكِيبِهِ الْأَوَّلِ ، فَهُوَ فَإِنْ لَا مُحَالَةَ ؛ فَإِذَا دُرِكَ

التركيب الثاني عديم الفناء . والتركيب الثاني لا يكون إلا بعد التفصيل والتقطيع . فإذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة . فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة ، لأنه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها ، وذلك أنه لا وزن له فيه . وسترى ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد ينبغي لك أن تعلم أن اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ ، وإنما أريد بذلك التشاكل في الأرواح والأجساد ، لأن الأشياء تتصل بأشكالها . وذكرت لك ذلك لتعلم أن العمل أوفق وأيسر من الطبائع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمية . وقد يتصور في العقل أن الأحجار أقوى وأصبر على النار من الأرواح ؛ كما ترى أن الذهب والحديد والنحاس أصبر على النار من الكبريت والزئبق وغيرها من الأرواح . فأقول إن الأجساد قد كانت أرواحاً في بدنها ، فلما أصابها حر الكيان قلبها أجساداً لزجة غليظة ؛ فلم تقدر النار على أكلها لإفراط غليظها وتلزوجها . فاذا أفرطت النار عليها ، صيرتها أرواحاً ، كما كانت أول خلقها . وإن تلك الأرواح اللطيفة ، إذا أصابتها النار أبقّت ولم تقدر على البقاء عليها ، فينبغي لك أن تعلم ما صير الأجساد في هذه الحالة ، وصير الأرواح في هذا الحال ، فهو أجل ما تعرفه . أقول إنما أبقّت تلك الأرواح لاشتعالها ولطافتها . وإنما اشتعلت لكثرة رطوبتها ، ولأن النار إذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لأنها هوائية تشاكل النار ، ولا تزال تغذي بها إلى أن تنفد . وكذلك

الأجساد إذا أَحَسَّتْ بوصولِ النَّارِ إليها لِقَلَّةِ تَلزُّجِها وَغِلَظِها . وَإِنَّمَا صَارَتْ تِلْكَ الْأَجْسَادُ لَا تَشْتَعِلُ لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرٍ عَلَى النَّارِ ، فَلَطِيفُهُ مَتَّحِدٌ بِكَثِيفِهِ لَطُولِ الطَّبِخِ اللَّيِّنِ الْمَازِجِ لِلأَشْيَاءِ . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مِتَلَاشٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى بِالنَّارِ لِمَفَارَقَةِ لَطِيفِهِ مِنْ كَثِيفِهِ ، وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُوَافَقَةِ ؛ فَصَارَ ذَلِكَ الْإِنضْجَامُ وَالتَّدَاخُلُ بِجَاوِزَةٍ لَا مِمَّا زَجَةً ، فَسَهْلٌ بِذَلِكَ افْتِرَاقُهَا ، كَلَمَاءِ وَالدُّهْنِ وَمَا أَشَبَّهُمَا . وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِيلٍ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا . فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ شَافِئاً فَقَدْ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهَا .

وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ ، الَّتِي هِيَ طَبَائِعُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، مُوَافِقَةٌ لِبَعْضِهَا لِبَعْضٍ ، مَفْصَّلَةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ ، يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ بِتَدْبِيرٍ وَاحِدٍ ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ ، وَلَا فِي الْكُلِّ ، كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ : إِنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَدْبِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأَلَّفَهَا وَلَمْ تُدْخِلْ عَلَيْهَا غَرِيباً ، فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقَوَّامَهُ ؛ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا ، فَمَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهَا غَرِيباً فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي الْخَطِإِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ ، إِذَا حُلَّتْ بِهَا جَسَدٌ مِنْ قَرَائِنِهَا ، عَلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْحُلِّ ، حَتَّى يُشَاكِلَهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ ، انْبَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْثُمَا جَرَى ؛ لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسِطُ وَلَا تَتَزَاوَجُ ، وَحُلُّ الْأَجْسَادِ لَا يَكُونُ بِغَيْرِ الْأَرْوَاحِ . فَافْهَمْ هَذَاكَ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ .

واعلم هداك الله أن هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقض، وهو الذي يقلب الطبائع ويمسكها، ويظهر لها ألواناً وأزهاراً عجيبة. وليس كل جسد يحل خلاف هذا، هو الحل التام لأنه مخالف للحياة؛ وإنما حلّه بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار، حتى يزول عن الغلظ، وتنقلب الطبائع عن حالاتها إلى ما لها أن تنقلب من اللطافة والغلظ. فإذا بلغت الأجساد نهايتها من التحليل والتلطيف، ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ. وكل عمل لا يرى له مصداق في أوله، فلا خير فيه.

واعلم أن الباردة من الطبائع هو يبس الأشياء ويعقد رطوبتها، والحر منها يظهر رطوبتها ويعقد يبسها؛ وإنما أفردت الحر والبرد لانهما فاعلان، والرطوبة واليبس منفعلان، وعلى انفعال كل واحد منهما لصاحبه تحدث الأجسام وتتكون، وإن كان الحر أكثر فعلاً في ذلك من البرد، لأن البرد ليس له نقل الأشياء ولا تحركها، والحر هو علة الحركة. ومتى ضعفت علة الكون، وهو الحرارة، لم يتم منها شيء أبداً؛ كما أنه إذا أفرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد أحرقتة وأهلكته. فمن أجل هذه العلة احتيج إلى البارد في هذه الأعمال، ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار. ولم يحذر الفلاسفة أكثر شيء إلا من النيران المحرقة. وأمرت تطهير الطبائع والأنفاس وإخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتها وأوساخها عنها، على ذلك استقام رأيهم وتديبرهم؛ فإنما

عملهم إنما هو مع النارِ أَوْلاً ، وإليها يصيرُ آخرأ ، فلذلك قالوا :
 إياكم والنيران المحرقات ، وإنما أرادوا بذلك نفْي الآفات التي معها ،
 فتجمَعُ على الجسدِ آفتين ، فتكونُ أسرعَ لهلاكه . وكذلك كلُّ
 شيءٍ إنما يتلاشى ويفسُدُ من ذاته لتضادِّ طبائعه واختلافه ، فيتوسَّطُ
 بين شيئين ، فلم يجد ما يُقوِّيه ويعينه إلا قهرته الآفة وأهلكته .
 واعلم أن الحكماء كلَّها ذكرت تَرَدَّادَ الأرواحِ على الأجسادِ مراراً ،
 ليكونَ أَلَزَمَ إليها وأقوى على قتالِ النارِ إذا هي بأشْرَتها عندَ
 الألفةِ ، أعني بذلك النَّارَ العنصريَّةَ ؛ فاعلمه .

ولنقل الآن على الحجر الذي يمكنُ منه العملُ على ما ذكرته
 الفلاسفةُ ، فقد اختلفوا فيه . فمنهم من زعم أنه في الحيوانِ ؛
 ومنهم من زعم أنه في النَّباتِ ؛ ومنهم من زعم أنه في المعادنِ ،
 ومنهم من زعم أنه في الجميع . وهذه الدعاوى ليست بنا حاجةً إلى
 استقصائها ومناظرة أهلها عليها ، لأنَّ الكلامَ يطولُ جداً . وقد
 قلتُ فيما تقدَّم : إن العملَ يكونُ في كلِّ شيءٍ بالقوَّةِ لأنَّ الطَّبائعَ
 موجودةٌ في كلِّ شيءٍ فهو كذلك ، فنريدُ أن تعلمَ من أيِّ شيءٍ
 يكونُ العملُ بالقوَّةِ والفعلِ ، فنقصدُ إلى ما قاله الحرَّانيُّ ، إنَّ
 الصِّبْغَ كلَّه أحدُ صبغين : إمَّا صَبْغُ جسدٍ ، كالزَّعفرانِ في الثوبِ
 الأبيضِ حتى يحولَ فيه ، وهو مضمحلٌّ منتَقِضُ التركيبِ ؛ والصِّبْغُ
 الثاني تقليبُ الجوهرِ من جوهرٍ نفسه إلى جوهرٍ غيره ولونه ،
 كتقليبِ الشجرِ بل الترابِ إلى نفسه ، وقلبِ الحيوانِ والنَّباتِ إلى
 نفسه حتى يصيرَ الترابُ نباتاً والنَّباتُ حيواناً ؛ ولا يكونُ إلا

بالروح الحي والكيان الفاعل ، الذي له توليد الأجرام وقلب الأعيان . فاذا كان هذا هكذا ، فنقول : إنَّ العمل لا بدَّ أن يكون إما في الحيوان وإما في النبات ، وبرهان ذلك أنهما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما وتماهما . فأما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوَّة ، ولذلك قلَّ خوض الحكماء فيه . وأما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها ، وذلك أنَّ المعدن يستحيل نباتاً ، والنبات يستحيل حيواناً ، والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو أطف منه ؛ إلاَّ أن ينعكس راجعاً إلى الغلط ، وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء يتعلق به الروح الحية غيره ، والروح أطف ما في العالم ، ولم تتعلق الروح بالحيوان إلا بمشاكلته إياها . فأما الروح التي في النبات فإنها يسيرة فيها غلظ وكثافة ، وهي مع ذلك مستغرقة كائنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات ، فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه . والروح المتحرِّكة أطف من الروح الكامنة كثيراً ، وذلك أنَّ المتحرِّكة لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس ، وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده . ولا تجري إذا قيست بالروح الحية إلا كالأرض عند الماء . كذلك النبات عند الحيوان ، فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر . فينبغي للعاقل إذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلاً ويترك ما يخشى فيه عسراً .

واعلم أنَّ الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً من الأمهات التي هي الطبائع ، والحديثة التي هي المواليد ، وهذا معروف متيسر

الفهم . فلهذا قسمت الحكماء العناصر والمواليد أقساماً حيةً وأقساماً ميتةً ، فجعلوا كل متحركٍ فاعلاً حياً ، وكل ساكنٍ مفعولاً ميتاً . وقسموا ذلك في جميع الأشياء وفي الأجساد الذائبة وفي العقاقير المعدنية ، فسموا كل شيء يذوب في النار ويطير ويشعل حياً ، وما كان على خلاف ذلك سموه ميتاً . فأما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع أربعاً حياً ، وما لم ينفصل سموه ميتاً ، ثم انهم طلبوا جميع الأقسام الحية .

فلم يجدوا لوفق هذه الصناعة مما ينفصل فصولاً أربعة ظاهرة للعيان ، ولم يجدوا غير الحجر الذي في الحيوان ؛ فبحشوا عن جنسه حتى عرفوه وأخذوه ودبروه ، فتكيف لهم منه الذي أرادوا . وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ، ثم تُفصل بعد ذلك . فأما النبات ، فنه ما ينفصل ببعض هذه الفصول مثل الأشنان^(١) ؛ وأما المعادن ففيها أجساد وأرواح وأنقاس ، إذا مُزجت ودبرت ، كان منها ما له تأثير . وقد دبرنا كل ذلك ، فكان الحيوان منها أعلى وأرفع وتديره أسهل وأيسر . فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان ، وطريق وجوده . إنا بيننا أن الحيوان أرفع المواليد ، وكذا ما تركب منه فهو ألطف منه ، كالنبات من الأرض . وإنما كان النبات ألطف من الأرض ، لأنه إنما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف ، فوجب له

(١) الأشنان ما تغسل به الأيدي من الحمض . والأشنة شيء نباتي يتكون على الشجر والصخور (قاموس) .

بذلك اللطافة والرقة . وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب . وبالجملة فإنه ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائع أربعاً غيره . فافهم هذا القول فإنه لا يكاد يخفى ، إلا على جاهل بين الجمالة ومن لا عقل له . فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر وأعلمت أنك وأنا أبين لك وجوه تدابيرهِ ، حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من الانصاف ، إن شاء الله سبحانه .

التدبير على بركة الله : خذ الحجر الكريم ، فأودعه القرعة والإنبيق ، وفصل طبائعه الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء ، وهي الجسد والروح والنفس والصبغ . فإذا عزلت الماء عن التراب ، والهواء عن النار ، فارفع كل واحد في إنائه على حدة ، وخذ الهابط أسفل الإناء ، وهو الشفل^(١) فاغسله بالنار الحارة ، حتى تذهب النار عنه سواده ويذول غلظه وجفاؤه ، ويبيض تبييضاً محكماً وطير عنه فضول الرطوبات المستجنة فيه ، فإنه يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا تضاد . ثم اعتمد إلى تلك الطبائع الأول الصاعدة منه ، فطهرها أيضاً من السواد والتضاد ، وكرّر عليها الغسل والتصعيد حتى تلتطف وترق وتصفو . فإذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك ، فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل . وذلك أن التركيب لا يكون إلا بالتزويج والتعفين : فأما التزويج ، فهو اختلاط اللطيف بالغليظ ؛ وأما التعفين فهو التمشية والسحق ، حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيئاً واحداً لا اختلاف

(١) ما يستقر في أسفل الشيء من كدرة .

فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء . فعند ذلك يقوى الغليظُ على إمساك اللطيف ، وتقوى الروحُ على مقابلة النارِ وتصبر عليها ، وتقوى النفسُ على الغوصِ في الأجسادِ والديبِ فيها . وإنما وُجدَ ذلك بعد التركيب لأنَّ الجسدَ المحلولَ لما ازدوجَ بالروحِ مازجُهُ بجميعِ أجزائه ، ودخل بعضها في بعضٍ لتساكُلها فصارَ شيئاً واحداً ووجبَ من ذلك أن يعرضَ للروحِ من الصَّلاحِ والفسادِ والبقاءِ والشبوتِ ، ما يعرضُ للجسدِ لموضعِ الامتزاجِ .

وكذلك النفسُ إذا امتزجت بهما ، ودخلت فيهما بخدمة التدبيرِ اختلطت أجزاؤها بجميعِ أجزاء الآخرين ، أعني الروحَ والجسدَ ، وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلافَ فيه ، بمنزلةِ الجزء الكليِّ الذي سامت طبائعهُ واتفقت أجزاؤه . فاذا لقيَ هذا المركَّبُ الجسدَ المحلولَ ، وألحَّ عليه النارُ ، وأظهرَ ما فيه من الرطوبةِ على وجهه ، ذابَ في الجسدِ المحلولِ . ومن شأنِ الرطوبةِ الاشتعالُ وتعلقُ النارِ بها ، فإذا أرادتِ النارُ التعلقَ بها ، منعها من الاتحادِ بالنفسِ مازجةُ الماءِ لها . فإنَّ النارَ لا تتحدُّ بالدهنِ حتى يكونَ خالصاً . وكذلك الماءُ من شأنه النفورُ من النارِ . فاذا ألحَّت عليه النارُ وأرادتِ تطيرهُ حبسهُ الجسدُ اليابسُ المازجُ له في جوفه ، فنعتهُ من الطَّيرانِ ؛ فكان الجسدُ علةً لامساكِ الماءِ ، والماءُ علةً لبقاءِ الدهنِ ؛ والدهنُ علةً لثباتِ الصِّبغِ ، والصِّبغُ علةً لظهورِ الدهنِ ، واطهارِ الدهنيةِ في الأشياءِ المظلمةِ التي لا نورَ لها ولا حياةَ فيها . فهذا هو الجسدُ المستقيمُ وهكذا يكونُ العملُ . وهذه التصفيةُ التي سألتُ عنها

وهي التي سمّتها الحكماء بيضةً ، وإياها يعنون لا بيضة الدجاج .
واعلم أن الحكماء لم تسمّها بهذا الاسم لغير معنى بل أشبهتها . ولقد
سألت مسلّمة عن ذلك يوماً وليس عنده غيري ، فقلت له : أيها
الحكيمُ الفاضلُ ، أخبرني لأيّ شيء سمّت الحكماء مركّب الحيوان
بيضةً ؟ اختياراً منهم لذلك ، أم لمعنى دعاهم إليه ؟ فقال : بل لمعنى
غامضٍ اقلّلتُ : أيها الحكيمُ ، وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة
والاستدلال على الصّناعة ، حتى شبهوها وسمّوها بيضةً ؟ فقال
لشبهها وفرابتها من المركّب ، ففكر فيهِ ، فانه سيظهر لك معناه .
فبقيتُ بين يديه مفكراً لا أقدرُ على الوصول إلى معناه . فلما رأى
ما بي من الفكر ، وأن نفسي قد مضت فيها ، أخذ بعضدي وهزني
هزة خفيفةً ، وقال لي : يا أبا بكر ، ذلك للنسبة التي بينهما في
كميّة الألوان ، عند امتزاج الطّبايع وتأليفها . فلما قال ذلك انجلت
عني الظلمة ، وأضاء لي نور قلبي وقوي عقلي على فهمه . فنهضتُ
شاكراً لله عليه إلى منزلي ، وأقمتُ على ذلك شكلاً هندسياً يبرهنُ
به على صحّة ما قاله مسلّمة . وأنا واضعه لك في هذا الكتاب .

مثال ذلك ، أن المركّب إذا تمّ وكمل ، كان نسبة ما فيه
من طبيعة الهواء ، إلى ما في البيضة من طبيعة الهواء ، كنسبة
ما في المركّب من طبيعة النّار إلى ما في البيضة من طبيعة النّار ،
وكذلك الطّبعتان الأخريان : الأرض والماء ، فأقول : إن كلّ
شيئين متناسبين على هذه الصّفة فهما متشابهان . ومثال ذلك أن
تجملَ لسطح البيضة هزوح ، فإذا أردنا ذلك فإنّا نأخذ أقلّ طبائع

المركَّب ، وهي طبيعةُ اليُبوسةِ ، ونُضيفُ إليها مثلاً من طبيعةِ الرُّطوبةِ ونُدبِرُها حتى تنشَفَ طبيعةُ اليُبوسةِ طبيعةُ الرُّطوبةِ ، وتقبلَ قوَّتَها . وكانَ في هذا الكلامِ رمزاً ولكنَّهُ لا يخفى عليك . ثم تحيلُ عليهما جميعاً مثليهما من الروح وهو الماء ، فيكونُ الجميعُ ستّةَ أمثالٍ . ثم تحيلُ على الجميعِ بعد التدبيرِ مثلاً من طبيعةِ الهواءِ التي هي النفسُ ، وذلك ثلاثةُ أجزاءٍ ؛ فيكونُ الجميعُ تسعةَ أمثالٍ اليُبوسةِ بالقوَّةِ . وتجعلُ تحت كلِّ ضلعينِ من المركَّبِ الذي طبيعتهُ محيطَةٌ بسطحِ المركَّبِ طبيعتينِ ؛ فتجعلُ أولاً الضلعينِ المحيطينِ بسطحِ طبيعةِ الماءِ وطبيعةِ الهواءِ ، وهما ضلعاً [ا ح د] وسطح (أبجد) وكذلك الضلعانِ المحيطانِ بسطحِ البيضةِ اللذان هما الماءُ والهواءُ ضلعاً هزوحاً ، فأقولُ : إنَّ سطحَ أبجد يشبه سطحَ هزوحَ طبيعةِ الهواءِ التي تسمى نفساً ، وكذلك (بج) من سطحِ المركَّبِ . والحكمةُ لم تُسمِّ شيئاً باسمِ شيءٍ إلا لشبهه به . والكلماتُ التي سألتُ عن شرحها الأرضُ المقدَّسةُ ، وهي المنعقدةُ من الطَّبائعِ العلويَّةِ والسُّفليَّةِ . والنُّحاسُ هو الذي أُخرجَ سوادهُ وقُطِعَ حتى صارَ هَبَاءً ، ثم حُبِرَ بالزَّاجِ حتى صارَ نُحاسياً ، والمغنيسيا حجرُهم الذي تجمُدُ فيه الأرواحُ . وتخرِجُهُ الطبيعةُ العلويَّةُ التي تستجِنُ فيها الأرواحُ لتقابلَ عليها النارُ ، والفرفرةُ لونٌ أحمرُّ فإنَّ يُحدثُهُ الكيانُ . والرَّصاصُ حجرٌ ، ثلاثُ قوىٍ مختلفةٍ الشخوصِ ولكنها متشاكَّةٌ ومتجانسةٌ . فالواحدةُ روحانيَّةٌ نيرةٌ صافيةٌ وهي الفاعلةُ ؛ والثانيةُ نفسانيَّةٌ وهي متحرِّكةٌ حسَّاسةٌ ، غيرَ أنَّها أغلظُ من الأولى ومرکزها دونَ مركزِ الأولى ،

وَالثَّلَاثَةُ قُوَّةٌ أَرْضِيَّةٌ حَاسَّةٌ قَابِضَةٌ مَنَعِكِسَةٌ إِلَى مَرَكِزِ الْأَرْضِ لِثِقَلِهَا ،
وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ جَمِيعاً وَالْمَحِيطَةُ بِهِمَا . وَأَمَّا
سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَبِتَدَعَةٍ وَمَخْتَرَعَةٍ ، إِبَاساً عَلَى الْجَاهِلِ ، وَمَنْ عَرَفَ
الْمَقْدَمَاتِ اسْتَغْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَهَذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ
بِهِ إِلَيْكَ مَفْسُراً وَزَجَوُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ .

انتهى كلامُ ابنِ بَشْرُونَ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسْلَمَةَ
الْمَجْرِيطِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَا وَالسِّيمِيَا وَالسِّحْرِ فِي
الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَمَا بَعْدَهُ .

وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ أَلْفَاظَهُمْ كُلَّهَا فِي الصَّنَاعَةِ إِلَى الرَّمْزِ
وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي لَا تَكَادُ تُبَيِّنُ وَلَا تَعْرِفُ ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا
لَيْسَتْ بِصَّنَاعَةٍ طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يُجِبُّ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ ،
وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَعْضُدُهُ الْوَاقِعُ ، أَنَّهَا مِنْ جَنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ
الرُّوحَانِيَّةِ ، وَتَصَرُّفُهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ : إِمَّا مِنْ نَوْعِ الْكِرَامَةِ ،
إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً ؛ أَوْ مِنْ نَوْعِ السِّحْرِ ، إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ
شَرِّيرَةً فَاجِرَةً . فَأَمَّا الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ ؛ وَأَمَّا السِّحْرُ ، فَلَأَنَّ السَّاحِرَ ،
كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانِ تَحْقِيقِهِ ، يَقْلِبُ الْأَعْيَانَ الْمَادِّيَّةَ بِقُوَّتِهِ السِّحْرِيَّةِ .
وَلَا بَدَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فَعْلُهُ السِّحْرِيُّ فِيهَا ،
كَتَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوْ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ ،
وَبِالْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِ مَادَّتِهَا الْمَخْصُوصَةِ بِهَا ، كَمَا وَقَعَ لَسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ فِي
الْجِبَالِ وَالْعَصِيِّ ، وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ سَحَرَةِ السُّودَانِ وَالْهُنُودِ فِي قَاصِيَةِ

الجنوب ، والترك في قاصية الشمال ، أنهم يسحرون الجو للأطيار وغير ذلك .

ولما كانت هذه تخليقاً للذهب في غير مادته الخاصة به ، كان من قبيل السحر ، والمتكلمون فيه من أعلام الحكماء ، مثل جابر ومسلمة . ومن كان قبلهم من حكماء الأمم ، إنما فتحوا هذا المنحى ، ولهذا كان كلاً منهم فيه ألغازاً ، حذراً عليها من إنكار الشرائع على السحر وأنواعه ، لا أن ذلك يرجع إلى الضئالة بها ، كما هو رأي من لم يذهب إلى التحقيق في ذلك . وانظر كيف سمى مسلمة كتابه فيها رتبة الحكيم ، وسمى كتابه في السحر والطلسات غاية الحكيم ، إشارة إلى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه ؛ لأن الغاية أعلى من الرتبة ، فكأن مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات . ومن كلامه في الفنين يتبين ما قلناه ، ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم أن مدارك هذا الأمر بالصناعة الطبيعية . والله العليم الخبير .

الفصل الحادي والثلاثون

في إبطال الفاسدة وفساد منتحلها

هذا الفصل وما بعده مهم ، لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن . وضرتها في الدين كثير ، فوجب أن يُصدع بشأنها ويُكشف عن المعتقد الحق فيها . وذلك أن قوماً من عقلاء

النوع الإنساني زعموا أنَّ الوجودَ كُلَّهُ ، الحسيُّ منه وما وراءَ الحسيِّ ، تدركُ ذواته وأحواله بأسبابها وعِلَلها بالأنظارِ الفكريةِ والأقيسة العقليةِ ؛ وأنَّ تصحيحَ العقائدِ الإيمانيةِ من قبلِ النظرِ لا من جهةِ السَّمْعِ ، فإنَّها بعضُ من مداركِ العقلِ . وهؤلاءِ يسمُّونَ فلاسفةً ، جمعَ فيلسوفٍ ، وهو باللسانِ اليونانيِّ محبُّ الحكمةِ . فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوَّموا على إصابةِ الغرضِ منه ، ووضعوا قانوناً يهتدي به العقلُ في نظره إلى التمييزِ بينِ الحقِّ والباطلِ ، وسمَّوه بالمنطقِ . ومحصِّلُ ذلك أنَّ النظرَ الذي يفيدُ تمييزَ الحقِّ من الباطلِ ، إنما هو للذهنِ في المعاني المنتزعةِ من الموجوداتِ الشخصيةِ فيجرَّدُ^(١) منها أولاً صوراً منطبقةً على جميعِ الأشخاصِ ، كما ينطبقُ الطابعُ على جميعِ النقوشِ التي ترسُّبها في طينٍ أو شمعٍ . وهذه المجردةُ من المحسوساتِ تسمَّى المعقولاتِ الأوائلِ . ثم تجرَّدُ من تلكِ المعاني الكليةِ إذا كانت مشتركةً مع معاني أخرى ، وقد تميَّزت عنها في الذهنِ ، فتجرَّدُ منها معاني أخرى وهي التي اشتركتَ بها ، ثم تجرَّدُ ثانياً ، إن شاركتها غيرها ، وثالثاً ، إلى أن ينتهي التجريدُ إلى المعاني البسيطةِ الكليةِ ، المنطبقةِ على جميعِ المعاني والأشخاصِ ، ولا يكونُ منها تجريدٌ بعد هذا ، وهي الاجناسُ العاليةُ .

وهذه المجرداتُ كُلُّها من غيرِ المحسوساتِ هي من حيثِ تأليفِ بعضها مع بعضٍ لتحصيلِ العلومِ منها تسمَّى المعقولاتِ

(١) الضميرُ عائدٌ على الذهنِ ، والفعلُ مبنيٌّ للمعلومِ .

الثواني . فاذا نظرَ الفكرُ في هذه المعقولاتِ المجردة ، وطلب تصوُّرَ الوجودِ كما هو ، فلا بدَّ للذهنِ من إضافة بعضها إلى بعض ، ونفي بعضها عن بعض . بالبرهانِ العقليِّ اليقينيِّ ، ليحصلَ تصوُّرُ الوجودِ تصوُّراً صحيحاً مطابقاً إذا كان ذلك بقانونٍ صحيحٍ كما مرَّ . وصنفُ التصديقِ الذي هو تلك الإضافةُ والحكمُ متقدِّمٌ عندهم على صنفِ التصوُّرِ في النهاية ، والتصوُّرُ متقدِّمٌ عليه في البداية والتعليم ، لأنَّ التصوُّرَ التامَّ عندهم هو غايةُ الطلبِ الإدراكيِّ ، وإنما التصديقُ وسيلةٌ له ، وما تسمعه في كُتبِ المنطقيينِ من تقدُّمِ التصوُّرِ وتوقُّفِ التصديقِ عليه ، فبمعنى الشعورِ لا بمعنى العلمِ التامِّ ، وهذا هو مذهبُ كبيرهم أرسطو . ثم يزعمون أنَّ السَّعادةَ في إدراكِ الموجوداتِ كُلِّها ما في الحسِّ وما وراءَ الحسِّ بهذا النظرِ وتلك البراهين . وحاصلُ مدارِكِهِم في الوجودِ على الجملةِ وما آلت إليه ، وهو الذي فرَّعوا عليه قضايا أنظاريهم ، أنهم عثروا أولاً : على الجسمِ السفليِّ بحكمِ الشهودِ والحسِّ ؛ ثم ترقى إدراكُهم قليلاً فشعروا بوجودِ النفسِ من قبلِ الحركةِ والحسِّ بالحيواناتِ ؛ ثم أحسُّوا من قُوَى النفسِ بسلطانِ العقلِ . ووقفَ إدراكُهم فقصَّوا على الجسمِ العاليِ السماويِّ بنحوٍ من القضاءِ على أمرِ الذاتِ الانسانيةِ . ووجبَ عندهم أن يكونَ للقلِّكِ نفسٌ وعقلٌ كما للإنسانِ ، ثم أنهموا ذلك نهايةَ عددِ الآحادِ وهي العشرُ ، تسعُ مفصلةٌ ذواتها جملٌ وواحدٌ أوَّلٌ مفردٌ وهو العاشرُ . ويزعمون أنَّ السَّعادةَ في إدراكِ الوجودِ على هذا النحوِ من القضاءِ مع تهذيبِ النفسِ ، وتخلُّقِها

بالفضائل ، وأنَّ ذلك ممكِنٌ للإنسانِ ، ولو لم يرد شرعٌ لتمييزِهِ بين الفضيلةِ والرَّذيلةِ من الأفعالِ بمقتضى عقلِهِ ونظرِهِ ، وميله إلى الحمودِ منها ، واجتنابه للعُذومِ بفطريتهِ ، وأنَّ ذلك إذا حصلَ للنفسِ حصلت لها البهجةُ واللذةُ ، وأنَّ الجهلَ بذلك هو الشَّقاءُ السَّرمديُّ ، وهذا عندهم هو معنى النِّعيمِ والعذابِ في الآخرةِ إلى خبطٍ لهم في تفاصيلِ ذلك معروفٍ من كلماتهم .

وإمامُ هذه المذاهبِ ، الذي حصَّلَ مسائلها ودوَّنَ علمها وسطَّرَ حجاجها ، فيما بلغنا في هذه الأحقابِ ، هو أرسطو المقدونيُّ من أهلِ مقدونيةَ من بلادِ الرومِ من تلاميذِ أفلاطونَ ، وهو معلِّمُ الاسكندرِ ويسمونهُ : المعلِّمُ الأوَّلُ على الإطلاقِ ، يعنونَ معلِّمَ صناعةِ المنطقِ ، إذ لم تكن قبله مَهذبةٌ . وهو أوَّلُ من رتبَ قانونها واستوفى مسائلها وأحسَّ بسطها . ولقد أحسنَ في ذلك القانونِ ما شاء ، لو تكفَّلَ له بقصديهم في الآكليات . ثم كان من بعده في الاسلامِ من أخذَ بتلك المذاهبِ واتَّبَعَ فيها رأيهُ حَذَوِ النُّعْلِ بالنُّعْلِ إلا في القليلِ وذلك أن كُتِبَ أولئك المتقدِّمينَ ، لما ترجمها الخلفاءُ من بني العباسِ من اللسانِ اليونانيِّ إلى اللسانِ العربيِّ تصفَّحها كثيرٌ من أهلِ المِلَّةِ ، وأخذَ من مذاهبهم من أضلَّهُ اللهُ من منتحلي العلومِ وجادلوا عنها واختلفوا في مسائلَ من تفاريعها ، وكان من أشهرِهِم أبو نصرٍ الفارابيُّ في المائةِ الرابعةِ لعهد سيف الدولة ، وأبو عليٍّ بن سينا في المائةِ الخامسةِ لعهد نظامِ الملكِ من بني بويه بأصبهانَ وغيرها .

واعلم أنَّ هذا الرأيَ الذي ذهبوا إليه باطلٌ يجمعُ وجوههُ .

فأما إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفاؤهم به في الترقى إلى الواجب ، فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله ، فالوجود أوسع نطاقاً من ذلك ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وكأنهم في اقتصاريهم على إثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين ، المقتصرين على إثبات الأجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل ، المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء . وأما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات ، ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه ؛ فهي قاصرة وغير وافية بالغرض . أما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعي ، فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والأقيسة كما في زعمهم ، وبين ما في الخارج غير يقيني . لأن تلك أحكام ذهنية كلية عامة ، والموجودات الخارجية متشخصة بموادها . ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي ، اللهم إلا ما يشهد له الحس من ذلك ، فدليله شهوده لا تلك البراهين ، فأين اليقين الذي يحدونه فيها ؟ وربما يكون تصرف ذهن أيضاً في المعقولات الأول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لا في المعقولات الثواني التي تجريدها في الرتبة الثانية ، فيكون الحكم حينئذ يقينياً بمثابة المحسوسات . إذ المعقولات الأول أقرب إلى مطابقة الخارج ، لكمال الانطباق فيها ، فنسلم لهم حينئذ دعاويهم في ذلك . إلا أنه ينبغي لنا الإعراض عن النظر فيها ، اذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه ، فإن مسائل

الطبيعيّات لا تهْمُنَا في ديننا ولا معاشنا فوجِبَ علينا تركها .

وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحسّ وهي الروحانيّاتُ ويسمونه العلمَ الإلهيَّ وعِلْمَ ما بعدَ الطّبيعةِ ، فإنّ ذوايتها مجهولةٌ رأساً ، ولا يمكنُ التّوصُّلُ إليها ولا البرهانُ عليها لأنّ تجريدَ المعقولاتِ من الموجوداتِ الخارجيّةِ الشخصيّةِ إنّما هو ممكنٌ فيما هو مدركٌ لنا . ونحن لا ندركُ الذّواتِ الروحانيّةَ ، حتّى نُجرّدَ منها ماهيّاتٍ أخرى بحجابِ الحسّ بيننا وبينها ، فلا يتأتّى لنا برهانٌ عليها ولا مُدركٌ لنا في اثباتِ وجودِها على الجملّةِ ؛ إلا ما نجده بين جنبينا من أمرِ النفسِ الانسانيّةِ وأحوالِ مدارِكِها ، وخصوصاً في الرّؤيا التي هي وجدانيّةٌ لكلِّ أحدٍ ، وما وراءَ ذلك من حقيقتها وصفاتها فأمرٌ غامضٌ لا سبيلَ إلى الوقوفِ عليه .

وقد صرّحُ بذلك محقّقوهم ، حيثُ ذهبوا إلى أنّ ما لا مادّةَ له لا يمكنُ البرهانُ عليه ، لأنّ مقدّماتِ البرهانِ من شرطها أن تكونَ ذاتيّةً . وقال كبيرُهم أفلاطون : إنّ الإلهيات لا يوصَلُ فيها إلى يقينٍ ، وإنّما يقالُ فيها بالأحقّ والاولى ، يعني الظنّ . وإذا كنا إنّما نحصلُ بعدَ التّعبِ والنّصبِ على الظنّ فقط ، فيكفيّنا الظنّ الذي كان أوّلاً ، فأيّ فائدةٍ لهذه العلومِ والاشتغالِ بها ، ونحن إنّما عنايتنا بتحصيلِ اليقينِ فيما وراءَ الحسّ من الموجوداتِ ؛ وهذه هي غايةُ الأفكارِ الانسانيّةِ عندهم .

وأما قولهم إنّ السّعادةَ في إدراكِ الموجوداتِ على ما هي عليه

بتلك البراهين ، فقولٌ مزيفٌ مردودٌ ، وتفسيره أن الإنسان مركَّبٌ من جزأين : أحدهما جسمانيٌّ والآخرُ روحانيٌّ ممتزجٌ به ؛ ولكل واحدٍ من الجزأين مداركٌ مختصةٌ به ، والمدركُ فيهما واحدٌ ، وهو الجزءُ الروحانيُّ ؛ يدركُ تارةً مداركُ روحانيةٌ وتارةً مداركُ جسمانيةٌ ، إلا أن المداركُ الروحانيةَ يدركُها بذاتهٍ بغيرِ واسطةٍ ، والمداركُ الجسمانيةُ بواسطةِ آلاتِ الجسمِ من الدماغِ والحواسِّ . وكلُّ مدركٍ فله ابتهاجٌ بما يدركُهُ . واعتبره بحالِ الصبيِّ في أوَّلِ مداركه الجسمانيةِ التي هي بواسطةٍ ، كيف يبتهجُ بما يُبصرُهُ من الضوءِ وبما يسمعهُ من الأصواتِ ، فلا شكَّ أن الابتهاجَ بالادراكِ الذي للنفسِ من ذاتها بغيرِ واسطةٍ يكونُ أشدَّ وألذَّ . فالتَّنفُّسُ الروحانيةُ إذا شعرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغيرِ واسطةٍ ، حصلَ لها ابتهاجٌ ولذةٌ لا يعبرُ عنها ، وهذا الادراكُ لا يحصلُ بنظرٍ ولا علمٍ ، وإنما يحصلُ بكشفِ حجابِ الحسِّ ونسيانِ المداركِ الجسمانيةِ بالجملةِ .

والتصوِّفُ كثيراً ما يعنونَ بحصولِ هذا الادراكِ للنفسِ بحصولِ هذه البهجةِ ، فيحاولونَ بالرياضةِ إماتةَ القوى الجسمانيةِ ومداركها ، حتى الفكرِ من الدماغِ ، ليحصلَ للنفسِ إدراكُها الذي لها من ذاتها عند زوالِ الشَّواغِبِ والموانعِ الجسمانيةِ ، فيحصلُ لهم بهجةٌ ولذةٌ لا يعبرُ عنها . وهذا الذي زعموه بتقديرِ صحتهِ مسلَّمٌ لهم ، وهو مع ذلك غيرُ وافٍ بمقصودِهِمْ .

فأما قولُهُمْ : إن البراهينَ والأدلةَ العقليةَ محصَّلةٌ لهذا النوعِ من الإدراكِ والابتهاجِ عنه ، فباطلٌ كما رأيتُهُ ، إذ البراهينُ والأدلةُ

من جملة المدارك الجسمانية ، لأنها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر . ونحن نقول إنَّ أوَّل شيء نعى به في تحصيل هذا الإدراك إماتة هذه القوى الدماغية كلها ، لأنها منازعة له قاذحة فيه . وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة وتلاخيص ابن رشد للقص من تأليف أرسطو وغيره ، يُبَغِّضُ أوراقها ويتوثق من براهينها ، ويلتمس هذا القسط من السعادة فيها ، ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من الموانع عنها . ومستندهم في ذلك ما ينقلونه عن أرسطو والفارابي وابن سينا أن من حصل له إدراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظاً من هذه السعادة .

والعقل الفعال عندهم عبارة عن أوَّل رتبة ينكشف عنها الحس من رتب الروحانيات ، ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الإدراك العلمي ، وقد رأيت فسادَهُ . وإنما يعني أرسطو وأصحابه بذلك الاتصال والإدراك ، إدراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة ، وهو لا يحصل إلا بكشف حجاب الحس .

وأما قولهم : إنَّ البهجة الناشئة عن هذا الإدراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل أيضاً ، لأننا إذا تبين لنا بما قرروه أن وراء الحس مدركاً آخر للنفس من غير واسطة ، وأنها تبتهج بإذراكها ذلك ابتهاجاً شديداً ؛ وذلك لا يعين لنا أنه عين السعادة الأخروية ، ولا بد ؛ بل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة .

وأما قولهم : إنَّ السَّعَادَةَ في إدراكِ هذه الموجوداتِ على ما هي عليه ، فقولٌ باطلٌ مبنيٌّ على ما كنا قدَّمناه في أصلِ التَّوْحِيدِ من الأوهامِ والأغلاطِ ، في أنَّ الوجودَ عند كلِّ مدركٍ منحصرٌ في مدارِكِهِ ، وبيننا فسادَ ذلك ، وأنَّ الوجودَ أوسعُ من أن يُحاطَ به أو يُستوفى إدراكُهُ بِمَجْمَلِهِ روحانياً أو جسمانياً . والذي يحصلُ من جميع ما قرَّرناه من مذاهِيبِهِمْ أنَّ الجزءَ الروحانيَّ إذا فارقَ القُوَى الجَسَمِيَّةَ أدركَ إدراكاً ذاتياً له مختصاً بصنفٍ من المدارِكِ ، وهي الموجوداتُ التي أحاطَ بها عِلْمُنَا ، وليس بعامِّ الإدراكِ في الموجوداتِ كُلِّهَا ؛ إذ لم تنحصرْ ، وأنه يبتَّهِجُ بذلك النحورُ من الإدراكِ ابتهاجاً شديداً ، كما يبتَّهِجُ الصَّبِيُّ بمداركِهِ الحَسِّيَّةِ في أوَّلِ نشوئِهِ . ومن لنا بعد ذلك بادراكِ جميعِ الموجوداتِ أو بحصولِ السَّعَادَةِ التي وعدنا بها الشَّارعُ أن لم نعملْ لها ، هيئاتٍ هيئاتٍ لما توعدون . وأما قولهم : إنَّ الإنسانَ مستقِلٌّ بتَهْذِيبِ نفسه وإصلاحِها بمَلَابَسَةِ المَحْمُودِ مِنَ الخُلُقِ ومُجَانِبَةِ المَذْمُومِ ، فأمرٌ مبنيٌّ على أنَّ ابتهاجَ النفسِ بادراكِها الذي لها من ذاتِها هو عينُ السَّعَادَةِ الموعودِ بها ، لأنَّ الرَّذَائِلَ عاتِقةٌ للنفسِ عن تمامِ إدراكِها ذلك بما يحصلُ لها من المَلَكاتِ الجَسَمِيَّةِ وألوانِها .

وقد بينَّا أنَّ أثرَ السَّعَادَةِ والشَّقَاوَةِ من وراءِ الإدراكاتِ الجَسَمِيَّةِ والروحانيَّةِ . فهذا التَّهْذِيبُ الذي توَّصَّلوا إلى معرفتِهِ إنما نفعُهُ في البَهْجَةِ النَّاشِئَةِ عن الإدراكِ الروحانيِّ فقط ، الذي هو على مَقاييسَ وقوانينَ . وأما ما وراءَ ذلك من السَّعَادَةِ التي وعدنا

بها الشارح ، على امثال ما أمر به من الأعمال والأخلاق ؛ فأمر
لا يحيط به مدارك المدرسين . وقد تنبّه لذلك زعيمهم أبو علي ابن
سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه : إن المعاد الروحاني
وأحواله هو مما يتوصل إليه بالبراهين العقلية والمقاييس ، لأنه على
نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة ، فلنا في البراهين عليه
سعة . وأما المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن إدراكه بالبرهان ،
لأنه ليس على نسبة واحدة ، وقد بسطته لنا الشريعة الحقّة
الحمدية ، فلينظر فيها ، ولنرجع في أحواله إليها .

فهذا العلم ، كما رأيته ، غير واف بمقاصدهم التي حوّموا عليها ،
مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها . وليس له فيما علمنا إلا
ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة ، والحجاج لتحصيل
ملكة الجودة ، والصواب في البراهين . وذلك أن نظم المقاييس
وتركيبها على وجه الإحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعاتهم
المنطقية ، وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية ، وهم كثيراً ما
يستعملونها في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها ؛
فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشروطها على ملكة
الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات ؛ لأنها وإن كانت
غير وافية بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الانظار .
هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم
وآرائهم ومضارها ما علمت . فليكن الناظر فيها متحرراً جهده
من معاطيها ، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات

والإطلاع على التفسير والفقه ، ولا يُكَبَّنُ أحدٌ عليها وهو يخلو
من علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها . والله الموفق للصواب
والحق والهادي إليه . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الفصل الثاني والثلاثون

في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في
عالم العناصر قبل حدوثها ، من قبل معرفة قوى الكواكب
وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردةً ومجمعةً . فتكون لذلك
أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع نوع
من أنواع الكائنات الكلية والشخصية . فالمتقدمون منهم يرون
أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو أمر تقصُر
الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله ، إذ التجربة إنما تحصل في
المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن . وأدوار
الكواكب منها ما هو طويل الزمن ، فيحتاج تكرره إلى آمار
وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم . وربما
ذهب ضعفاء منهم إلى أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت
بالوحي وهو رأي فائل ، وقد كفونا مؤونة إبطاله .

ومن أوضح الأدلة فيه أن تعلم أن الأنبياء ، عليهم الصلاة

والسَّلامُ ، أبعَدُ الناسِ عن الصَّنائعِ ، وأنهم لا يتعرَّضونَ للأخبارِ
عن الغيبِ إلَّا أن يكونَ عن الله ؛ فكيف يدعونَ استنباطَهُ
الصَّنَاعَةِ ، ويشيرونَ بذلك لتابعيهم من الخلقِ . وأمَّا بطليموسُ
ومَن تبعَهُ من المتأخِّرينَ فيرونَ أنَّ دَلالةَ الكواكبِ على ذلك
دَلالةٌ طَبِيعِيَّةٌ من قبلِ مزاجٍ يحصلُ للكواكبِ في الكائناتِ
العنصريَّةِ ، قال لأنَّ فعلَ النِّيرِ وأثرُها في العنصريَّاتِ ظاهرٌ لا
يسعُ أحداً جحدُهُ ، مثل فعلِ الشمسِ في تبدُّلِ الفصولِ وأمزجَتِها
ونُضجِ الثمارِ والزَّرعِ وغير ذلك ، وفعلِ القمرِ في الرطوباتِ والماءِ
وإنضاجِ الموادِّ المتعفِّنةِ وفواكِهِ القِناء^(١) وسائرِ أفعاله .

ثم قال : ولنا فيما بعدها من الكواكبِ طريقتان : الأولى
التقليدُ لمن نقلَ ذلك عنه من أئمةِ الصناعةِ ، إلَّا أنه غيرُ مقنعٍ
للنفسِ . والثانيةُ الحدسُ والتجربةُ بقياسِ كلِّ واحدٍ منها إلى
النِّيرِ الأعظمِ الذي عرفنا طبيعتهُ وأثرَهُ معرفةً ظاهرةً ، فننظرُ
هل يزيدُ ذلك الكوكبُ عندَ القِرانِ في قوِّتهِ ومزاجِهِ ، فتُعَرَفُ
موافقتهُ له في الطَّبيعةِ ، أو ينقصُ عنها فتُعَرَفُ مضادُّتهُ . ثم إذا
عرفنا قواها مفردةً عرفناها مركَّبةً ، وذلك عند تناظرِها بأشكالِ
التَّمثيلِ والترَّبيعِ وغيرهما ، ومعرفةُ ذلك من قبلِ طبائعِ البروجِ
بالقياسِ أيضاً إلى النِّيرِ الأعظمِ .

وإذا عرفنا قوَى الكواكبِ كلها فهي مؤثِّرةٌ في الهواءِ ،

(١) قِناء جمع قِناة : حفرة توضع فيها النخلة (قاموس).

ويراد بفواكه القِناء : فواكه الأشجار التي تغرس في الحفر .

وذلك ظاهرٌ . والمزاجُ الذي يحصلُ منها للهواءُ يحصلُ لما تحتها من المولداتِ ، وتتخلقُ به النطفُ والبُرْزُ فتصيرُ حالاً للبدنِ المتكوّنِ عنها ، وللنفسِ المتعلّقةِ به الفائضةِ عليه المكتسبةِ لما لها منه ، ولما يتبعُ النفسَ والبدنَ من الأحوالِ ، لأنَّ كميّاتِ البُرْزِ والنطفةِ كميّاتٌ لما يتولّدُ عنهما وينشأُ منهما . قال وهو مع ذلك ظنيٌّ وليسَ من اليقينِ في شيءٍ وليسَ هو أيضاً من القضاءِ الإلهيِّ يعني القدرَ ، إنَّما هو من جملةِ الأسبابِ الطبيعيّةِ للكائنِ ، والقضاءِ الإلهيِّ سابقٌ على كل شيءٍ . هذا مُحصّلُ كلامِ بطليموسَ وأصحابه ، وهو منصوصٌ في كتابه الأربعِ وغيره . ومنه يتبيّنُ ضعفُ مُدركِ هذه الصّناعةِ . وذلك أنَّ العلمَ الكائنَ أو الظنَّ به إنَّما يحصلُ عن العلمِ بجملةِ أسبابه من الفاعلِ والقابلِ والصورةِ والغايةِ ، على ما تبينَ في موضعه . والقوى النّجوميّةُ على ما قرّره إنَّما هي فاعلةٌ فقط والجزءُ المُنصّريُّ هو القابلُ . ثم إنَّ القوى النّجوميّةُ ليست هي الفاعلُ بجملتها ، بل هناك قوى أخرى فاعلةٌ معها في الجزء المادّيِّ مثلُ قوّةِ التوليدِ للأب والنّوعِ التي في النطفةِ ، وقوى الخاصّةِ التي تميّزُ بها صنفٌ صنفٌ من النّوعِ وغير ذلك .

فالقوى النّجوميّةُ إذا حصلَ كلّها وحصلَ العلمُ فيها ، إنَّما هي فاعلٌ واحدٌ من جملةِ الأسبابِ الفاعلةِ للكائنِ . ثم إنه يشترطُ مع العلمِ بقوى النّجومِ وتأثيراتها مزيدُ حدسٍ وتخمينٍ ، وحينئذٍ يحصلُ عنده الظنُّ بوقوعِ الكائنِ . والحدسُ والتخمينُ قوىٌ للنّاظرِ في فكره وليسَ من عللِ الكائنِ ولا من أصولِ الصّناعةِ ، فاذا فُقدَ

هذا الخلدس والتَّخمينُ رجعت ادراجها عن الظنِّ إلى الشكِّ . هذا إذا حصل العلمُ بالقوى النُّجوميَّةِ على سدادِهِ ولم تعترضهُ آفةٌ ، وهذا معوزٌ لما فيه من معرفة حساباتِ الكواكب في سيرها لتُعرَفَ به أوضاعُها ، ولما أن اختصاصَ كلِّ كوكبٍ بقوةٍ لا دليل عليه .

ومدرك بطليموسَ في إثباتِ القوى للكواكب الخمسة بقياسها إلى الشمسِ مدركٌ ضعيفٌ ، لأنَّ قوَّةَ الشمسِ غالبَةٌ لجميعِ القوى من الكواكبِ ؛ ومستوليةٌ عليها ؛ فقلَّ أن يُشعرَ بالزيادةِ فيها أو النقصانِ منها عند المقارَنةِ كما قال ، وهذه كُلُّها قاذحةٌ في تعريفِ الكائناتِ الواقعةِ في عالمِ العناصرِ بهذه الصَّناعةِ . ثم إنَّ تأثيرَ الكواكبِ فيما تحتهَا باطلٌ ، إذ قد تبَيَّنَ في باب التوحيدِ أن لا فاعِلَ إلا اللهُ ، بطريقِ استدلالٍ كما رأيته . واحتجَّ له أهلُ علمِ الكلامِ ، بما هو غنيٌّ عن البيانِ ، من أن إسنادَ الأسبابِ إلى المسبَّباتِ مجهولُ الكيفيَّةِ ، والعقلُ متَّهمٌ على ما يقضي به فيما يظهرُ بادىءِ الرأي من التأثيرِ ، فلعلَّ استنادَها على غير صورةِ التأثيرِ المتعارفِ . والقدرةُ الالهيةُ رابطةٌ بينهما كما ربطت جميع الكائناتِ علوًّا وسفلاً ، سيما والشرعُ يردُّ الحوادثَ كُلَّها إلى قدرةِ الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك .

والنبوءاتُ أيضاً منكِّرةٌ لشان النُّجومِ وتأثيراتها . واستقرأه الشرعياتُ شاهدٌ بذلك في مثلِ قوله : إنَّ الشمسَ والقمرَ لا يُخسَفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته ، وفي قوله : أصبحَ من عبادي مؤمنٌ

بي وكافرٌ بي . فأما من قال مُطَرْنَا بفضلِ الله ورحمتهِ فذلك مؤمنٌ
بي كافرٌ بالكواكب ، وأما من قال مُطَرْنَا بنوء كذا فذلك كافرٌ
بي مؤمنٌ بالكواكب ، الحديثُ الصحيحُ .

فقد بان لك بطلانُ هذه الصنّاعةِ من طريقِ الشرعِ ، وُضعفُ
مدارِها مع ذلك من طريقِ العقلِ ، مع ما لها من المضارِّ في
العُمرانِ الإنسانيِّ ، بما تبعثُ في عقائدِ العوامِّ من الفسادِ إذا اتفقَ
الصدقُ من أحكامِها في بعضِ الأحيان اتفاقاً لا يرجعُ إلى تعليلٍ
ولا تحقيقٍ ، فيلجُ بذلك من لا معرفةَ له ، ويظنُّ اطرادَ الصديقِ
في سائرِ أحكامِها وليسَ كذلك . فيقعُ في ردِّ الأشياءِ إلى غيرِ
خالِقِها . ثم ما ينشأ عنها كثيراً في الدولِ من توقُّعِ القواطعِ ، وما
يُبعثُ عليه ذلك التوقُّعُ من تطاولِ الأعداءِ المتربِّصينَ بالدولةِ إلى
الفتكِ والثورةِ . وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فينبغي أن تُحظرَ هذه
الصنّاعةُ على جميعِ أهلِ العُمرانِ ، لما ينشأ عنها من المضارِّ في
الدينِ والدولِ ، ولا يقدحُ في ذلك كونُ وجودِها طبعياً للبشرِ
بمقتضى مدارِهم وعلومِهم . فالخيرُ والشرُّ طبيعتانِ موجودتانِ في
العالمِ لا يمكنُ نزعُهما ، وإنما يتعلَّقُ التكليفُ بأسبابِ حُصولِهما ،
فيتعيَّنُ السعيُّ في اكتسابِ الخيرِ بأسبابِهِ ودفعِ أسبابِ الشرِّ والمضارِّ .
هذا هو الواجبُ على مَنْ عَرَفَ مفاسدَ هذا العلمِ ومضارَّهُ .

وَلْيُعَلِّمْ مَنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا ، فَلَا يُمْكِنُ
أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ تَحْصِيلُ عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا ، بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا
نَاضِرٌ وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ . فَإِنَّ

الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد اجتمع من أهل العمران لقراءتها والتحقيق لتعليمها ، وصار المولع بها من الناس ، وهم الأقل وأقل من الأقل ، إنما يطالع كتبها ومقالاتها في كسر بيته مستترا عن الناس وتحت ربة الجمهور ، مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم ، فكيف يحصل منها على طائل ؟

ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه ديناً ودنياً وسهلت مأخذه من الكتاب والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ، ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المدارس وكثرة المجالس وتعددها ، إنما يجذب فيه الواحد بعد الواحد في الأعصار والأجيال . فكيف يعلم مهجور للشريعة ، مضروب دونه سد الحظر والتحریم ، مكتوم عن الجمهور ، صعب المأخذ ، محتاج بعد الممارسة والتحصیل لأصوله وفروعه إلى مزيد حدس وتخمين يكتنفان به من الناظر ، فأين التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها . ومدعي ذلك من الناس مردود على عقيه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين أهل الملة وقلة حملته ، فاعتبر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبنا اليه . والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه أحداً .

ومما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر . عندما غلب العرب عساكر السلطان أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر إرجاف الفريقين الأولياء والاعداء ، وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء أهل تونس :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ
أُصْبِحُ فِي تُونِسَ وَأُمْسِي
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَايَا
وَالنَّاسُ فِي مِرْيَةٍ وَحَرْبٍ
فَأَحْمَدِي يَرَى عَلِيًّا
وَأَخْرُ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا
يَا رَايِدَ الْخُسِّ الْجَوَارِي
مَطْلُتُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ
مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ
وَيَنْصَفُ شَهْرٌ وَعُشْرُ ثَانٍ
وَلَا نَرَى غَيْرَ زَوْرِ قَوْلٍ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا
رَضِيتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السَّوَارِي
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضَى
صَلَّتْ عَقُولُ تَرَى قَدِيمًا
وَحَكَمَتْ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِزَاءَ مُرٍّ
اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي

قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهَنَاءُ
وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ
يُجِدُّهَا الْهَنْجُ وَالْوَبَاءُ
وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمَرَاءُ
حَلٌّ بِهِ الْهَلَكُ وَالْتَوَاءُ
بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًا رِخَاءُ
يَقْضَى لِعَبْدِيهِ مَا يَشَاءُ
مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءُ
أَنْتُمْ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ
وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاءُ
وَتَاكَ ضَمُّ الْقَضَاءِ
أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ اذِذَرَاهُ
أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ
حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَاةُ
إِلَّا عِبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ
وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ
مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ
يُجِدُّهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ
تَغْدُوهُمُ تُرْبَةٌ وَمَاءُ
مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ

ولا الهَيُولَى التي تُنادي ماليَ عن صورةٍ عَراءِ
ولا وُجودُ ولا انعدامُ ولا ثُبوتُ ولا انتفاءُ
ولستُ أدري ما الكسبُ إلا ما جَلَبَ البيعُ والشِراءُ
وإنما مَذْهبي وديني ما كَانَ والناسُ أولياءُ
إذ لا فصولُ ولا أصولُ ولا جِدالُ ولا ارتِباءُ
ما تبعَ الصدرُ^(١) واقتفينا يا حَبذا كَانَ الاقتفاءُ
كانوا كما يعلمونَ منهم ولم يكن ذلكَ الهُذاءُ
يا أشعريَّ الزمانِ إني أشعَرنِي الصيفُ والشتاءُ
أنا أُجزى بالشرِّ شرًّا^(٢) والخيرُ عن مثله جِزاءُ
وإنني إن أَكُنْ مُطيعاً فلستُ أعصي ولي رجاءُ
وإنني تحتَ حكمِ بادٍ أطاعَهُ العرشُ والثِراءُ
ليس انتصارُ لكم ولكن أتاحَهُ الحُكمُ والعِضاءُ
لو حَدِثَ الأشعريُّ عمن لَهُ إلى رأيهِ انتماءُ
لقالَ أَخبرْهُمْ باني مما يقولونهُ بَراءُ

(١) يقصد به صدر الإسلام.

(٢) في نسخة أخرى: «لم أجز بالشر غير شر» وهو أصح من ناحية الوزن.

الفصل الثالث والثلاثون

في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها
وما ينشأ من المفسد عن انتدالها

اعلم ان كثيراً من العاجزين عن معاشهم تحيلهم المطامع على انتحال هذه الصنائع ، ويرون أنها أحد مذاهب المعاش ووجوهه وأن اقتناء المال منها أيسر وأسهل على مبتغيه ؛ فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحُكَّام وخسارة الأموال في النفقات ، زيادة على النيل من غرضه والمطبخ آخر إذا ظهر على خيبة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وإنما أطمعهم في ذلك رؤية أن المعادن تستحيل وينقلب بعضها إلى بعض للمادة المشتركة ؛ فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة ، ويحسبون أنها من إمكانات عالم الطبيعة ، ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعية عندهم للعلاج ، المسماة عندهم بالجحر المكرم هل هي العذرة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا أو كذا مما سوى ذلك .

وجملة التدبير عندهم بعد تعيين المادة أن تمهي بالقهر على حجب صلد أملس وتسقى أثناء إمهاها بالماء ، بعد أن يضاف إليها من العقاقير والأدوية ما يناسب القصد منها ، ويؤثر في انقلابها إلى

المعدن المطلوب . ثم تجفف بالشمس من بعد السقي أو تطبخ بالنار أو تصعد أو تكلس لاستخراج ماؤها أو ترابها . فإذا رضي بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته أصول صنعه ، حصل من ذلك كله تراب أو مائع يُسمونه الإكسير ، ويؤمنون أنه إذا أُلقي على الفضة المحماة بالنار عادت ذهباً ، أو النحاس الحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله .

ويؤمن المحققون منهم أن ذلك الإكسير مادة مركبة من العناصر الأربعة ، حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه إليها ، وتقلبه إلى صورتها ومزاجها ، وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى ، كالخبرة للخبز ، قلب العجين إلى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفشاش والمشاشة ، ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعاً إلى الغذاء . وكذا إكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن ، يصرفه إليهما ويقلبه إلى صورتها .

هذا يحصل زعيمهم على الجملة ، فتجدد هم عاكفين على هذا العلاج . يبتغون الرزق والمعاش فيه ، ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب لأئمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم ، ويتناظرون في فهم لغزها وكشف أسرارها ، إذ هي في الأكثر تشبه المعنى . كتأليف جابر بن حيان في رسائله السبعين ، ومسلمة المجريطي في كتابه رتبة الحكيم ، والطفرائي والمغبري في قصائده العريقة في إجادة النظم وأمثالها ، ولا يحلون من بعد هذا كله بطلان منها .

فاوضتُ يوماً شيخنا أبا البركاتِ التلفيفي^(١) ، كبيرَ مشيخةِ الأندلسِ في مثل ذلك ووقفتهُ على بعضِ التآليفِ فيها ؛ فتصفحةً طويلاً ، ثم ردهُ إليّ وقال لي ، وأنا الضامنُ له أن لا يعودَ إلى بيتهِ إلا بالحِبةِ . ثم منهم من يقتصرُ في ذلك على الدلسةِ فقط . إما الظاهرةُ ، كتمويهِ الفضةِ بالذهبِ ، أو النحاسِ بالفضةِ أو خلطهما على نسبةِ جزءٍ أو جزأينِ أو ثلاثةٍ ؛ أو الحفيةِ كالقاءِ الشبهِ بين المعادنِ لصناعةٍ ، مثل تبييضِ النحاسِ وتليينه بالزُّوقِ المصعدِ ، فيجني جسمًا معدنيًا شبيهاً بالفضةِ ، ويخفي إلا على التقادِ المهرةِ ؛ فيقدِّرُ أصحابُ هذهِ الدُّلسِ ، مع ذلستهم^(٢) هذه ، سكةً يسربونها في الناسِ ويطبعونها بطابعِ السُّلطانِ تمويهاً على الجمهورِ بالخلاصِ وهؤلاءِ أخسُّ الناسِ حِرْفَةً وأسوأهم عاقبةً لتلبسهم بسرقةِ أموالِ الناسِ ؛ فإنَّ صاحبَ هذهِ الدُّلسةِ إنما هو يدفعُ نحاساً في الفضةِ وفضةً في الذهبِ ، ليستخلصها لنفسه ؛ فهو سارقٌ وأشرُّ من السارقِ . ومعظمُ هذا الصنفِ لدينا بالمغربِ من طلبَةِ البربرِ المنتبذينِ بأطرافِ البقاعِ ومساكنِ الأغمارِ ، يأوونَ إلى مساجِدِ الباديةِ ويموِّهونَ على الأغنياءِ منهم ، بأنَّ بأيديهم صناعةَ الذهبِ والفضةِ ، والنفوسُ مولعةٌ بحبهما والاستهلاكُ في طلبهما ، فيحصلونَ من ذلك على معاشٍ . ثم يبقى ذلك عندهم تحتِ الخوفِ والرَّقبةِ ، إلى أن يظهرَ العجزُ وتقعَ الفضيحةُ ، فيفِرُّونَ إلى موضعٍ آخرَ ، ويستجدُّونَ

(١) في لسان العرب: الدلس (بفتح الدال وسكون اللام): الخديعة والدلسة (بضم الدال) الظلمة.

حالاً أخرى في استهواء بعض أهل الدنيا باطماعهم فيما لديهم . ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم . وهذا الصنف لا كلام معهم ، لأنهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ؛ ولا حاسم لعلتهم إلا اشتداد الحكماء عليهم ، وتناولهم من حيث كانوا ، وقطع أيديهم متى ظهروا على شائهم ، لأن فيه إفساداً للسكة التي تعم بها البلوى ، وهي متمول الناس كافة . والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها . وأما من انتحل هذه الصناعة ، ولم يرض بحال الدلسة ؛ بل استكف عنها وزه نفسه عن إفساد سكة المسلمين ونقودهم ، وإنما يطلب إحالة الفضة للذهب ، والرصاص والنحاس والقصدير إلى الفضة بذلك النحو من العلاج ، وبالاكسير الحاصل عنده ؛ فلنا مع هؤلاء متكلم وبحت في مداركهم لذلك . مع أنا لا نعلم أن أحداً من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه على بغية . إنما تذهب أعمارهم في التدبير والفهر^(١) والصلابة والتصعيد والتكليس واعتيام الأخطار بجمع العقاقير والبحث عنها . ويتناقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم ، ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول ، يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ؛ ولا يستريبون في تصديقها ، شأن الكلفين المغرمين بوساوس الأخبار فيما يكلفون به ، فإذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعينة أنكروه ، وقالوا إنما سمعنا ولم نر . هكذا شأنهم في كل عصر وجيل .

(١) في لسان العرب: الفهر: «الحجر قدر ما يندق به الجوز ونحوه، وقيل هو حجر يملأ الكف». وقد استعملت هنا فعلاً، بمعنى الدق.

واعلم أن انتحال هذه الصنعة قديمٌ في العالم ، وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين . فلننقل مذاهبهم في ذلك ، ثم نتلوهُ بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الأمر في نفسه ، فنقول : إن مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة المنطوقة ، وهي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصين : هل هي مختلفات بالفصول ، وكلها أنواع قائمة بأنفسها ؛ أو أنها مختلفة بخواص من الكيفيات ، وهي كلها أصناف لنوع واحد ؟ فالذي ذهب إليه أبو نصر الفارابي ، وتابعه عليه حكما الأندلس أنها نوع واحد ، وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات ، من الرطوبة واليبوسة واللين والصلابة والألوان ، من الصفرة والبياض والسواد ، وهي كلها أصناف لذلك النوع الواحد . والذي ذهب إليه ابن سينا ، وتابعه عليه حكما المشرق ، أنها مختلفة بالفصول ، وأنها أنواع متباينة ، كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته ، له فصل وجنس شأن سائر الأنواع . وبني أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع إمكان انقلاب بعضها إلى بعض ، لإمكان تبديل الأغراض حينئذٍ وعلاجها بالصناعة . فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة سهلة المأخذ . وبني أبو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع انكار هذه الصناعة واستحالة وجودها ، بناء على أن الفصل لا سبيل بالصناعة إليه ؛ وإنما يخلقه خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل . والفصول مجعولة الحقائق رأساً بالتصور ، فكيف يُحاول انقلابها

بالصنعة . وغلطة الطفرائي من أكابر أهل هذه الصناعة ي هذا القول . ورد عليه بأن التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وإبداعه ، إنما هو اعداد المادة لقبوله خاصة . والفصل يأتي من بعد الإعداد من لدن خالقه وبارئه ، كما يفيض النور على الأجسام بالصقل والإمهاء .

ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوّره ومعرفته ، قال : « وإذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض الحيوانات ، مع الجهل بفصولها ، مثل العقرب من التراب والنّس ، ومثل الحيات المتكوّنة من الشعر ، ومثل ما ذكره أصحاب الفلاحة من تكوين النحل إذا فقدت من عجاجيل البقر . وتكوين القصب من قرون ذوات الظلف وتصيره سكرًا بحشو القرون بالمسل بين يدي ذلك الفلاح للقرون ، فما المانع إذاً من العشور على مثل ذلك في الذهب والفضة ؟ فتتخذ مادةً تضيفها للتدبير بعد أن يكون فيها استعداد أول لقبول صورة الذهب والفضة . ثم تحاولها بالعلاج الى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها » . انتهى كلام الطفرائي بمعناه . وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح . لكن لنا في الرد على أهل هذه الصناعة ، مأخذاً آخر يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم أجمعين ، لا الطفرائي ولا ابن سينا . وذلك أن حاصل علاجهم أنهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد الأول يجعلونها موضوعاً ويجاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى إحالتها ذهباً أو فضة ، ويضاعفون القوى

الفاعلة والمنفعلة ليتم في زمانٍ أقصر . لأنه تبين في موضعه أن مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله ، وتبين أن الذهب إنما يتم كونه في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين ، دورة الشمس الكبرى . فاذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتحررون بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة تُصيرها كالخيرية ، فتفعل في الجسم المعالج الأفاعيل المطلوبة في حالته ، وذلك هو الأكسير على ما تقدم .

واعلم أن كل متكون من المولدات العنصرية ، فلا بد فيه من اجتماع العناصر الأربعة على نسبة متفاوتة ، إذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها ؛ فلا بد من الجزء الغالب على الكل . ولا بد في كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية ، هي الفاعلة لكونه ، الحافظة لصورته . ثم كل متكون في زمان ، فلا بد من اختلاف أطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور إلى طور ، حتى ينتهي إلى غايته . وانظر شأن الإنسان في طور النطفة ، ثم العلقية ، ثم المضغة ، ثم التصوير ، ثم الجنين ، ثم المولود ، ثم الرضيع ، ثم إلى نهايته . ونسب الأجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها ، وإلا لكان الطور بعينه الأول هو الآخر ، وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الآخر . فانظر إلى الذهب ما يكون له في معدنه من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين ، وما ينتقل فيه من الأحوال ؛ فيحتاج صاحب

الكيمياء إلى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدين ، ويجاذيه بتدبيره وعلاجه إلى أن يتم .

ومن شرط الصناعة أبداً تصوُّر ما يُقصدُ إليه بالصنعة . فن
الأمثال السائرة للحكام : أوَّل العملِ آخرُ الفِكرَةِ ، وآخرُ الفِكرَةِ
أوَّلُ العملِ . فلا بدُّ من تصوُّر هذه الحالاتِ للذهب في أحواله
المتعدِّدة ونسبها المتفاوتة في كل طورٍ ، واختلافِ الحارِّ الغريزيِّ
عند اختلافها ومقدار الزمانِ في كل طورٍ وما ينوبُ عنه من مقدار
القوى المضاعفة ، ويقومُ مقامه حتى يجاذي بذلك كَلِّه فعل الطبيعة
في المعدين أو تُعدُّ لبعض الموادِّ صورةً مزاجيةً تكون كصورة
الخميرة للخبز ، وتفعلُ في هذه المادَّةِ بالنسبة لقواها ومقاديرها .
وهذه كلها إنما يحصرها العلمُ المحيطُ ، والعلومُ البشريَّةُ قاصرةٌ عن
ذلك . وإنما حالُ من يدَّعي حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمشابهة
من يدَّعي بالصنعة تخليق إنسانٍ من المنيِّ . ونحن إذا سلَّمنا له
الإحاطة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تخليقه في رحمهِ ، وعلم
ذلك علماً محصَّلاً بتفاصيله ، حتى لا يشذُّ منه شيءٌ عن علمهِ ، سلَّمنا
له تخليقَ هذا الإنسانِ ، وأتَّى له ذلك ١١

ولنقرَّب هذا البرهانَ بالاختصارِ ليسهلَ فهمه فنقول : حاصلُ
صناعة الكيمياء ، وما يدَّعونه بهذا التدبير أنه مساوقةُ الطبيعة
المعدنية بالفعل الصناعيِّ ، ومحاذاتها به ، إلى أن يتمَّ كونُ الجسمِ
المعدنيِّ ؛ أو تخليقُ مادَّةٍ بقوى وأفعالٍ وصورةٍ مزاجيةٍ تفعلُ في
الجسمِ فعلاً طبيعياً فتصيرُهُ وتقلِّبُهُ إلى صورتها . والفعلُ الصناعيُّ

مسبوقٌ بتصوراتِ أحوالِ الطبيعةِ المعديّةِ ، التي يقصّدُ مساوقتها أو محاذاتها ، أو فعلَ المادّةِ ذاتِ القوى فيها ، تصوّراً مفصّلاً واحدة بعد أخرى . وتلكَ الأحوالُ لا نهايةَ لها ، والعلمُ البشريُّ عاجزٌ عن الإحاطةِ بما دونها ، وهو بمثابة من يقصّدُ تخليقَ إنسانٍ أو حيوانٍ أو نباتٍ .

هذا محصلُ هذا البرهانِ وهو أوثقُ ما علمتُهُ ، وليست الاستحالة فيه من جهةِ الفُصولِ كما رأيتهُ ولا من الطبيعةِ ، إنّا هو من تمذّرِ الإحاطةِ وقُصورِ البشَرِ عنها . وما ذكره ابنُ سينا بمعزلٍ عن ذلك ، وله وجهٌ آخرٌ في الاستحالةِ من جهةِ غايتهِ . وذلك أنَّ حكمةَ الله في الحَجَرينِ ، وندورِهما أنهما قيمٌ لمكاسبِ الناسِ وتممولاّتهم . فلو حُصِلَ عليهما بالصنعةِ لبطلت حكمةُ الله في ذلك ، ولكثُرَ وجودهما حتى لا يحصلَ أحدٌ من اقتنائها على شيء . وله وجهٌ آخرٌ من الاستحالةِ أيضاً ، وهو أنَّ الطبيعةَ لا تتركُ أقربَ الطُرُقِ في أفعالها وترتكِبُ الأعوصَ والأبعدَ . فلو كان هذا الطريقُ الصناعيُّ الذي يزعمون أنه صحيحٌ ، وأنه أقربُ من طريقِ الطبيعةِ في معديّتها وأقلُّ زماناً ، لما تركتهُ الطبيعةُ إلى طريقها الذي سلكتهُ ، في كونِ الفِضّةِ والذهبِ وتخلّيقهما . وأمّا تشبيهُ الطُفرائيِّ هذا التدييرَ بما عُثِرَ عليه من مفرداتٍ لأمثاله في الطبيعةِ كالعقربِ والنحلِ والحيةِ وتخليقها ، فأمرٌ صحيحٌ في هذه أدّى إليه العثورُ كما زعم . وأمّا الكيمياءُ فلم يُنقلَ عن أحدٍ من أهلِ العلمِ أنه عثرَ عليها ولا على طريقها ، وما زالَ منتحلوها يخبِطون فيها خبطَ عشواءٍ إلى هلمَّ جراً ،

ولا يظفرون إلا بالحكايات الكاذبة . ولو صحَّ ذلك لأحدٍ منهم لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه ، وتنوّل في الأصدقاء وضمن تصديقه صحّة العمل بعده إلى أن ينتشر ويبلغ إلينا أو إلى غيرنا . وأما قولهم إنّ الأكسير بمثابة الخمرة وأنه مُرْكَبٌ يُحِيلُ ما يحصل فيه ويقلّبه إلى ذلك ، فاعلم أنّ الخمرة إنّما تقلّب العجين وتُعيدّه للضم وهو فسادٌ ، والفساد في المواد سهل يقع بأيسر شيء من الأفعال والطباع . والمطلوب بالأكسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، فهو تكوينٌ وصالحٌ ، والتكوين أصعب من الفساد ، فلا يقاس الأكسير بالخمرة . وتحقيق الأمر في ذلك أن الكيمياء إن صحَّ وجودها كما ترعّم الحكماء المتكلمون فيها ، مثل جابر بن حيّان ومسلمة بن أحمد الجريطي وأمثالهم ؛ فليست من باب الصنائع الطبيعية ، ولا تتمّ بأمرٍ صناعيٍّ . وليس كلامهم فيها من منحنى الطبيعيات ، إنّما هو من منحنى كلامهم في الأمور السخرية وسائر الخوارق ، وما كان من ذلك للحلاج وغيره ، وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك . وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المنحنى . وهذا كلام جابر في رسائله . ونحو كلامهم فيه معروفٌ ولا حاجة بنا إلى شرحه . وبالجملة فأمرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع . فكما لا يتدبّر ما منه الخشب والحيوان في يومٍ أو شهرٍ خشباً أو حيواناً فيما عدا مجرى تخليقه ؛ كذلك لا يتدبّر ذهبٌ من مادة الذهب في يومٍ ولا شهرٍ ولا يتغير طريق عادته إلا بإرفادٍ مما وراء عالم الطباع وعمل

الصنائع ، فكذلك من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيّع ماله وعمله . ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم ، لأن نيله إن كان صحيحاً فهو واقعٌ مما وراء الطبائع والصنائع ، فهو كالشيء على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف الأجساد ، ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة ؛ أو . مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الأنبياء . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ . وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلفٌ بحسب حال من يؤتاها . فربما أوتيتها الصالح ويؤتيها غيره ، فتكون عنده مُعارة . وربما أوتيتها الصالح ولا يملك إتياءها ، فلا تتم في يد غيره .

ومن هذا الباب يكون عملها سحرياً ، فقد تبين أنها إنما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة إما مُعجزةً أو كرامةً أو سحراً . ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها الغازاً ، لا يظفرو بحقيقته إلا من خاض لُجّة من علم السحر وأطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة . وأمور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحدٌ إلى تحصيلها . والله بما يعملون محيطٌ .

وأكثر ما يجمل على التماس هذه الصناعة وانتحالها هو كما قلناه العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش ، وابتغاؤه من غير وجوهه الطبيعية ، كالفلاحة والتجارة والصناعة ، فيستصعب العاجز ابتغاؤه من هذه ، ويروم الحصول على الكثير من المال دفعةً بوجوه غير

طبيعية من الكيمياء وغيرها . وأكثر من يُغنى بذلك القُفراء من أهل العُمران . وللناس أقوال كثيرة — حتى في الحكماء المتكلمين — في إنكارها واستحالتها . فإن ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء ، فكان من أهل الغنى والثروة ، والفارابي القائل بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يُعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه . وهذه تهمّة ظاهرة في أنظار النفوس المولعة بطريقها وانتحالها . والله الرزاق ، ذو القوّة المتين ، لا ربّ سواه .

الفصل الرابع والثلاثون

في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم أنه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم ، وتعدّد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك . وحينئذ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلّها أو أكثرها ومراعاة طرقها . ولا يفي عمره بما كُتب في صناعة واحدة إذا تجرّد لها ، فيقع الفُصُول ولا بدّ دون رتبة التحصيل . ويمثّل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدوّنة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات الفقهية ، مثل كتاب ابن يونس واللمخي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتيقة ،

وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كُتِبَ عليه . ثم إنه يحتاجُ إلى تمييزِ الطريقةِ القيرَوانيةِ من القُرطبيةِ والبغداديةِ والمصريةِ وطرقِ المتأخرينَ عنهم ، والاحاطةِ بذلكِ كُلِّه ، وحينئذٍ يُسَلِّمُ له منصبُ الفتيا وهي كُلُّها متكررةٌ والمعنى واحدٌ . والمتعلِّمُ مطالبٌ باستحضارِ جميعها وتمييزِ ما بينها ، والعمرُ ينقضي في واحدٍ منها .

ولو اقتصرَ المَعْلَمُونَ بالمتعلِّمينَ على المسائلِ المذهبيةِ فقط ، لكانَ الأمرُ دونَ ذلكِ بكثيرٍ ، وكانَ التعليمُ سهلاً ومأخذُهُ قريباً ؛ ولكنَّهُ داءٌ لا يرتفعُ لاستقرارِ العوائدِ عليه ، فصارتِ كالطبيعةِ التي لا يمكنُ نقلُها ولا تحوِيلُها . ويمثِّلُ أيضاً عِلْمُ العَرَبِيَّةِ من كتابِ سيبويه ، وجميعِ ما كُتِبَ عليه ، وطرقِ البصريينَ والكوفيِّينَ والبغداديينَ والأندلسيينَ من بعدهم ، وطرقِ المتقدمينَ والمتأخرينَ مثلهِ ابنُ الحاجبِ وابنُ مالكٍ وجميعِ ما كُتِبَ في ذلكِ . وكيفِ يطالبُ به المتعلِّمُ ، وينقضي عمرُهُ دونهُ ، ولا يطمعُ أحدٌ في الغايةِ منه إلا في القليلِ النادرِ ؟ ! مثل ما وصلَ إلينا بالمغربِ لهذا العهدِ ، من تأليفِ رجلٍ من أهلِ صناعةِ العَرَبِيَّةِ من أهلِ مصرَ يُعرفُ بابنِ هشامٍ ، ظهرَ من كلامه فيها انه استولى على غايةٍ من مَلَكَةِ تلكَ الصَّنَاعَةِ ، لم تحضِلْ إلا لسبويه وابنِ جنيٍّ وأهلِ طبقتِهما ، لعظمِ ملكتهِ وما أحاطَ به من أصولِ ذلكِ الفنِّ وتقاريرهِ وحسنِ تصرفِهِ فيه . ودلَّ ذلكِ على أنَّ الفضلَ ليس منحصراً في المتقدمينَ ، سيما مع ما قدَّمناه من كثرةِ الشواغِبِ بتعددِ المذاهبِ والطُرُقِ والتأليفِ ، ولكنَّ فضلَ الله يُؤتيه من يشاء . وهذا نادرٌ من نوادرِ

الوجود ، وإلا فالظاهرُ أَنَّ المتعلِّمَ ولو قطعَ عمره في هذا كَلِّه ، فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلاتِ ووسيلة ، فكيف يكونُ في المقصودِ الذي هو الثمرة ؟ ولكن الله يهدي من يشاء .

الفصل الخامس والثلاثون

في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف والفاء ما سواها

إِعْلَمَ أَنَّ العلومَ البشرية خزانة النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الادراكِ الذي يفيدها ذلك الفكرُ المحصلُ لها ذلك بالتصورِ للحقائقِ أولاً ، ثم باثباتِ العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانياً ؛ إما بغير وسط أو بوسط ، حتى يستنتج الفكرُ بذلك مطالبه التي يعنى باثباتها أو نفيها . فإذا استقرت من ذلك صورة علمية في الضمير فلا بد من بيانها لآخر : إما على وجه التعليم ؛ أو على وجه المفاوضة ، تصقل الأفكار في تصحيحها . وذلك البيان إنما يكون بالعبارة ، وهي الكلام المركب من الألفاظ النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان مركبة من الحروف ، وهي كيفيات الأصوات المقطعة بعضلة اللهاة واللسان ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض في مخاطباتهم وهذه رتبة أولى في البيان عما في الضمائر ، وإن كان معظمها وأشرفها العلوم ، فهي شاملة لكل ما يندرج في الضمير من خبرٍ أو إنشاء على العموم . وبعد هذه الرتبة الأولى من البيان

رتبة ثانية يؤدي بها ما في الضمير ، لمن توارى أو غاب شخصه وبعد ؛ أو لمن يأتي بعد ولم يعاصره ولا لقيه . وهذا البيان منحصر في الكتابة ، وهي رقوم باليد تدلُّ أشكالها وصورها بالتواضع على الألفاظ النطقية حروفاً بحروفٍ وكلماتٍ بكلمات ؛ فصار البيان فيها على ما في الضمير بواسطة الكلام المنطقي ، فلهذا كانت في الرتبة الثانية واحداً ؛ فسمي هذا البيان . يدل على ما في الضمائر من العلوم والمعارف ، فهو أشرفها . وأهل الفنون معتنون بإيداع ما يحصل في ضمائرهم من ذلك في بطون الأوراق بهذه الكتابة ، لتعلم الفائدة في حصوله للغائب والمتأخر ، وهؤلاء هم المؤلفون . والتأليف بين العوالم البشرية والأمم الانسانية كثير ، ومنقلة في الأجيال والأعصار وتختلف باختلاف الشرائع والملل والأخبار عن الأمم والدول . وأما العلوم الفلسفية ، فلا اختلاف فيها ، لأنها إنما تأتي على نهج واحد ، فيما تقتضيه الطبيعة الفكرية ، في تصور الموجودات على ما هي عليه ؛ جسمانياتها وروحانياتها وفلكياتها وعنصرياتها ومجردها ومادتها . فان هذه العلوم لا تختلف ، وإنما يقع الاختلاف في العلوم الشرعية لاختلاف الملل ، أو التاريخية لاختلاف خارج الخبر . ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في رسومها وأشكالها ، ويسمى ذلك قلماً وخطاً . فمنها الخط الحُميري ، ويسمى المُسند ، وهو كتابة خمر وأهل اليمن الأقدمين ، وهو يخالف كتابة العرب المتأخرين من مضر ، كما يخالف لغتهم . وإن الكلَّ عربياً . إلا أن ملكة هؤلاء في اللسان والعبارة غير ملكة

أولئك . ولكلٍ منهما قوانينٌ كَلِيَّةٌ مستقراةٌ من عبارتهم غير قوانين الآخرين . وربما يغلطُ في ذلك من لا يعرفُ ملكاتِ العبارة . ومنها الخط السُريانيُّ ، وهو كتابةُ النَّبطِ والكلدانيِّين . وربما يزعمُ بعض أهل الجهل أنه الخطُّ الطبيعيُّ لِقَدَمِهِ فأنهم كانوا أقدمَ الأممِ ، وهذا وهم ، ومذهب عامي . لأنَّ الأفعالَ الاختياريةَ كلها ليس شيءٌ منها بالطبعِ ، وإنما هو يستمرُّ بالِقَدَمِ والمِرانِ حتى يصيرَ ملكةً راسخةً ، فيظنُّها المشاهدُ طبيعِيَّةً كما هو رأي كثير من البُلْداء في اللغةِ العربيَّةِ ؛ فيقولون : العربُ كانت تعربُ بالطبعِ وتنطقُ بالطبعِ ، وهذا وهمٌ . ومنها الخطُّ العِبرانيُّ الذي هو كتابة بني عابر بن شالِحَ من بني إسرائيل وغيرهم . ومنها الخطُّ اللطينيُّ ، خطُّ اللطِينِيِّينَ من الرومِ ، ولهم أيضاً لسانٌ مختصٌّ بهم . ولكل أمةٍ من الأممِ اصطلاحٌ في الكتاب يُعزى إليها ويختصُّ بها . مثل التركِ والفرنَجِ والهنود وغيرهم . وإنما وقَّعت العنايةُ بالأقلامِ الثلاثةِ الأولى . أما السُريانيُّ فلِقَدَمِهِ كما ذكرنا ، وأما العَرَبِيُّ والعِبرِيُّ فلتنزلُ القرآنَ والتوراةَ بهما بلسانهما . وكان هذان الخطَّانِ بياناً لمتلوَّهما ، فوقعت العنايةُ بمنظوميهما أولاً وانبَسَطَتِ قوانينُ لاطِرَادِ العبارةِ في تلك اللغةِ على أسلوبِها لتفهم الشرائعَ التكليفيةَ من ذلك الكلامِ الرُّبَّانيِّ . وأما اللطينيُّ فكان الرومُ ، وهم أهلُ ذلك اللسانِ ، لما أخذوا بدين النَّصْرانيَّةِ ، وهو كُلُّهُ من التوراةِ ، كما سبق في أول الكتاب ، ترجوا التوراةَ وكتبَ الأنبياءُ الاسرائيلِيِّينَ إلى لغتهم ، ليقتنصوا منها الأحكامَ على أسهلِّ الطرقِ . وصارت عنايتُهم بلغَتِهِم وكتابَتِهِم

آكد من سواها . وأما الخطوط الأخرى فلم تقع بها عناية ، وإنما هي لكل أمة بحسب اصطلاحها . ثم إن الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتيادها وإلغاء ما سواها ، فعدوها سبعة :

أولها استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتبضع مسائله ، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على إيصاله بغيره ، لتعم المنفعة به فيودع ذلك بالكتاب في المصحف ، لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة ، كما وقع في الأصول في الفقه . تكلم الشافعي أولاً في الأدلة الشرعية اللفظية ولخصها ، ثم جاء الحنفية فاستنبطوا مسائل القياس واستوعبوها ، وانتفع بذلك من بعدهم إلى الآن .

وثانيها : أن يقف على كلام الأولين وتآليفهم فيجدها مستغلة على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره . ممن عساه يستغلق عليه ، لتصل الفائدة لمستحقيها . وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول ، وهو فصل شريف .

وثالثها : أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعده في الافادة صيته ، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه ، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده ، إذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار ، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه ، فيودع ذلك الكتاب ليقف على بيان ذلك .

ورابعها : أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكامل مسائله وفصوله ، ولا يبقى للنقص فيه مجال .

وخامسها : أن يكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة ؛ فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها ، ويجعل كل مسألة في بابها ، كما وقع في المدونة من رواية سُخْنُون عن ابن القاسم ؛ وفي العتبية من رواية العُتْبِي عن أصحاب مالك ؛ فان مسائل كثيرة من أبواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها فهدب ابن أبي زيد المدونة وبقيت العتبية غير مهذبة . فنجد في كل باب مسائل من غيره . واستغنوا بالمدونة وما فعله ابن أبي زيد فيها والبرادعي من بعده .

وسادسها : أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجميع مسائله ، فيفعل ذلك ، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم ، كما وقع في علم البيان . فان عبدالقاهر الجرجاني وأبا يوسف السكاكي وجدا مسائله مستقرية في كتب النحو وقد جمع منها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين مسائل كثيرة ، تنبه الناس فيها لموضوع ذلك العلم وانفراده عن سائر العلوم ؛ فكتبت في ذلك تأليفهم المشهورة ، وصارت أصولاً لفن البيان ، ولقنها المتأخرون فأزبوا فيها على كل متقدم .

وسابعها : أن يكون الشيء من التأليف التي هي أمهات للفنون مطوّلاً مُسهباً فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك ، بالاختصار والابحاز وحذف المتكرّر ، إن وقع ، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلّف الأوّل .

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتيادها بالتأليف ومراعاتها . وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء ، مثل انتحال ما تقدّم لغيره من التأليف أن ينسبّه إلى نفسه ببعض تلبس ، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه ، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن أو يأتي بما لا يحتاج إليه ؛ أو يبدل الصواب بالخطأ ، أو يأتي بما لا فائدة فيه . فهذا شأن الجهل والقحّة . ولذا قال أرسطو ، لما عدّد هذه المقاصد ، وانتهى إلى آخرها فقال : وما سوى ذلك ففصل أو شره ، يعني بذلك الجهل والقحّة . نعوذ بالله من العمل في ما لا ينبغي للعاقل سلوكه . والله يهدي للتي هي أقوم .

الفصل السادس والثلاثون

في ان كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم ، يولعون بها ويدوّنون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها ، باختصار في الألفاظ وحشو القليل

منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن . فصار ذلك مُخِلًّا بالبلاغة وعسيراً على الفهم . وربما عمدوا الى الكُتُبِ الأُمِّهاتِ المطوَّلةِ في الفُنُونِ للتفسيرِ والبيانِ ؛ فاخْتَصَرُواها تقريباً للحِفْظِ ، كما فعله ابنُ الحَاجِبِ في الفِقهِ وأصولِ الفِقهِ وابنُ مالِكٍ في العربيةِ والخَوَافِيزُ في المنطقِ وأمثالُهم . وهو فسادٌ في التعليمِ وفيهِ إخلالٌ بالتحصيلِ ، وذلك لِأَنَّ فِيهِ تَخْلِيطاً على المبتدئِ ، بالقاءِ الغاياتِ من العلمِ عليه ، وهو لم يستعدْ لقبولها بَعْدُ ، وهو من سوءِ التعليمِ كما سيأتي . ثم فيه مع ذلك شغلٌ كبيرٌ على المتعلِّمِ بتتبعِ أَلْفَاظِ الاختصارِ العويصةِ للفهمِ بتزاحمِ المعاني عليها وصُعوبةِ استخراجِ المسائلِ من بينها . لِأَنَّ أَلْفَاظَ المَخْتَصَرَاتِ نَجْدُهَا لِأَجْلِ ذلك صعبةٌ عويصةٌ ، فينْقَطِعُ في فهمِها حظٌّ صالحٌ من الوقتِ . ثم بعد ذلك كِلِهَ فَالْمَلَكَةُ الحاصِلَةُ من التعليمِ في تلكِ المَخْتَصَرَاتِ ، إِذَا تَمَّ على سدادِهِ ، ولم تعْبُهُ آفَةٌ ؛ فهي ملكةٌ قاصِرةٌ عن المَلَكَاتِ التي تحْصُلُ من الموضوعاتِ البسيطةِ المطوَّلةِ لِكثَرَةِ ما يقعُ في تلكِ من التكرارِ والإحالةِ المفيدتينِ لحصولِ الملكةِ التامةِ . وَإِذَا اقْتَصِرَ على التكرارِ قَصُرَتِ الملكةُ لِقَلَّتِهِ كَشَأْنِ هذه الموضوعاتِ المَخْتَصَرَةِ ؛ فقصدوا إلى تسهيلِ الحِفْظِ على المتعلِّمينِ ، فأرْكَبُوهم صَعْباً يَقْطَعُهُمْ عن تحصيلِ الملكاتِ النافعةِ وتمكُّنِها . ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴿ . والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل السابع والثلاثون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيداً ، إذا كان على التدريج ، شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا ، يُلقى عليه أولاً مسائلُ من كلّ بابٍ من الفنّ هي أصولُ ذلك الباب . ويقربُ له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يوردُ عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفنّ ، وعند ذلك يحصلُ له ملكةٌ في ذلك العلم ؛ إلا أنها جزئيةٌ وضعيفةٌ . وغايتها أنها هيأته لفهم الفنّ وتحصيل مسائله . ثم يرجعُ به إلى الفنّ ثانية ؛ فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرجُ عن الإجمال ، ويذكرُ له ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفنّ فتجودُ ملكته . ثم يرجعُ به وقد شدّ فلا يتركُ عويصاً ولا مُبهماً ولا منغلّقاً الا وضّحه وفتح له مقفله ؛ فيخلصُ من الفنّ وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيتَ إنما يحصلُ في ثلاث تكرارات . وقد يحصلُ للبعض في أقلّ من ذلك بحسب ما يخلقُ له ويتيسّرُ عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلّمين لهذا العهد الذي أدر كنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضرون للمتعلّم في أوّل تعليمه المسائل المقفلة من العلم ،

ويطالبونه باحضارِ ذهنِهِ في حلِّها ، ويجسِّبونَ ذلكَ مراراً على التعليمِ وصواباً فيه ، ويكلفونه رعيَ ذلكَ وتحصيلَهُ ، فيخلطونَ عليه بما يلقونَ له من غاياتِ^(١) الفنونِ في مبادئها ، وقبلَ أن يستعدَّ لفهمها ؛ فإنَّ قبولَ العلمِ والاستعداداتِ لفهمِهِ تنشأُ تدريجاً . ويكونُ المتعلِّمُ أوَّلَ الأمرِ عاجزاً عن الفهمِ بالجملةِ ، إلا في الأقلِّ وعلى سبيلِ التقريبِ والإجمالِ وبالأمثالِ الحسيَّةِ . ثم لا يزالُ الاستعدادُ فيه يتدرَّجُ قليلاً قليلاً ، بمخالطةِ مسائلِ ذلكَ الفنِّ وتكرارها عليه ، والانتقالِ فيها من التقريبِ إلى الاستيعابِ الذي فوقَهُ ، حتى تَتِمَّ الملكةُ في الاستعدادِ ؛ ثم في التحصيلِ ويحيطُ هو بمسائلِ الفنِّ . وإذا أُلْقِيَتْ عليه الغاياتُ في البداياتِ وهو حينئذٍ عاجزٌ عن الفهمِ والوعيِ وبعيدٌ عن الاستعدادِ له كلُّ ذهنُهُ عنها ، وحسبَ ذلكَ من صعوبةِ العلمِ في نفسه ، فتكاسلَ عنه وانحرفَ عن قبولِهِ وقادى في هجرانِهِ . وإنما أتى ذلكَ من سوءِ التعليمِ . ولا ينبغي للمعلِّمِ أن يزيدَ متعلِّمَهُ على فهمِ كتابِهِ الذي أكبَّ على التعليمِ منه بحسبِ طاقته ، وعلى نسبةِ قبولِهِ للتعليمِ مبتدئاً كان أو منتهياً ، ولا يخلطَ مسائلَ الكتابِ بغيرِها حتى يَعيَهُ من أوَّلِهِ إلى آخِرِهِ ويحصلَ أغراضُهُ ويستوليَ منه على ملكةٍ بها ينفذُ في غيره . لأنَّ المتعلِّمَ إذا حصلَ ملكةً ما في علمٍ من العلومِ استعدَّ بها لقبولِ ما بقي ، وحصلَ له نشاطٌ في طلبِ المزيدِ والنهوضِ إلى ما فوقَ ، حتى يستوليَ على غاياتِ العلمِ ، وإذا خلطَ عليه الأمرُ عجزَ عن الفهمِ .

(١) كذا ، وفي نسخة : غرائب .

وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل ، وهجر العلم والتعليم . والله يهدي من يشاء .

وكذلك ينبغي لك أن لا تطوّل على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها ، لأنّه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض ، فيعسر حصول الملكة بتفريقها . وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة بجانب للنسيان ، كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة ؛ لأنّ الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وإذا تنويسي الفعل تُنوسيت الملكة الناشئة عنه . والله علّمكم ما لم تكونوا تعلمون .

ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يُخلط على المتعلم علمان معاً ؛ فانه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كلّ واحدٍ منهما الى تفهّم الآخر ؛ فيستغلّقان معاً ويُستصعبان ، ويعودُ منهما بالخيبة . وإذا تفرّع الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصراً عليه ، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله . والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

الفكر الإنساني

واعلم أيها المتعلم أنّي أُنهِك بفائدة في تعلّمك ، فإن تَلَقَّيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ، ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة . وأقدم لك مقدّمة تعينك في فهمها ، وذلك أن الفكر

الإنساني طبيعةً مخصوصةً ، فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته ، وهو [وجدان حركته للنفس^(١)] في البطن الأوسط من الدماغ . تارة يكون مبدءاً للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب ، وتارة يكون مبدءاً ليعلم ما لم يكن حاصلًا بأن يتوجّه الى المطلوب . وقد يصوّر طرفيه^(٢) ويروم نفيه أو إثباته ، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما ، أسرع من لمح البصر إن كان واحداً . وينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعدداً ، ويصير إلى الظفر بمطوويه . هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميّز بها البشر من بين سائر الحيوانات .

ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية ، تصفه ليعلم سداؤه من خطئه . لأنها وإن كان الصواب لها ذاتياً ، إلا أنه قد يعرض لها الخطأ في الأقل من تصوّر الطرفين على غير صورتها ومن اشتباه الهيات في نظم القضايا وترتيبها للنتائج ، فتعين المنطق على التخلص من ورطة هذا الفساد إذا عرّض . فالمنطق ، إذاً ، أمرٌ صناعيٌ مساوٍ للطبيعة الفكرية ومنطوق على صورة فعلها ، ولكونه أمراً صناعياً استغني عنه في الأكثر . ولذلك تجد كثيراً من فحول النظائر في الخليفة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة علم المنطق ، ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله تعالى ، فإن ذلك أعظم معنى . ويسلكون

(١) إن المحصور بين [] ورد في ب هكذا : «فعل وحركة في النفس بقوة» .

(٢) كذا ، وفي ب : طريقه .

بالطبيعة الفكرية على سدادها ؛ فتُفْضِي بهم بالطبع إلى حصول
الوسط والعلم المطلوب كما فطرها الله عليه .

ثم من دون هذا الأمر الصناعي ، الذي هو المنطق ، مقدمة
أخرى من التعليم وهي معرفة الألفاظ ؛ ودلائلها على المعاني
الذهنية تردّها^(١) من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان
بالخطاب . فلا بدّ أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحُجُب كلها إلى
الفكر في مطلوبك .

فأولاً : دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي
أخفّها^(٢) ؛ ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ؛ ثم القوانين
في ترتيب المعاني للاستدلال في قوايلها المعروفة في صناعة المنطق ؛
ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراكاً يقتضيه بها المطلوب بالطبيعة
الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه . وليس كلُّ أحدٍ يتجاوز هذه
المراتب بسرعة ، ولا يقطع هذه الحُجُب في التعليم بسهولة ؛ بل
ربما وقف الذهن في حُجُب الألفاظ بالمناقشات أو عثر في اشتراك
الأدلة بشغب الجدال والشُّبُهات ، ففقد عن تحصيل المطلوب . ولم
يكد يتخلص من تلك الغمرة إلا قليلاً من هداية الله .

فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك^(٣) في فهمك أو
تشغيب بالشُّبُهات في ذهنك ، فاطرح ذلك وانتِذ حُجُب الألفاظ

(١) كذا ، وفي ب : تؤديها .

(٢) كذا ، وفي ب : احفظها .

(٣) كذا ، وفي ب : ارتياب .

وعوائق الشُّبُهَاتِ ، وَاَتَرَكْتُ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جَمَلَةً وَاخْلَصْتُ إِلَى فُضَاءِ
 الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فَطَرْتَهُ عَلَيْهِ . وَسَرَّحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَفَرَّغَ ذَهْنَكَ
 فِيهِ لِلغُوصِ عَلَى مَرَامِكَ مِنْهُ ، وَاضْعًا قَدَمَكَ حَيْثُ وَضَعَهَا أَكْبَرُ
 النُّظَّارِ قَبْلَكَ ، مَتَعَرِّضًا لِلْفَتْحِ مِنَ اللَّهِ ، كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
 وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ . فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ
 الْفَتْحِ مِنَ اللَّهِ بِالظُّقْرِ بِمَطْلُوبِكَ ، وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَعَلَهُ
 اللَّهُ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ^(١) هَذَا الْفِكْرِ وَفَطَرَكَ عَلَيْهِ كَمَا قَلَنَاهُ . وَحِينَئِذٍ
 فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدِلَّةِ وَصُورِهَا ، فَأَفْرِغْهُ فِيهَا وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنْ
 الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ؛ ثُمَّ اكْسُهُ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالَمِ الْخُطَابِ
 وَالْمُشَافَهَةِ وَثَبِّتْ الْعُرَى صَحِيحَ الْبِنْيَانِ .

وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ فِي الْأَلْفَاظِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدِلَّةِ
 الصَّنَاعِيَّةِ وَتَحْجِيزِ صَوَابِهَا مِنْ خَطئِهَا ، وَهَذِهِ أُمُورٌ صِنَاعِيَّةٌ وَضَمِيمَةٌ
 تَسْتَوِي جِهَاتُهَا الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَتَشَابَهُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالْإِصْطِلَاحِ ، فَلَا
 تَتَمَيَّزُ جِهَةٌ الْحَقِّ مِنْهَا ؛ إِذْ جِهَةُ الْحَقِّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ^(٢) إِذَا كَانَتْ
 بِالطَّبْعِ ، فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشَّكِّ وَالْإِرْتِيَابِ ، وَتُسَدَّلُ الْحُجُبُ
 عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقْعُدُ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ . وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِ مِنَ
 النُّظَّارِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، سَيِّئًا مِنْ سَبَقَتْ لَهُ عُجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ ، فَرَبَطَتْ
 عَلَى ذَهْنِهِ ؛ أَوْ مِنْ حَصَلَ لَهُ شَغْفٌ بِالْقَانُونِ الْمُنْطِقِيِّ وَتَعَصَّبَ لَهُ ،
 فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ الذَّرِيمَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبْعِ ، فَيَقْعُ فِي الْحِيرَةِ بَيْنَ

(١) كَذَا ، وَفِي ب : مِنْ مَفِيزَاتِ .

(٢) كَذَا ، وَفِي ب : تَتَمَيَّزُ .

شُبِّهَ الْأَدِلَّةُ وَشَكَّوْكِهَا ، وَلَا يَكَادُ يُخْلَصُ مِنْهَا . وَالذَّرِيعَةُ إِلَى دَرْكِ الْحَقِّ بِالطَّبْعِ . إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا ، إِذَا جُرِّدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ . وَتَعَرَّضَ النَّازِرُ فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَأَمَّا الْمُنْطِقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِفِعْلِ هَذَا الْفِكْرِ ، فَيَسَاوِقُهُ لَذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ . فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمِطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، مَتَى أَعُوْزُكَ فَهْمُ الْمَسَائِلِ ، تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِالْإِلْهَامِ إِلَى الصَّوَابِ . وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

الفصل الثامن والثلاثون

في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل

اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين : علوم مقصودة بالذات ، كالشَّرِيعَاتِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَكَالطَّبِيعِيَّاتِ وَالْأَلْهِيَّاتِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ؛ وَعلوم هي آلةٌ ووسيلةٌ لهذه العلوم ، كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهَا لِلشَّرِيعَاتِ ، وَكَالْمُنْطِقِ لِلْفَلَسَفَةِ . وَرَبَّمَا كَانَ آلَةً لِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْأُصُولِ الْفِقْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ . فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ ، فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا ، وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَاسْتِكْشَافِ الْأَدِلَّةِ وَالْأَنْظَارِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّناً فِي مَلِكَتِهِ وَايضاحاً لمعانيها المقصودة . وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ آلَةٌ لْغَيْرِهَا مِثْلَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُنْطِقِ وَأَمْثَلِهَا ،

فلا ينبغي أن يُنظرَ فيها إلا من حيثُ هي آلةٌ لذلك الغيرِ فقط .
ولا يوسعُ فيها الكلامُ ولا تُفرَّغُ المسائلُ ، لأنَّ ذلكَ يُخرِجُ بها عن
المقصودِ ، إذ المقصودُ منها ما هي آلةٌ له لا غير . فكلُّما خرجت
عن ذلكَ خرجتَ عن المقصودِ وصارَ الاشتغالُ بها لغواً ، مع ما
فيه من صعوبةِ الحصولِ على ملكيتها بطولها وكثرةِ فروعها . وربما
يكونُ ذلكَ عائقاً عن تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذاتِ لطولِ وسائلها ،
مع أنَّ شأنها أهمُّ ، والعمرُ يقصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ على هذه
الصورةِ ؛ فيكونُ الاشتغالُ بهذه العلومِ الآليةِ تضييعاً للعمرِ وشغلاً
بما لا ينبغي .

وهذا كما فعلهُ المتأخرونَ في صناعةِ النحوِ وصناعةِ المنطقِ ،
لا ببل وأصولِ الفقهِ ، لأنهم أوسعوا دائرةَ الكلامِ فيها نقلاً
واستدلالاً وأكثرُوا من التفاريحِ والمسائلِ بما أخرجَها عن كونها
آلةً وصيرَها مقصودةً بذاتها . وربما يقعُ فيها لذلكَ أنظارٌ ومسائل
لا حاجةَ بها في العلومِ المقصودةِ بالذاتِ فتكونُ لأجل ذلكَ من
نوعِ اللغو ، وهي أيضاً مُضِرَّةٌ بالتعليمِ على الإطلاقِ ، لأنَّ
المتعلمينَ اهتمامُهم بالعلومِ المقصودةِ أكثرُ من اهتمامِهم بهذه الآلاتِ
والوسائلِ . فإذا قطعوا العمرَ في تحصيلِ الوسائلِ ، فمتى يظفرونَ
بالمقاصدِ ؟ فهذا يجبُ على المعلمينَ لهذه العلومِ الآليةِ أن لا
يستبحروا في شأنها ولا يستكثروا من مسائلها وينهوا المتعلمَ
على الغرضِ منها ويقفوا به عنده . فمن نزعَتْ به هِمَّتُهُ بعد ذلكَ
إلى شيءٍ من التوغلِ ؛ ورأى من نفسه قياماً بذلكَ وكفايةً به

فَلْيَخْتَرْ لِنَفْسِهِ مَا شَاءَ مِنَ الْمَرَاقِي صَعْبًا أَوْ سَهْلًا . وَكُلُّ مَيْسَرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ .

الفصل التاسع والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الاصطلاح الإسلامية في طرقه

اعلم أَنَّ تعليمَ الولدانِ للقرآنِ شعارٌ من شعارِ الدينِ ، أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْمِلَّةِ وَدَرَجُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَصْصَارِهِمْ ، لَمَّا يَسْبِقُ فِيهِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ رُسُوحِ الْإِيمَانِ وَعَقَائِدِهِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَبَعْضِ مَتُونِ الْأَحَادِيثِ . وَصَارَ الْقُرْآنُ أَصْلَ التَّعْلِيمِ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ مَا يَحْصُلُ بَعْدَهُ مِنَ الْمَلَكَاتِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَرِ أَشَدُّ رُسُوحًا وَهُوَ أَصْلٌ لَمَّا بَعْدَهُ ، لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ . وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ وَأَسَالِيْبِهِ يَكُونُ حَالُ مَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ . وَاخْتَلَفَتْ طَرَفُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ ، بِاخْتِلَافِهِمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَلَكَاتِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ فَذَهَبُوا فِي الْوِلْدَانِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ فَقَطْ ، وَأَخَذُوهُمْ أَثْنَاءَ الْمَدَارَسَةِ بِالرَّسْمِ وَمَسَائِلِهِ وَاخْتِلَافِ حِمْلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ ؛ لَا يَخْلُطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهِ شَيْءٍ مِنْ مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ ، لَا مِنْ حَدِيثٍ وَلَا مِنْ فِقْهِ وَلَا مِنْ شِعْرِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ؛ إِلَى أَنْ يَحْدِثَ فِيهِ أَوْ يَنْقَطِعَ دُونُهُ ، فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجَمْلَةِ .

وهذا مذهبُ أهلِ الأمصارِ بالمغربِ ومن تبعَهُم من قُرى^(١) البربرِ، أممِ المغربِ ، في ولدانِهِم إلى أن يجاوزُوا حدَّ البلوغِ إلى الشبيبةِ . وكذا في الكبيرِ إذا راجَعَ مدارسَ القرآنِ بعد طائفةٍ من عُمرِهِ . فهم لذلك أقومُ على رسمِ القرآنِ وحفظِهِ من سواهم . وأمّا أهلُ الأندلسِ فذهبَهُم تعليمُ القرآنِ والكتابِ من حيثُ هو ، وهذا هو الذي يراعونَهُ في التعليمِ . إلا أنه لما كان القرآنُ أصلَ ذلك وأساسَهُ ومنبعَ الدينِ والعُلومِ جعلوهُ أصلاً في التعليمِ . فلا يقتصرونَ لذلك عليه فقط ؛ بل يخلطونَ في تعليمِهِم للولدانِ روايةَ الشعرِ في الغالبِ والتَّرسُّلَ ، وأخذَهُم بقوانينِ العربيةِ وحفظِها وتجويدِ الخطِّ والكتابِ .

ولا تختصُّ عنايتُهُم في التعليمِ بالقرآنِ دون هذه ، بل عنايتُهُم فيه بالخطِّ أكثرُ من جميعِها ، إلى أن يخرجَ الولدُ من عمرِ البلوغِ إلى الشبيبةِ ، وقد شدا^(٢) بعضَ الشيء في العربيةِ والشعرِ والبصرِ بهما ، وبرزَ في الخطِّ والكتابِ وتعلَّقَ بأذيالِ العلمِ على الجملةِ ، لو كان فيها سندٌ لتعليمِ العلومِ . لكنَّهُم ينقطعونَ عند ذلك لانقطاعِ سندِ التعليمِ في آفاقِهِم ، ولا يحصلُ بأيديهِم إلا ما حصلَ من ذلك التعليمِ الأوَّلِ . وفيهِ كفايةٌ لمن أرشدهُ الله تعالى واستعدادٌ إذا وُجدَ المعلمُ . وأمّا أهلُ إفريقيةٍ فيخلطونَ في تعليمِهِم للولدانِ القرآنَ بالحديثِ في الغالبِ ، ومدارسَ قوانينِ العلومِ وتلقينِ بعضِ مسائلِها ؛ إلا

(١) كذا ، وفي ب : من قراء البربر .

(٢) شدا من المعلم شيئاً : أخذ (قاموس) .

أَنَّ عَنَائَتَهُمْ بِالْقُرْآنِ ، وَاسْتَظْهَارِ الْوِلْدَانِ إِيَّاهُ ، وَوُقُوفِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ رَوَايَاتِهِ وَقِرَاءَاتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهُ ؛ وَعَنَائَتَهُمْ بِالْخَطِّ تَبَعُ لَذَلِكَ . وَبِالْجَمَلَةِ فَطَرِيقَتُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، لِأَنَّ سُنَدَ طَرِيقَتِهِمْ فِي ذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِمَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ أَجَازُوا عِنْدَ تَغْلِبِ النَّصَارَى عَلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَقَرُّوا بِتُونِسَ ، وَعَنْهُمْ أَخَذَ وَلَدَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْلُطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا يَبْلُغُنَا ، وَلَا أَدْرِي بِمَ عَنَائَتُهُمْ مِنْهَا . وَالَّذِي يُنْقَلُ لَنَا أَنَّ عَنَائَتَهُمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ وَقَوَائِدِهِ فِي زَمَنِ السُّبِّيَّةِ ، وَلَا يَخْلُطُونَهُ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ ، بَلْ لَتَعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ وَمَعْلَمُونَ لَهُ عَلَى انْفِرَادِهِ ، كَمَا تُتَعَلَّمُ سَائِرُ الصَّنَائِعِ ، وَلَا يَتَدَاوَلُونَهَا فِي مَكَاتِبِ الصَّبَّانِ . وَإِذَا كَتَبُوا لَهُمُ الْأَلْوَحَ فَبخَطٍ قَاضٍ عَنِ الْإِجَادَةِ ، وَمَنْ أَرَادَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدْرِ مَا يَسْنَحُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْهِمَّةِ فِي طَلَبِهِ ، وَيَبْتَغِيهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ .

فَأَمَّا أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ ؛ فَأَفَادَهُمُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقِصُورَ عَنْ مَلَكَةِ اللِّسَانِ جَمَلَةً ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْغَالِبِ مَلَكَةٌ إِلَّا أَنَّ الْبَشَرَ مَصْرُوفُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، فَهُمْ مَصْرُوفُونَ لَذَلِكَ عَنِ الِاسْتِعْمَالِ عَلَى أَسَالِيهِهِ وَالِاحْتِذَاءِ بِهَا . وَلَيْسَ لَهُمْ مَلَكَةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيهِهِ ، فَلَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، وَحِظُهُ الْجُودُ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّصَرُّفِ فِي الْكَلَامِ . وَرَبَّمَا كَانَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ فِي ذَلِكَ أَخْفَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، لَمَا يَخْلُطُونَ

في تعليمهم القرآنَ بعبارة العلوم في قوانينها كما قلناه ، فيقتديرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل ؛ إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة ، لما أن أكثر محفوظهم عبارة العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله .

وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر ، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي . وقصروا في سائر العلوم ، لبُعديهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها . فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر ، على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا .

ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم ، وأعاد في ذلك وأبدأ ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس . قال : « لأن الشعر ديوان العرب ويدعو إلى تقديمه وتقديم العربية في التعليم ضرورة ، فساداً للغة ؛ ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ؛ ثم ينتقل إلى درس القرآن ، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة . » ثم قال : « ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره ، يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر ، غيره أهم عليه منه . » قال : « ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه . » ونهى مع ذلك أن يُخلط في التعليم علمان ، إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بمجودة

الفهم والنشاط . هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر رحمه الله ، وهو
لعمري مذهب حسن ؛ إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك
بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن ،
إيثاراً للتبرُّك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا
من الآفات والقواطع عن العلم ؛ فيفوته القرآن ، لأنه ما دام في
الحجر منقاداً للحكم . فإذا تجاوز البلوغ والنحل من ربة القهر ،
فرما عصفت به رياح الشبهة ، فألقته بساحل البطالة ؛ فيغتمون
في زمان الحجر وربة الحكم . تحصيل القرآن له ثلثا يذهب خلواً
منه . ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم ، وقبوله التعليم ،
لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب
والشرق . ولكن الله يحكم ما يشاء ، لا معقب لحكمه سبحانه .

الفصل الأربعون

في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مُضِرٌّ بالمتعلم ، سيما في أصاغر
الولد ؛ لأنه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر
من المتعلمين أو الممالك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على
النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل
على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفاً من

انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمته المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادةً وخُلُقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدُّن ، وهي الحَيَّةُ والمدافعةُ عن نفسه أو منزلِهِ . وصارَ عيالاً على غيره في ذلك ، بل وكسِلت النفسُ عن اكتساب الفضائل والخُلُقِ الجميلِ ؛ فانقَبَضَتْ عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكسَ وعادَ في أسفل السَّافِلين .

وهكذا وقع لكلِّ أمةٍ حصَلَتْ في قبضةِ القهرِ ونالَ منها العسفُ ، واعتبرهُ في كلِّ من يُملِكُ أمرُهُ عليه . ولا تكونُ الملكةُ الكافلةُ له رفيقةً به . وتجذُّ ذلك فيهم استقراء . وانظره في اليهود وما حصلَ بذلك فيهم من خُلُقِ السوءِ حتى إنهم يوصفون في كلِّ أفقٍ وعصرٍ بالخرج ، ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابُثُ والكيدُ ، وسببه ما قلناه . فينبغي للمعلِّم في مُتعلِّمِهِ والوالد في ولده ان لا يستبدُّوا^(١) عليهم في التأديب . وقد قال مُحَمَّدُ بنُ أَبِي زَيْدٍ في كتابه ، الذي أَلْفَهُ في حكمِ المعلِّمين والمتعلِّمين : « لا ينبغي لمؤدِّبِ الصِّبيانِ أن يزيدَ في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواطٍ شيئاً » . ومن كلامِ عمرَ رضي الله عنه : « من لم يؤدِّبهُ الشَّرْعُ لا أدِّبهُ اللهُ » . حرصاً على صونِ النفوسِ عن مَذَلَّةِ التأديبِ ، وعاملاً بأن المقدارَ الذي عيَّنَهُ الشَّرْعُ لذلك أَمَلِكُ له ، فإنه أعلمُ بمصلحتِهِ . ومن أحسنِ مَذاهِبِ التعليمِ ، ما تقدم به الرشيدُ لمعلم ولده . قال خلف الأحمر : بعثَ إليَّ الرشيدُ في تأديبِ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ

(١) كذا ، وفي ب : يشدوا .

فقال : « يا أحمَرُّ إنَّ أميرَ المؤمنين قد دفعَ إليك مُهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ ؛ فَصَيَّرَ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً ، فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . أَقْرِئُهُ الْقُرْآنَ وَعَلِّمُهُ الْأَخْبَارَ وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ وَعَلِّمُهُ السُّنَنَ ، وَبَصِّرْهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدِّئْهُ وَامْنَعْهُ مِنَ الضَّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَايِخِ بَنِي هَاشِمٍ ، إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ؛ وَرَفَعِ مَجَالِسِ الْفُؤَادِ ، إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ . وَلَا تَمُرَنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مَغْتَنَمٌ فَائِدَةٌ تَفِيدُهُ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ ، فَتَمِيتَ ذَهَنَهُ . وَلَا تُتَمَنَّ فِي مَسَاحَتِهِ ، فَيَسْتَحْلِيَ الْفِرَاقَ وَيَأْلُقَهُ . وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَائِنَةِ ، فَإِنَّ أَبَاهُمَا فَعَلِيكَ بِالشَّدَةِ وَالْغِلَظَةِ . انتهى » .

الفصل الحادي والأربعون

في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة يزيد كمال في التعليم

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَشَرَ يَأْخُذُونَ مَعَارِفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَمَا يَنْتَحِلُونَهُ بِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَالْفَضَائِلِ : تَارَةً عِلْمًا وَتَعْلِيمًا وَإِقَاءً ؛ وَتَارَةً مَحَاكَاةً وَتَلْقِينًا بِالْمُبَاشَرَةِ . إِلَّا أَنَّ حَصُولَ الْمَلَكَاتِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّلْقِينِ أَشَدُّ اسْتِحْكَامًا وَأَقْوَى رُسُوخًا . فَعَلَى قَدَرِ كَثَرَةِ الشُّيُوخِ يَكُونُ حَصُولُ الْمَلَكَاتِ وَرُسُوخُهَا . وَالْإِصْطِلَاحَاتُ أَيْضًا فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ مَحْطَّةٌ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ ، حَتَّى لَقَدْ يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ . وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ ذَلِكَ إِلَّا مُبَاشَرَتُهُ لِاخْتِلَافِ الطَّرِيقِ فِيهَا مِنْ

المُعلِّمينَ . فلقاء أهل العلوم ، وتعدُّد المشايخ ، يَفِيدُهُ تَمييزُ
الاصطلاحاتِ ، بما يراه من اختلافِ طُرُقهم فيها ؛ فيجرِّدُ العلمَ عنها
ويعلمُ أنها انحاءُ تعليمٍ وطُرُقُ توصيلٍ . وتُنْهَضُ قُوَاهُ إلى الرُّسوخِ
والاستحكامِ في الملكاتِ . ويُصَحِّحُ معارفَهُ ويميِّزُها^(١) عن سواها
مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند
تَعَدُّدِهِمْ وتنوُّعِهِمْ . وهذا لمن يَمَرُّ اللهُ عَلَيْهِ طُرُقَ العلمِ والهداية .
فالرحلة لا بُدَّ منها في طلبِ العلمِ ، لاكتسابِ الفوائدِ والكمالِ
بلقاء المشايخِ ومباشرةِ الرجالِ . والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ
مستقيمٍ .

الفصل الثاني والأربعون

في أن العلماء من بين البشر ابعده عن السياسة ومذاهبها

والسَّبَبُ في ذلك أنهم معتادون النظرَ الفكريَّ والغوصَ على
المعاني ، وانتزاعها من المحسوساتِ وتجريدَها في الذَّهنِ ، أموراً
كليةً عامةً ؛ ليحكمَ عليها بأمرٍ على العمومِ ، لا بخصوصٍ مادَّةٍ
ولا شخصٍ ولا جيلٍ ولا أُمَّةٍ ولا صنفٍ من الناسِ . ويطبِّقونَ
من بعد ذلك الكليَّ على الخارجياتِ . وأيضاً يقيسونَ الأمورَ على
أشباهها وأمثالها ، بما اعتادوه من القياسِ الفقهيِّ . فلا ترأى
أحكامُهم وأنظارُهم كلُّها في الذَّهنِ ، ولا تصيرُ إلى المطابقةِ إلا بعد

(١) كذا ، وفي ب : وتصحيح معارفه وتمييزها عن سواها .

الفراغ من البحث والنظر . أولاً تصيرُ بالجملة إلى مطابقة ، وإنما يتفرعُ ما في الخارج عما في الذهن من ذلك ؛ كالأحكام الشرعية ، فإنها فروعُ عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة ، فتطلبُ مطابقة ما في الخارج لها ، عكسَ الأنظار^(١) في العلوم العقلية ، التي يُطلبُ في صحتها مطابقتها لما في الخارج . فهم متعودون في سائر أنظاريهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها . والسياسة يحتاجُ صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحظها من الأحوال ويتبناها ، فإنها خفية . ولعلَّ أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أو مثال ، وينافي الكلي الذي يحاولُ تطبيقه عليها .

ولا يقاسُ شيء من أحوال العمران على الآخر ، إذ كما اشتبهت في أمر واحد ، فلعلهما اختلفا في أمور ، فتكون العلماء لأجل ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور ، بعضها على بعض ، إذا نظروا في السياسة ، أفرغوا ذلك في قالب أنظاريهم ونوع استدلالاتهم ؛ فيقعون في الغلط كثيراً ولا يؤمنُ عليهم . ويلحقُ بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران ، لأنهم ينزعون بشقوب أذهانهم ، إلى مثل شأن الفقهاء ، من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة ، فيقعون في الغلط . والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس ، لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده إياه يقتصرُ لكل مادة على حكمها ، وفي كل صنف من الأحوال والأشخاص على

(١) لم نعثر في لسان العرب على كلمة (أنظار) . وأظنها محرفة عن كلمة (النظر) . وذلك حسب مقتضى السياق .

ما اُخْصَّ به ، ولا يُعَدِّي الحُكْمَ بقياسٍ ولا تعميمٍ ، ولا يُفَارِقُ في أكثر نظره الموادَّ المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه ، كالساجح لا يفارق البرَّ عند الموج . قال الشاعر :

فلا تَوَغَّلَنَّ إذا ما سبَحْتَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ في السَّاحِلِ

فيكونُ مأموناً من النَّظَرِ في سياسته ، مستقيمَ النَّظَرِ في معاملةِ أبناء جنسه ؛ فيحسُنُ معاشه وتندفعُ آفاقه ومضارؤه ، باستقامة نظره . وفوق كلِّ ذي علمٍ عليمٌ . ومن هنا يتبين^(١) أَنَّ صِنَاعَةَ المنطقِ غيرُ مأمونةِ الغلطِ ، لكثرةِ ما فيها من الانتزاعِ وبعديها عن المحسوسِ ؛ فإنها نظرٌ في المعقولاتِ الشواني . ولعلَّ الموادَّ فيها ما يمانعُ تلكَ الأحكامَ وينافيها عند مراعاةِ التطبيقِ اليقينيِّ . وأما النظرُ في المعقولاتِ الأولِ ، وهي التي تجريدُها قريبٌ ، فليس كذلك ؛ لأنها خياليَّةٌ ، وُصُوْرُ المحسوساتِ حافظةٌ مؤذنةٌ بتصديقِ انطباقِهِ . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيقُ .

الفصل الثالث والأربعون

في ان حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم

من الغريبِ الواقعِ أَنَّ حملةَ العلمِ في المِلَّةِ الإسلاميَّةِ أكثرُهم العَجَمُ ، وليس في العرب حملة علم ، لا في العلومِ الشرعيَّةِ ولا في

(١) كذا ، وفي ب: تعلم .

العلوم العقلية ، إلا في القليل النادر . وإن كان منهم العربي في نسبه ، فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته ، مع أن الملة عربية ، وصاحب شريعته عربي . والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة ؛ لمقتضى أحوال السداجة والبدو ؛ وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه ، كان الرجال ينقلونها في صدورهم ، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة ، بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه . والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ، ولا دافعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة . وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بجملة ذلك . ونقله القراء أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين ؛ لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرباً ؛ فقليل حلقة القرآن يومئذ قراء ، إشارة إلى هذا . فهم قراء لكتاب الله والسنة الماثورة عن الله ، لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه . ومن الحديث ، الذي هو في غالب موارد تفسير له وشرح . قال ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » . فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتياج إلى وضع التفاسير القرآنية ، وتقييد الحديث خوفاً ضياعه ؛ ثم احتياج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين^(١) للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه ؛ ثم كثرة استخراج أحكام الوقائع من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان ، فاحتياج إلى

(١) كذا ، وفي ب : الرواة .

وضع القوانين النحويّة ، وصارت العلوم الشرعيّة كلّها ملكاتٍ في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس ، واحتاجت^(١) إلى علومٍ أخرى هي وسائلُ لها : من معرفة قوانين العربيّة وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذبّ عن العقائد الايمانيّة بالأدلة لكثرة البدع والإلحاد ؛ فصارت هذه العلوم كلّها علوماً ذات ملكاتٍ محتاجةٍ إلى التعليم ، فاندرجت في جملة الصنائع .

وقد كنّا قدّمنا أنّ الصنائع من منتحل الحضرة ، وأنّ العرب أبعدُ الناس عنها ؛ فصارت العلوم لذلك حضريّةً وبعُد العرب عنها وعن سوقيها . والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر ، الذين هم يومئذٍ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف ؛ لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ؛ فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسيّ من بعده والزجاج من بعدهما ، وكلّهم عجم في أنسابهم . وإنما رُبوا في اللسان العربيّ ، فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم .

وكذا حملة الحديث الذين حفظوه على أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربي لا تساع الفن بالعراق . وكان علماء أصول الفقه كلّهم عجماً كما يعرف ، وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين . ولم يقدّم بحفظ العلم وتدوينه

(١) كذا ، وفي ب : واحتيج .

إلا الأعاجيم . وظهرَ مصداقُ قوله ﷺ : « لو تعلَّقَ العِلْمُ بأكنافِ السماء ، لناله قومٌ من أهلِ فارسَ » .

وأما العربُ الذينَ أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلَتْهمُ الرئاسةُ في الدولة العباسية وما دُفِعُوا إليه من القيامِ بالملكِ عن القيامِ بالعلمِ ، والنظرِ فيه ، فإنهم كانوا أهلَ الدولة وحاميتها وأوليَ سياستها ، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحالِ العلمِ حينئذٍ بما صار من جملةِ الصنائعِ . والرؤساءُ أبداً يستكفون عن الصنائعِ والمهنِ ، وما يجُرُّ إليها ، ودفعُوا ذلك إلى من قامَ به من العجمِ والمولدين . وما زالوا يرونَ لهم حقَّ القيامِ به ، فانه دينهم وعلومهم ، ولا يحتقرون حملتها كلَّ الإحتقارِ . حتى إذا خرج الأمرُ من العربِ جملةً وصارَ للعجمِ ، صارت العلومُ الشرعيةُ غريبةً النسبةً عند أهلِ الملكِ ، بما هم عليه من البُعدِ عن نسبتها ، وامتنَ حملتها بما يرونَ أنهم بُعداءُ عنهم مشتغلينَ بما لا يُغني ولا يُجدي عليهم ، في الملكِ والسياسةِ كما ذكرناه في فصل المراتبِ الدينية . فهذا الذي قرَّراه هو السببُ في أنَّ حملةَ الشريعةِ أو عامتهم من العجمِ .

وأما العلومُ العقليةُ أيضاً فلم تظهر في الملةِ إلا بعد أن تمَيَّزَ حملةُ العلمِ ومؤلفوه . واستقرَّ العلمُ كُلُّهُ صناعةً ، فاخْتُصَّتْ بالعجمِ وتركها العربُ ، وانصرفوا عن انتحالها ؛ فلم يحملها إلا المعربون من العجمِ ، شأنِ الصنائعِ كما قلناه أولاً . فلم يزل ذلك في الأمصارِ الإسلامية ما دامت الحضارةُ في العجمِ وبلادهم من العراقِ

وخراسان وما وراء النهر . فلما خربت تلك الأمصار وذُهِبت منها الحضارة ، التي هي سرُّ الله في حصول العلم والصنائع ، ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة . واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة . ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أمُّ العالم واوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع . وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر ، لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها ، فلم يبق بذلك حصّة من العلوم والصنائع لا تُنكر . وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأليف ، وصلت إلينا إلى هذه البلاد ، وهو سعد الدين التفتازاني . وأما غيره من العجم ، فلم نر لهم ، من بعد الإمام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعول على نهايته في الإصابة . فاعتبر ذلك وتأمله تر عجباً في أحوال الخليفة . والله يخلق ما يشاء لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله .

الفصل الرابع والأربعون

في ان العجمة اذا سبقت الى اللسان

قصر بصاحبها في تحصيل العلوم عن اهل اللسان العربي

والسرُّ في ذلك أن مباحث العلوم كلّها إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية ، من بين العلوم الشرعية ، التي هي أكثر مباحثها في الألفاظ وموادّها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة

ولغاتها المؤدية لها ، وهي كلها في الخيال ؛ وبين العلوم العقلية ، وهي في الذهن . واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني ، يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم ، وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المراتب على ذلك . والألفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضمائر ، وروابط وختم عن المعاني . ولا بد في اقتناص تلك المعاني من ألفاظها لمعرفة دلائلها اللغوية عليها ، وجودة الملكة لناظر فيها ؛ وإلا فيعتاص عليه اقتناصها زيادة على ما يكون في مباحثها الذهنية من الاعتياص . وإذا كانت ملكته في تلك الدلالات راسخة ، بحيث يتبادر المعاني إلى ذهنه من تلك الألفاظ عند استعمالها ، شأن البديهي والجلي ، زال ذلك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم ، أو خف ؛ ولم يبق إلا معاناة ما في المعاني من المباحث فقط . هذا كله إذا كان التعليم تلقيناً وبالخطاب والعبارة . وأما إن احتاج المتعلم إلى الدراسة والتقييد بالكتاب ومشافهة الرسوم الخطية من الدواوين بمسائل العلوم ، كان هنالك حجاب آخر بين الخط ورسومه في الكتاب ؛ وبين الألفاظ المقولة في الخيال . لأن رسوم الكتابة لها دلالة خاصة على الألفاظ المقولة . وما لم تعرف تلك الدلالة تعذرت معرفة العبارة ، وإن عرفت بملكة قاصرة كانت معرفتها أيضاً قاصرة ، ويزداد على الناظر والمتعلم بذلك حجاب آخر بينه وبين مطلوبه ، من تحصيل ملكات العلوم أعوص من الحجاب الأول . وإذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية والخطية مستحكمة ارتفعت الحجب بينه

وبين المعاني . وصار إنما يُعاني فهم مباحثها فقط . هذا شأنُ المعاني مع الألفاظِ والخطِّ بالنسبةِ إلى كل لغةٍ . والمتعلِّمون لذلك في الصغر أشدَّ استِحْكاماً للمكاتهم . ثم إنَّ الملةَ الإسلاميَّةَ لما اتسع مُلكها واندرجتِ الأممُ في طيِّها ودرست علومُ الأولين بنبوتها وكتابتها ، وكانت أُمِّيَّةُ النزعةِ والشعارِ ؛ فأخذَ الملكُ والعِزَّةُ وسُخْرِيَّةُ الأممِ لهمْ بالحضارةِ والتَّهذيبِ ، وصيَّروا علومَهُمُ الشرعيَّةَ صِناعَةً ، بعد أن كانت نقلاً ؛ فحدثت فيهم الملكات ، وكثرت الدواوين والتأليف ؛ وتشوَّفوا إلى علومِ الأممِ فنقلوها بالترجمةِ إلى علومِهِمْ وأفرغوها في قالبِ أنظاريهمْ ، وجردوها من تلك اللغاتِ الأعجميَّةِ إلى لسانهم وأربوا فيها على مدارِكِهِمْ ، وبقيت تلك الدفاترُ التي بلغتهم الأعجميَّةَ نسياً منسياً وطلاً مهجوراً وهباءً منشوراً . واصبحت العلومُ كُلُّها بلغةِ العربِ ، ودواوينُها المسطرَّةُ بخطِّهمْ ، واحتاج القائلون بالعلومِ إلى معرفةِ الدلالاتِ اللفظيَّةِ والخطيَّةِ في لسانهم دون ما سواه من الألسنِ ، لدروسها وذهابِ العنايةِ بها . وقد تقدم لنا أنَّ اللغةَ مَلَكَةً في اللسانِ ، وكذا الخطَّ صناعةَ ملكتها في اليدِ ؛ فإذا تقدَّمت في اللسانِ مَلَكَةُ العُجْمَةِ ، صار مقصِّراً في اللغةِ العربيَّةِ ، لما قدَّمناه من أنَّ المَلَكَةَ إذا تقدَّمت في صناعةٍ بمحلٍّ ، فقلَّ أن يجيِّدَ صاحبُها مَلَكَةً في صناعةٍ أُخرى ، وهو ظاهر . وإذا كان مقصِّراً في اللغةِ العربيَّةِ ودلالاتِها اللفظيَّةِ والخطيَّةِ اعتاصَ عليه فهمُ المعاني منها كما مرَّ . إلا أنَّ تكونَ مَلَكَةُ العُجْمَةِ السايقةِ لم تستحكم حين انتقل منها إلى العربيَّةِ ، كأصاغرِ أبناءِ العجمِ الذين يربون مع العربِ .

قبل أن تستحكم عجمتهم ، فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم ، ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من العربية . وكذا أيضاً شأن من سبق له تعلّم الخط الأعجمي قبل العربي . ولهذا نجد الكثير من علماء الأعاجم في دروسهم ومجالس تعليمهم يعدلون عن نقل التفاسير من الكتب إلى قراءتها ظاهراً يخفون بذلك عن أنفسهم مؤونة بعض الحجب ليقرب عليهم تناول المعاني . وصاحب الملكة في العبارة والخط مستغن عن ذلك ؛ بتمام ملكته ، وإنه صار له فهم الأقوال من الخط ، والمعاني من الأقوال ، كالحيلة الراسخة ، وارتفعت الحجب بينه وبين المعاني . وربما يكون الدؤوب على التعليم والمران على اللغة ، وممارسة الخط يفيضان بصاحبهما إلى تمكّن الملكة ، كما نجده في الكثير من علماء الأعاجم ؛ إلا أنه في النادر . وإذا قرّن بنظيره من علماء العرب وأهل طبقته منهم ، كان باع العربي أطول وملكته أقوى ، لما عند المستعجم من الفتور بالعجمة السابقة التي يؤثر القصور بالضرورة ولا يعترض ذلك بما تقدّم بأن علماء الإسلام أكثرهم العجم ، لأن المراد بالعجم هنالك عجم النسب لتداول الحضارة فيهم التي قرّنا أنها سبب لانتحال الصنائع والملكات ومن جملة العلوم . وأما عجمة اللغة فليست من ذلك ، وهي المرادة هنا . ولا يعترض ذلك أيضاً مما كان لليونانيين في علومهم من رُسوخ القدم فإنهم إنما تعلموها من لغتهم السابقة لهم وخطهم المتعارف بينهم . والأعجمي المتعلّم للعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ، ومن غير خطه الذي يعرف

ملكته . فلهذا يكون له ذلك حجاباً كما قلناه . وهذا عامٌ في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي من الفرس والروم والترك والبربر والفرنج ، وسائر من ليس من أهل اللسان العربي . وفي ذلك آيات لامتوسمين .

الفصل الخامس والأربعون

في علوم اللسان العربي

أركانهُ أربعة : وهي اللغة والنحو والبيان والأدب . ومعرفتها ضرورةٌ على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ونقائشها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام ، حسبما يتبين في الكلام عليها فناً فناً . والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو ، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ، ولولاه لجهل أصل الإفادة . وكان من حق علم اللغة التقدم ، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها ، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه ، فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر . فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة ، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة ، وليست كذلك اللغة . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

علم النحو

اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعلٌ لسانیٌ ناشئٌ عن القصد بإفادَةِ الكلام ، فلا بدُّ أن تصيرَ ملكةً متقرّرةً في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان. وهو في كل أمةٍ بحسبِ اصطلاحاتهم . وكانت الملكةُ الحاصلةُ للعرب من ذلك أحسنَ الملكاتِ وأوضحها إبانةً عن المقاصد ، لدلالة غيرِ الكلماتِ فيها على كثيرٍ من المعاني . مثل الحركاتِ التي تعيّنُ الفاعلَ من المفعول من المجرورِ أعني المضاف ، ومثل الحروفِ التي تفضي بالأفعالِ أي الحركاتِ إلى الذواتِ من غيرِ تكلفٍ ألفاظٍ أخرى . وليس يوجدُ ذلك إلا في لغة العرب . وأما غيرها من اللغاتِ فكلُّ معنى أو حالٍ لا بدُّ له من ألفاظٍ تخصُّه بالدلالة ، ولذلك نجدُ كلامَ العجمِ في مخاطباتهم أطولَ مما نقدّرُهُ بكلامِ العرب . وهذا هو معنى قوله ﷺ : « أُوتيتُ جوامعَ الكلمِ واختصر لي الكلامُ اختصاراً » . فصار للحروفِ في لغتهم والحركاتِ والهيآتِ ، أي الأوضاعِ ، اعتبارٌ في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعةٍ يستفيدونَ ذلك منها . إنما هي ملكةٌ في ألسنتهم يأخذها الآخرُ عن الأوّلِ كما تأخذُ صبيانُنا لهذا العهدِ لغاتنا .

فلما جاء الإسلامُ وفارقوا الحجازَ لطلبِ الملكِ ، الذي كان في أيدي الأممِ والدولِ ، وخالطوا العجمَ ، تغيّرت تلك الملكةُ بما ألقى إليها السمعُ من المخالفاتِ التي للمتعرّبين من العجم . والسمعُ أبو

الملكات اللسانية ، ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها ، لجنوحها إليه
 باعتياد السمع . وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً
 ويطول العهد بها ، فينقلق القرآن والحديث على المفهوم ؛ فاستنبطوا
 من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة ، شبه الكليات
 والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه
 بالأشباه . مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، والمبتدأ
 مرفوع . ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات ،
 فاصطلحوا على تسميته إعراباً ، وتسمية الموجب لذلك التغير عيلاً
 وأمثال ذلك . وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم ، فقيدها
 بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة ، واصطلحوا على تسميتها
 بعلم النحر . وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني
 كنانة ، ويقال بإشارة علي رضي الله عنه ، لأنه رأى تغير الملكة ،
 فأشار عليه بحفظها ، ففرغ إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة^(١) المستقرأة ؛
 ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد
 الفراهيدي أيام الرشيد ، أحوج ما كان الناس إليها ، لذهاب تلك
 الملكة من العرب . فهذب الصناعة وكل أبوابها . وأخذها عنه
 سيبويه ، فكمل تفاريمها واستكثر من أدلتها وشواهداها ، ووضع
 فيها كتابه المشهور ، الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده .
 ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين ،
 يحدون فيها حدو الإمام في كتابه .

(١) كذا ، وفي ب : الحاصرة .

ثم طَالَ الكلامُ في هذه الصِّناعةِ وحدثَ الخلافُ بين أهلها ،
 في الكُوفَةِ والبصرة : المصريينِ القديمينِ للعربِ . وكثرتِ الأدِلَّةُ
 والحِجَاجُ بينهم ، وتباينتِ الطرقُ في التعليمِ ، وكثُرَ الاختلافُ في
 إعرابِ كثيرٍ من آي القرآنِ ، باختلافهم في تلك القواعدِ ، وطالَ
 ذلكَ على المتعلمينَ . وجاءَ المتأخرونَ بمذاهبهم في الاختصارِ ،
 فاختصروا كثيراً من ذلك الطولِ مع استيعابهم لجميعِ ما نُقِلَ ،
 كما فعلهُ ابنُ مالكٍ في كتابِ التسهيلِ وأمثاله ، أو اقتصاريهم على
 المبادئِ ، للمتعلمينَ ، كما فعلهُ الزمخشريُّ في المفصلِ وابنُ الحاجِبِ
 في المقدمةِ له . وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابنِ مالكٍ في الأرجوزتينِ
 الكبرى والصغرى ، وابنِ مُعْطِي في الأرجوزةِ الألفيَّةِ . وبالجملةِ
 فالتأليفُ في هذا الفنِّ أكثرُ من أن تحصى أو يحاطَ بها ، وطرقُ
 التعليمِ فيها مختلفَةٌ ؛ فطريقةُ المتقدمينَ مغايرةٌ لطريقةِ المتأخرينَ .
 والكوفيُّونَ والبصريُّونَ والبغدادِيُّونَ والأندلسِيُّونَ مختلفَةٌ طُرُقُهُمْ
 كذلك .

وقد كادت هذه الصِّناعةُ أن تؤذَنَ بالذهابِ لما رأينا من النقصِ
 في سائرِ العلومِ والصنائعِ بتناقصِ العمرانِ ، ووصلِ إلينا بالمغربِ
 لهذه العصورِ ديوانٌ من مصرَ ، منسوبٌ إلى جمالِ الدينِ ابنِ هشامٍ
 من علمائها ، استوفى فيه أحكامَ الإعرابِ مجملةً ومفصلةً . وتكلمَ
 على الحروفِ والمفرداتِ والجلدِ ، وحذفَ ما في الصِّناعةِ من
 المتكرِّرِ في أكثرِ أبوابها وسمَّاهُ بالمغني في الإعرابِ . وأشارَ إلى
 نُكَّتِ إعرابِ القرآنِ كُلِّها وضبطَها بأبوابِ وفصولِ وقواعدَ انتظمتْ

سائرَها ؛ فوقَّنا منه على علمِ جَمٍّ يَشْهَدُ بعلوِّ قدرِه في هذه الصنَاعةِ ووفورِ بضاعتِه منها ، وكأنَّه ينحو في طريقته مَنحَى نِجَاحِ أَهْلِ الموصلِ ، الذينَ اقتفوا أثرَ ابنِ جَنِّي واتبَعوا مصطَلَحَ تعلِيمِه ، فأتى من ذلك بشيءٍ عجيبٍ دالٍّ على قوَّةِ ملكتِه وإِطلاعِه . واللهُ يُزِيدُ في الخلقِ ما يشاء .

علم اللغة

هذا العلمُ هو بيانُ الموضوعاتِ اللغويَّةِ . وذلك أَنَّهُ لما فسدت ملكةُ اللسانِ العربيِّ ، في الحركاتِ المسماةِ عند أَهْلِ النحْوِ بالإعرابِ ، واستثبَّتِ القوانينُ لحفظِها كما قلناه . ثم استمرَّ ذلك الفسادُ بملازمةِ العَجَمِ ومخالطَتِهِمْ ، حتى تأدَّى الفسادُ إلى موضوعاتِ الألفاظِ ، فاستُعْمِلَ كثيرٌ من كلامِ العربِ في غيرِ موضوعِهِ عندهم ، ميلاً مع هُجْنَةٍ^(١) المتعرِّبين في اصطلاحاتهم المخالفةَ لصريحِ العربيَّةِ ، فاحتيجَ إلى حِفْظِ الموضوعاتِ اللغويَّةِ بالكتابِ والتدوينِ ؛ خشيةَ الدروسِ وما ينشأُ عنه من الجهلِ بالقرآنِ والحديثِ ، فشمَّرَ كثيرٌ من أئمةِ اللسانِ لذلك وأملوا فيه الدواوينَ . وكانَ سابقَ الحَلَبَةِ في ذلك الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ . أَلَفَ فيها كتابَ العينِ ؛ فحَصَرَ فيه مُرَكَّبَاتِ حروفِ المُعْجَمِ كلها ، من الثَّانِيِّ والثَّلَاثِيِّ والرُّبَاعِيِّ والخَمَاسِيِّ ، وهو غايةُ ما ينتهي إليه التركيبُ في اللسانِ العربيِّ .

(١) الهجنة في الكلام : العيب والقبح . (قاموس) .

وتأتى له حصر ذلك بوجوده عديدة حاصرة ؛ وذلك أن جملة
الكلمات الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالي من واحد
إلى سبعة وعشرين ، وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد . لأن
الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين ؛
فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية . ثم يؤخذ الثاني مع الستة
والعشرين كذلك . ثم الثالث والرابع . ثم يؤخذ السابع والعشرون
مع الثامن والعشرين ، فيكون واحداً ، فتكون كلها أعداداً على
توالي العدد من واحد إلى سبعة وعشرين ، فتجمع كما هي بالعمل
المعروف عند أهل الحساب وهو أن تجمع الأول مع الأخير
وتضرب المجموع في نصف العدد . ثم تضاعف لأجل قلب الثنائي ،
لأن التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب ، فيكون
الخارج جملة الثنائيات .

وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجتمع من
واحد إلى ستة وعشرين على التوالي العدد ؛ لأن كل ثنائية تريد
عليها حرفاً ، فتكون ثلاثية . فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد
مع كل واحد من الحروف الباقية ، وهي ستة وعشرون حرفاً ،
بعد الثنائية ؛ فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على التوالي العدد ،
ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة ، جملة
مقلوبات الكلمة الثلاثية ، فيخرج مجموع تركيبها من حروف المعجم .
وكذلك في الرباعي والخماسي . فأنحصرت له التراكيب بهذا الوجه ،
ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف . واعتمد فيه

ترتيب الخارج ، فبدأ بحروف الخلق ، ثم ما بعده من حروف الخلق ثم الأضراس ، ثم الشفة ؛ وجعل حروف العلة آخراً ، وهي الحروف الهوائية . وبدأ من حروف الخلق بالعين ، لأنه الأقصى منها . فذلك سمي كتابه بالعين ، لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا ، وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ . ثم بين المهمل منها من المستعمل ، وكان المهمل في الرباعي والحماسي أكثر لقلّة استعمال العرب له لثقله ، ولحق به الشنائي لقلّة دورانه ، وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب ، فكانت أوضاعه أكثر لدورانه . وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واستوعبه أحسن استيعاب وأوفاه .

وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المويدي بالأندلس ، في المائة الرابعة ؛ فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله ، وكثيراً من شواهد المستعمل ، ولخصه للحفظ أحسن تلخيص .

وألف الجوهرى من المشاركة ، كتاب الصحاح ، على الترتيب المتعارف لحروف المعجم ؛ فجعل البداءة منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة ، لاضطرار الناس في الأكثر إلى أواخر الكلم ، فيجعل ذلك باباً . ثم يأتي بالحروف أول الكلمة ، على ترتيب حروف المعجم أيضاً ، ويترجم عليها بالفصول إلى آخرها . وحصر اللغة اقتداءً بحصر الخليل .

ثم ألف فيها من الأنديسين ابن سيده من أهل دانية ، في

دولة علي بن مجاهد ، كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب ، وعلى نحو ترتيب كتاب العين . وزاد فيه التعرُّض لاشتقاقات الكلم وتصاريدها ؛ فجاء من أحسن الدواوين . ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس . وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكلم وبناء التراجم عليها ، فكانا توأما رحم وسلي أبي بؤة .

ولكراع من أئمة اللغة كتاب المنجد ، ولابن دُرَيْد كتاب الجهرة ولابن الأنباري كتاب الزاهر . هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه . وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الأبواب أو لكليهما ؛ إلا أن وجه الحصر فيها خفي ، ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رأيت . ومن الكتب الموضوعية أيضاً في اللغة كتاب الزحشرى في المجاز ، وسماء أساس البلاغة ، بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ ، فيما تجوزت به من المدلولات ، وهو كتاب شريف الإفادة .

ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها ، فرق ذلك عندنا ، بين الوضع والاستعمال ، واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ ؛ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ، ومن الإنسان بالأزهر ، ومن الغنم بالأملح ، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها خطأ وخروجاً

عن لسان العرب . واختصّ بالتأليف في هذا المنحى الشعالي ، وأفرده في كتاب له سمّاه فقه اللغة ، وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه ، أن يجرّف استعمال العرب عن مواضعه . فليس معرفة الوضع الأول بكافٍ في التركيب ، حتى يشهد له استعمال العرب لذلك . وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني نظمهِ ونثرهِ ، حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها ، وهو أشد من اللحن في الإعراب وأفحش . وكذلك ألف بعض المتأخرين في الألفاظ المشتركة وتكفّل بحصرها ، وإن لم يبلغ إلى النهاية في ذلك ، فهو مستوعبٌ للأكثر . وأمّا المختصرات الموجودة في هذا الفن ، المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال ، تسهيلاً لحفظها على الطالب ، فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكيت والفصيح ثعلب وغيرها . وبعضها أقل لغة من بعض اختلاف نظريهم في الأهم على الطالب للحفظ . والله الخلاق العليم ، لا ربّ سواه .

فصل : واعلم أن النقل الذي ثبت به اللغة ، إنما هو النقل عن العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني ، لا تقلّ إنهم وضعوها لأنّه متعذّر وبعيد ، ولم يعرف لأحد منهم . وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم نعلم استعماله ، على ما عرّف استعماله في ماء العنب ، باعتبار الإسكار الجامع . لأن شهادة الاعتبار في باب القياس إنما يدركها الشرع الدال على صحّة القياس من أصله . وليس لنا مثله في اللغة إلا بالعقل ، وهو محكم ، وعلى هذا جمهور الأئمة .

وإن مالَ إلى القياسِ فيها القاضي وابنُ سَرنج وغيرهم . لكن القول بنفيه أرجح . ولا تتوهمن أن إثبات اللغة في باب الحدود اللفظية ، لأن الحدَّ راجعٌ إلى المعاني ، ببيان أن مدلول اللفظ المجهول الحفي هو مدلول الواضح المشهور ، واللغة إثبات أن اللفظ كذا ، لمعنى كذا ، والفرق في غاية الظهور .

علم البيان

هذا العلمُ حادثٌ في الملة بعدَ علمِ العربية واللغة ، وهو من العلوم اللسانية ، لأنه متعلقٌ بالألفاظ وما تفيدُهُ . ويُقصدُ بها الدلالةُ عليه من المعاني . وذلك أن الأمور التي يقصدُ المتكلمُ بها إفادةَ السامعِ من كلامه هي : إما تصوُّر مفرداتٍ تُسندُ ويُسندُ إليها ويفضي بعضها إلى بعضٍ ، والدلالةُ على هذه هي المفرداتُ من الأسماء والأفعال والحروف ؛ وإما تمييزُ المسنداتِ من المسندِ إليها والازمنة ، ويُدلُّ عليها بتغيُّر الحركات وهو الإعرابُ وأبنية الكلمات . وهذه كلها هي صناعةُ النحو . ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات ، الحاجةُ للدلالة ، أحوال المتخاطبين أو الفاعلين ، وما يقتضيه حال الفعل ؛ وهو محتاجٌ إلى الدلالة عليه ، لأنه من تمام الإفادة ، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه . وإذا لم يشتغل على شيء منها ، فليس من جنس كلام العرب ؛ فإنَّ كلامهم واسعٌ ، ولكلِّ مقامٍ عندهم مقالٌ يختصُّ به بعد كمال الإعراب والإبانة .

ألا ترى أنَّ قولهم : (زيدٌ جاءني) مغايرٌ لقولهم (جاءني زيدٌ) من قبلَ أنَّ المتقدمَ منهما هو الأهمُّ عند المتكلمِ . فمن قال : جاءني زيدٌ ، أفاد أنَّ اهتمامه بالحجيء ، قبل الشخصِ المسندِ إليه ، ومن قال : زيدٌ جاءني ، أفاد أنَّ اهتمامه بالشخصِ ، قبل الحجيءِ المسندِ . وكذا التعبيرُ عن أجزاء الجملةِ ، بما يناسبُ المقامَ ، من موصولٍ أو مُبهمٍ أو معرفةٍ . وكذا تأكيدُ الإسنادِ على الجملةِ ، كقولهم : زيدٌ قائمٌ ، وإنَّ زيداً قائمٌ ، وإنَّ زيداً لقائمٌ ، متغايرةٌ كُلُّها في الدلالةِ ، وإن استوت من طريقِ الإعرابِ ؛ فإنَّ الأوَّلَ العاري عن التأكيدِ إنما يُفيدُ الخالي الذهنِ ، والثاني المؤكِّدُ (إنَّ) يفيدُ المتردِّدَ ، والثالثُ يفيدُ المنكرَ ، فهي مختلفةٌ . وكذلك تقولُ : جاءني الرجلُ ، ثم تقولُ مكانه بعينه جاءني رجلٌ إذا قصدتَ بذلك التنكيرَ تعظيمه ، وأنه رجلٌ لا يعادُلهُ أحدٌ من الرجالِ . ثم الجملةُ الإسناديةُ تكونُ خبريةً ، وهي التي لها خارجٌ تطابقُهُ أولاً ، وإنشائيةً وهي التي لا خارجَ لها كالطلبِ وأنواعه . ثم قد يتعيَّنُ تركُ العاطفِ بينَ الجملتينِ إذا كانَ للثانيةِ محلٌّ من الإعرابِ : فينزلُ بذلك منزلةَ التابعِ المفردِ نعتاً أو توكيداً أو بدلاً بلا عطفٍ ، أو يتعيَّنُ العطفُ إذا لم يكنِ للثانيةِ محلٌّ من الإعرابِ . ثم يقتضي المجلُّ الاطنابَ أو الإيجازَ فيوردُ الكلامُ عليهما . ثم قد يُدلُّ باللفظِ ولا يرادُ منطوقه ويُرادُ لازمهُ إن كان مفرداً ، كما تقولُ : زيدٌ أسدٌ ، فلا تريدُ حقيقةَ الأسدِ لمنطوقه ، وإنما تريدُ شجاعتهُ اللازمةَ تُسندُها إلى زيدٍ ، وتُسمَّى هذه استعارةً .

وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزوميه ، كما تقول : زيد كثير رَمَادٍ القدور ، وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجودِ وقوى الضيف ، لأن كثرة الرَمَاد ناشئة عنهما ، فهي دالة عليهما . وهذه كلها دلالة زائدة على دلالة الألفاظ من المفرد والمركب ، وإنما هي هيات وأحوال للواقعات جُعِلَتْ للدلالة عليها أحوال وهيات في الألفاظ كلٌ بحسب ما يقتضيه مقامه ، فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيات والأحوال والمقامات ، وجُعِلَ على ثلاثة أصناف : الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيات والأحوال ، التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ، ويسمى علم البلاغة ؛ والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزوميه وهي الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان . وألحقوا بهما صنفاً آخر ، وهو النظر في ترتيب الكلام وتحسينه بنوع من التتميق : إما بسجع يفصله ؛ أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ؛ أو ترصيع يقطع أوزانه ؛ أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام^(١) معنى أخفى منه ، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد ، وأمثال ذلك ، ويسمى عندهم علم البديع . وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثاني ؛ لأن الأقدمين أول ما تكلموا فيه . ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها . ثم لم تزل مسائل الفن

(١) كذا ، وفي نسخة : بإيهام .

تكملُ شيئاً فشيئاً إلى أن مخض السكاكي زُبدته وهذبَ مسائله ورُتّبَ أبوابه ، على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب ، وألف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان ، فجعلَ هذا الفن من بعض أجزاءه . وأخذهُ المتأخرون من كتابه ، ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد ، كما فعله السكاكي في كتاب التبيان^(١) ، وابن مالك في كتاب المصباح ، وجلال الدين القزويني في كتاب الإيضاح والتلخيص ، وهو أصغرُ حجماً من الإيضاح ، والعناية به لهذا العهد ، عند أهل المشرق ، في الشرح والتعليم منه أكثرُ من غيره . وبالجملَةِ فالمشاركة على هذا الفن أقومُ من المغاربة ، وسببه والله أعلمُ أنه كمالٌ في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجدُ في وفورِ العمران . والمشرقُ أوفرُ عُمراناً من المغرب كما ذكرناه . أو نقولُ لعناية العجم بهم مُعظمُ أهل المشرق ، كتفسير الزمخشري ، وهو كله مبنيٌّ على هذا الفن وهو أصله . وإنما اختصُّ بأهل المغرب من أصنافه علمُ البديع خاصةً ، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية ، وفرّعوا له ألقاباً وعدّدوا أبواباً ونوعوا أنواعاً . وزعموا أنهم أحصَوْها من لسان العرب ، وإنما حملهم على ذلك الولوعُ بتزيين الألفاظ ، وأنَّ علمَ البديع سهلُ المأخذ . وصعبت عليهم مأخذُ البلاغة والبيان لدقّة أنظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنها . ومن ألفَ في البديع من أهل إفريقية ابنُ رشيق ، وكتابُ العمدة له مشهورٌ . وجري كثيرٌ من أهل إفريقية والاندلس على

(١) كذا ، وفي ب : البيان .

منجاءً . واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن ، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة ؛ وهي أعلى مراتب الكمال ، مع الكلام فيما يختص بالألفاظ ، في انتقائها وجودة رصفها^(١) وتركيبها ، وهذا هو الإعجاز الذي تقصّر الأفهام عن إدراكه . وإنما يُدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته ، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه .

فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك ، لأنهم فرسان الكلام وجهابذته ، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه . وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون ، وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه ، حتى ظهر جاد الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير ، وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن ، بما يبدي البعض من إعجازه ؛ فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير ، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجود البلاغة . ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة ، مع وفور بضاعته من البلاغة . فمن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة ، حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه ، أو يعلم أنها بدعة فيعرض عنها ولا تضره في معتقده ؛ فإنه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب ، للظفر بشيء من الإعجاز ، مع السلامة من البدع والأهواء . والله الهادي من يشاء إلى سواء السبيل .

(١) كذا ، وفي ب : وجودة وضعها .

علم الأدب

هذا العلم لا موضوع له ، ينظرُ في اثباتِ عوارضه أو نفيها . وإنما المقصودُ منه عند أهل اللسانِ ثمرتهُ ، وهي الإِجادةُ في فني المنظومِ والمنثورِ ، على أساليبِ العربِ ومناحيهم ؛ فيجمعونَ لذلك من كلامِ العربِ ما عساهُ تحصلُ به الكلمةُ ، من شعرٍ عالي الطبقةِ وسجعٍ متساوٍ في الإِجادةِ ومسائلَ من اللغةِ والنحوِ ، مبثوثة أثناء ذلك ، متفرقة ، يستقري منها الناظرُ في الغالبِ مُعظمَ قوانينِ العربيّةِ ؛ مع ذكرِ بعضٍ من أيامِ العربِ ، يفهمُ به ما يقعُ في أشعارهم منها . وكذلك ذكرُ المهيمِ من الأنسابِ الشهيرةِ والأخبارِ العامّةِ . والمقصودُ بذلك كله أن لا يخفى على الناظرِ فيه شيءٌ من كلامِ العربِ وأَساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه ، لأنه لا تحصلُ الملكةُ من حفظه إلا بعدَ فهمه ، فيحتاجُ إلى تقديمِ جميعِ ما يتوقفُ عليه فهمه .

ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفنِ قالوا : الأدبُ هو حفظُ أشعارِ العربِ وأخبارِها والأخذُ من كلّ علمٍ بطرفٍ يريدونَ من علومِ اللسانِ أو العلومِ الشرعيّةِ من حيثُ متونها فقط ، وهي القرآنُ والحديثُ . إذ لا مدخلَ لغيرِ ذلكَ من العلومِ في كلامِ العربِ إلا ما ذهبَ إليه المتأخرونَ عندَ كَلْفِهِمْ بصنّاعةِ البديعِ من السورِ في أشعارِهِم وترسلِهِم بالاصطلاحاتِ العلميّةِ ؛ فاحتاجَ صاحبُ هذا الفنِ حينئذٍ إلى معرفةِ اصطلاحاتِ العلومِ ، ليكونَ قائماً على فهمِها .

وسمعنا من شيوخنا في مجالسِ التعليمِ أنَّ أصولَ هذا الفنِّ وأركانَهُ أربعةٌ دواوينَ وهي : أدبُ الكاتبِ لابن قتيبة وكتابُ الكامل للمبرِّد ، وكتابُ البيانِ والتبيينِ للجاحظِ ، وكتابُ النوادرِ لابي عليّ القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبعَ لها وفروعٌ عنها . وكتبُ المحدثينَ في ذلك كثيرةٌ .

وكانَ الغناءُ في الصدرِ الأوّلِ من أجزاءِ هذا الفنِّ ، لما هو تابعٌ للشعرِ ، إذ الغناءُ إما هو تلحينُهُ . وكانَ الكتابُ والفضلاءُ من الخواصِّ في الدولةِ العبّاسيّةِ يأخذونَ أنفُسَهُم به ، حرصاً على تحصيلِ أساليبِ الشعرِ وفنونه ؛ فلم يكن انتِحاله قاذِحاً في العدالةِ والمروءةِ . وقد ألّفَ القاضي أبو الفرجِ الأصبهانيُّ وهو ما هو ، كتابَهُ في الأغاني ، جمعَ فيه أخبارَ العربِ وأشعارَهُم وأنسابَهُم وأيامَهُم ودُوْلَهُم . وجعلَ مبناهُ على الغناءِ في المائةِ صوتِ التي اختارها المغنُّونَ للرشيديّ ، فاستوعبَ فيه ذلك أتمَّ استيعابٍ وأوفاهُ . ولعمري إنه ديوانُ العربِ وجامعُ أشتاتِ المحاسنِ التي سلفتَ لهم ، في كلِّ فنٍّ من فنونِ الشعرِ والتاريخِ والغناءِ وسائرِ الأحوالِ ، ولا يُعَدُّ به كتابٌ في ذلك فيما نعلمُهُ ، وهو الغايةُ التي يسمو إليها الأديبُ ويقفُ عندها ، وأنّى له بها . ونحنُ الآنَ نرجعُ بالتحقيقِ على الإجمالِ فيما تكلمنا عليه من علومِ اللسانِ . واللهُ الهادي للصّوابِ .

الفصل السادس والأربعون

في أن اللغة ملكة صناعية

إعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ، إذ هي ملكات في اللسان ، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها . وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب . فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة ، للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع ، وهذا هو معنى البلاغة . والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالاً . ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة .

فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته ^(١) اللغة العربية موجودة فيهم ، يسمع كلام أهل جيله ، وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ؛ فيلقنها أولاً ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك . ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم ،

(١) هكذا ، وفي ب : ملكة اللغة الخ .

واستعماله يتكرّرُ إلى أن يصيرَ ذلك ملكةً وصفةً راسخةً ويكونُ كأحدهم .

هكذا تصيرت الألسنُ واللغاتُ من جيلٍ إلى جيلٍ وتعلّمها العجمُ والأطفالُ . وهذا هو معنى ما تقوله العامةُ من أن اللغةَ للعربِ بالطبعِ أي بالملكةِ الأولى التي أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم . ثم فسدت هذه الملكةُ لمُضَرَ بمخالطتهم الأعاجمِ . وسببُ فسادِها أن الناشئ من الجيلِ ، صارَ يسمعُ في العبارةِ عن المقاصدِ كصفاتٍ أخرى غيرَ الكيفياتِ التي كانت للعربِ ، فيعبرُ بها عن مقصودِهِ لكثرةِ المخالطينَ للعربِ من غيرهم ، ويسمِعُ كصفاتٍ العربِ أيضاً ؛ فاختلطَ عليه الأمرُ وأخذَ من هذه وهذه ، فاستحدثَ ملكةً وكانت ناقصةً عن الأولى . وهذا معنى فسادِ اللسانِ العربيِّ .

ولهذا كانت لغةُ قرشٍ أفصحَ اللغاتِ العربيةِ وأصرحها لبُعديهم عن بلادِ العجمِ من جميعِ جهاتِهِمْ . ثم من اكتشفهم من ثقيفَ وهذيلَ وخزاعةَ وبني كِنانةَ وعطفانَ وبني أسدٍ وبني تميمٍ . وأما من بعدَ عنهم من ربيعةَ ولخمٍ وجذامَ وغسانَ وإيادٍ وقُضاعةَ وعَرَبِ اليَمَنِ المجاورينَ لأُمَمِ الفُرسِ والرومِ والحبشةِ ، فلم تكن لغتهمُ تأمةً للملكةِ بمخالطةِ الأعاجمِ . وعلى نسبةِ بُعديهم من قرشٍ كان الاحتجاجُ بلغاتهمِ في الصِّحةِ والفسادِ عند أهلِ الصِّناعةِ العربيةِ . والله سبحانه وتعالى أعلمُ وبه التوفيقُ .

الفصل السابع والأربعون

في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر ولغة حمير

وذلك أننا نجدُها في بيان المقاصدِ والوفاء بالدلالة على سُننِ اللسانِ المُضَرِّي ، ولم يُفَقَدْ منها إلا دَلالةُ الحَرَكَاتِ على تَعْيُنِ الفاعلِ من المفعول ؛ فاعتاضوا منها بالتقديمِ والتأخيرِ وبقرائنِ تدلُّ على خصوصياتِ المقاصدِ . إلا أنَّ البيانَ والبلاغةَ في اللسانِ المُضَرِّي أكثرُ وأعرقُ ، لأنَّ الألفاظَ بأعيانها دالةٌ على المعاني بأعيانها . ويبقى ما تقتضيه الأحوالُ - ويُسمَّى بساطَ الحالِ - محتاجاً إلى ما يدلُّ عليه . وكلُّ معنى لا بدَّ وأن تكتنفه أحوالٌ تخصُّه ، فيجبُ أن تُعتَبَرَ تلكَ الأحوالُ في تأديةِ المقصودِ لأنها صفاتُهُ ، وتلكَ الأحوالُ في جميعِ الألسُنِ أكثرُ ما يُدلُّ عليها بألفاظٍ تخصُّها بالوضعِ . وأما في اللسانِ العَرَبِيِّ فإنَّما يُدلُّ عليها بأحوالٍ وكيِّفِيَّاتٍ ، في تراكيبِ الألفاظِ وتأليفها ، من تقديمٍ أو تأخيرٍ أو حذفٍ أو حركةٍ إعرابٍ . وقد يُدلُّ عليها بالحروفِ غيرِ المستقلةِ . ولذلك تَفَاوَتَتْ طَبَقَاتُ الكلامِ في اللسانِ العَرَبِيِّ بحسبِ تَفَاوُتِ الدَّلالةِ على تلكَ الكيِّفِيَّاتِ كما قدَّمناه ، فكانَ الكلامُ العَرَبِيُّ لذلك أَوْجَزَ وأَقْلَ أَلْفاظاً وعِبارةً من جميعِ الألسُنِ .

وهذا معنى قوله ﷺ : «أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَاخْتَصِرَ لِيَ الْكَلَامُ اخْتِصَاراً» . واعتبر ذلك بما يُحكى عن عيسى بنِ عُمَرَ وقد

قال له بعض النحاة : « إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم : زيد قائم ، وإن زيداً قائم ، وإن زيداً قائم والمعنى واحد » . فقال له : إن معانيها مختلفة ، فالأول : لإفادة الخالي الذهن من قيام زيد ، والثاني : لمن سمعه فتردد فيه ، والثالث : لمن عرف بالاصرار على إنكاره فاختلقت الدلالة باختلاف الأحوال .

وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد . ولا تلتفتت في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد ، اعتباراً بما وقع أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه . وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم ، وألقاها القصور في أفئدتهم ؛ وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألقاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ، وفيهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم ، والشاعر المفلق على أساليب لغتهم . والدوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك . ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر الكلم فقط ، الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيأ معروفاً وهو الإعراب ، وهو بعض من أحكام اللسان . وإنما وقعت العناية بلسان مضر ، لما فسد بمخالطتهم الأعاجم ، حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب ، وصارت

ملكته على غير الصورة التي كانت أولاً ، فانقلب لغة أخرى .
 وكان القرآن منزلاً به والحديث النبوي منقولاً بلغته وهما
 أصلا الدين والملة ، فخشي تناسيها وانغلاق الأفهام عنهما بفقدان
 اللسان الذي تنزلاً به ؛ فاحتجج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه
 واستنباط قوانينه . وصار علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل ،
 سماه أهله بعلم النحو ، وصناعة العربية ؛ فأصبح فناً محفوظاً وعلماً
 مكتوباً وسُلماً إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ راقياً . ولعلنا
 لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه ،
 نعتاض عن الحركات الإعرابية التي فسدت في دلالتها بأمرٍ أخرى
 وكيفيات موجودة فيه ؛ فتكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون
 في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مضر ، فليست اللغات
 وملكاتها مجاناً .

ولقد كان اللسان المضرّي مع اللسان الحميري بهذه المثابة
 وتغيّرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف
 كلماته . تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدينا خلافاً لمن يحمله القصور
 على أنهما لغة واحدة ، ويلتمس إجراء اللغة الحميرية على مقاييس
 اللغة المضرية وقوانينها ، كما يزعم بعضهم في اشتقاق (القيّل) في
 اللسان الحميري أنه من القول وكثير من أشباه هذا ، وليس ذلك
 بصحيح . ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من
 أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ، كما هي لغة العرب لهذا مع
 لغة مضر ؛ إلا أن العناية بلسان مضر ، من أجل الشريعة كما قلناه ،

حمل ذلك على الاستنباط والاستمراء ، وليس عندنا لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعونا إليه .

ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد ، حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف ؛ فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار ، كما هو مذكور في كتب العربية ، انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى . وما ينطقون بها أيضاً من مخرج الكاف ، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي ، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق ؛ حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ومختصاً بهم لا يشاركون فيها غيرهم . حتى إن من يريد التعرّب والانتساب إلى الجيل والدخول فيها يحاكيهم في النطق بها . وعندهم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف . ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فإن هذا الجيل الباقيين معظمهم ورؤساؤهم شرقاً وغرباً في ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ، ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور . وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر ، وسائر الجيل معهم من بني كهلان ، في النطق بهذه القاف ، أسوة . وهذه اللغة لم يتبدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولعلها لغة النبي .

ﷺ بعينها . وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ، ولم أدر من أين جاء هذا ؟ فإن أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها ، وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح . وأهل الجيل أيضاً لم يستحدثوها ، إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار . فهذا يرجح ، فيما يوجد من اللغة لديهم ، أنه من لغة سلفهم . هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها ، وأنها الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري . والظاهر أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الجيل العربي البدوي هو من مخرج القاف عند أولهم من أهل اللغة ، وأن مخرج القاف متسع ، فأوله من أعلى الحنك وآخره مما يلي الكاف . فالنطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار ، والنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدوي . وبهذا يندفع ما قاله أهل البيت من فساد الصلاة بتركها في أم القرآن ؛ فإن فقهاء الأمصار كلهم على خلاف ذلك . وبعيد أن يكونوا أهملوا ذلك ، فوجهه ما قلناه . نعم نقول إن الأرجح والأولى ما ينطق به أهل الجيل البدوي لأن تواترها فيهم كما قدمناه ، شاهد بأنها لغة الجيل الأول من سلفهم ، وأنها لغة النبي ﷺ . ويرجح ذلك أيضاً إدغامهم لها في الكاف لتقارب المخرجين . ولو كانت كما ينطق بها أهل الأمصار من أصل الحنك ، لما كانت قريبة المخرج من الكاف ، ولم تُدغم . ثم إن أهل العربية

قد ذكروا هذه القاف القريبة من الكاف ، وهي التي ينطقُ بها أهلُ الجليل البدويّ من العرب لهذا العهد ، وجعلوها متوسّطةً بين مخرجي القاف والكاف . على أنها حرفٌ مستقِلٌّ ، وهو بعيد . والظاهرُ أنّها من آخر مخرج القاف لا تساعه كما قلناه . ثم إنّهم يصرّحون باستهجانِهِ واستقباحِهِ كأنّهم لم يصحّ عندهم أنها لغةُ الجليل الأوّل . وفيما ذكروا من اتّصال نطقهم بها ، لأنّهم إنّما ورثوها من سلفيّهم جيلاً بعد جيل ، وأنّها شعارُهُم الخاصُّ بهم ، دليلٌ على أنّها لغةُ ذلك الجليل الأوّل ، ولغةُ النبي ﷺ كما تقدّم ذلك كلّهُ . وقد يزعمُ زاعمٌ أنّ هذه القاف التي ينطقُ بها أهلُ الأمصار ليست من هذا الحرف ، وأنّها إنّما جاءت من مخالطتهم للعجم ، وإنّهم ينطقون بها كذلك ؛ فليست من لغة العرب . ولكن الأقيس كما قدّمناه من أنّهما حرف واحد متسع المخرج . فتفهم ذلك . والله الهادي المبين .

الفصل الثامن والأربعون

في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة لغة مضر

اعلم أنّ عُرفَ التخاطبِ في الأمصار وبينَ الحضر ليس بلغة مضرَ القديمة ، ولا بلغة أهل الجليل ؛ بل هي لغةٌ أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجليل العربيّ الذي لهدنا ، وهي عن لغة مضر أبعد .

فأما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر ، يشهد له ما فيها من التغاير الذي بعد عن صناعة أهل النحر لحناً . وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم ؛ فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب ، وكذا أهل الأندلس معها ، وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه . وهذا معنى اللسان واللغة . وفقدان الأعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد .

وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل ؛ فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة^(١) . فن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد ، لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه . وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم . فعلى مقدار ما يسمونه من العجمة ويرون عليه يبعدون عن الملكة الأولى . واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق . أما إفريقية والمغرب ، فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم ، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل ؛ فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم ، وصارت لغة أخرى ممتزجة . والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه ، فهي عن اللسان الأول أبعد . وكذا المشرق لما غلب العرب على أئمه من فارس والترك فخالطوهم ، وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرّة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم

(١) كذا ، وفي ب : لمخالصة العجم .

خولاً وداياتٍ وأظناراً ومراضعٍ؛ ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى . وكذا أهل الاندلس مع عجم الجلالة والإفرنجية . وصارت أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم ، تخالف لغة مضر وتختلف أيضاً بعضها بعضاً كما نذكره ، وكأنها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم . والله يخلق ما يشاء ويقدر .

الفصل التاسع والأربعون

في تعلم اللسان المضري

اعلم أن ملكة اللسان المضري ، لهذا العهد ، قد ذهبت وفسدت . ولغة أهل الجليل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن ، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه . إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً ، شأن سائر الملكات . ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم ؛ حتى يتنزل كثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ؛ ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم ، وتأليف كلماتهم ، وما وعاه

وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ؛ فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ؛ ويزداد بكثرتها رُسوخاً وقوةً . ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم الحسن المنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال . والذوق يشهد بذلك ، وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم . فيها كما يُذكر بعد . وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول المصنوع نظماً ونثراً . ومن حصل على هذه الملكات ، فقد حصل على لغة مُضَرَّة ، وهو الناقد البصيرُ بالبلاغة فيها ، وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها . والله يهدي من يشاء بفضلِهِ وكرَمِهِ .

الفصل الخامس

في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة . فهو علمٌ بكيفية ، لا نفسُ كيفية . فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ، ولا يُحكّمها عملاً . مثل أن يقول بصيرٌ بالخطاطة ، غير محكم ملكتها ، في التعبير عن بعض أنواعها : الخطاطة هي أن تدخل الخط ، في خزن الإبرة ، ثم تُغرّزها في لفم الثوب مجتمعين ، وتُخرّجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ، ثم تردّها إلى حيث

ابتدأت ، وتُخرّجها قدامَ منفيها الأولِ بمطرح ما بين الثّمينِ
الأولّين ؛ ثم يتّمدى على وصفه إلى آخرِ العملِ ، ويُعطي صورةَ
الحبكِ والتّنبيتِ^(١) والتفتيحِ وسائرِ أنواعِ الحياطةِ وأعمالها . وهو
إذا طوّلَ أن يعملَ ذلك بيده لا يُحكّمُ منه شيئاً .

وكذا لو سُئلَ عالمٌ بالنجارةِ عن تفصيلِ الحشَبِ فيقول :
هو أن تضعَ المنشارةَ على رأسِ الحشبةِ وتُمسكُ بطرفه ، وآخرُ
قُبالاتك ممسكٌ بطرفه الآخرِ وتتعاقبانه بينكما ، وأطرافهُ المضرسّةُ
المحدّدةُ تُقطّعُ ما مرّت عليه ذاهبةً وجائئةً ، إلى أن ينتهي إلى
آخرِ^(٢) الحشبةِ . وهو لو طوّلَ بهذا العملِ أو شيءٍ منه لم يُحكّمهُ .
وهكذا العلمُ بقوانينِ الإعرابِ مع هذه الملكةِ في نفسها ،
فإنّ العلمَ بقوانينِ الإعرابِ إنّما هو علمٌ بكيفيّةِ العملِ وليس هو
نفسَ العملِ . وكذلك يُجدُّ كثيراً من جهابذةِ النحاةِ ، والمهرةِ في
صناعةِ العربيّةِ المحيطينَ علماً بتلك القوانينِ ، إذا سُئلَ في كتابةِ
سطرينِ إلى أخيه أو ذي مودّته أو شكوى ظلامَةٍ أو قصديٍّ من
قصودِهِ ، أخطأ فيها الصوابَ وأكثرَ من اللحنِ ، ولم يُجدِّ تأليفَ
الكلامِ لذلك ، والعبارةِ عن المقصودِ فيه على أساليبِ اللسانِ العربيِّ .
وكذا نجدُّ كثيراً ممن يحسنُ هذه الملكةَ ويجيدُ الفتيّنَ من المنظومِ
والمنثورِ ، وهو لا يُحسنُ إعرابَ الفاعلِ من المفعولِ ، ولا المرفوعِ
من المجرورِ ، ولا شيئاً من قوانينِ صناعةِ العربيّةِ .

(١) كذا، وفي ب: والتّنبيت.

(٢) كذا، وفي ب: أسفل.

فمن هنا يُعلمُ أنَّ تلكَ الملكة هي غيرُ صناعةِ العربيةِ ، وأنها مستغنيةٌ عنها بالجملة . وقد نجدُ بعضَ المهرةِ في صناعةِ الإعرابِ بصيراً بحالِ هذه الملكةِ ، وهو قليلٌ واتفاقيٌ ، وأكثرُ ما يقعُ للمخالفينَ لكتابِ سيبويه . فانه لم يقتصرْ على قوانينِ الإعرابِ فقط ، بل ملأَ كتابه من أمثالِ العربِ وشواهدِ أشعارهم وعباراتهم ؛ فكان فيه جزءٌ صالحٌ من تعليمِ هذه الملكةِ ، فتجدُ العاكفَ عليه والحصلَ له ، قد حصلَ على خطٍ من كلامِ العربِ واندرجَ في محفوظه في أمانيه ومفاصلِ حاجاته . وتنبهَ به لشأنِ الملكةِ ، فاستوفى تعليمها ، فكان أبلغَ في الإفادة .

ومن هؤلاء المخالفينَ لكتابِ سيبويه من يغفلُ عن التفتُّنِ لهذا ، فيحصلُ على علمِ اللسانِ صناعةً ولا يحصلُ عليه ملكةً . وأما المخالفونَ لكتبِ المتأخرينَ العاريةِ من ذلك ، إلا من القوانينِ النحويةِ ، مجردةً عن أشعارِ العربِ وكلامهم ؛ فقلما يشعرونَ لذلك بأمرِ هذه الملكةِ أو يتنبهونَ لشأنها ، فتجدُّهم يجسبونَ أنهم قد حصلوا على رتبةٍ في لسانِ العربِ ، وهم أبعدُ الناسِ عنه . وأهلُ صناعةِ العربيةِ بالاندلسِ ومعلِّموها أقربُ إلى تحصيلِ هذه الملكةِ وتعليمها ممن سواهم ، لقيامهم فيها على شواهدِ العربِ وأمثالهم ، والتفهُ في الكثيرِ من التراكيبِ في محالِّسِ تعليمهم ؛ فيسبقُ إلى المبتدئِ كثيرٌ من الملكةِ أثناءَ التعليمِ ، فتنبطُ النفسُ بها وتستعدُّ إلى تحصيلها وقبولها .

وأما من سواهم من أهلِ المغربِ وإفريقيةٍ وغيرهم ؛ فأجروا

صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً ، وقطعوا النظر عن التفقه في
 تراكيب كلام العرب ؛ إلا إن أعربوا شاهداً أو رجحوا مذهباً^(١) ،
 من جهة الاقتضاء الذهني ، لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه .
 فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو
 الجدلي ، وبُعدت عن مناحي اللسان وملكته وأفاد ذلك حملتها في
 هذه الأمصار وآفاقها البعد عن الملكة بالكلية ، وكأنهم لا ينظرون
 في كلام العرب . وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد
 اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه ، وغفلتهم عن المران في ذلك للتعليم ،
 فهو أحسن ما تُفيدُه الملكة في اللسان . وتلك القوانين إنما هي
 وسائل للتعليم ؛ لكنهم أجروها على غير ما قصد بها ، وأصاروها
 علماً بحتاً وبعُدوا عن ثمرتها . وتعلم ما قرئناه في هذا الباب ، أن
 حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام
 العرب ، حتى يرسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم
 فينسج هو عليه . ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط
 عباراتهم في كلامهم ، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة
 عن المقاصد على نحو كلامهم . والله مقدر الأمور كلها ، والله
 أعلم بالغيب .

(١) كذا ، وفي ب : معنى .

الفصل الحادى والعشرون

في تفسير لفظ الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه
وبيان انها لا تحصل غالباً للمستعربين من العجم

إعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان . وقد مرّ تفسير البلاغة ، وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه ، بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك . فالتكليم بلسان العرب والبلغ فيه يتجرى الهيئة المفيدة لذلك ، على أساليب العرب وأنحاء مخاطبتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ؛ فإذا اتّصلت معاناته لذلك بمخالطة كلام العرب ، حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه أمر التركيب ، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب ؛ وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحى ، مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر ، بل وبغير فكر ، إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة . فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجيلة لذلك المحل . ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ، أن الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي . ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك ، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادىء الرأي أنها جيلة وطبع .

وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصلُ بممارسة كلام العرب وتكرُّره على السمع والتفطن لخواصِّ تراكيبه ، وليست تحصلُ بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهلُ صناعة البيان فإن هذه القوانين إنما تُفيدُ علماً بذلك اللسان ، ولا تُفيدُ حصولَ الملكة بالفعل في محلِّها ، وقد مرَّ ذلك . وإذا تقرَّرَ ذلك فملكةُ البلاغة في اللسان تُهدي البليغ إلى وجودِ النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رامَ صاحبُ هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة ، لما قدَّرَ عليه ولا وافقه عليه لسانه ، لأنَّه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده . وإذا عرَّضَ عليه الكلام ، حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرَّضَ عنه ومجَّه ، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارسَ كلامهم . وإنما يعجزُ عن الاحتجاج بذلك ، كما تصنعُ أهلُ القوانين النحوية والبيانية ؛ فإنَّ ذلك استدلالٌ بما حصلَ من القوانين المفاداة بالاستقراء . وهذا أمرٌ وجدانيُّ حاصلٌ بممارسة كلام العرب ، حتى يصيرَ كواحدٍ منهم .

ومثاله : لو فرضنا صبياً من صبيانهم ، نشأ ورثي في جيلهم ، فانه يتعلَّم لغتهم ويحكِّم شأن الإعراب والبلاغة فيها ، حتى يستولي على غايتها . وليس من العلم القانوني في شيء ، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك تحصلُ هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل ، بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك ،

بِحَيْثُ يُحْصَلُ الْمَلَكَةُ وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِنْ نَشْأٍ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ
أَحْيَائِهِمْ . والقوانينُ بِعَزَلٍ عَنْ هَذَا . واستُعِيرَ لهذه المَلَكَةُ ، عندما
تَرْسَخُ وَتَسْتَقِرُّ ، اسمُ الذوقِ الَّذِي اصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ صِنَاعَةِ الْبَيَانِ
وَالذَّوْقِ إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لِادْرَاكِ الطُّعُومِ . لكن لما كان محلُّ هذه
المَلَكَةِ فِي اللِّسَانِ ، مِنْ حَيْثُ النَّطْقُ بِالْكَلَامِ ، كما هُوَ محلُّ لادْرَاكِ
الطُّعُومِ ، اسْتُعِيرَ لَهَا اسْمُهُ . وأيضاً فهو وجدانيُّ اللِّسَانِ ، كما أَنَّ
الطُّعُومَ مُحَسَّوسَةٌ لَهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ ذَوْقٌ . وإذا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ ، عَلِمْتَ
مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ
إِلَى النَّطْقِ بِهِ لِمَخَالَطَةِ أَهْلِهِ ، كَالْفُرسِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكَ بِالشَّرْقِ وَكَالْبَرْبَرِ
بِالْمَغْرِبِ ، فَإِنَّهُ لَا يُحْصَلُ لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ
الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا ؛ لِأَنَّ قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمُرِ وَسَبْقِ
مَلَكَةٍ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ ، وَهِيَ لِفَاؤُهُمْ ، أَنَّ يَعْتَنُوا بِمَا يَتَدَاوَلُهُ
أَهْلُ الْمَصْرِ بَيْنَهُمْ فِي الْمَحَاوَرَةِ مِنْ مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ ، لَمَا يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ
مِنْ ذَلِكَ . وهذه المَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ ، وَبَعُدُوا عَنْهَا
كَما تَقَدَّمَ . وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَكَةٌ أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ
الْمَطْلُوبَةِ . وَمِنْ عَرَفَ أَحْكَامَ تِلْكَ الْمَلَكَةِ مِنَ الْقَوَانِينِ الْمُسْطَرَّةِ فِي
الْكِتَابِ ، فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ ، إِنَّمَا حَصَلَ أَحْكَامُهَا
كَما عَرَفْتَ . وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمَهِارَةِ وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُرِ
لِكَلَامِ الْعَرَبِ . فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ ، مِنْ أَنَّ سَيُويَه وَالْفَارِسِيَّ
وَالزُّنْخَرِيَّ وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ كَانُوا أَعْجَاماً مَعَ حُصُولِ
هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ نَسَمِعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا

كانوا عَجَمًا في نَسَبِهِمْ فقط . أما المربي والنشأة فكانت بين أهل هذه المَلَكَةِ من العرب ومن تعلّمها منهم ، فاستولوا بذلك من الكلام على غايَةٍ لا وراءها ؛ وكأَنَّهُمْ في أوَّلِ نشأتهم بمنزلة الأصغر من العرب الذين نشأوا في أجياهم ، حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها . فهم وإن كانوا عجمًا في النَّسَبِ فليسوا بأعجام في اللغة والكلام ، لأنَّهم أدركوا المِلَّةَ في عُنفواينها واللغة في شبابها ، ولم تذهب آثارُ المَلَكَةِ منها ولا من أهل الأمصار ، ثم عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته .

واليوم الواحدُ من العَجَمِ ، إذا خالطَ أهلَ اللسانِ العربيِّ بالأمصارِ ، فأولُ ما يجدُ تلك المَلَكَةَ المقصودةَ من اللسانِ العربيِّ ممتحِية الآثار . ويجدُ ملكتهم الخاصّة بهم مَلَكَةً أخرى مخالِفةً للمَلَكَةِ اللسانِ العربيِّ . ثم إذا فرضنا أنه أقبلَ على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمدارسة والحفظ ليستفيدَ تحصيلها ، فقلُّ أن يحصلَ له ما قدّمناه من أن المَلَكَةَ إذا سبقتها مَلَكَةٌ أخرى في المحلِّ ، فلا تحضُلُ إلا ناقصةً مخدوشةً . وإن فرضنا عَجَميًا في النسبِ سلِمَ من مخالطة اللسانِ العجميِّ بالكلّيّة ، وذهب إلى تعلُّم هذه المَلَكَةِ بالحفظ والمدارسة ، فربما يحصلُ له ذلك ، لكنّه من الدورِ بحيث لا يخفى عليك بما تقرّر . وربما يدّعي كثيرٌ ممن ينظرُ في هذه القوانينِ البيانيّة حصولَ هذا الذوقِ له بها ، وهو غلطٌ أو مغالطةٌ ؛ وإنما حصلتْ له المَلَكَةُ إن حصلت في تلك القوانينِ البيانيّة ، وليست من مَلَكَةِ العبارة في شيء . واللهُ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

الفصل الثاني والخمسون

ففي أن الإمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية
التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي
كان حصولها له أصعب وأعسر

والسبب في ذلك ما يسبق إلى المتعلم ، من حصول ملكة
مُنافية للملكة المطلوبة ، بما سبق إليه من اللسان الحضري الذي
أفادته العُجمة ، حتى نزل بها اللسان عن ملكته الأولى إلى ملكة
أخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد . ولهذا نجد المعلمين يذهبون إلى
المسابقة بتعليم اللسان للولدان . وتعتقد النحاة أن هذه المسابقة
يصنعونها ، وليس كذلك ، وإنما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة
اللسان وكلام العرب . نعم صناعة النحو أقرب إلى مخالطة ذلك .
وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العُجمة وأبعد عن لسان
مُضَرَّ قَصَر بصاحبه عن تعلم اللغة المضريّة وحصول ملكتها لتمكّن
المنافاة^(١) حينئذ . واعتبر ذلك في أهل الأمصار .

فأهل إفريقية والمغرب لما كانوا أعرق في العُجمة وأبعد عن
اللسان الأول ، كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم .
ولقد نقل ابن الرقيق أن بعض كتّاب القيروان كتب إلى صاحب
له : يا أخي ومن لا عديمتُ فقدته ، أعلمني أبو سعيد كلاماً أنك

(١) كذا ، وفي ب : المكافاة .

كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي ، وعاقنا اليوم فلم يتهياً لنا الخروج . وأما أهل المنزل الكلاب^(١) من أمر الشين فقد كذبوا هذا باطلاً ، ليس من هذا حرفاً واحداً . وكتابي إليك وأنا مُشتاقٌ إليك إن شاء الله . وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري ، وسببه ما ذكرنا .

وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ، ولم تزل كذلك ، لهذا العهد . ولهذا ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء ، إلا ابن رشيق وابن شرف . وأكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها ، ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الآن مائلة إلى القصور . وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة ، بكثرة معاناتها وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً . وكان فيهم ابن حيّان المؤرخ إمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها ، وابن عبد ربّه والقسطلّي وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف ؛ لما زخرت فيها بحار اللسان والأدب وتداول ذلك فيهم مئين من السنين ، حتى كان الانفضاض والجلال أيام تغلب النصرانية . وسُئلوا عن تعلم ذلك ، وتناقص العُمران فتناقص لذلك شأن الصنائع كلها . فقضرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض .

وكان من آخرهم صالح بن شريف ، ومالك بن المرحل من تلاميذ الطبقة الاشبيليين بسبته وكانت دولة بني الأحمر في أولها .

(١) كالب الرجل كلاباً : عاداه جهاراً (قاموس) .

وَأَلَقَتِ الْأَنْدُلُسُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا ، مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكَةِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُوِّ ، مِنْ عُدُوِّ اشْبِيلِيَّةٍ إِلَى سَبْتَةَ ، وَمِنْ شَرْقِ الْأَنْدُلُسِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ . وَلَمْ يَلْبِسُوا إِلَى أَنْ أَنْقَرَضُوا وَانْقَطَعَ سِنْدُ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ ، لِعَسْرِ قَبُولِ الْعُدُوِّ لَهَا وَصَعُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ ، بِعَوَجِ أَلْسِنَتِهِمْ وَرُسُوخِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرَبَرِيَّةِ ، وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا قَلَنَاهُ .

ثُمَّ عَادَتِ الْمَلَكَةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدُلُسِ كَمَا كَانَتْ ، وَنَجَمَ بِهَا ابْنُ سِيرِينَ وَابْنُ جَايِرٍ وَابْنُ الْجِيَابِ وَطَبَقَتُهُمْ ؛ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطُّونِجِي وَطَبَقَتُهُ ، وَقَفَّاهُمُ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمْ هَالِكٌ لِهَذَا الْعَهْدِ شَهِيداً بِسَعَايَةِ أَعْدَائِهِ . وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكَةٌ لَا تُدْرِكُ وَاتَّبَعَ آثَرُهُ تَلْمِيزُهُ مِنْ بَعْدِهِ . وَبِالْجَمَلَةِ فَشَأْنُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْأَنْدُلُسِ أَكْثَرُ ، وَتَعْلِيمُهَا أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ ، بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ مُعَانَاةِ عُلُومِ اللِّسَانِ وَمَحَافِظَتِهِمْ عَلَيْهَا وَعَلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَسِنْدِ تَعْلِيمِهَا . وَلَآنَ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَجَبِيِّ الَّذِينَ تَفْسَدُ مَلَكَتُهُمْ إِذَا هُمْ طَارِثُونَ عَلَيْهِمْ . وَلَيْسَتْ عُجْمَتُهُمْ أَصْلاً لِلْعَقَةِ أَهْلِ الْأَنْدُلُسِ وَالْبَرَبَرِ فِي هَذِهِ الْعُدُوِّ ، وَهُمْ أَهْلُهَا وَلِسَانُهُمْ لِسَانُهَا إِلَّا فِي الْأَمْصَارِ فَقَطْ . وَهُمْ فِيهَا مُنْعَمِسُونَ فِي بَحْرِ عُجْمَتِهِمْ وَرِطَانَتِهِمْ الْبَرَبَرِيَّةِ ؛ فَيَصْعُبُ عَلَيْهِمْ تَحْصِيلُ الْمَلَكَةِ اللَّسَانِيَّةِ بِالتَّعْلِيمِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَنْدُلُسِ . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِجَالِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ ؛ فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ أَهْلِ الْأَنْدُلُسِ فِي تِمَامِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَإِجَادَتِهَا ، لَبَعْدِهِمْ لَذَلِكَ الْعَهْدِ عَنِ الْأَعَاجِمِ وَمَخَالَطَتِهِمْ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ . فَكَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَقْوَمَ ، وَكَانَ فَحُولُ الشُّعْرَاءِ

والكتاب لعهدهم أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالشرق .

وانظر ما اشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونثرهم ، فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم ، وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم ، وملتهم العربية وسير نبيهم ﷺ وآثار خلفائهم وملوكهم ، وأشعارهم وغنائهم وسائر مغانيهم له ، فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب . وبقي أمر هذه الملكة مستحيماً في المشرق في الدولتين ، وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد . حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم ، وصار الأمر للعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم . وذلك في دولة الديلم والسلجوقية . وخالطوا أهل الأمصار وكثروهم فامتلات الأرض بلغاتهم ، واستولت العجمة على أهل الأمصار والخواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكتهم ، وصار متعلمها منهم مقصراً عن تحصيلها . وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور ، وإن كانوا أكثرين منه . والله يخلق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق لا رب سواه .

الفصل الثالث والخمسون

في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فئتين في الشعر المنظوم ، وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية . وفي النثر وهو الكلام غير الموزون ، وكل واحد من الفئتين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فأما الشعر ، فمنه المدح والهجاء والرتاء . وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً ، ومنه المرسل ، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء ، بل يُرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها . ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم .

وأما القرآن وإن كان من المنشور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً . بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها . ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ، ويشئ من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَفْسَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ﴾ . وتسمى آخر الآيات فيه فواصل ، إذ ليست أسجاعاً ،

(١) آية ٢٣ من سورة الزمر .

ولا التزمَ فيها ما يلتزمُ في السجع، ولا هي أيضاً قوافٍ. واطلقَ اسمُ المثاني على آياتِ القرآنِ كُلِّها على العمومِ لما ذكرناه، واختُصَّتْ بأمِّ القرآنِ للغلبةِ فيها كالنجمِ للثريا، ولهذا سميت السبع المثاني.

وانظر هذا مع ما قاله المفسِّرونَ في تعليلِ تسميتها بالمثاني، يشهدُ لك الحقُّ برُجحانِ ما قلناه.

واعلم أن لكلِّ واحدٍ من هذه الفنونِ أساليبَ تُختصُّ به عند أهلِهِ لا تصلحُ للفنِّ الآخرِ، ولا تُستعملُ فيه، مثل النسيبِ المختصِّ بالشعرِ، والحمدِ والدعاء المختصَّ بالخطبِ، والدعاء المختصَّ بالمخاطباتِ وأمثال ذلك. وقد استعملَ المتأخرونَ أساليبَ الشعرِ وموازينه في المنشورِ من كثرةِ الاسجاعِ، والتزامِ التقفيةِ وتقديمِ النسيبِ بين يدي الأغراضِ. وصار هذا المنشورُ إذا تأمَّلته من بابِ الشعرِ وفيه، ولم يفترباً إلا في الوزنِ. واستمرَّ المتأخرونَ من الكتابِ على هذه الطريقةِ واستعملوها في المخاطباتِ السُّلطانيَّةِ، وقصَّروا الاستعمالَ في هذا المنشورِ كُلِّه على هذا الفنِّ الذي ارتضَوْهُ، وخلَطُوا الأساليبَ فيه، وهجروا المرسلَ وتناسَوْهُ وخصوصاً أهلَ المشرقِ. وصارت المخاطباتُ السُّلطانيَّةُ لهذا العهدِ عند الكتابِ القُلِّ جاريةً على هذا الأسلوبِ الذي أشرنا إليه، وهو غيرُ صوابٍ من جهةِ البلاغةِ، لما يلاحظُ في تطبيقِ الكلامِ على مقتضى الحالِ، من أحوالِ المخاطبِ والمخاطبِ.

وهذا الفنُّ المنشورُ المُقفى أُدخلَ المتأخرونَ فيه أساليبَ الشعرِ،

فَوَجَبَ أَنْ تُنَزَّهَ الْمَخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ ؛ إِذْ أَسَالِيبُ الشِّعْرِ تَبَاحُ فِيهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ ، وَالْإِطْنَابُ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ ، حَيْثُ لَا تَدْعُو لَذَلِكَ كُلَّهُ ضَرُورَةً فِي الْخُطَابِ . وَالتَّزَامُ التَّقْفِيَّةُ أَيْضاً مِنَ اللَّوْذَعَةِ وَالتَّرْتِيزِ وَجَلَالِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ ، وَخُطَابُ الْجُمْهُورِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْتَّرغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ يُنَافِي ذَلِكَ وَيَبَايِنُهُ . وَالْحَمُودُ فِي الْمَخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ ، وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِدْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلَرِ النَّادِرِ . وَحَيْثُ تُرْسَلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالاً مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ، ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مِطَابَقَتِهِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ، فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةً ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخْصُهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِجَازٍ أَوْ حَذَفٍ أَوْ اثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكُنَايَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ .

وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمَخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيبِ الشِّعْرِ فَمُذْمُومٌ ، وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيلَافَ الثُّجَمَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَقُصُورُهُمْ لَذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مِطَابَقَتِهِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ؛ فَمَجِزُوا عَنِ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبَعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَانْفِسَاحِ خَطْوَتِهِ . وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمُسَجَّعِ ، يَلْقُقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، وَمَقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ . وَيَجْبِرُونَهُ يَذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ التَّرْتِيزِ بِالِإِسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ ، وَيَغْفَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ . وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشِعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لِيُخْلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ ، إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي

تجنيسٍ أو مطابقةٍ ، لا يجتمعانِ معها ؛ فيرجحونَ ذلك الصنفَ من التجنيسِ . ويدعونَ الإعرابَ ويفسدونَ بنيةَ الكلمةِ عساها تصادفُ التجنيسَ . فتأملْ ذلك وانتقِذْ بما قدمناه لك ، تقفْ على صحَّةِ ما ذكرناه . واللهُ الموفقُ للصوابِ ، بمنه وكرمه ، واللهُ تعالى أعلم .

الفصل الرابع والخمسون

في انه لا تتفق الإجابة في فني المنظوم والمنثور معا إلا الأقل

والسببُ في ذلك أنه كما بيناهُ ملكةٌ في اللسانِ ؛ فإذا سبقتُ إلى محلِّه ملكةٌ أخرى ، قصرتُ بالحلِّ عن تمامِ الملكةِ اللاحقةِ . لأنَّ قبولَ الملكاتِ وحصولها للطبائعِ التي على الفطرةِ الأولى أسهلُّ وأيسرُ . وإذا تقدّمتها ملكةٌ أخرى كانت منازعةً لها في المدّةِ القابلةِ وعائقةً عن سرعةِ القبولِ ، فوَقعتِ المنافاةُ وتعدّرتِ التامُّ في الملكةِ . وهذا موجودٌ في الملكاتِ الصناعيّةِ كلّها على الإطلاقِ . وقد برهنّا عليه في موضعه بنحوٍ من هذا البرهانِ . فاعتبرْ مثلهُ في اللغاتِ ، فإنها ملكاتُ اللسانِ ، وهي بمنزلةِ الصناعةِ . وانظرْ من تقدّمَ له شيءٌ من العُجمةِ ، كيف يكونُ قاصراً في اللسانِ العربيِّ أبداً . فالأعجميُّ الذي سبقت له اللغةُ الفارسيّةُ لا يستولي على ملكةِ اللسانِ العربيِّ ، ولا يزالُ قاصراً فيه ولو تعلّمه وعلمه . وكذا البربريُّ والروميُّ الإفريقيُّ قلَّ أن تجدَ أحداً منهم

مُحْكِمًا لِلْمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . وما ذلك إلا لما سبقَ إلى أَلْسِنَتِهِمْ
 من ملكة اللسان الآخر ، حتى إنَّ طالِبَ العلمِ من أهلِ هذه
 الألسُنِ إذا طلبه بين أهلِ اللسانِ العربيِّ ومن كتبهم جاء مقصِّراً
 في معارفه عن الغايةِ والتحصيلِ ، وما أتى إلا من قبلِ اللسانِ .
 وقد تقدَّم لك من قبلُ أنَّ الألسُنَ واللغاتِ شبيهةٌ بالصنائعِ . وقد
 تقدَّم لك أنَّ الصنائعَ وملكايتها لا تدرجُ . وإن من سبقَتْ له إجادَةُ
 في صناعةٍ فقلَّ أن يُجيدُ أخرى أو يستوليَ فيها على الغايةِ . واللهُ
 خَلَقَكُمْ وما تَعْلَمُونَ .

الفصل الخامس والخمسون

في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هذا الفنُّ من فنونِ كلامِ العربِ وهو المسمَّى بالشعرِ عندهم ،
 ويوجدُ في سائرِ اللغاتِ ؛ إلا أنا الآنَ إنما نتكلَّمُ في الشعرِ الذي
 للعربِ . فإنَّ أمكنَ أن يحدِّثَ فيه أهلُ الألسُنِ الأخرى مقصودهم
 من كلامهم ، وإلا فلكلِّ لسانٍ أحكامٌ في البلاغةِ تخصُّهُ . وهو في
 لسانِ العربِ غريبُ النزعةِ عزيزُ المنحى ، إذ هو كلامٌ مفصَّلٌ قطعاً
 قطعاً ، متساويةٌ في الوزنِ ، متحدةٌ في الحرفِ الأخير من كلِّ
 قطعةٍ . وتسمَّى كلُّ قطعةٍ من هذه القطعاتِ عندهم بيتاً ؛ ويسمَّى
 الحرفُ الأخير الذي تتفقُ فيه رويًا وقافيةً ، ويسمَّى جملةً الكلامِ .

إلى آخره قصيدةً وكلمةً . وينفردُ كل بيتٍ منه بإفادته في تراكيبه ، حتى كأنه كلامٌ وحده ، مستقلٌ عما قبله وما بعده . وإذا أُفريدَ كان تاماً في بابهِ في مدحٍ أو نسيبٍ أو رثاءٍ ؛ فيحرصُ الشاعرُ على إعطاء ذلك البيتِ ما يستقلُّ في إفادته . ثم يستأنفُ في البيتِ الآخر كلاماً آخر كذلك ، ويستطرِدُ للخروجِ من فنٍّ إلى فنٍّ ، ومن مقصودٍ إلى مقصودٍ ، بأن يوطِّيء المقصودَ الأولَ ومعانيه ، إلى أن يُناسِبَ المقصودَ الثاني ، ويبعدَ الكلامَ عن التناوُرِ . كما يستطرِدُ من النسيبِ إلى المدحِ ؛ ومن وصفِ البَيداءِ والطلولِ ، إلى وصفِ الركابِ أو الخيلِ أو الطيفِ ؛ ومن وصفِ الممدوحِ إلى وصفِ قومه وعساكره ؛ ومن التفجّعِ والعزاءِ في الرثاءِ إلى التأيينِ وأمثال ذلك .

ويراعى فيه اتفاقُ القصيدةِ كلّها في الوزنِ الواحدِ ، حذراً من أن يتساهَلَ الطبعُ في الخروجِ من وزنٍ إلى وزنٍ يقاربُهُ . فقد يخفى ذلك من أجلِ المقارَبةِ على كثيرٍ من الناسِ . ولهذه الموازينِ شروطٌ وأحكامٌ تضمّنُها علمُ العروضِ . وليس كلُّ وزنٍ يتفقُ في الطبعِ استعملتهُ العربُ في هذا الفنِّ ، وإنما هي أوزانٌ مخصوصةٌ يُسمّيها أهلُ تلكَ الصنّاعةِ البحورَ . وقد حصروها في خمسةَ عشرَ بجزاً ، بمعنى أنهم لم يجدوا للعربِ في غيرها من الموازينِ الطبيعيةِ نظاماً . واعلم أن فنَّ الشعرِ من بين الكلامِ كان شريفاً عند العربِ ؛ ولذلك جعلوه ديوانَ علومِهِم وأخبارِهِم وشاهدَ صوابِهِم وخطئِهِم ، وأصلاً يرجعونَ إليه في الكثيرِ من علومِهِم وحكمِهِم . وكانت

ملكته مستحكمةً فيهم شأن ملكاتهم كلها . والملكاتُ اللسانيةُ كلها إنما تكتسبُ بالصناعةِ والارتياضِ في كلامهم ، حتى يحصلَ شبهُ في تلك الملكة . والشعرُ من بين فنونِ الكلامِ صعبُ المأخذِ على من يُريدُ اكتسابَ ملكتهِ بالصناعةِ من المتأخرين ، لاستقلالِ كلِّ بيتٍ منه بأنه كلامٌ تامٌّ في مقصوده ، ويصلحُ أن ينفردَ دونَ ما سواه ؛ فيحتاجُ من أجلِ ذلك إلى نوعٍ تطفٍ في تلك الملكة ، حتى يفرغَ الكلامُ الشعريُّ في قوالبه التي عُرِفَتْ له في ذلك المنحى من شعرِ العربِ ، ويُبرزهُ مستقلاً بنفسه . ثم يأتي بيتٌ آخر كذلك ، ثم بيتٌ آخر ، ويستكملُ الفنونَ الوافيةَ بمقصوده . ثم يناسبُ بين البيوت في موالاةٍ بعضها مع بعضٍ بحسبِ اختلافِ الفنونِ التي في القصيدة . ولصعوبةٍ منجاءٍ وغرابةٍ فيه كان محكماً للقرائحِ في استجادةِ أساليبه ، وشحذِ الأفكارِ في تنزيلِ الكلامِ في قوالبه . ولا تكفي فيه ملكةُ الكلامِ العربيِّ على الإطلاقِ ، بل يُحتاجُ بخصوصه إلى تَلَطُّفٍ ومحاولةٍ في رِعايةِ الأساليبِ التي اختصَّه العربُ بها وباستعمالها فيه .

ولنذكر هنا مدلولَ لفظةِ الأسلوبِ عند أهلِ هذه الصناعة وما يريدونَ بها في إطلاقهم . فاعلم أنها عبارةٌ عندهم عن المنوالِ الذي تُنسَجُ فيه التراكيبُ ، أو القالِبِ الذي يُفرَغُ فيه . ولا يُرجعُ إلى الكلامِ باعتبارِ إفادتهِ كمالِ المعنى الذي هو وظيفةُ الإعرابِ ؛ ولا باعتبارِ إفادتهِ أصلَ المعنى من خواصِّ التراكيبِ ، الذي هو وظيفةُ البلاغةِ والبيانِ ؛ ولا باعتبارِ الوزنِ كما استعمله العربُ فيه

الذي هو وظيفة العروض . فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ؛ وإنما ترجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص . وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ؛ فيرصها فيه رصاً ، كما يفعلهُ البناء في القالب أو النساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بمحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، كان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة ، فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله :

« يا دار ميةً بالعلياء فالسند » .

ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله :

« قفا نسأل الدار التي خف أهلها » .

أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » .

أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله :

« ألم تسأل فتخيرك الرؤوم » .

ومثل تحية الطلول بالأمر لمخاطب غير معين بتحيتها كقوله :

« حيّ الديار بجانب الغزل^(١) » .

(١) كذا، وفي ب: حي الديار بجانب الغزل.

أو بالدعاء لها بالسُّقيا كقوله :
 أسفي طولهم أجش هذيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمُ نُضْرَةٌ^(١) وَنَعِيمُ
 أو بسؤال السُّقيا لها من البرق كقوله :
 يا بَرَقُ طَالِعِ مَنْزِلًا بِالْأَبَرَقِ وَاحِدِ السَّحَابِ لَهَا حِدَاءُ الْأَنِيقِ
 أو مثل التفجع في الرثاء باستدعاء البكاء كقوله :
 كَذَا فليَجِلْ الخُطْبُ وَليفْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ
 أو باستعظام الحادِث كقوله :
 « أَرَأَيْتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي »
 أو بالتسجيل على الأكوان بالمصيبة لفقدِه كقوله :
 مَنَابِتَ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّمَحِ وَالْبَاعِ
 أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجيَّة :
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مَوْرِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
 أو بتهنئة قريعه بالراحة من ثقل وطأته كقوله :
 أَلْقِ الرَّمَاحَ رَبِيعَةَ بَنَ زَارٍ أَوْدَى الرَّدَى بِقَرِيعِكَ الْمِفْوَارِ
 وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبيه . وتنتظم
 التراكيب فيه بالجمال وغير الجمال ، إنشائية وخبرية ، إسمية أو
 فعلية ، متفقة وغير متفقة ، مفصولة وموصولة ؛ على ما هو شأنُ

(١) كذا ، وفي ب : روضة .

التراكيب في الكلام العربي ، في مكان كل كلمة من الأخرى .
يُعرَّفُ فك فيه ما تستفيدُه بالارتياض في أشعار العرب ، من القلب
الكليّ المجرد في الذهن ، من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك
القلب على جميعها . فإن مؤلف الكلام هو كالبنا أو النّساج ،
والصورة الذهنية المنطبقة ، كالقلب الذي يبني فيه أو المنوال
الذي ينسج عليه . فإن خرج عن القلب في بنائه أو على المنوال في
نسجه كان فاسداً . ولا تقولن إن معرفة قوانين البلاغة كافية في
ذلك ، لأننا نقول : قوانين البلاغة إنما هي قواعد علمية وقياسية ،
تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس . وهو
قياس علمي صحيح مطرد ، كما هو قياس القوانين الإغريقية . وهذه
الأساليب التي نحن نقرّها ليست من القياس في شيء ؛ إنما هي
هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب لجرانها
على اللسان ، حتى تستحكم صورتها ؛ فيستفيد بها العمل على
مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدّمنا ذلك في
الكلام باطلاق . وإن القوانين العلمية من العربية والبيان لا
يفيد تعليمه بوجه . وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب
وقوانينه العلمية استعماله . وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء
معروفة يطّلع عليها الحافظون لكلامهم ، تندرج صورتها تحت
تلك القوانين القياسية . فإذا نظّر في شعر العرب على هذا النحو ،
وبهذه الأساليب الذهنية ، التي تصير كالقوالب ، كان نظراً في
المستعمل من تراكيبهم ، لا فيما يقتضيه القياس . ولهذا قلنا إن

الحَصِّلَ لهذه القَوَالِبِ في الذِّهْنِ ، إنما هو حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ
وَكَلَامِهِمْ . وهذه القَوَالِبُ كما تَكُونُ في المَنْظُومِ تَكُونُ في المَنْشُورِ ،
فإنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلُوا كَلَامَهُمْ في كَلَامِ الْفَنِّينِ ، وجاءوا بِهِ مَفْصَّلاً
في النُّوعَيْنِ . ففي الشَّعْرِ بِالقَطْعِ الموزونة والقوافي المقيَّدة ، واستقلال
الكلامِ في كُلِّ قِطْعَةٍ ، وفي المَنْشُورِ ، يَتَبَهَّرُونَ المِوازَنَةَ والتَّشَابُهَ
بين القطعِ غالباً ، وقد يقيِّدُونَهُ بالأَسْجَاعِ . وقد يُرْسِلُونَهُ ، وكلُّ
واحدٍ من هذه معروفةٌ في لسانِ الْعَرَبِ . والمستعملُ منها عندهم
هو الذي يَبْنِي مَوْلَفُ الكَلَامِ عَلَيْهِ تَأْلِيفَهُ ، ولا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ
كَلَامَهُمْ ، حتَّى يَتَجَرَّدَ في ذَهْنِهِ من القَوَالِبِ المَعْيَنَةِ الشَّخْصِيَّةِ ، قَالِبٌ
كُلِّيٌّ مطلقٌ يَحْذُو حَذْوَهُ في التَّأْلِيفِ ، كما يَحْذُو البِنَاءَ على القَالِبِ ،
وَالنَّسَاجُ على المَنَوَالِ . فلهذا كان من تَأْلِيفِ الكَلَامِ منفرداً عن
نَظَرِ النُّحَوِيِّ والْبَيَانِيِّ والعَرُوضِيِّ . نعم إنَّ مِراعاةَ قَوَانِينِ هذه
الْعُلُومِ شرطٌ فِيهِ لا يَتِمُّ بِدُونِهَا ، فإذا تَحَصَّلَتِ هذه الصِّفَاتُ كُلُّهَا
في الكَلَامِ اخْتِصَّ بِنَوْعٍ من النِّظَرِ ، لطيفٍ في هذه القَوَالِبِ ،
التي يَسْمُونَهَا أَسَالِيبَ . ولا يَفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْماً
وَنَثْراً . وإذا تَقَرَّرَ مَعْنَى الأَسْلُوبِ ما هو ، فلنذكر بعده حَدّاً أو
رِسْماً للشَّعْرِ يَفْهَمُنَا حَقِيقَتَهُ على صَعُوبَةٍ هذا الغَرَضِ . فإنا لم نَقِفْ
عَلَيْهِ لِأَحَدٍ من الْمُتَقَدِّمِينَ فيما رأيناه .

وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ في حَدِيدِهِ إِنَّهُ الكَلَامُ الموزونُ الْمُقَفَّى ، ليسَ
بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الذي نَحْنُ بِصُدُودِهِ ، ولا رِسمٍ لَهُ . وصناعتُهُمْ إنما
تَنْظُرُ في الشَّعْرِ من حيثِ اتِّفَاقِ أَيْبَاتِهِ في عِدَدِ الْمُتَحَرِّكَاتِ والسَّوَاكِنِ

على التوالي ، ومماثلة عروض أبيات الشعر لضربها . وذلك نظر في وزن مجرّد عن الألفاظ ودلالاتها ؛ فناسب أن يكون حدّاً عندهم ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصّة . فلا جرم إنّ حدّهم ذلك لا يصلح له عندنا ، فلا بدّ من تعريف يعطينا حقيقة من هذه الحيثيّة فنقول : الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متّفقة في الوزن والروي ، مستقلّ كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به . فقولنا الكلام البليغ جنس ، وقولنا المبني على الاستعارة والأوصاف فصل له عما يخلو من هذه ، فإنّه في الغالب ليس بشعر ، وقولنا المفصل بأجزاء متّفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنشور الذي ليس بشعر عند الكلّ ؛ وقولنا مستقلّ كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة ، لأنّ الشعر لا تكون أبياتُهُ إلا كذلك ، ولم يُفصل به شيء . وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به ، فصل له عما لم يجر منه على أساليب الشعر المعروفة ؛ فإنّه حينئذٍ لا يكون شعراً ، إنّما هو كلام منظوم ، لأنّ الشعر له أساليب تخصّه ، لا تكون للشعر . وكذا أساليب المنشور لا تكون للشعر ، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب ، فلا يسمى شعراً . وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبيّة يرون أنّ نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ، لأنّها لم يجرى على

أساليب العرب فيه ، وقولنا في الحدّ الجاري على أساليب العرب فصل له عن شعر غير العرب من الأمم ، عند من يرى أن الشعر يوجد للعرب ولغيرهم . ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم ، فلا يحتاج إلى ذلك ، ويقول مكانه الجاري على الأساليب الخصوصية . وإذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر ، فلنرجع إلى الكلام في كيفية عمله فنقول :

إعلم ان لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً ، أولها : الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكة يُنسج على منوالها ، ويُتخيرُ المحفوظ من الحرّ النقي الكثير الأساليب . وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعرُ شاعر من الفحول الإسلاميين ، مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجري وأبي نواس وحبيب والبحري والرضي وأبي فراس . وأكثره شعرُ كتاب الأغاني ، لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كلّها ، والمختار من شعر الجاهلية . ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ، ولا يعطيه رونقٌ والحلاوة إلا كثرةُ المحفوظ . فمن قلّ حفظه أو عديم لم يكن له شعرٌ ، وإنما هو نظمٌ ساقط . واجتنابُ الشعرِ أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحن القريحة للنسج على المنوال يُقبل على النظم ، وبالأكثر منه تستحكم ملكته وترسخ . وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادة عن استعمالها بعينها . فإذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها ،

انْتَشَرَ الأسلوبُ فيها ، كأنه منوالٌ يأخذُ بالنسجِ عليه بأمثاله
من كلماتٍ أخرى ضرورةً . ثم لا بدُّ له من الخلوِّ واستجادةِ
المكانِ المنظورِ فيه من المياهِ والأزهارِ ؛ وكذا من المسموعِ
لاستنارةِ القريحةِ باستجماعِها وتنشيطِها بملاذِ السُرورِ . ثم مع هذا
كلِّه فشرطُه أن يكونَ على حجامٍ ونشاطٍ ، فذلك أجمعُ له وأنشطُ
للقريحةِ أن تأتيَ بمثلِ ذلك المنوالِ الذي في حفظِه .

قالوا : وخيرُ الأوقاتِ لذلك أوقاتُ البُكرِ عندَ الهبوبِ من
النومِ وفراغِ المعدةِ ونشاطِ الفكرِ ، وفي هواءِ الجمامِ . وربما قالوا
إنَّ من بواعثِ العشقِ والانتشاءِ ، ذكرَ ذلك ابنُ رشيقٍ في كتابِ
العُدَّةِ ، وهو الكتابُ الذي انفردَ بهذه الصِّناعةِ وإعطاءِ حِفِّها ، ولم
يكتب فيها أحدٌ قبلَه ولا بعدهُ مثلهُ . قالوا : فإن استصعبَ عليه
بعد هذا كلِّه فليتركهُ إلى وقتٍ آخرَ ، ولا يُكرِهْ نفسهُ عليه .
وليكن بناءُ البيتِ على القافيةِ من أوَّلِ صوغِه ونسجِه يضعها ،
ويبني الكلامَ عليها إلى آخره ، لأنَّه إن غفلَ عن بناءِ البيتِ على
القافيةِ صعبَ عليه وضعُها في محلِّها . فربما تجيئُ نافرةٌ قلقةٌ ، وإذا
سمحَ الخاطرُ بالبيتِ ، ولم يناسبِ الذي عنده فليتركهُ إلى موضِعِه
الآليقَ به ؛ فإن كلَّ بيتٍ مستقلٌّ بنفسِه ، ولم تبقَ إلا المناسبةُ
فليخترَ فيها ما يشاء ، وليراجعَ شعرَه بعد الخلاصِ منه بالتنقيحِ
والنقدِ ، ولا يرضَ به على التركِ إذا لم يبلغِ الإجادةَ . فإنَّ الإنسانَ
مفتونٌ بشعرِه ، إذ هو نباتُ فكرِه واختراعِ قريحَتِه ، ولا يستعملُ
فيه من الكلامِ إلا الأفصحَ من التراكيبِ . والخالصُ من الضروراتِ

اللسانيّة فليجرها ، فإنّها تنزلُ بالكلامِ عن طبقةِ البلاغةِ .
وقد حظّرَ أئمةُ اللسانِ على المولّد ارتكابَ الضرورةِ ، إذ هو
في سعةٍ منها بالعدولِ عنها إلى الطريقةِ المثلى من الملكةِ . ويحتنبُ
أيضاً المعقّد من التراكيبِ جهدهُ . وإنّما يقصّدُ منها ما كانت معانيه
تسبقُ ألفاظه إلى الفهمِ . وكذلك كثرةُ المعاني في البيتِ الواحدِ
فإنّ فيه نوعَ تعقيدٍ على الفهمِ . وإنّما المختارُ منه ما كانت ألفاظه
طبقاً على معانيه أو أوفى منها . فإن كانت المعاني كثيرةً كان حشواً ،
واشتغلَ الذهنُ بالفوصِ عليها ، فنزعَ الذوقُ عن استيفاءِ مدركِ
من البلاغةِ . ولا يكونُ الشعرُ سهلاً إلا إذا كانت معانيه تسبقُ
ألفاظه إلى الذهنِ . ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيّنونَ شعرَ أبي
بكر^(١) بنِ خفاجة ، شاعِرِ شرقِ الأندلسِ ، لكثرةِ معانيه وازدحامِها
في البيتِ الواحدِ ، كما كانوا يعيّنونَ شعرَ المتنبي والمعري بعمدِ
النسجِ على الأساليبِ العربيّةِ كما مرّ ، فكان شعرُهُما كلاماً منظوماً
نازلاً عن طبقةِ الشعرِ ، والحاكمُ بذلك هو الذوقُ . وليجتنبِ الشاعِرُ
أيضاً الحوشيّ من الألفاظِ والمقعرِ ، وكذلك السوقيّ المبتذلّ
بالتداولِ بالاستعمالِ ، فانه ينزلُ بالكلامِ عن طبقةِ البلاغةِ . وكذلك
المعاني المبتذلة بالشهرةِ فإنّ الكلامَ ينزلُ بها عن البلاغةِ أيضاً ،
فيصيرُ مبتدلاً ويقربُ من عدمِ الافادةِ كقولهم : النارُ حارةٌ
والسماءُ فوقنا . ومقدارُ ما يقربُ من طبقةِ عدمِ الافادةِ يبعدُ عن
رُتبةِ البلاغةِ ، إذ هما طرفانِ . ولهذا كان الشعرُ في الرباياتِ

(١) علق الهوريّ على هذه الكلمة بقوله : قوله أبي بكر ، وفي نسخة : أبي إسحق الخ .

والتبويّات قليل الإجادة في الغالب ، ولا يجذّق فيه إلا الفحول .
وفي القليل ، على العسر ، لأنّ معانيها متداولة بين الجمهور ، فتصير
مبتذلة لذلك . وإذا تعدّر الشعر بعد هذا كلّه فليراوضه ويعاوده ؛
فان القريحة مثل الضرع يدرّ بالامتراء ويحفّ ويغرر بالترك والاهمال .
وبالجملة فهذه الصناعة وتعلّمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيقي ،
وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد . ومن أراد استيفاء ذلك
فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك . وهذه نبذة كافية والله
المعين . وقد نظم الناس في أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها .
ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنّه لابن رشيقي :

لَعَنَ اللَّهُ صَنْعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا	مِنْ صُنُوفِ الْجَهَالِ فِيهَا لَقِينَا
يُؤْثِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا	كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مُبِينَا
وَيَرَوْنَ الْحَالَ مَعْنَى صَحِيحًا	وَحَسِيسَ الْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينَا
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْرُ	رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونََا
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ يَسْوَانَا يُلَامُونََا	نَ وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونََا
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا يُنَاسِبُ فِي النِّظَامِ	مَ وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فُنُونَا
فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا	وَأَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمُتُونَا
كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا	تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَوْ يَكُونَا
فَتَنَاهَى مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ	كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّظَرِينَا
فَكَانَ الْأَلْفَاظُ مِنْهُ وَجُوهٌ	وَالْمَعَانِي رُكْبَنَ فِيهِ عُيُونَا
قَائِمًا فِي الْمَرَامِ حَسَبَ الْأَمَانِي	يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْمُنْشِدُونَا

فإذا ما مدحت بالشعر حراً
فجعلت النسيب سهلاً قريباً
وتنكبت ما تهجن في السمع
وإذا ما قرضته بهجاء
فجعلت التصريح منه دواء
وإذا ما بكنت فيه على الغا
حلت دون الأسى وذلت ما كا
ثم إن كنت عاتباً جئت بالوعد
فتركت الذي عتبت عليه
وأصح القريض ما فات في النظم
فإذا قيل أطمع الناس طراً
رُمت فيه مذاهب المُستهِينا^(١)
وجعلت المديح صدقاً مُبيناً
وإن كان لفظه موزوناً
عُبت فيه مذاهب المُرَقِينا^(٢)
وجعلت التعريض داءً دفيناً
دين يوماً للبين والظاعنين
ن من الدمع في العيون مصونا
وعيداً وبالصعوبة لينا
حذراً ، آمناً ، عزيزاً ، مهيناً
وإن كان واضحاً مُستبيناً
وإذا ريم أعجز المعجزينا

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم وهو الناشي :

الشعر ما قومت زيف صدوره
ورأيت بالإطنا بـ شعب صدوعه
وجمعت بين قريبه وبعيده
وعمدت منه سجد أمر يقتضى
وإذا مدحت به جواداً ماجداً
أصفيته بنفسه ورصينه
وشدذت بالتهذيب أس متونه
وفتحت بالإيجاز عور عيونه
ووصلت بين نجمه ومعينه
شبهاً به فقرينه بقرينه
وقضيته بالشكر حق ديونه
وخصصته بخطيره وثمينه

(١) كذا، وفي ب: المستهينا.

(٢) كذا، وفي ب: المرفقينا.

فَيَكُونُ جَزْلاً فِي مَسَاقِ صُنُوفِهِ وَيَكُونُ سَهْلاً فِي اتِّفَاقِ فُنُونِهِ
وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيارَ وَأَهْلَهَا أَجَرَيْتَ لِلْمَحْزُونِ ماءً شَتُونِهِ^(١)
وَإِذَا أَرَدْتَ كِنَايَةً عَنْ رَبِّيةٍ بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ
فَجَعَلْتَ سَامِعَةً يَشُوبُ شُكُوكُهُ بَثْنَانَهُ وَظُنُونَهُ بَيَقِينِهِ
وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ أَدْمَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ
فَتَرَكْتَهُ مُسْتَأْنَساً بِدُمَائِهِ مُسْتَأْمِناً لَوْعُوْثِهِ وَحُزُونِهِ
وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى الَّذِي عَلَقْتَهَا إِذْ صَارَ مَتَكَ بِفَاتِنَاتِ شُؤُونِهِ
تِيْمَتَهَا بِلَطِيفِهِ وَرَقِيقِهِ وَشَغَفَتْهَا بِخُبِيِّهِ وَكَمِينِهِ
وَإِذَا اعْتَذَرْتَ لِسَقْطَةِ أَسْقَطَتِهَا وَأَشْكَتَ بَيْنَ نَخِيلِهِ وَمَبِينِهِ
فِي حَوْلِ ذَنْبِكَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَدُهُ عَتَباً عَلَيْهِ مُطالِباً بِيَمِينِهِ

الفصل السادس والخمسون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم أنَّ صِنَاعَةَ الْكَلَامِ نِظْماً وَنَثْراً إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَلْفَاظِ لَا فِي
الْمَعَانِي ، وَإِنَّمَا الْمَعَانِي تَبَعٌ لَهَا وَهِيَ أَصْلٌ . فَالصَّانِعُ الَّذِي يُجَاوِلُ مَلَكَةَ
الْكَلَامِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ ، إِنَّمَا يُجَاوِلُهَا فِي الْأَلْفَاظِ بِحِفْظِ أَمْثَالِهَا مِنْ
كَلَامِ الْعَرَبِ ، لِيَكْثُرَ اسْتِعْمَالُهُ وَجَرِيئُهُ عَلَى لِسَانِهِ ، حَتَّى تَسْتَقِرَّ لَهُ
الْمَلَكَةُ فِي لِسَانِ مُصَرٍّ ، وَيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعُجْمَةِ الَّتِي رَبَّيَ عَلَيْهَا فِي

(١) الشتون: مجاري الدموع في العينين.

جيله ، ويفرض نفسه ، مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويُلقَّن لغتهم كما يُلقَّن الصبي ، حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم . وذلك أنا قدّمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل شأن الملكات ، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضمائر . وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ؛ فلا تحتاج إلى تكلف صناعة في تأليفها . وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني . فكما أن الأواني التي يُغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه . وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء . كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد . والمعاني واحدة في نفسها ؛ وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه ، على مقتضى ملكة اللسان ، إذا حاول العبارة عن مقصوده ، ولم يحسن ، بمثابة المقعد ، الذي يروم النهوض ولا يستطيعه ، لفقدان القدرة عليه . والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون .

الفصل السابع والخمسون

ففي ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قد قدّمنا أنه لا بُدّ من كثرة الحفظ ، لمن يرومُ تعلّم اللسان العربيّ ؛ وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرتِه من قَلْتِه ، تكونُ جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ . فمن كان محفوظُه من أشعار العرب الإسلاميّين شعرَ حبيبٍ أو العتايّ أو ابن المعتزّ أو ابن هانيء أو الشريف الرضيّ ؛ أو رسائل ابن المقفع أو سهل ابن هارون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابي ؛ تكونُ ملكته أجودَ وأعلى مقاماً ورُتبةً في البلاغة ، ممن يحفظُ أشعار المتأخرين مثل شعر ابن سهل أو ابن النّبيه أو ترسل البيسانيّ أو العماد الأصبّهانيّ ، لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك . يظهرُ ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق . وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع ، تكونُ جودة الاستعمال من بعده ، ثم إجادة الملكة من بعدها . فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ، ترتقي الملكة الحاصلة لأنّ الطّبع إنّما ينسجُ على منوالها ، وتنمو قوَى الملكة بتغذيتها . وذلك أنّ النفس ، وإن كانت في جيلتها واحدةً بالنوع ، فهي تختلفُ في البشر بالقوّة والضعف . في الإدراكات . واختلافها إنّما هو باختلاف ما يردُّ عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تُكسّفها من خارج . فبهذه يَتَمُّ وجودها ، وتخرجُ من القوّة إلى الفعل

صورُتها . والملكاتُ التي تحصلُ لها إنما تحصلُ على التدرّجِ كما قدّمناه . فالملكةُ الشعريةُ تنشأُ بحفظِ الشعرِ ، وملكةُ الكتابةِ بحفظِ الأسجاعِ والترسيلِ ، والعلميةُ بمخالطةِ العلومِ والإدراكاتِ والأبحاثِ والأنظارِ ، والفقهيةُ بمخالطةِ الفقهِ وتنظيرِ المسائلِ وتفريغِها وتخرّيجِ الفروعِ على الأصولِ ، والتصوفيةُ الربانيةُ بالعباداتِ والأذكارِ وتعطيلِ الحواسِّ الظاهرةِ بالخلوةِ والانفرادِ عن الخلقِ ما استطاعَ ، حتى تحصلَ له ملكةُ الرجوعِ إلى حِسِّه الباطنِ وروحِهِ ، وينقلبُ ربّانياً وكذا سائرُها . وللنفسِ في كلِّ واحدٍ منها لونٌ تكتيفُ به ، وعلى حسبِ ما نشأتِ الملكةُ عليه من جودةٍ أو رداءةٍ تكونُ تلكِ الملكةُ في نفسها ، فلَكةُ البلاغةِ العاليةِ الطبقةِ في جنسِها إنما تحصلُ بحفظِ العاليِ في طبقتهِ من الكلامِ ، ولهذا كان الفقهاءُ وأهلُ العلومِ كلُّهم قاصرينَ في البلاغةِ ، وما ذلكَ إلا لما يسبقُ إلى محفوظِهم ، ويمتليءُ به من القوانينِ العلميةِ والعباراتِ الفقهيةِ الخارجةِ عن أسلوبِ البلاغةِ والنازلةِ عن الطبقةِ ، لأنَّ العباراتِ عن القوانينِ والعلومِ لا حظَّ لها في البلاغةِ ، فاذا سبقَ ذلكَ المحفوظُ إلى الفكرِ وكثُرَ وتلوّنتْ به النفسُ جاءتِ الملكةُ الناشئةُ عنه في غايةِ الفُصُورِ وانحرفتْ عباراتُهُ عن أساليبِ العربِ في كلامِهِمْ . وهكذا نجدُ شُعْرَ الفقهاءِ والشُّعَاقِ والمتكلمينَ والنُظَّارِ وغيرِهِمْ ممن لم يمتليءْ من حفظِ النقيِّ الحرِّ من كلامِ العربِ .

أخبرني صاحبنا الفاضلُ أبو القاسمِ بنُ رضوانَ كاتبُ العلامةِ بالدولةِ المُرِينِيَّةِ قال : ذاكرتُ يوماً صاحبنا أبا العباسِ بنَ شُعَيْبٍ

كاتبَ السلطان أبي الحسن ، وكانَ المقدمَ في البَصَرِ باللسانِ لعهدي
فانشدته مطلعَ قصيدةِ ابنِ النحويِّ ولم أنسبها له وهو هذا :

لم أدْرِ حينَ وقفتُ بالأطلالِ ما الفرقُ بينَ جديدها والبالِ

فقال لي على البديهة : هذا شعرُ فقيهٍ ، فقلتُ له ومن أين
لك ذلك ؟ قال من قوله : ما الفرقُ ؟ إذ هي من عباراتِ الفقهاء ،
وليست من أساليبِ كلامِ العربِ ، فقلتُ له : لله أبوك ، إنه ابنُ
النحوي .

وأما الكتابُ والشُعراءُ فليسوا كذلك ، لتخيرهم في محفوظهم
ومخالطتهم كلامَ العربِ وأساليبهم في الترسل ، وانتقائهم له الجيدَ
من الكلامِ .

ذاكرتُ يوماً صاحبنا أبا عبد الله بنَ الخطيبِ ، وزيرَ الملوكِ
بالأندلسِ من بني الأحمرِ ، وكانَ الصّدَرُ المقدمَ في الشعرِ والكتابةِ
فقلتُ له : أجدُ استصعاباً عليّ في نظمِ الشعرِ متى رمتُهُ ، مع بصري
به وحفظي للجيدِ من الكلامِ ، من القرآنِ والحديثِ وفنونٍ من
كلامِ العربِ ، وإن كانَ محفوظي قليلاً . وإنما أتيتُ ، واللهُ أعلمُ
بحقيقةِ الحالِ ، من قبل ما حصلَ في حفظي من الأشعارِ العاميةِ
والقوانينِ التأليفيةِ . فإني حفظتُ قصيدتي الشاطبيِّ الكبرى والصغرى
في القراءاتِ والرسمِ واستظهرتهما ، وتدارستُ كتابي ابنِ الحاجبِ
في الفقهِ والأصولِ وُجملَ الخوانساريِّ في المنطقِ وبعضَ كتابِ التسهيلِ
وكثيراً من قوانينِ التعليمِ في المجالسِ ؛ فامتلاً محفوظي من ذلك ،

وُحْدِشَ وَجْهُ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَدْعَيْتُ لَهَا بِالْمَحْفُوظِ الْجَدِّ مِنَ الْقُرْآنِ
وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ ، فَعَاقَ الْقَرِيحَةَ عَنْ بَلُوغِهَا . فَنَظَرَ إِلَى سَاعَةِ
مَتَعَجِّبًا ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَنْتَ ، وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلُكَ ؟

ويظهرُ لك من هذا الفصل ، وما تقرَّرَ فيه سرُّ آخرُ ، وهو
إِعْطَاءُ السَّبَبِ فِي أَنَّ كَلَامَ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةً فِي
الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَاقِهَا مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فِي مَنْشُورِهِمْ وَمَنْظُومِهِمْ .
فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحُطَيْثَةَ وَجَرِيرَ
وَالْفَرَزْدَقِ وَنُصَيْبٍ وَغِيلَانَ ذِي الرُّثْمَةِ وَالْأَحْوَصَ وَبِشَّارَ ، ثُمَّ
كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدَّوْلَةِ
الْعَبَّاسِيَّةِ ، فِي خُطَبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ لِلْمُلُوكِ أَرْفَعَ طَبَقَةً فِي
الْبَلَاغَةِ بِكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ النَّايِفَةِ وَعَنْتَرَةَ وَابْنِ كُلْثُومٍ وَزُهَيْرِ
وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ وَطَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ ، وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَنْشُورِهِمْ
وَمَحَاوِرَاتِهِمْ . وَالطَّبْعُ السَّلِيمُ وَالذَّوْقُ الصَّحِيحُ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّاقِدِ
الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ .

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْإِسْلَامَ سَمِعُوا
الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ، الَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ
عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلَيْهِمَا ، لَكُونِهَا وَجَلَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ عَلَى أَسَالِيهَا
نَفُوسُهُمْ ؛ فَهَضَمَتْ طَبَاعُهُمْ وَارْتَقَتْ مَلَكَاتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَنْ مَلَكَاتِ
مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ
عَلَيْهَا ؛ فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثْرِهِمْ أَحْسَنَ دِيبَاجَةً وَأَصْفَى
رَوْنَقًا مِنْ أَوْلَئِكَ ، وَأَرْصَفَ مَبْنًى وَأَعْدَلَ تَثْقِيفًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ

الكلامِ العالمي الطبقة. وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة.

ولقد سألت يوماً شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا، وكان شيخ هذه الصناعة، أخذ يسبّته عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوين، واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه؛ فسألته يوماً: ما بال العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين؟ ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه، فسكت طويلاً ثم قال لي: والله ما أدري! فقلت له: أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك، ولعلّ السبب فيه. وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت مُعجباً، ثم قال لي: يا فقيه! هذا كلام من حمّه أن يكتب بالذهب. وكان من بعدها يؤثّر محلي ويصيح في مجالس التعليم إلى قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم. والله خلق الإنسان وعلمه البيان.

الفصل الثامن والخمسون

في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع

وكيف جودة المصنوع أو قصوره

إعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب، إنما سرّه وروحه في إفادة المعنى. وأما إذا كان مهملاً فهو كالموات الذي لا عبرة به. وكما الافادة هو البلاغة على ما عرفت من حدّها عند أهل البيان

لأنهم يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ومعرفة الشروط والأحكام التي بها تطابق التراكيب اللفظية مقتضى الحال ، هو فنّ البلاغة . وتلك الشروط والأحكام للتراكيب في المطابقة استقرّيت من لغة العرب وصارت كالقوانين . فالتراكيب بوضعها تفيد الاسناد بين المسندين ، بشروط وأحكام هي جُلُّ قوانين العربية . وأحوال هذه التراكيب من تقديم وتأخير ، وتعريف وتنكير ، وإضمار وإظهار ، وتقييد وإطلاق وغيرها ، يفيد الأحكام المكتنفة من خارج بالاسناد ، وبالمخاطبين حال التخاطب بشروط وأحكام هي قوانين لفن ، يسمونه علم المعاني من فنون البلاغة . فتندرج قوانين العربية لذلك في قوانين علم المعاني لأن إفادتها الاسناد جزء من إفادتها للأحوال المكتنفة بالاسناد . وما قصر من هذه التراكيب عن إفادة مقتضى الحال للخلل في قوانين الإعراب أو قوانين المعاني كان قاصراً عن المطابقة لمقتضى الحال ، ولحق بالمهمّل الذي هو في عداد الموات .

ثم يتبع هذه الافادة لمقتضى الحال التفنن في انتقال التركيب بين المعاني بأصناف الدلالات ، لأن التركيب يدلّ بالوضع على معنى ، ثم ينتقل الذهن إلى لازمه أو ملزومه أو شبهه ؛ فيكون فيها مجازاً ؛ إما باستعارة أو كناية كما هو مقرر في موضعه ، ويحصل للفكر بذلك الانتقال لذّة كما تحصل في الافادة وأشد . لأن في جميعها ظفر بالمدلّول من دليله . والظفر من أسباب اللذة كما علمت . ثم لهذه الانتقالات أيضاً شروط وأحكام كالقوانين صيورها صناعة ،

وسموها بالبيان . وهي شقيقة علم المعاني المفيد لمقتضى الحال ، لأنها راجعة إلى معاني التراكيب ومدلولاتها . وقوانين علم المعاني راجعة إلى أحوال التراكيب أنفسها من حيث الدلالة . واللفظ والمعنى متلازمان متضايقان كما علمت . فإذا علم المعاني وعلم البيان هما جزء البلاغة ، وبهما كمال الإفادّة ، فهو مقصّر عن البلاغة ويلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم وأجدرّ به أن لا يكون عربياً ، لأنّ العربيّ هو الذي يطابق بإفادته مقتضى الحال . فالبلاغة على هذا هي أصل الكلام العربيّ وسجيّته وروحه وطبيعته .

ثم أعلم أنهم إذا قالوا : « الكلام المطبوع » فإنهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيّته من إفادّة مدلوله المقصود منه ، لأنّه عبارة وخطاب ، ليس المقصود منه النطق فقط . بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادّة تامة ، ويدلّ به عليه دلالة وثيقة . ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجّية التي له بالاصالة ضروب من التحسين والتزيين ، بعد كمال الإفادّة وكأنّها تعطى رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع ، والموازنة بين حمل الكلام وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفيّ من معانيه ، والمطابقة بين المتضادات ، ليقع التجانس بين الألفاظ والمعاني ، فيحصل للكلام رونق ولذة في الأسماع وحلاوة وجمال كلّها زائدة على الافادة .

وهذه الصنعة موجودة في الكلام المعجز في مواضع متعدّدة

مثل : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۖ ﴾ ، ومثل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَنَقَّى ۝ ﴾

وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ ﴿٣٧﴾ ، إلى آخر التقسيم في الآية . وكذا : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾
وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ إلى آخر الآية . وكذا : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴾ . وأمثاله كثير . وذلك بعد كمال الافادة في أصل هذه
التركيبة قبل وقوع هذا البديع فيها . وكذا وقع في كلام
الجاهلية منه ، لكن عفواً من غير قصد ولا تعمّد . ويقال إنه وقع
في شعر زهير .

وأما الإسلاميون فوقع لهم عفواً وقصداً ، وأتوا منه بالعجائب .
وأول من أحكم طريقته حبيب بن أوس والبختري ومسلم بن الوليد ،
فقد كانوا مولعين بالصنعة ، ويأتون منها بالعجب . وقيل إن أول
من ذهب إلى معانيها بشار بن بُزْد وابن هرمة ، وكانا آخر من
يُسْتَشْهَدُ بِشعره في اللسان العربي . ثم اتبعهما عمرو بن كلثوم والعتابي
ومنصور النُمَيْرِيّ ومسلم بن الوليد وأبونواس . وجاء على آثارهم
حبيب والبختري . ثم ظهر ابن المعتز فختم على البديع والصناعة
أجمع . ولنذكر مثلاً من المطبوع الخالي من الصناعة ، مثل قول
قيس بن ذريح :

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعْنِي أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيَا
وقول كثير :

وَإِنِّي وَتَهَامِي بَعْزَةً بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ عَمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
لَكَامُرْتَجِي ظِلُّ الْغَمَامَةِ كُلَّهَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْعَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ

فتأمل هذا المطبوع ، الفقيد الصنعة ، في إحكام تأليفه وثقافته

تركيبه . فلو جاءت فيه الصنعة من بعد هذا الأصل زادته حسناً .
وأما المصنوعُ فكثيرٌ من لدن بشار ، ثم حبيب وطبقةُهما ، ثم
ابن المعتز خاتمُ الصنعة الذي جرى المتأخرون بعدهم في ميدانهم ،
ونسجوا على منوالهم . وقد تعددت أصناف هذه الصنعة عند أهلها ،
واختلفت اصطلاحاتهم في ألقابها . وكثير منهم يجعلها مندرجةً في
البلاغة على أنها غير داخلة في الافادة ، وانها هي تعطي التحسين
والرونق . وأما المتقدمون من أهل البديع ، فهي عندهم خارجة
عن البلاغة . ولذلك يذكرونها في الفنون الأدبية التي لا موضوع
لها . وهو رأي ابن رشيق في كتاب العُمدة له ، وأدباء الأندلس .
وذكروا في استعمال هذه الصنعة شروطاً ، منها أن تقع من غير
تكلفٍ ولا اكتراثٍ في ما يقصد منها . وأما العفو فلا كلام فيه
لأنها إذا برئت من التكلف سلم الكلام من عيب الاستهجان ،
لأن تكلفها ومعاناتها يصير إلى الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام ،
فتخل بالافادة من أصلها ، وتذهب بالبلاغة رأساً . ولا يبقى في
الكلام إلا تلك التحسينات ، وهذا هو الغالب اليوم على أهل
العصر . وأصحاب الأذواق في البلاغة يسخرون من كلفهم بهذه
الفنون ، ويعدون ذلك من المصور عن سواء . وسمعت شيخنا
الاستاذ أبا البركات البلفيقي ، وكان من أهل البصر في اللسان
والقريحة في ذوقه يقول : إن من أشهى ما تَقْتَرِحُهُ عليّ نفسي أن
أشاهد في بعض الأيام من ينتحل فنون هذا البديع في نظمه أو
نثره ، وقد عوقب بأشد العقوبة ، ونودي عليه ، يحدّر بذلك تلميذهم

أَن يتعاطوا هذه الصنعة، فيكلفون بها، ويتناسون البلاغة. ثم من شروط استعمالها عندهم الاقلال منها وأن تكون في بيتين أو ثلاثة من القصيد، فتكفي في زينة الشعر ورونيته. والاكثر منها عيب، قاله ابن رشيق وغيره. وكان شيخنا أبو القاسم الشريف السبتي منفق اللسان العربي بالآندلس لوقته يقول: هذه الفنون البديعة إذا وقعت للشاعر أو للكاتب فيقبح أن يستكثر منها، لأنها من محسنات الكلام ومزيّناته، فهي بمثابة الخيلان في الوجه يحسن بالواحد والاثنين منها، ويقبح بتعدادها. وعلى نسبة الكلام المنظوم هو الكلام المنشور في الجاهلية والاسلام. كان أولاً مرسلاً معتبر الموازنة بين جملة وتراكيبه، شاهدة موازنته بفواصله، من غير التزام سجع ولا اكتراث بصنعة. حتى نبغ إبراهيم بن هلال الصابي كاتب بني بويه، فتعاطى الصنعة والتقيّة وأتى بذلك بالعجب. وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية. وإنما حمّله عليه ما كان في ملوكه من العجمة والبعد عن صولة الخلافة المنفقة لسوق البلاغة. ثم انتشرت الصناعة بعده في منشور المتأخرين ونسي عهد الترسيل وتشابهت السلطانيات والاخوانيات والعريّات بالسوقيّات. واختلط المرعي بالهمل. وهذا كلّهُ يدلُّك على أن الكلام المصنوع بالمعانة والتكليف، قاصر عن الكلام المطبوع، لقلة الاكتراث فيه بأصل البلاغة، والحاكم في ذلك الذوق. والله خَلَقَكُمْ وَعَلَّمَكُمْ ما لم تكونوا تعلمون.

الفصل التاسع والخمسون

في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر

اعلم أنَّ الشعرَ كانَ ديواناً للعربِ ، فيه علومُهم وأخبارُهم وحكمتُهم . وكانَ رؤساءُ العربِ متنافسينَ فيه ، وكانوا يقفونَ بسوقِ عكاظَ لانشادهِ وعرضِ كلِّ واحدٍ منهم ديباجتَهُ على فحولِ الشأنِ وأهلِ البصرِ ، لتمييزِ حوكِهِ . حتى انتهوا الى المناغاةِ في تعليقِ أشعارِهِم بأركانِ البيتِ الحرامِ ، موضعِ حجِّهم ، وبيتِ أبيهم إبراهيمَ ؛ كما فعلَ امرؤُ القيسِ بنُ حُجْرٍ ، والنايعةُ الدُّبْيَانِيُّ ، وزُهَيْرُ بنُ أَبِي سُلَيمٍ ، وعنترةُ بنُ شَدَّادٍ ، وطرفةُ بن العبدِ وعَلَقَمَةُ ابنُ عبدةَ ، والأعشى وغيرُهم من أصحابِ المعلقَاتِ السَّبعِ^(١) . فانه إنما كانَ يتوصَّلُ إلى تعليقِ الشعرِ بها ، من كانَ له قُدْرَةٌ على ذلكَ بقومِهِ وعصبِيَّتِهِ ومكانِهِ في مُضَرَ ، على ما قيلَ في سببِ تسميتها بالمعلقَاتِ . ثم انصرفَ العربُ عن ذلكَ أوَّلَ الإسلامِ ، بما شغلَهُم من أمرِ الدينِ والنُّبُوَّةِ والوحيِ ، وما أدهشَهُم من أسلوبِ القرآنِ ونظمِهِ ، فأخرسوا عن ذلكَ وسكتوا عن الخوضِ في النظمِ والنثرِ زماناً . ثم استقرَّ ذلكَ وأونسَ الرُّشدُ من المِلَّةِ . ولم ينزلِ الوحيُّ في تحريمِ الشعرِ وحَظَرِهِ ، وسمعهُ النبيُّ ﷺ وأثابَ عليه ، فرجعوا حينئذٍ

(١) كذا ، وفي ب : التسع .

إلى ديدَنِهِمْ مِنْهُ . وكان لَعْمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ . لذلك العهدِ مقاماتٌ فِيهِ عَالِيَةٌ وَطَبَقَةٌ مَرْتَفَعَةٌ ، وكانَ كَثِيراً ما يَعْرِضُ شِعْرَهُ على ابنِ عَبَّاسٍ فيَقِفُ لاسْتِمَاعِهِ مُعْجِباً بِهِ . ثم جاء من بعد ذلك المُلْكُ الفحلُ والدولةُ العزِيزَةُ ، وتقَرَّبَ إليهم العربُ بأشعارِهِمْ يمتدحونَهُمْ بِهَا . ويَجِيزُهُمُ الخلفاءُ بأعظمِ الجوائزِ على نَسَبَةِ الجودَةِ في أشعارِهِمْ ومكانِهِمْ من قوِيهِمْ ، ويَجْرِصُونَ على استِهداءِ أشعارِهِمْ ، يَطْلَعُونَ مِنْهَا على الآثارِ والأخبارِ واللغةِ وشرفِ اللسانِ . والعربُ يطالبونَ وَلَدَهُمْ بِحِفْظِهَا . ولم يزل الشأنُ هذا أيامَ بني أُمَيَّةٍ وصَدْرًا من دولةِ بني العباسِ . وانظُرْ ما نَقَلَهُ صاحِبُ العَقْدِ في مَسَامَرَةِ الرَشِيدِ للأَصْمَعِيِّ ، في بابِ الشِّعْرِ والشُّعراءِ تَجِدُ ما كانَ عَلَيْهِ الرَشِيدُ من المَعْرِفَةِ بِذلك ، والرُّسُوخِ فِيهِ والعنايةِ بِانتحالِهِ ، والتبصُّرِ بِجَيِّدِ الكلامِ ورديثِهِ وكثرةِ مَحْفُوظِهِ مِنْهُ . ثم جاء خَلْقٌ من بَعْدِهِمْ لم يكنِ اللسانُ لسانَهُمْ ، من أَجْلِ العُجْمَةِ وتَقْصِيرِها باللسانِ ، وإنما تَعَلَّمُوهُ صِناعَةً ، ثم مدحوا بأشعارِهِمْ أَرَاءَ العَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ اللسانُ لَهُم طالِبِينَ مَعْرُوفَهُمْ فَقَطْ ، لا سِوَى ذلك من الأَغْرَاضِ ، كما فَعَلَهُ حَبِيبُ والبُحْترِيُّ والْمُتَنَبِّيُّ وابنُ هانِيءٍ ومن بَعْدَهُمْ إلى هَلْمٍ جَرًّا . فَصَارَ غَرَضُ الشِّعْرِ في الغالبِ إِنما هو لِلْكِذْبَةِ والاستِجداءِ لَذَهَابِ المَنافِعِ الَّتِي كانت فِيهِ لِلأَوَّلِينَ ، كما ذَكَرناه آنفًا . وَأَنفَ مِنْهُ لَذلكَ أَهلُ الهِمَمِ والمَراتِبِ مِنَ المَتَأَخِّرِينَ ، وتَغْيِيرِ الحالِ فِيهِ وَأَصْبَحَ تَعاطِيهِ هُجْنَةً في الرِئاسةِ ومَذْمَةً لِأَهْلِ المَناصِبِ الكَبِيرَةِ . والله مُقَلِّبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

الفصل الستون

في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد

اعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة ، سواء كانت عربية أو عجمية . وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك ، وذكر منهم أرسطوا في كتاب المنطق : أميرون المشاعير وأثنى عليه . وكان في غيرهم أيضاً شعراء متقدمون . ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دوت مقاييسها وقوانين إعرابها ، وفستت اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة ؛ فكان لجيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الإعراب جملة ، وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات . وكذلك الحضر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الإعراب وأكثر الأوضاع والتصاريف ، وخالفت أيضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد . واختلقت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق ، فلاهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره ، وتخالفتها أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره .

ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان ، لأن الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحرّكات والسواكن وتقائيلها ، موجودة في طباع البشر ؛ فلم يهجر الشعر بفقدان لغة

واحدة وهي لغة مُضرَ ؛ الذين كانوا فحولَه وفرسانَ ميدانِهِ ،
 حسبما اشتهرَ بين أهلِ الخليقة . بل كلُّ جيلٍ وأهلٍ كل لغةٍ من
 العربِ المستعجمينَ والحضرِ أهلِ الأمصارِ ، يتعاطونَ منه ما
 يطاوغُهُم في انتحالِهِ ورصفِ بنائه على مهبِّ كلامِهِمْ . فأما العربُ ،
 أهلُ هذا الجيلِ ، المستعجمونَ عن لغةٍ سلفِهِمْ من مُضرَ ، فيقرضونَ
 الشعرَ لهذا العهدِ في سائرِ الأعاريضِ ، على ما كان عليه سلفُهُمْ
 المستعربونَ ، ويأتونَ منه بالطوولاتِ مشتتةً على مذاهبِ الشعرِ
 وأغراضِهِ من النسيبِ والمدحِ والرياءِ والهجاءِ ، ويستطردونَ في
 الخروجِ من فنٍّ إلى فنٍّ في الكلامِ . وربما هجموا على المقصودِ
 لأوّلِ كلامِهِمْ . وأكثرَ انتدائِهِمْ في قصائديهِمْ باسمِ الشاعرِ ، ثم بعد
 ذلك ينسبونَ . فأهلُ أمصارِ المغربِ من العربِ يسمّونَ هذه القصائدَ
 بالأصمعيّاتِ ، نسبةً إلى الاصمعيّ ، راوِيَةِ العربِ في أشعارِهِمْ .
 وأهلُ المشرقِ من العربِ يسمّونَ هذا النوعَ من الشعرِ بالبدويّ
 والخوراني والقيسي ، وربما يلجئونَ فيه ألحاناً بسيطةً ، لا على
 طريقةِ الصناعةِ الموسيقيّةِ . ثم يُغنّونَ به ، ويسمونَ الغناءَ به باسمِ
 الخورانيّ ، نسبةً إلى خورانٍ من أطرافِ العراقِ والشامِ ، وهي
 من منازلِ العربِ الباديةِ ومساكنِهِمْ إلى هذا العهدِ .

ولهم فنٌّ آخرٌ كثيرُ التداولِ في نظمِهِمْ يحيثونَ به مُفَضَّلاً على
 أربعةِ أجزاءٍ ، يخالفُ آخرُها الثلاثةَ في رويِّهِ ويلتزمونَ القافيةَ
 الرابعةَ في كلِّ بيتٍ إلى آخرِ القصيدةِ ؛ شبيهاً بالربّعِ والخمّسِ
 الذي أحدثهُ المتأخرونَ من المولدين . ولهؤلاءِ العربِ في هذا الشعرِ

بلاغة فائقة ؛ وفيهم الفحول والمتأخرون عن ذلك ، والكثير من
المنتحلين للعلوم لهذا العهد ، وخصوصاً علم اللسان ؛ يستنكر هذه
الفنون التي لهم إذا سمعها ويبيح نظمهم إذا أنشد ، ويعتقد أن ذوقه
إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها . وهذا إنما أتى من
فقدان الملكة في لغتهم . فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد
له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات في فطرته
ونظريه ؛ وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة ، إنما البلاغة
مطابقة الكلام المقصود ول مقتضى الحال من الوجود فيه ، سواء
كان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس .
وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام ، كما هو في لغتهم هذه . فالدلالة
بحسب ما يصطلىح عليه أهل الملكة : فإذا عرفت اصطلاح في ملكة
واشتهر صحت الدلالة ؛ وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى
الحال صحت البلاغة . ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك . وأساليب
الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب
في أواخر الكلم ؛ فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر . ويتميز
عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا
بحركات الإعراب . فن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يبي
الجازية بنت سرحان ، ويدكر ظعنهما مع قوياً إلى المغرب :

قال الشريف ابن هاشم علي ترى كيدي حرى شكت من زفيرها
يفز للاعلام ابن ما رأت خاطري يرد غلام البدو يلوي عصيرها

وماذا شكاة الروح مما طرا لها
يحسّ إن قطاع عامر ضميرها
وعادت كما خوارة في يد غاسل
تجاذبوها اثنين والنزع بينهم
وباتت دموع العين ذارفات لسانها
تدارك منها النجم حذراً وزادها
يصبّ من القيعان من جانب الصفا
هاذا الغنى حتى تسايت غزوة
ونادى المنادي بالرحيل وشدّوا
وشدّ لها الأدهم دياب بن غانم
وقال لهم حسن بن سرحان غرّبوا
ويركض ويبدّه شهامة بالتسامح
غدرني زيان السبيح من عابس
غدرني وهو زعماء صديقي وصاحبي
ورجع يقول لهم بلال بن هاشم
حرام علي باب بغداد وأرضها
تصدف روعي عن بلاد ابن هاشم
وباتت نيران العذارى قوادح

غداة وزائع تلف الله خيرها
طوى وهند جافي ذكرها
على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها
على شوك لعه والبقايا جريها
شبيه دوار السواني يديرها
مرون يحي متراكبا من صيرها
عيون ولجاز البرق في غزيرها
ناضت من بغداد حتى فقيرها
وعرج عاريا على مستعيرها
على أيدين ماضي وليدمقرب ميرها
وسوقو النجوع إن كان أناهو غفيرها
وباليمين لا يحدوا في مُغيرها
وما كان يرضى زين حمير وميرها
وأناليه ما من درقي ما يديرها
بحر البلاد العطشى ما بخيرها
داخل ولا عائدر كيزه من نعيمها
على الشمس أو حول الفظا من هجيرها
يلوذ ويجرجان يشدوا أسيرها

ومن قوليهم في رثاء أمير زناتة أبي سعدى اليفرنى مقارِعهم
بافريقية وأرض الزاب ورثاؤهم له على جهة التهنئة :

تقول فتاة الحي^(١) سعدى وهاضها لها في ظعون الباكرين عويل
أيا سائلي عن قبر الزناقي خليفه خذ النعت مني لا تكون هميل
تراه يعالي وادي ران وفوقه من الربط عيساوي بناء طويل
أراه يميل النور من شارع النقا به الواد شرقاً واليراع دليل
أيا لهف كبدي على الزناقي خليفه قد كان لأعقاب الجياد سليل
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم جراحه كافواه المزاد تسيل
أيا جائزا مات الزناقي خليفه لا ترحل إلا أن يريد رحيل
ألا واش رحلنا ثلاثين مرة وعشراً وستا في النهار قليل

ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتاباً وقع
بينه وبين ماضي بن مقرب :

تبدى ماضي الجبار وقال لي أشكر ما نحنا عليك رضاش
أشكر أعد ما بقي ود بيننا ورانا عريب عربا لابسين فماش
نحن غدينا نصدفو ما قضى لنا كما صادفت طعم الزباد طشاش
أشكر أعد إلى يزيد ملامه ليحدو ومن عمر بلاده عاش
ان كان نبت الشوك يلقح بأرضكم هنا العرب ما زدنا لمن صياش

ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى الغرب وغلبهم زناة عليه :
وأني جميل ضاع لي في الشريف بن هاشم وأي رجال ضاع قبلي جميها
لقد كنت انا وياه في زهو بيتنا عناني بحجة ما غباني دليلها

(١) كذا، وفي ب: نقاة الخد.

وعدت كأنني شاربٌ من مدامةٍ من الخمرِ فهو ما قدر من ميلها
أو مثل شطامات مظنون كبدها غريبا وهي مدوِّخه عن قبيلها
أتاها زمان السوء حتى تدوحت وهي بين عربا غافلا عن نزيلها
كذلك أنا مما لحاني من الوجى شاكى بكبدِ باديتها زعيلها
وأمرت قومي بالرحيل وبكروا وقوِّوا وشدَّادِ الحوايا حميلها
قعدنا سبعة أيام محبوس نجعنا والبدو ما ترفع عمود يقيلها
نظلّ على حداب الثنايا نوازي يظل الجرى فوق النضا ونصيلها

ومن شعرِ سلطان بنِ مُطَقِّر بنِ يحيى من الزواوِدَةِ^(١) أحدِ بطونِ
رياح وأهل الرياسَةِ فيهم ، يقولها وهو معتقِلٌ بالمهدِيَةِ في سجنِ
الأمير أبي زكريّا بن أبي حفصٍ أولِ ملوكِ افریقیَّة من الموحِّدين:

يقول وفي بوح الدجا بعد وهنة حرام على أجفان عيني منامها
يا من لقلب حالف الوجد والأسى وروح هيامي طال ما في سقامها
حجازية بدوية عربية عداوية ولها بعيد مرامها
مولعة بالبدو لا تألف القرى سوى عانك الوعسا يؤقي خيامها
غيات ومشتاها بها كل شتوة محونة بيها وبيها صحيح غرامها
ومرباها عشب الاراضي من الحيا يواقي من الخور الخلايا جسامها
تشوق شوق العين مما تداركت عليها من السحب السواري غمامها
وماذا بكت بالما وماذا تناحطت عيون غزار المزن عذابا حامها
كأنَّ عروس البكرٍ لاحت تيابها عليها ومن نورِ الآقاحي خزامها

فلاة ودهنا واتساع ومنة
ومشروبها من مخض ألبان شولها
تفانت عن الأبواب والموقف الذي
سقى الله ذا الوادي المشجر بالحيا
فكافأتها بالودّ مني وليتني
ليالي أقواس الصبا في سواعدي
وفرسي عديد تحت سرجي مشاقّة
وكم من رداح أسهرتني ولم أرى
وكم غيرها من كاعب مرجحة
وصفقت من وجدي عليها طريجة
ونار بخطب الوجد توهج في الحشا
أيا من وعدتي الوعد هذا الى متى
ولكن رأيت الشمس تُكسف ساعة
بنود ورايات من السعد أقبلت
أرى في الفلا بالعين أظعان عزوتي
يجرعا عتاق النوق من فوق شامس
الى منزل بالجعفرية للوى
ونلقى سراة من هلال بن عامر
بهم تضرب الأمثال شرقاً ومغرباً
عليهم ومن هو في حماهم تحية
فدع ذا ولا تأسف على سالف مضي

ومرعى سوى ما في مراعي نعامها
غنيم ومن لحم الجوازي طعّامها
يشيب الفتى مما يقاسي زحامها
وبلا ويحيى ما بلي من رمامها
ظفرت بأيام مضت في ركامها
إذا قت لم تحظ من ايدي سهامها
زمان الصبا سرجاً وبيدي لجامها
من الخلق أبهى من نظام ابتسامها
مطرزة الاجفان باهي وشامها
بكفي ولم ينسى جداها ذمامها
وتوهج لا يطفأ من الماء ضرامها
فني العمر في دار عماني ظلامها
ويغمى عليها ثم يبدأ غيامها
إلينا بعون الله يهفو علامها
ورحى على كتفي وسيري امامها
أحب بلاد الله عندي حشامها
مقيم بها ما لذ عندي مقامها
يزيل الصدا والغل عني سلامها
إذا قاتلوا قوماً سريع انهزامها
مدى الدهر ما غنى يفينا حمامها
فذي الدنيا مادامت لاحد دواها

ومن أشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عُمَرَ ، شيخ
الكعوب ، من أولاد أبي الليل ، يعاتب أقتلهم أولاد مهلهل
ويجيب شاعرهم شبيل بن مسكيانة بن مهلهل ، عن أبيات فخر
عليهم فيها بقوميه :

يقول وذا قول المصاب الذي نشأ	قوارع قيعان يعاني صعاها
يريح بها حادي المصاب اذا سعى	فنونا من انشاد القوافي عذابها
محيرة مختارة من نشادها	تحدى بها تام الوشا ملتهاها
مغربة عن ناقد في غصونها	محكمة القيعان داني ودابها
وهيض بتذكاري لها ياذوي الندى	قوارع من شبيل وهذي جوابها
اشبل جنينا من حباك طرائفا	فراح يريح المومنين الغنا بها
فخرت ولم تقصر ولا أنت عادم	سوى قلت في جمهورها ما أعابها
لقولك في أمّ المتين بن حمزة	وحامي حماها عاديا في حرابها
أما تعلم انه قاما بعد ما لقي	رصاص بني يحيى وغلاق دابها
شهاباً من اهل الامر ياشبل خارق	وهل ريت من جاللوغى واصطلى بها
سواها طفاها أضرمت بعد طفاه	وأثنى طفاها جاسراً لا يهاها
واضرمت بعد الطفيتين ألن صحت	لفاس الى بيت المنى يقتدى بها
وبان لوالي الأمر في ذا انشاحها	فصار وهي عن كبر الاسنة تهاها
كما كان هو يطلب على ذا تجنبت	رجال بني كعب الذي يتقى بها

ومنها في العتاب :

وليدا تعاتبوا أنا اغنى لانني غنيت بمعلق الشنا واغتصاها

عليّ ونا ندفع بها كل مبضع
فان كانت الاملاك بغت عرايس
ولا بعدها الارهاف وذبل
بني عمنا ما نرتضي الذل غلمه
وهي عالما بأن المنايا تنيلها
ومنها في وصف الطعائن :

قطعنا قطوع البيد لا نختشي العدا
ترى العين فيها قل لشبل عرائف
ترى أهلها غبّ الصباح ان يفلها
لها كل يوم في الأرامي قتائل
فتوق بحوبات مخوف جنابها
وكلّ مهاجر محتطها ربابها
بكل حلوب الجوف ما سدّ بابها
ورا الفاجر المزوج عفو رضا بها

ومن قولهم في الأمثال الحكمية :

وطلبك في الممنوع منك سفاهة
إذا رأيت أناساً يغلقوا عنك بابهم
وصدك عن صدّ عنك صواب
ظهور المطايا يفتح الله باب

ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى بُرْجم :

لشيب وشبان من اولاد برجم
جميع البرايا تشتكي من ضهادها

ومن قول خالد يعاتب اخوانه في موالاته شيخ الموحدين أبي
محمد بن تافراكين المستبدّ بحجابيّة السلطان بتونس على سلطانها
مكفولة أبي اسحق ابن السلطان أبي يحيى وذلك فيما قرّب من عصرنا :

يقول بلا جهل فتى الجود خالد
مقالة حبر ذات ذهن ولم يكن
تهجست معنا نايها لا الحاجة
وكنت بها كبدي وهي نعم صابة
تفوّهت بادي شرحها عن مآرب
بني كعب أدنى الأقربين لدننا
جرى عند فتح الوطن منا لبعضهم
وبعضهم ملنا له عن خصيمه
وبعضهم مرهوب من بعض ملكنا
وبعضهم جانا جريماً تسمحت
وبعضهم نظار فينا بسوّة
رجع ينتهي مما سفهنا قبيحه
وبعضهم شاكي من اوغاد قادر
فصمناه عنه واقتضي منه مورد
ونحن على دافي المدى نطلب العلا
وحزنا حمى وطن بترشيش بعدما
ومهد من الاملاك ما كان خارجا
بردع قروم من قروم قبيلنا
جرينا بهم عن كل تاليف في العدا
الى ان عاد من لا كان فيهم بهمة
وركبوا السبايا المشمات من اهلها ..

مقالة قوّال وقال صواب
هريجاً ولا فيما يقول ذهاب
ولا هرج ينقاد منه معاب
حزينة فكر والحزين يصاب
جرت من رجال في القبيل قراب
بني عمّ منهم شايب وشباب
مصافاة ودّ واتساع جناب
كما يعلموا قولي يقينه صواب
جزاعاً وفي جوّ الضمير كتاب
خواطر منها للنزيل وهاب
نقهناه حتى ما عنا به ساب
مراراً وفي بعض المزار يهاب
غلق عنه في احكام السقائف باب
على كره مولى البالقي ودياب
لهم ما حططنا للفجور نقاب
نفقنا عليها سبقا ورقاب
على احكام والي أمرها له ناب
بني كعب لاواها الغريم وطاب
وقنا لهم عن كل قيد مناب
ربها وخيراته عليه نصاب
ولبسوا من انواع الحرير ثياب

وساقوا المطايا بالشر لا نسوا له
وكسبوا من أصناف السعايا ذخائر
وعادوا نظير البرمكيين قبل ذا
وكانوا لنا درعاً لكل مهمة
وخلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا
كسوا الحلي جلباب البهيم لستره
كذلك منهم حابس ما دار النبا
يظن ظنونا ليس نحن بأهلها
خطا هو ومن واثاه في سوء ظنه
فواعزوقي ان الفتى بو محمد
وبرحت الاوغاد منه ويحسبوا
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع
وهو لو عطي ما كان للرأي عارف
وان نحن ما نستاملوا عنه راحة
وان ما وطأ ترشيش يضياق وسعها
وانه منها عن قريب مفاصل
وعن فائنات الطرف بيض غوانج
يتيه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا
يضلوه عن عدم اليمين وربما
بهم حازله زمه وطوع أوامر
حرام على ابن تافركين ما مضى

جواهر ما يغلو بها بجلاب
ضخام لحزات الزمان تصاب
والا هلالا في زمان دياب
إلى ان بان من نار العدو شهاب
ملامه ولا دار الكرام عتاب
وهم لو دروا لبسوا قبيح جباب
ذهل حامي ان كان عقله غاب
تمنى يكن له في السباح شعاب
بالاثبات من ظن القبائح عاب
وهوب لا آلاف بغير حساب
بروحه ما يحيى بروح سحاب
لقوا كل ما يستاملوه سراب
ولا كان في قلة عطاء صواب
وانه باسهم التلاف مصاب
عليه ويمشي بالفزوع لزاب
خنوج عناز هوأله وقباب
ربوا خلف استار وخلف حجاب
بحسن قوانين وصوت رباب
يطارح حتى ما كأنه شاب
ولذة ما كول وطيب شراب
من الود الا ما بدل بحراب

وان كان له عقل رجيج وفطنة
وأما البدا لا بدّها من فياعل
يلجج في اليم الغريق غراب
ويحمى بها سوق علينا سلاعه
كبار الى أن تبقى الرجال كباب
ويحمي غلام طالب ريح ملكنا
ندوما ولا يمي صحيح بناب
أيا واكلين الخبز تبغوا ادامه
غلطتوا أدمتوا في السموم لباب

ومن شعر عليّ بن عُمر بن إبراهيم من روساء بني عامر لهذا
العهد أحد بطون زُغَبَة يعاتبُ بني عمه المتطاولين الى رياسته :

مجرة كالدرّ في يد صانع
أباحها منها فيه أسباب ما مضى
إذا كان في سلك الحرير نظام
غدامنه لام الحيّ حين وانشطت
وشاء تبارك والضعون تسام
ولكن ضميري يوم بان بهم الينا
عصاها ولا صبنا عليه حكام
والا كأبراص التهامي قوادح
تبرّم على شوك القتاد برام
والا لكان القلب في يد قابض
ويين عواج الكائنات ضرام
لما قلت سما من شقا البين زارني
أناهم بمنشار القطيع غشام
ألا يا ربوع كان بالامس عامر
إذا كان ينادي بالفراق وخام
وغيد تداني للخطا في ملاعب
بيحي وحله والقطين لمّام
ونعم يشوف الناظرين التحامها
دجى الليل فيهم ساهرٌ ونيام
وعرود باسمها ليدعو لسربها
لنا ما بدا من مهرق وكظام
واليوم ما فيها سوى البوم حولها
ينوح على اطلال لها وخيام
وقفنا بها طورا طويلا نساها
بعين سخينا والدموع سجام

ولا صرح لي منها سوى وحش خاطري
ومن بعد ذاتي لمنصور بو علي
وقولوا له يا بو الوفا كلح رأيكم
زواخر ما تنقاس بالعود انما
ولا قستموا فيها قياسا يدلکم
وعانوا على هلكاتكم في ورودها
أيا عزوة ركبوا الضلالة ولا لهم
الا عناهم لو ترى كيف زايهم
خلو القنا يبغون في مرقب العلا
وحق النبي والبيت وأركانه العلي
لبرّ الليالي فيه ان طالت الحيا
ولا برّها تبقى البوادي عواكف
وكل مسافه كالسد اياه عابر
وكل كميت يكتعص عض نابه
وتحمل بنا الارض العقيمة مدة
بالابطال والقود المهجان وبالقنا
أتجحدني وانا عقيد نقودها
ونحن كأضر اس الموافي بنجعكم
متى كان يوم القحط يا مير ابو علي
كذلك بوحمو الى اليسر ابعته
وخلّ رجالا لا يرى الضيم جارهم

وسقمي من اسباب ان عرفت او هام
سلام ومن بعد السلام سلام
دخلتم بحور غامقات دهام
لها سيالات على الفضا وأكام
وليس البحور الطاميات تعام
من الناس عدمان العقول لثام
قرار ولا دنيا لهن دوام
مثل سراب فلاه ما لهن تمام
مواضع ما هيا لهم بمقام
ومن زارها في كل دهر وعام
يذوقون من خبط الكساع مدام
بكل رديني مطرب وحسام
عليها من اولاد الكرام غلام
يظل يصارع في العنان لجام
وتولدنا من كل ضيق كظام
لها وقت وجنات البدور زحام
وفي سن ربحي للحروب علام
حتى يقاضوا من ديون غرام
يلقى سعايا صايرين قدّام
وخلّى الجياد العاليات تسام
ولا يجمعوا بدهى العدو زفام

الا يقيموها وعقد بؤسهم وهم عذر عنه دائماً ودوام
وكم ثار طعنها على البدو سابق ما بين صحاصيح وما بين حسام
فتى ثار قطار الصوى يومنا على لنا ارض ترك الظاعنين زمام
وكم ذا يجيبوا اثرها من غنيمة حليف الثنا قشاع كل غيام
وإن جاء خافوه الملوك ووسعوا غدا طبعه يجدى عليه قيام
عليكم سلام الله من لسن فاهم ما غنت الورقا وناح حمام

ومن شعر عرب نمر بنو احي حوران لا رأة قتل زوجها فبعثت
الى أحلافه من قيس تغريهم بطلب ثاره تقول :

تقول فتاة الحى أم سلامه بعين أراع الله من لا رثى لها
تببت بطول الليل ما تألف الكرى موجعة كان الشقا في مجالها
على ما جرى في دارها وبوعياها بلحظة عين البين غير حالها
فقدنا شهاب الدين يا قيس كلكم ونمتوا عن أخذ الثار ماذا مقالها
أنا قلت اذا ورد الكتاب يسرني ويبرد من نيران قلبي ذبالها
أيا حين تسريح الذوائب واللى وبيض العذارى ما حميتو جمالها

الموشحات والأزجال للأندلس

وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت
مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون
منهم فناً منه سموه بالموشح ، ينظمونه أسباطاً أسباطاً وأغصاناً
أغصاناً ، يكثرون منها ، ومن أعاريضها المختلفة . ويسمون المتعديّة

منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها
متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة
أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض
والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد. وتجاروا
في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس بجملة، الخاصة والكافة، لسهولة
تناوله، وقرب طريقه. وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم
ابن معاوية القبريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني.
وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربّه، صاحب كتاب العقيد؛
ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما. فكان
أول من برع في هذا الشأن بعدها عبادة القزاز، شاعر المعتصم بن
صالح صاحب المريّة. وقد ذكر الأعلام البطليوسي أنه سمع أبا
بكر بن زهير يقول: كلّ الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما
اتفق له من قوله:

بَدُرَتْ تَمَّ شَمْسُ ضَحَى خُصِنَ نَقَا مَسْكُ شَمِّ
مَا أَتَمَّ مَا أَوْضَحَا مَا أَوْرَقَا مَا أَنَمَّ
لَا جَرَمَ مِنْ لَمَحَا قَدْ عَشَقَا قَدْ حُرِمَ

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في
زمن الطوائف. وجاء مُصَلِّياً خلفه منهم ابن رافع، رأس^(١) شعراء
المأمون ابن ذي النون، صاحب طليطلة. قالوا وقد أحسن في

(١) كذا، وفي ب: منهم ابن أرفع رأسه شاعر المأمون.

ابتدائه في مَوْشَحَتِهِ التي طارت له حيث يقول :
 العودُ قد تَرَنَّمْ بابدَعِ تَلَحُّجِينَ وَسَقَّتِ المذايِبُ رِياضَ البساتين
 وفي انتهائه حيث يقول :

تَحْطَرُّ وَلَا^(١) تسلم عساك المأمون مروع الكتائب يحيى بن ذي النون
 ثم جاءت الحلبّة التي كانت في دولة الملتّمين فظهرت لهم البدائع ،
 وسابقُ فُرسان حَلَبَتِهِمُ الأعمى الطُّلَيْطِيُّ^(٢) ، ثم يحيى ابنُ بقيّ ،
 وللطُّلَيْطِيِّ من الموشحات المهدّبة قوله :

كيف السبيلُ إلى صبري وفي المعالم أشجان
 والركبُ وسط الفلا بالخرّد النواعم قد بان

وذكر غير واحدٍ من المشايخ أنّ أهلَ هذا الشأن بالأندلس.
 يذكرون أنّ جماعةً من الوشّاحين اجتمعوا في مجلسٍ بأشبيلية ،
 وكان كلُّ واحدٍ منهم اصطنع مَوْشَحَةً وتأنّق فيها فتقدّم الأعمى
 الطُّلَيْطِيُّ للإِنشاد ، فلما افتتح مَوْشَحَتَهُ المشهورة بقوله :

ضاحكٌ عن جُمانٍ سافرٌ عن بدرٍ ضاقَ عنه الزمان وحواءُ صدري
 حرق ابنُ بقيّ مَوْشَحَتَهُ وتبعه الباؤون . وذكر الأعلامُ البطليوسيُّ
 أنه سمع ابنَ زُهرٍ يقول : ما حسدتُ قطُّ وشاحاً على قولٍ إلا
 ابنُ بقيّ حينَ وقعَ له :

(١) كذا، وفي ب: ولىش.

(٢) كذا، وفي ب: التطلي.

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق
أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق

وكان في عصرهما من الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض .
وكان في عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين
المعروفة . ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدمه ابن
تيفلويت صاحب سرقسطة ؛ فالتقى على بعض قيناته موشحته التي
أولها :

جرّ الذئيل أيما جرّ ،
وصل الشكر منك بالشكر

فطرب المدوح لذلك ، فلما ختمها بقوله :

عَقَدَ اللهُ رَايَةَ النَّصْرِ ،
لَأَمِيرِ الْعُلَا أَيْ بَكْرٍ

وطرق ذلك التلحين سَمِعَ ابن تيفلويت ، صاح : واطرباه اوشق
ثيابه وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ، وحلف بالآيمان
المغلظة لا يمشي ابن باجة الى داره إلا على الذهب . فخاف الحكيم
سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه . وذكر
أبو الخطاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر . ذكر
أبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر ؛ فغض منه أحد
الحاضرين فقال كيف تغض ممن يقول :

ما لذّي شربُ راحِ ،
على رياضِ الأَقاحِ ،
لولا هضمُ الوشاحِ ،

إذا انثنى^(١) في الصباحِ ،

أو في الأَصيلِ ،
أضحى يقول :
ما للشمولِ ،

لَطَمَتِ خَدَيَّ ؟

وللشمالِ
هَبَّتْ فَمِنْ
غُصْنِ اعتدالِ

ضَمُّهُ بُرْدِي

مما أَبَادَ القُلُوبَا ،
يمشي لنا مُستَرِيَا ،
يا لحظةَ رُدِّ نُوبَا

ويا لِمَا الشَّيْبَا

بَرِّدْ غَلِيلِ ،
صَبِّ عَلِيلِ ،
لا يَسْتَحِيلِ ،

فيه عن العهدِ ،

(١) كذا، وفي نسخة: «إذا أتى في الصباح».

ولا يزال ،
في كل حال
يرجو الوصال ،

وهو في الصدد

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل
ابن شرف . قال الحسن بن دؤيد : رأيت حاتم بن سعيد على
هذا الافتتاح :

شمس قاربت بدرأ راح ونديم

وابن هردوس الذي له :

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودي

وابن مؤهل الذي له :

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب
وإنما العيد في التلاقي مع الحبيب

وأبو اسحق الرديني ، قال ابن سعيد : سمعت أبا الحسن سهل
ابن مالك يقول إنه دخل على ابن زهر ، وقد آسن ، وعليه زي
البادية ، إذ كان يسكن بخصن أستبه ، فلم يعرفه ، فجلس حيث
انتهى به المجلس . وجرت المحاضرة فأنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كحل الدجى يجري من مقلّة الفجر على الصباح
ومعصم النهر في حلل خضر من البطاح

فتحرَّكْ ابنُ زُهرٍ وقال : أنت تقول هذا ؟ قال اختيرُ ! قال
ومن تكونُ ؟ فعرفَهُ ، فقال ارتفعُ ! فوالله ما عرفتكَ . قال ابنُ
سعيدٍ : وسابقُ الحَلَبَةِ التي أدركت هؤلاء أبو بكر بنُ زُهرٍ ، وقد
شرقت موشحاتُهُ وغرَّبت . قال : وسمعتُ أبا الحسنِ سهلَ بنَ مالكٍ
يقول : قيل لابنِ زُهرٍ ، لو قيلَ لك ما أبدعَ وأرفعَ ما وقعَ لك
في التوشيح ما كنت تقول ؟ قال ، كنتُ أقولُ :

ما للموَلِّه ؟
من سُكرِهِ لا يفيق
يا له سكران
من غير خمر
ما للكئيب المشوق
يندُبُ الأوطان ؟
هل تُستعاد
أيأُمنّا بالخليج
وليا لينسنا ؟
أو يُستفاد
من النسيم الأريج^(١)
مسكُ دارينا^(٢)
أو هل يكاذ

(١) الأريج : العطر.

(٢) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ويباع بها ، فصار ينسب إليها .

حسنُ المكانِ البهيجِ
 أنْ يُجَيِّبَنَا ؟
 رَوْضُ أَظْلَّةِ
 دَوْحٍ عَلَيْهِ أُنَيْقُ
 مَوْزُقُ الْأَفْنَانِ
 والماءِ يَجْرِي ،
 وعائِمٌ وَغَرِيقُ
 من جنى الریحانِ

واشتهر بعده ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله :
 يُفَوِّقُ سهمه كل حين بما شئت من يد وعين
 ويُثْشِدُ في القصيد :

خلقت ملبح علمت رامى فليس تخل ساع من قتال
 وتعمل بذى العينين متاعي ما تعمل يدي بالنبال

واشتهر معها يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس ، قال ابن سعيد ،
 ولما سمع ابن زهر قوله :

لله ما كان من يوم بهيج بنهر حمص على تلك المروج
 ثم انعطفنا على فم الخليج نفض في حانه مسك الختام
 عن عسجد زانه صافي المدام ورداء الأصيل ضمه كف الظلام

قال ابن زهر : أين كنا نحن عن هذا الرداء وكان معه في

بلده مُطَرِّف . أخبر ابنُ سعيدٍ عن والده أَنَّ مُطَرِّفًا هذا دخل على
ابنِ الفَرَسِ فقامَ له وأكرمه ، فقال : لا تفعل ! فقال ابنُ الفرسِ :
كيف لا أقومُ لمن يقول :

قلوب تصاب بالحاظ تصيب فقل كيف تبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن حزمون بمرسية . ذكر ابنُ الراس أن يجي
الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحةً لنفسه ، فقال له
ابن حزمون : لا يكون الموشحُ بموشحٍ حتى يكون عارياً عن
التكلف ، قال على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولي :

يا هاجري هل إلى الوصالٍ منك سبيل
أو هل ترى عن هوالك سالي قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة . قال ابنُ سعيدٍ كان والدي
يعجبُ بقوله :

إنَّ سيل الصباح في الشرقِ عاد بجرّاً في أجمع الأفقِ
فتداعت نواذبُ الوُزقِ
أتراها خافت من الفرقِ فبكت سحرة على الوَرَقِ

واشتهر بأشبيليةً لذلك العهدِ أبو الحسن بن الفضل ، قال ابن
سعيدٍ عن والديه ، سمعتُ سهلَ ابنَ مالكٍ يقول له : يا ابن الفضل
لك على الوشّاحين الفضل بقولك :

واحسرتا لزمانٍ مضى عشيّةً بأنّ الهوى وانقضى

وأفردت بالرغم لا بالرضى وبت على تجرات القضى
أعانق بالفكر تلك الطلول وألثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني يُنشد الأستاذ أبا الحسن
الدباج موشحاته غير ما مرّ ، فما سمعته يقول له لله درك ، إلا
في قوله :

قسماً بالهوى لذي حجر ما لليل المشوق من فجر
تجد الصبح ليس يُطرّد ما لليالي فيما أظن غد
أو قفصت قوادم النسر فنجوم السماء لا تسري

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله :

ما حال صبّ ذي ضنى واكتئاب أمرّضه يا ويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتئاب ثم اقتدى فيه الكرى بالجيب
جفا جفوني النوم لـكنني لم أبكيه الا لفقدي الخيال
وذا الوصال اليوم قد غرّني منه كما شاء وشاء الوصال
فلست باللائم من صدني بصورة الحق ولا بالحال

واشتهر ببرّ أهل العُدوة ابنُ خَلَفِ الجزائري صاحب الموشحة
المشهورة :

يدُ الاصباح قدحت زناد الأنوار في مجامر الزهر

وابنُ خرز البجائي وله من موشحة :

نفر الزمان موافق حباك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل ، شاعر
اشبيلية وسبته من بعدها ؛ فمنها قوله :

هل درى ظبي الجى أن قد حمى قلب صب حله عن مكس
فهو في نار وخفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن
الخطيب ، شاعر الأندلس والمغرب لعصره ، وقد مر ذكره فقال :

جادك الفيت إذا الفيت همى ،
يا زمان الوصل بالأندلس ا
لم يكن وصلك إلا حلماً
في الكرى أو خلصة المختلس ا

إذ يقود الدهر أشتات المنى ،
تنقل الخطو على ما ترسم ،
زمرأ بين فرادى وئنا
مثل ما يدعو الحجيج^(١) المويم
والحيا قد جلل الروض سنا ،
فسنا الأزهار^(٢) فيه تبسم

(١) كذا ، وفي ب : الوفود .

(٢) في نسخة أخرى : فتغور الزهر .

وَزَوَى الثُّغْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ ؛
كَيْفَ يَزْوِي مَا لَكَ عَنْ أَنْسٍ ؟
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعَلَّمًا ،
يُزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسٍ .

فِي لِيَالٍ كَتَمْتَ سِرَّ الْهَوَى ،
بِالْدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْقَدَرِ ^(١)
مَالَ نَجْمٍ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى ،
مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
وَطَرُّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْنٍ يَسْوَى
أَنَّهُ مَرُّ كَلْمَحٍ الْبَصَرِ .

حِينَ لَدَى النُّومِ شَيْئًا أَوْ كَمَا
تَهَجَّمُ الصُّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ ^(٢)
غَارَتِ الشُّهُبُ بِنَا ، أَوْ رُبَّمَا
أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّزْجِسِ .

أَيُّ شَيْءٍ لَا مَرِيءَ قَدْ خَلَصَا ،

(١) في نسخة أخرى: الغرر، مكان القدر. والغرر جمع غرة، أي طلعة الوجوه الحسان .

(٢) كذا، وفي ب:

حين لَدَى الْأَنْسِ شَيْئًا أَوْ كَمَا هَجَمَ الصُّبْحُ نَجُومَ الْحَرَسِ

فِيكونُ الرّوضُ قد كُننَ فيه ^(١)
 تنهبُ الأزهارُ فيه الفُرصا ،
 أمنتُ من مَكْرِهِ ما تَتَّقِيه
 فإذا الماءُ تَنَاجَى والحصى ،
 وخلا كلُّ خليلٍ بأخيه

تُبْصِرُ الوردَ غَيوراً برِما
 يكتسي من غَيْظِهِ ما يكتسي
 وترى الآسَ لبيّاً فهما
 يسرقُ السَّمْعَ بأذني قَرسِ

يا أَهْيَلِ الحَيِّ «ن وادي الفضا ا
 وبقلي مَسْكَنُ أَنْتم بِهِ ا
 ضاقَ عن وَجْدِي بكم، رَحِبُ الفضا،
 لا أبالي شَرْقَهُ من غَرْبِهِ
 فأعيدوا عهدَ أنسٍ قد مضى،
 تُعْتِقُوا عَبدَكُمْ من كَرْبِهِ ^(٢)

(١) في نسخة: مكن فيه . وهو الأصح .

(٢) في نسخة: تنقلوا عائدكم . . . الخ . وفي ب: تعتقوا عابنكم من كربه .

وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا ،
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا ،
أَفْتَرِضُونَ خَرَابَ الْجُبُسِ^(١)

وَيَقْلِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ
بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدُ
قَرُّ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ
شِقْوَةُ الْمَضْنَى بِهِ ، وَهُوَ سَعِيدُ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ
فِي هَوَاهُ ، بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ

سَاحِرُ^(٢) الْمَقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى ،
جَالَ فِي النَّفْسِ بِجَالِ النَّفْسِ
سَدَّدَ السَّهْمَ وَسَمَّى وَرَمَى
فَقَوَّادِي نَهْبَةِ الْمُفْتَرِسِ^(٣) !

(١) كذا، وفي ب: أفترضون عفاء الجبس.

(٢) كذا، وفي نسخة: أحور المقلة... الخ.

(٣) في نسخة أخرى:

سدد السهم فأصمى إذ رمى بفقوادي نبلة المفترس

إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابِ الْأَمْلِ ،
وَقَوَادِ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ ،
لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبُ
أَمْرُهُ مُعْتَمِلٌ مُتَشَلُّ
فِي ضُلُوعٍ ، قَدْ بَرَاها ، وَقُلُوبُ

حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا ،
لَمْ يُرَاقِبْ^(١) فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ
نُصِيفُ الْمَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَا ،
وَيُحَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا ،
عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ ؟
جَلَبَ الْهَمُّ لَهُ وَالْوَصَا ؛
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهِيدِ
كَانَ فِي اللُّوحِ لَهُ مُكْتَتَبَا
قَوْلُهُ : إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ !

(١) لم يراقب: لم يحاذر الله .

لَا عِجَّ مِنْ أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا ،
فَهِيَ نَارٌ فِي تَهْسِيمِ الْيَبَسِ -
لَمْ تَدَغْ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا ذِمًّا ^(١)
كَبَّمَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغَلَسِ -

سَلِّمِي يَا نَفْسِ فِي حُكْمِ الْقَضَا
وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابِ
وَدَّعِي ذِكْرَ زَمَانٍ قَدْ مَضَى
بَيْنَ عُتْبَى ^(٢) قَدْ تَقَصَّتْ وَعِتَابِ
وَاصِرِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَى
مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ -

الْكَرِيمِ الْمُتَّهَى وَالْمُنْتَمَى
أَسَدِ السَّرْحِ وَبَذْرِ الْمَجْلِسِ -
يُنْزَلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ ، مِثْلَ مَا
يُنْزَلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ -

(١) الذمائم : بقية الروح .

(٢) العتبي : الرضا .

وأما المشاركةُ فالتكلفُ ظاهرٌ على ما عانوه من الموشحات .
ومن أحسن ما وقعَ لهم في ذلك موشحةُ ابنِ سناء الملك التي
اشتهرت شرقاً وغرباً وأولها :

حببي ارفع حجاب النور عن العذار
تنظر المسك على كافور في جلنار
كللي يا سُحبُ تيجانِ الرُّبى بالحلى واجعلي
سوارها منعطف الجدول

ولما شاع فنُّ التوشيح في أهل الاندلس ، وأخذ به الجمهور ،
لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه ، نسجت العامة من أهل
الأمصار على منواله ، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضريّة من غير
أن يلتزموا فيها إعراباً . واستحدثوا فناً سموه بالزجل ، والتزموا
النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد ، فجاءوا فيه بالفرائب واتسع
فيه للبلاغة مجالٌ بحسب لغتهم المستعجمة .

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان ،
وإن كانت قيلت قبله بالأندلس ؛ لكن لم يظهر حلاها ، ولا
انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه . وكان لعهد
الملثمين ، وهو إمام الزجالين على الإطلاق . قال ابنُ سعيد :
ورأيتُ أزجاله مرويةً ببغداد أكثر مما رأيتها بجواضر المغرب . قال :
وسمعتُ أبا الحسن بن جُحدرٍ الأشبيليّ ، إمام الزجالين في عصرنا
يقولُ : ما وقع لأحدٍ من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان

شيخ الصنّاعة، وقد خرج إلى منتزه مع بعض أصحابه؛ فجلسوا
تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يُصب الماء من فيه على
صفائح من الحجر متدرّجة فقال :

وعريش قد قام على دكان بحال رواق
وأسد قد ابتلع ثعبان من غلظ ساق
وفتح فيه بحال إنسان بيه الفراق
وانطلق من ثم على الصفاح وألقى الصياح

وكان ابن قزمان، مع أنه قرطبي الدار، كثيراً ما يتردد إلى
إشبيلية ونيّاب نهرها، فاتفق أن اجتمع ذات يوم جماعة من
أعلام هذا الشأن. وقد ركبوا في النهر للترّهة، ومعهم غلام جميل
الصورة من سرّوات أهل البلد وبيوتهم. وكانوا مجتمعين في زورق
للصيد؛ فنظموا في وصف الحال، وبدأ منهم عيسى البليدي فقال :
يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتو وقد ضمني عشقو لشهاتو
تراه قد حصل مسكين محلاتو يغلق وكذاك أمر عظيم صاباتو
توحش الجفون الكحل إن غابو وذيك الجفون الكحل أبلاتو

ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الأشبيلي :

نشب والهوى من لج فيه ينشب ترى ايمن دعاه يشقى ويتعذب
مع العشق قام في بالوان يلعب وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا

ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني :

نهار مليح يعجب أوصافو شراب وملاح من حولي قد طافوا

والمقلين يقول من فوق صفصافو والبوري أخرى فقلاقو
ثم قال أبو بكر بن مرتين :

الحق تريد حديث بقالي عاد في الواد النزيه والبوري والصياد
لسنا حيتان ذيك الذي يصطاد قلوب الورى هي في شبىكاتو
ثم قال أبو بكر بن قزمان :

إذا شعر كما هو يرميها ترى البوري يرشق لذلك الجيها
وليس مرادو أن يقع فيها إلا أن يقبل بدياكو
وكان في عصرهم بشرق الأندلس "مُحَلِّفُ الْأَسْوَدِ"، وله محاسنُ
من الزجل منها قوله :

قد كنت منشوب واختشيت النشب وردني ذا العشق لأمر صعب
حتى تنظر الحدَّ الشريق البهي تنتهي في الحرِّ إلما تنتهي
يا طالب الكيميا في عيني هي تنظر بها الفضة وترجع ذهب

وجاءت بعدهم حَلَبَةُ كان سَابِقُهَا مدغليس ، وقعت له العجائبُ
في هذه الطريقة ، فمن قوله في زَجَلِهِ المشهور :

ورذاذ دق ينزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وبريد تجي إلينا ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن ازجاله قوله :

لاح الضيا والنجوم حيارى فقم بنا نزع الكسل
شربت ممزوج من قراعا أحلى هي عندي من العسل
يا من يلمني كما تقلد قلدك الله بما تقول
يقول بان الذنوب تولد وأنه يفسد العقول
لارض الحجاز موريكنك أرشد ايش ما ساقك معي في ذا الفضول
مر أنت للحج والزيارا ودعني في الشرب منهمل
من ليس لو قدره ولا استطاع النيه أبلغ من العمل

وظهر بعد هؤلاء بأشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين
في فتح ميورقة بالزجل الذي أوله هذا :

من عاند التوحيد بالسيف يحق أنا بري ممن يعاند الحق
قال ابن سعيد لقيته ولقيت تلميذه المعنع صاحب الزجل
المشهور الذي أوله :

يا ليتني ان رأيت حبيبي أقتل اذنو بالرسلا
ليش أخذ عنق الغزير وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل ابن مالك إمام الأدب ،
ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب
إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية غير مدافع ، فن محاسنه في
هذه الطريقة :

امنح الأكواس واملاي تجدد ما خلق المال إلا أن يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفيّة وينحو منحى الشّتريّ منهم :

بين طلوعٍ وبين زولٍ اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن وبقي من لم يزول

ومن محاسنه أيضاً قوله في ذلك المعنى :

البعد عنك يا بني أعظم مصايبي وحين حصل لي قربك سببت قاري

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالآندلس محمد بن عبد العظيم
من أهل وادي آش ، وكان إماماً في هذه الطريقة وله من زجل
يعارضُ به مدغليس في قوله :

لاح الضياء والنجوم حيارى بقوله :

حل المجون يا أهل الشطارا مذ حلت الشمس في الحل
تجددوا كل يوم خلاعا لا تجعلوا بينها ثمل
اليها يتخلعوا في شنبل على خضورة ذاك النبات
وحل بغداد واجتياز النيل أحسن عندي من ذيك الجهات
وطاقتها أصلح من اربعين ميل ان مرت الريح عليه وجات
لم تلتق الغبار امارا ولا بمقدار ما يكتحل
وكيف ولاش فيه موضع رقاعا إلا ونسرح فيه النحل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فنُ العامّة بالآندلس من
الشعر ، وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة
عشر ، لكن بلغتهم العامية ويسمونهُ الشعرَ الزجليّ مثل قول شاعرهم :

دهر لي نعشق جفونك وسنين وانت لا شفقة ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجع صنعة السكة بين الحدادين
الدموع ترشرش والنار تلتهب والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله النصارى للغزو وأنت تغزو قلوب العاشقين

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لأوّل هذه المائة الأديب أبو
عبدالله اللوشي وله فيها قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر :

طل الصباح قم يا نديي نشربو ونضحكو من بعد ما نظربو
سبيكة الفجر أحكت شفق في ميلق الليل فقم قلبو
ترى عيارها خالص أبيض نقي فضة هو لكن الشفق ذهبو
فتنتفق سكتوا عند البشر نور الجفون من نورها يكسبو
فهو النهار يا صاحبي للعاش عيش الغني فيه بالله ما أطيبو
والليل أيضاً للقبل والعناق على سرير الوصل يتقلبو
جاد الزمان من بعد ما كان بخيل ولش ليفلت من يديه عقربو
كما جرع مرو فما قد مضى يشرب بيننو وياكل طيبو
قال الرقيب يا أدبا إيش ذا في الشرب والعشق ترى ننجبو
وتعجبوا عذالي من ذا الخبر فقلت يا قوم من ذا تتعجبوا
نعشق مليح الا رقيق الطباع علاش تكفروا بالله أو تكتبوا
ليش يربح الحسن إلا شاعر أديب يفض بـكـرو ويدع ثيبو
اما الكاس فحرام نعم هو حرام على الذي ما يدري كيف يشربو
ويد الذي يحسن حسابه ولم يقدر يحسن الفاظ أن يجلبوا

وأهل العقل والفكر والمجون
ظبي بهي فيها يطفئ الحجر
غزال بهي ينظر قلوب الأسود
ثم يحسيهم اذا ابتسم يضحكوا
فميم كالحاتم وثغر نقي
جوهر ومرجان أي عقد يا فلان
وشارب اخضر يريد لاش يريد
يسبل دلال مثل جناح الغراب
على بدن أبيض بلون الحليب
وزوج هندات ما علمت قبلها
تحت العكاكن منها خصر رقيق
أرق هو من ديني فيا تقول
أي دين بقا لي معاك وأي عقل
تحمل ارداف ثقال كالقريب
ان لم ينفس غدر أو ينقشع
يصير إليك المكان حين تجي
محاسنك مثل خصال الامير
عماد الامصار وفصيح العرب
بحمل العلم انفرد والعمل
ففي الصدور بالرمح ما أطعنه
من السماء يحسد في أربع صفات

يغفر ذنوبهم لهذا إن أذنبوا
وقلبي في جمر الغضى يلهو
وبالوهم قبل النظر يذهبوا
ويفرحوا من بعد ما يندبوا
خطيب الأئمة للقبل يخطبوا
قد صففه الناظم ولم يثقبوا
من شبهه بالمسك قد عيبوا
ليالي هجري منه يستغربوا
ما قط راعي للغنم يجلبوا
ديك الصلا يا ريت ما أصلبوا
من رقتو يخفي اذا تطلبوا
جديد عتبك حق ما أكذبوا
من يتبعك من ذا وذا تسلبوا
حين ينظر العاشق وحين يرقبوا
في طرف ديسا والبشر تطلبوا
وحين تغيب ترجع في عيني تبوا
أو الرمل من هو الذي يحسبوا
من فصاحة لفظه يتقربوا
ومع بديع الشعر ما أكتبوا
وفي الرقاب بالسيف ما أضربوا
فمن يعدّ قلبي أو يحسبوا

الشمس نورو والقمر همتمو
يركب جواد الجود ويطلق عنان
من خلعتو يلبس كل يوم بطيب
نعمتمو تظهر على كل من يحبه
قد أظهر الحق وكان في حجاب
وقد بنى بالسر ركن التقى
تخاف حين تلقاه كما ترتجيه
يلقى الحروب ضاحكاً وهي عابسه
إذا جدد سيفه ما بين الردود
وهو سمي المصطفى والاله
تراه خليفة أمير المؤمنين
لذي الامارة تخضع الرؤوس
ببيته بقى بدور الزمان
وفي المعالي والشرف يبعدوا
والله يقيهم ما دار الفلك
وما يغني ذا القصيد في عروض
يا شمس خدر مالها مغربو

ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر ، في
أعاريص مزدوجة كالموشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضريّة أيضاً
وسمّوه عروض البلد ؛ وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل
الأندلس زل بفاس يُعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح
ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلاً مطلقاً :

أبكاني بشاطي النهر فوح الحمام
وكف السحر يحو مداد الظلام
باكرت الرياض والطل فيها افتراق
ودمع النواير ينهرق انهرق
لووا بالغصون خلخال على كل ساق
وأيدي الندى تخرق جيوب الكمام
وعاج الصبا يطلى بمسك الغمام
رأيت الحمام بين الورق في القضيب
تنوح مثل ذاك المستهام الغريب
ولكن بما أحمر وساقو خضيب
جلس بين الاغصان جلسة المستهام
وصار يشتكي ما في الفؤاد من غرام
قلت يا حمام احرمت عيني المهجوع
قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع
على فرخ طار لي لم يكن لورجوع
كذا هو الوفا وكذا هو الزمام
وانتم من بكى منكم اذا تم عام
قلت يا حمام لو خضت بحر الضنى
ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا
اليوم نقاسي الهجر كم من سنا
ومما كسا جسمي النحول والسقام

على الغصن في البستان قريب الصباح
وماء الندى يجري بشعر الاقاح
كثير الجواهر في نحور الجوار
يحياكي ثعابين حلقت بالثمار
وداز الجميع بالروض دور السوار
ويحمل نسيم المسك عنها رياح
وجرّ النسيم ذيلو عليها وفاح
قد ابتلت ارياشو بقطر الندى
قد التف من توبو الحديد في ردا
ينظم سلوك جوهر ويتقلدا
جناحا توسد والتوى في جناح
منها ضمّ منقاره لصدره وصاح
أراك ما ترال تبكي بدمع سفوح
بلا دمع نبقي طول حياقي ننوح
ألقت البكا والحزن من عهد نوح
انظر جفون صارت بحال الجراح
يقول عناني ذا البكا والنواح
كنت تبكي وترثي لي بدمع هتون
ما كان يصير تحتك فروع الغصون
حتى لا سبيل جملة تراني العميون
أخفاني نخولي عن عيون اللواح

لو جتنى المنايا كان يموت في المقام
قال لي لو رقدت لاوراق الرياض
وتخضبت من دمعي وذاك البياض
أما طرف منقاري حديثواستفاض
ومن مات بعد يا قوم لقد استراح
من خوفي عليه ودا النفوس للفقواد
طوق العهد في عنقي ليوم التناد
باطراف البلد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته ، وتركوا
الإعراب الذي ليس من شأنهم ، وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه
كثير منهم ونوعوه أصنافاً إلى المزدوج والكاذي والملمبة والغزل .
واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها . فمن
المزدوج ما قاله ابن شجاع من فصولهم وهو من أهل تازا :

المال زينة الدنيا وعز النفوس
فها كل من هو كثير الفلوس
يكبر من كثر ماله ولو كان صغير
من ذا ينطبق صدري ومن ذا تغير
حتى يلتجي من هو في قومو كبير
لذا ينبغي يحزن على ذي العكوس
اللي صارت الاذئاب امام الرؤوس
ضعف الناس على ذا فسد ذا الزمان
اللي صار فلان يصبح بو فلان
عشنا والسلام حتى رأينا عيان
كبار النفوس جدا ضعاف الاسوس
يبهي وجوها ليس هي باهيا
ولو الكلام والرتبة العاليا
ويصغر عزى القوم اذ يفتقر
وكاد ينقع لولا الرجوع للقدر
لمن لا أصل عندو ولا لو خطر
ويصبع عليه ثوب فراش صافيا
وصار يستفيد الواد من الساقيا
ما يدروا على من يكثر واذا العتاب
ولو رأيت كيف يرده الجواب
أنفاس السلاطين في جلود الكلاب
هم ناحيا والمجد في ناحيا

يرو أنهم والناس يروهم تيوس وجوه البلد والعمدة الراسيا

ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم في بعض مُزْدَوَجَاتِهِ :

تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان	اهمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك
ما منهم مليح عاهد الا وخان	قليل من عليه تجبس ويجبس عليك
يهبوا على العشاق ويتمنعوا	ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال
وان واصلوا من حينهم يقطعوا	وان عاهدوا خانوا على كل حال
مليح كان هويتو وشت قلبي معو	وصيرت من خدي لقدمو نعال
ومهدت لو من وسط قلبي مكان	وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك
وهون عليك ما يعتريك من هوان	فلا بد من هول الهوى يعتريك
حكمتوا علي وارتضيت بو أمير	فلو كان يرى حالي اذا يبصرو
يرجع مثل در حولي بوجه الغدير	مرديه ويتعطس بحال انخرو
وتعلمت من ساعا بسبق الضمير	ويفهم مرادو قبل أن يذكر
ويحتل في مطلو لوان كان	عصر في الربيع أوفي الليالي يريك
ويمشي بسوق كان ولو باصبهان	وايش ما يقل يحتاج لو يحبك

حتى أتى على آخرها .

وكان منهم علي بن المؤذن بتلمسان ، وكان لهذه العُصُورِ
القريبة من فحولهم بَزْهونَ من ضواحي مِكنَاسَة رجل يُعرَفُ
بالكفيف ، أبدع في مذاهب هذا الفن . ومن أحسن ما علق له
بمحمّوذي قوله في رِحلة السُلطانِ ابي الحسنِ وبني مَرينَ إلى إفريقية
يصفُ هزيمَتَهُم بِالْقَيْرَانِ ، ويُعزِّيهِم عنها ويؤنسُهُم بما وقعَ لغيرهم

بعد أن عَيَّيَهُمْ على غزاتهم الى إفريقية في ملعة من فنون هذه
الطريقة يقول في مفتحتها ، وهو من أبدع مذاهب البلاغة في
الأشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال :

سبحان مالك خواطر الامرا ونواصيها في كل حين وزمان
ان طعنناه أعظم لنا نصرا وان عصيناه عاقب بكل هوان

الى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلُّص :

كن مرعى قل ولا تكن راعي	فالراعي عن رعيته مسؤول
واستفتح بالصلاة على الداعي	للاسلام والرضا السني المكمول
على الخلفاء الراشدين والاتباع	واذكر بعدهم اذا تحب وقول
أحجاجا تحللوا الصحرا	ودوا سرح البلاد مع السكان
عسكر فاس المنيرة الغرا	وين سارت بو عزائم السلطان
أحجاج بالنبي الذي زرتم	وقطعتم لو كلاكل البيدا
عن جيش الغرب حين يسألکم	المتلوف في افريقيا السودا
ومن كان بالعطايا يزودکم	ويدع بوية الحجاز رغدا
قام قل للسد صادف الجزرا	ويعجز شوط بعد ما يخفان
ويذف كر دوم تهب في الغبرا	أي ما زاد غزالهم سبحان
لو كان ما بين تونس الغربا	وبلاد الغرب سدّ السكندر
مبنى من شرقها الى غربا	طبقا بجديد او ثانيا بصفر
لا بد الطير أن تجيب نبا	أو يأتي الريح عنهم بفرد خبر
ما أعوصها من أمور وما شرا	لو تقرا كل يوم على الديوان

لجرت بالدم وانصدع حجرا
 أدري بعقلك الفحاص
 ان كان تعلم حمام ولا رقاد
 تظهر عند المهيم القصاص
 الا قوم عاريين فلا ستر
 ما يدروا كيف يصوروا كسرا
 امولاي أبو الحسن خطينا الباب
 فقنا كنا على الجريد والزاب
 ما بلغك من عمر فتى الخطاب
 ملك الشام والحجاز وتاج كسرى
 ردّ ولدت لو كرم ذكرى
 هذا الفاروق مردي الاعوان
 وبقت حمى الى زمن عثمان
 لمن دخلت غنائمها الديوان
 وافترق الناس على ثلاثة أمرا
 اذا كان ذا في مدّة البرار
 وأصحاب الحضر في مكناساتا
 تذكر في صحتها أبياتا
 ان مرين اذا تكف براياتا
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا
 قال لي رايت وانا بدا أدري
 وهوت الخراب وخافت الغزلان
 وتفكر لي بخاطرك جمعا
 عن السلطان شهر وقبلة سبعا
 وعلامات تنشر على الصمعا
 مجهولين لا مكان ولا امكان
 وكيف دخلوا مدينة القبروان
 قضية سيرنا الى تونس
 واشلك في اعراب افريقيا القوبس
 الفاروق فاتح القرى المولس
 وفتح من افريقيا وكان
 ونقل فيها تفرق الاخوان
 صرح في افريقيا بذا التصريح
 وفتحها ابن الزبير عن تصحيح
 مات عثمان وانقلب علينا الريح
 وبقي ما هو للسكوت عنوان
 اش نعمل في أواخر الازمان
 وفي تاريخ كآنا وكيوانا
 شق وسطيح وابن مرانا
 لجدا وتونس قد سقط بنيانا
 عيسى بن الحسن الرفيع الشان
 لكن اذا جاء القدر عمت الاعيان

ويقول لك ما دهى المرينيا من حضرة فاس الى عرب دياب
 أراد المولى بموت ابن يحيى سلطان تونس وصاحب الابواب
 ثم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه ، إلى آخر رحلته ومنتهى
 أمره ، مع أعراب افريقية ، واتي فيها بكل غريبة من الإبداع .
 وأما أهل تونس فاستحدثوا فن الملعبه أيضاً على لغتهم الحضريه ،
 إلا أن أكثره رديء ولم يعلق بمحفوظي منه شيء لردائه .

الموشحات والأزجال في المشرق

وكان لعامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه المواليا ،
 وتحتة فنون كثيرة يسمون منها القوما ، وكان وكان ، ومنه مفرد
 ومنه في بيتين ، ويسمونه دوبيت على الاختلافات المتبعة عندهم
 في كل واحد منها ، وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان . وتبهم
 في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالفرائب ، وتبحروا فيها في
 أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضريه ، فجاءوا بالعجائب ، ورأيت
 في ديوان الصفي الجلي من كلامه « أن المواليا من بحر البسيط ،
 وهو ذو أربعة أغصان وأربع قوافي ، ويسمى صوتاً وبيتين . وأنه
 من مخترعات أهل واسط ، وأن كان وكان فهو قافية واحدة
 وأوزان مختلفة في أشطاره : الشطر الأول من البيت أطول من
 الشطر الثاني ولا تكون قافيته إلا مُردفة بحرف العلة وأنه من مخترعات
 البغداديين . وأنشد فيه لنا :

بغمز الحواجب حديث تفسير ومنو أوبو ، وأم الأخرس
تعرف بلغة الخرسان . انتهى كلام الصفي . ومن أعجب ما علق
بجفطي منه قول شاعريهم :

هذي جراحي طريا والدم تنضح
وقاتلي يا أخيا في الفلا يمرح
قالوا وناخذ بشارك قلت ذا أقبح
إلى جرحتي يداويني يكون أصلح

ولغيره :

طرقت باب الخبا قالت من الطارق فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق رجعت حيران في بحر أدمعي غارق

ولغيره :

عهدي بها وهي لا تأمن علي البين وان شكوت الهوى قالت فدتك العين
لمن يعاين لها غيري غلام الزين ذكرتها العهد قالت لك علي دين

ولغيره في وصف الحشيش :

دي خمر صرف التي عهدي بها باقي تغني عن الخمر والخمار والساقبي
قجبا ومن قجبتها تعمل على احراقي خبيتها في الحشى طلت من احداقي

ولغيره :

يا من وصالو لأطفال المحبة بح كم توجع القلب بالهجران أوه أح
أودعت قلبي حوحو والتصبر بح كل الوري كخ في عيني وشخصك دح

ولغيره :

ناديتها ومشيبى قد طواني طي
قالت وقد كوت داخل فؤادي كي
جودي علي بقبلة في الهوى يامي
ماظن ذا القطن يمشى فم من هوحي

ولغيره :

راني ابتسم سبقت سحب أدمعي برقه
اسبل دجى الشعر تاه القلب في طرقه
ماط اللثام تبدي بدر في شرقه
رجع هدا أنا بخيط الصبح من فرق

ولغيره :

يا حادي العيس ازجر بالمطايا زجر
وصيح في حيهم يا من يريد الأجر
وقف على منزل أحبابي قبيل الفجر
ينفض يصلي على ميت قتيل الحجر

ولغيره :

عيني التي كنت أراكم بها باتت
وأسهم البين صابتي ولا فانت
ترعى النجوم وبالتسعيد اقتاتت
وسلوقي عظم الله أجركم ماتت

ولغيره :

هويت في قنطرتكم يا ملاح الحكر
غصن اذا ما انثنى يسي البنات البكر
غزال يبلى الاسود الضاريا بالفكر
وان تهلل فما للبدر عندو ذكر

ومن الذي يسمونه دوبيت :

قد أقسم من أحبه بالباري أن يبعث طيفه مع الاسحار
يا نار أشواقى به فائقدي ليلاً ففساه يهتدي بالنار

واعلم أن الأذواق كلها في معرفة البلاغة إنما تحصل لمن خالط
تلك اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يحصل
ملكته كما قلناه في اللغة العربية . فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي

في شعر أهل المغرب ؛ ولا المغربيُّ بالبلاغة التي في شعر أهل
الأندلس والمشرق ؛ ولا المشرقيُّ بالبلاغة التي في شعر أهل
الأندلس والمغرب . لأنَّ اللسانَ الحضريَّ وتراكيبه مختلفةٌ فيهم ،
وكلُّ واحدٍ منهم مُدركٌ لبلاغة لغته وذائقٌ محاسن الشعر من أهل
جلدته . ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلَقَ النَّاسَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ .
﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلَقَ النَّاسَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ .

خاتمة

وقد كدنا أن نخرج عن الفرض ، ولذلك عزمنا أن نقبضَ
العنان عن القول في هذا الكتاب الأول ، الذي هو طبيعة العمران ،
وما يعرض فيه ، وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاء له .
ولعلَّ من يأتي بعدنا ، ممن يؤيده الله بفكرٍ صحيحٍ وعلمٍ مبین ،
يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا ؛ فليس على مستنيط الفن
إحصاء مسائله ، وإنما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله ،
وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً
إلى أن يكمل . والله يعلم وانتم لا تعلمون .

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه : أتمتُ هذا الجزء الأول ،
المشتمل على المقدمة بالوضع والتأليف ، قبل التنقيح والتهديب ،
في مدة خمسة أشهر آخرها منتصفُ عام تسعة وسبعين وسبعائة .
ثم نفّخته بعد ذلك وهذبته ، وألحقت به تواريخ الأمم كما ذكرتُ
في أوّله وشرطته . وما العلم إلا من عند الله العزيز الحكيم .

تم طبع المجلد الأول المعروف بمقدمة ابن خلدون ،
ويليه المجلد الثاني . أوله الكتاب الثاني في
أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ،
منذ مبدأ الخليقة
إلى هذا
العهد .

فَهَارُسُ مُقَدِّمَةِ ابْنِ خَلْدُونٍ

وضعها وقدم لها بكلمة عامة

الاستاذ يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية سابقا

الاختصاصي بفن تنظيم المكتبات وعلم الببليوغرافيا

كَلِمَةٌ عَامَّةٌ

الفهارس للكتاب او لمكتبة عامة ، هي عينها الباصرة ، واذنها الواعية،
والسلك السحري العجيب الذي يؤدي بك الى كنوزهما المخبوءة ، ويهديك
الصراط القويم الى ما فيهما من مادة مدخورة ، وأفكار مرصدة ،
ومعلومات ادبية مقسوفة ، فتظل بها على هذا كله وتلم به على احسن
وجه وأهون سبيل .

فليس من عجب ، والحاله هذه ، الا يلذخ الناشرون ذرعا في تأمين
اقصى ما يمكن لهم تأمينه من العناية والخدمة الميسرة لكتاب قديم ينشرونه
نشرا علميا ، فيضعون له فهرسا عاما يسهل معه على الباحثين والمنقذين
والمتتبعين ، الكشف عما في الاصل المنشور من كنوز مخبوءة ورفع الستار
عن مكنوناته بأيسر السبل اخذا وتناولا .

امازات الاصول العربية القديمة المنشورة حديثا نشرا علميا ، وفقا
لمقتضيات العلم وفن الاخراج الحديث ، عن تلك الطبقات السقيمة التي
ظهرت لها من قبل على ما تقع عليه العين من هذه الاوراق الصفراء ،
بمحسنات مادية ومعنوية كثيرة ، من نصاعة الحرف ، واشراق الطبع ،
وترقيم مقوم ، وكاغد متين يقوى على مغالبة ما ينتاب الكتاب من احن
الدهر وعوامل العفاء : من عثة وأرضة ، وعفونة ورطوبة وعطن ، وقد
تهدوه بالعناية الدقيقة والتتبع القصي ، وخدموه بالتحقيق المضني
والمقارنات ، وامدوه بالوافر من الفهارس التي تتنزي جلدا ونصبا وعناء ،
فكانت له شرفات وكوى يطل منها بيسر على مطاوي الكتاب وما فيه من
المعرفة المتحلبة وراء الحرف والكلمة .

ومما يشجى النفس ويملاها غصة وحسرة ، صدور طبقات حديثة
لبعض الامهات من اصول ادبنا القديم ، حظيت بالوافر من العناية ، فاذا
بالناشر يصرد لها من عطائه ، فبرزت في بعض نواحيها : جوفاء ، عجفاء ،
لا تأخذ بيد الباحث الى مواطن العلم والمعرفة المبثوثة في مظان الكتاب ،
مما يرغب المتتبع بصيده والمحقق بقيده . فقد تولت دار الكتب المصرية ،
مثلا ، نشر بضعة من الامهات جاءت خلوا من هذه الفهارس العلمية التي
لو توفرت لها بشيء من العناية لجاءت هذه الطبقات بخدمات أوسع

وبمنافع اجزل . ومن هذه الطبعات التي ظهرت عن دار الكتب المصرية خلوا من الفهارس العلمية : « صبح الاعشى » للقلقسندي ، مثلا ، و « النجوم الزاهرة » لابي المحاسن يوسف بن تغري بردي . اما « الاغاني » لابي الفرج الاصبهاني هذه « الاغاني » التي اشجى المستشرق الايطالي غويدي ان تظهر طبعها الاولى في مصر ، عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) ، عطلاء من حلي الفهارس العلمية المرجوة ، فبادر هو الى وضع « جداول الاغاني » التي تساعد الباحث على النظر في الكتاب والانتفاع بما يرفل به من كنوز . فقد حظيت الطبعة الصادرة عن دار الكتب المصرية بفهرس عام لكل جزء من الاجزاء التي ظهرت للان .

وهذا القرار من الامثلة نوردتها شاهدا على ما يشوه بعض طبعات الامهات من اصولنا العربية القديمة — يكفي دليلا على النقص العلمي الذي كثيرا ما ينسب عدة البحث وادائه الاصلية عندنا ، وهو نقص يحط الى حد كبير من قيمة نهضتنا العلمية ومن حركة النشر عندنا وفقا لمقتضيات العلم والفن الحديين .

وهذا النقص يعتور الطبعات العلمية الحديثة لبعض الامهات من مصادرها الادبية القديمة ، يبدو على بساعته ايضا في كبريات مجلاتنا العلمية والادبية التي ظهرت في الشرق العربي . فهذه مجاميع مجلاتنا الكبرى مما ظهر منذ ٧٥ سنة فما دون ، كالمقتطف ، والهلال ، والمنار ، والرسالة ، والثقافة ، والكاتب المصري ، والكتاب ، ومجلة الازهر في مصر ، والعرفان ، والكلية ، والاديب ، والآداب ، والمسرة ، والحديث ، والمعلم الجديد ، في لبنان وسوريا والعراق ، قد ظهرت على التوالي عشرات السنين في بعضها وانقطع معظمها عن الظهور ، دون ان تنشر لمجموعتها الكاملة فهرسا علميا واحدا ، يكون دليلا امينا يأخذ بيدنا في مراجعتها ما نرغب في مراجعته عما صدر فيها من بحث ، او درس ، او نقد ، او تحليل ، في موضوع معين او كتاب محدد معلم . وكانت ادارة هذه المجلات ، وبينها من نحترم لعدتها العلمية والثقافية والادبية ، ولطاقاتها المادية وامكانياتها الطائلة ، كثيرا ما ترضى لها ولقراؤها ومشتركيها ، بفهرس مقتضب ، مجزوء ، بأسماء المساهمين من الكتاب او بعنوانين اهم المقالات التي حبروها او بكليهما معا لكل مجلد من المجلدات العديدة التي صدرت لمجموعتها .

وقد شذ عن هذه القاعدة بعض المجلات الكبرى ، كمجلة : « لغة العرب » للاب انستاس ماري الكرمل في بغداد . فقد ألف المرحوم الاب الكرمل ان يديل كل مجلد من مجلدات مجلته ، خلال السنوات التسع التي ظهرت فيها ، بطائفة من الفهارس المتنوعة يبلغ عددها احيانا ، ١٥ فهرسا مختلفا ، بحيث يسهل عليك ان تعثر على ما ترغب فيه بلمحة طرف ، دونما اضاءة وقت او عناء .

ويجدر بنا ان ننوه هنا بالفهرس العام الذي اعدته ادارة مجلة « المشرق » الغراء ، هذه المجلة المهمة بتاريخ الشرق والتي تصدر عن الجامعة الكاثوليكية في بيروت ، منذ عام ١٨٩٨ ، فجاء دليلا عاما امينسا للمواد المتنوعة لمجموعتها بين ١٨٩٨ - ١٩٥٠ ، ولهذا الرعيل العظيم من الكتاب الذين اسهموا فيها . وهو فهرس يسهل عليك معه مراجعة مجموعة المشرق ببسر وتؤدة ولين .

كذلك ، نود ان ننوه هنا بالفهرس العام ، الذي اصدره اخيرا المجمع العلمي العربي ، في دمشق ، للسنوات العشر الاولى من مجلته ، اي من المجلد الاول الى المجلد العاشر (١٩٢١ - ١٩٣٠) . وهو فهرس دقيق ، مبسط ، ميسر ، تتكسر مسارده على ثمانية اقسام ، قام على اعداده وخدمه خدمة صادقة ، الاستاذ محمد رضا كحالة ، فسهل بعمله العلمي هذا الرجوع ببسر الى مجموعة مجلة المجمع دونما عناء . ونحب ان نعتقد بأن رئاسة المجمع العلمي العربي في دمشق لن تقف عند هذا الحد ، بل ستتخذ التدابير لتأمين فهرس عام للمجلدات العشرة التالية ، فتخدم بذلك العلم والبحث في الشرق العربي خدمة صادقة .



سقنا ما تقدم معنا من حديث ، توطئة للعمل الفهرسي الذي اخذنا على نفسنا القيام به ، مدا « لمقدمة » ابن خلدون وتاريخه بالفهارس العلمية التي تستدعيها الطبعة المشرقة الجديدة التي تعدها لتاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني في بيروت . و«المقدمة» هي من مفاخر الامة العربية بما وضع فيها من اصول العمران والاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ . واننا لنرجو صادقين ان تكون الفهارس التي اعددناها ، سهلت للباحثين

سبل النظر في « المقدمة » و« التاريخ »، والاستصباح بمادتهما المكنوزة، والقبس منهما، والتمثل بما فيهما من فكر نير، وراي بصير، ونظرة محللة. وقد قمنا بهذا كله بمنتهى الدقة والعناية بما يتلاءم والقدر الذي لصاحبهما في عالم الفكر، وهو قدر يرتكز على سبقه الى وضع علم الاجتماع الحديث بمقدمة في فلسفة التاريخ العربي والاسلامي، فسبق ماكيافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) الى وضع هذا العلم الحديث. والمعلوم ان ماكيافيلي هو واضع كتاب « الامير » الذي يعد في الغرب من دعائم علم الاجتماع الحديث.

اضطرنا عمل الفهرسة « لمقدمة » ابن خلدون الى ان نقرأها مليا، وننعم النظر فيها دقيقا، جملة وتفصيلا، فاستباننا لنا عن كذب جمالاتها وكمالاتها، ممثلة بهذه الثقافة المعركة المدهشة التي توفرت لابن خلدون، متجلية بهذه المقدرة على التبصر بأحداث الدول، واستعراض ماجريات التاريخ العربي والاسلامي، والربط بينها بنظرات تحليلية تارة، وتارة تأليفية، وبهذه الاحكام العامة والمقاييس التي رد اليها عوامل التطور الذي قطعته الامة العربية والدول الاسلامية مدا وجزرا، الى الامام حينما او الى الوراء احيانا، كل ذلك بنظرة فلسفية محللة، ناخلة، جعلت من كتابه هذا فلسفة التاريخ العربي الاسلامي، لما جاء فيه من الاصول المقررة، والنظريات العلمية الثابتة، والمبادئ الاساسية التي يكون مجموعها القواعد التي خضع لها التاريخ الاسلامي في تطوره وتقلباته الى عهد المؤلف.

وامام هذا العمل التحليلي الذي تتألف منه الفهرسة يبرز ابن خلدون: طودا جبارا بثقافته الواسعة، ومؤرخا ضليعا في التاريخ الاسلامي، وفيلسوفنا بعيد النظرة الفلسفية، عميقها، وبيانها ناصع اللغة، سلس التعبير، جزل اللفظ والمعنى، ولغويا تنسدى شق قلمه بسلسلة من الاوضاع. والمصطلحات والمفردات هي وقف على لغة ابن خلدون دون سواء بما فيها من غث وسمين. فجاء الكشف التحليلي عن « مقدمته » يظهر كل هذه المقومات والمحسنات.

و« مقدمة » ابن خلدون على الاخص، تبدو على ضوء الفهارس التي وضعناها لها، خزانة علوم: اجتماعية، سياسية، اقتصادية، أدبية، تربوية، لها اسلوبها البياني واللغوي الخاص، كما يبدو معها صاحبها استاذ المحققين في ذلك كله وصاحب النظرية الطريفة الجديدة في التربية والتعليم، وفلسفة التاريخ، وتدبير الامم، والاقتصاد، والعمران، والسياسة.

وهذا الفهرس العام « لمقدمة » ابن خلدون ابتدأناه بمصادر دراسته بالعربية واللغات الاجنبية الاخرى .

ويتألف الفهرس العام من الاقسام التالية :

الاول - فهرس الموضوعات ، مرتبة على العنوان الرئيسي بحسب حروف المعجم .

الثاني - فهرس اعلام الرجال والنساء . فقد اعتمدنا فيه على الشهرة . « الأبلق » ، مثلا ، واتبعناه باسم الشخص (محمد بن ابراهيم) بين قوسين . كذلك حسبنا في الترتيب الابجدي لفظة : ابن ، وابنة ، وابو .

الثالث - فهرس الشعوب والقبائل والدول والاسر التاريخية . وقد اعتبرنا في هذا القسم لفظة بني ، وآل ، واسرة ، في الترتيب المعجمي . فاذا ما تعددت الاسماء للشعب الواحد ذكرت في محلها واحيل الباحث على الاسم الاول بينها في الهجاء الابجدي .

الرابع - فهرس لقة ابن خلدون .

الخامس - فهرس البلدان والامكنة الجغرافية .

السادس - فهرس الكواكب والنجوم والابراج الفلكية

السابع - فهرس الحيوان .

الثامن - فهرس النبات .

التاسع - فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة .

العاشر - فهرس اسماء الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف المقدمة مرتبة عناوينها على الهجاء .

الحادي عشر - فهرس آي القرآن الكريم والاحاديث النبوية .

الثاني عشر - فهرس مواد الكتاب .

واننا لندرجو ان يعود هذا العمل الفهرسي لمقدمة ابن خلدون بالخدمة التي نتوخى ، لرجال البحث والتتبع ، فتسهل بالتالي على الراغبين في دراسته ، سبل الاخذ بها وادارتها على الوجه الذي يرغبون .

والله من وراء القصد والمطلب ، وبه السداد والعصمة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بيروت في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٦٠

يوسف اسعد داغر

مَصَادِرُ وَمِرْاجِعُ دَرَايَةِ ابْنِ خَلْدُونِ

اولا - المراجع العربية

١ - الاصول القديمة :

- ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٤ : ٨٣
 السخاوي - الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع ٤ : ١٤٥ - ١٤٩
 القاضي الشوكاني - البدر الطالع : ٣٣٧
 المقري - نفح الطيب ٤ : ٦ ، و ٤١٤
 التنبكتي - نيل الابتهاج : ١٧
 الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف : ٢١٣
 الخطط الجديدة ١٤ : ٥
 ابن خلدون - التعريف ترجمة الكاتب بقلمه ، منشورة في آخر
 المجلد ٧ من طبعة الهوريني - بولاق ١٢٨٤/١٨٦٧ ص ٣٧٩ - منه
 نسخة خطية في دار الكتب المصرية في ١٥٠ صفحة ، بخط جيد.
 القرطبي - الرد على النحاة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧، ص ٤

٢ - كتب خاصة به :

فؤاد افرام البستاني - الروائع

- ١٣ - مقدمة : ذكر المصادر والمآخذ
 ١٣ - العمران البشري على الجملة
 ١٥ - القبائل والامم المتوحشة

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا - القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٥٩ ،
(عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تلويت الطنجي .)

ساطع الحصري - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - جزآن - بيروت ، مطبعة
الكشاف . الاول ١٩٤٣ ص ٣٢٤ ، والثاني ١٩٤٤ ص ٢٢٦ - نقده
دريته خشبة في الرسالة عدد ٥٥٧ طبعة ثانية في مجلد واحد -
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٣ نقده ايضا محمد سليم الرشدان
وعلق عليه في سلسلة مقالات بعنوان : رأي ابن خلدون عند
الحصري - الرسالة عدد ٨٤٣ و ٨٤٤

احمد محمد الحوفي - مع ابن خلدون - مصر ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٥
محمد الخضر بن الحسين - حياة ابن خلدون - تونس

طه حسين - فلسفة ابن خلدون الاجتماعية (تعريب محمد عبدالله عنان)
- مصر ، ١٩٢٥ - ويليه رسالة فيسندتك : « ابن خلدون مؤرخ
الحضارة العربية في القرن الرابع عشر » ص ١٦٨

جميل صليبا وكامل عياد - ابن خلدون : منتخبات - دمشق ، مكتبة
النشر العربي ، ١٩٣٣ ص ١٩٢ (ترجمته ص ٢ - ٤٥)

محمد عبد الله عنان - ابن خلدون : حياته واثره الفكري - القاهرة مطبعة
دار الكتب ١٩٣٣

عمر فروخ - ابن خلدون - بيروت ، مكتبة منيمنه

الاب يوحنا قمير - ابن خلدون - بيروت ، ١٩٤٧ (سلسلة فلاسفة الاسلام ،
حلقة ٣)

الشيخ عبد القادر المغربي - ابن خلدون في المدرسة العادلية (محاضرة
في صفات ابن خلدون وفضله على طلاب الادب والعلم) ، طبعت
مع محاضرتين للمؤلف هما : محمد والمرأة ، ومحكمة وزيرين
خطيرين - بيروت ، مطابع قوزما ، ١٩٢٨ ص ٨٤

محمد الملاح - دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون - بغداد ، مطبعة
اسعد ، ١٩٥٥ ص ٧٦

٣ - كتب تناولته بالبحث :

محمد بهجت الاثري - المدخل في تاريخ الادب العربي - بغداد ، مطبعة

- الجزيرة ، ص ٢٤٨
- احمد امين - ظهر الاسلام - مصر : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥ ، ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤
- الاسكندري - الفصل في تاريخ الادب العربي - مصر ، ١٩٣٤ ، مجلد ٢ ص ٢٦٨
- ج. دي بور - تاريخ الفلسفة في الاسلام - مصر : لجنة التأليف ... ١٩٣٨ ص ٢٦٨
- البستاني - دائرة المعارف ، ج ١ ص ٤٦٠
- دائرة المعارف الاسلامية (مترجمة) ج ١ ص ١٥٢
- احمد تيمور - التذكرة التيمورية - مصر ، دار الكتاب العربي ، ص ١٦٣
- حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي - مصر ، مطبعة حجازي ١٩٣٥ ، ج ٢ : ٥٥٣
- حسن حسني عبد الوهاب - المنتخب المدرسي من الادب التونسي - ١٩٤٤ ، ص ١١١ ، وطبعة ٣ ص ١٢١
- مجيد دمعة - دراسات في الادب العربي - ١٩٥١ ص ١٩٣
- يوسف اسعد داغر - مصادر الدراسة الادبية ١ ص ٢٨٥ - ٢٩٠
- عبد الصاحب الدجيلي - اعلام العرب في العلوم والفنون - النجف ، المطبعة العلمية ، ١٩٥٤ ، مجلد ٢ : ٦٤
- جرجي زبدان - تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٢١٠
- الزركلي - الاعلام ، مجلد ٢ : ٥١٠
- جاسم الرجب - تاريخ الادب العربي - مطبعة المعارف ، ١٩٤٨ ص ١٦٠
- طه الراوي - تاريخ علوم اللغة العربية - بغداد ، الرشيد ، ١٩٤٩ ، ص ١٤٨ - ١٦٠
- محمد جمعة - تاريخ فلاسفة الاسلام - مصر ، المعارف ، ١٩٢٧ ص ٢٢٥ - ٢٥٢
- احمد حسن الزيات - تاريخ الادب العربي - مصر ، لجنة التأليف ...

١٩٣٩ ص ٤٠٩

- يوسف اليان سركيس - معجم المطبوعات ، عمود ٩٥
 ابراهيم سلامة - تيارات ادبية بين الشرق والغرب ، ١٩٥٢ ص ١٤٧
 الاب لويس شيخو - شرح مجاني الادب - بيروت ، ج ١ ص ٥٦ - ٥٩
 الاخ فكتور ساروفيم - تاريخ الاداب العربية : ٥٥٥
 طه حسين - التوجيه الادبي - مصر ، المطبعة الاميركية ، ١٩٤٢ ص ١١٤
 طه حسين وشركاه - المنتخب من ادب العرب - مصر ، دار الكتب المصرية ،
 ١٩٣٢ ، ج ٢ : ٤٧٢
 احمد الشايب - اصول النقد الادبي - مصر ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٦ ص ١
 قدري طوقان - الخالدون العرب - بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٤
 ص ٢٠٣
 مصطفى عبد الرزاق - تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية - مصر ، لجنة
 التأليف ، ١٩٤٤ ص ١٣٠
 روكس بن زائد العزيزي - المنهل في تاريخ الادب العربي ، الطبعة الثانية ،
 ١٩٥٠ ج ٢

- الاب نعمة الله العنداري ، تاريخ الفلسفة العربية : ١٨٨
 محمد عاطف - ادبيات اللغة العربية - مصر ، ١٩٠٩ ص ١ : ٩٤
 جرجي كنعان - الادب العربي : ٤٩٦
 سامي الكيالي - الفكر العربي بين ماضيه وحاضره : ١٣
 الهاشمي - جواهر الادب - بغداد ، مطبعة السعادة ، ١٩٢٠ ص ٥٢٠
 خلدون الوهابي - مراجع تراجم الادباء العرب : ٥٦ - ٦٢

٤ - مقالات المجلات العربية

- مجلة الحديث (حلب) ، عدد خاص ، ١٩٣٢ - تولت درس نواحي شخصية
 ابن خلدون المتعددة
 ابورية - مقدمة ابن خلدون وطبعاتها المختلفة - مجلة الرسالة ١١ : ٦٧٥

الشيخ احمد الاسكندري - ابن خلدون - مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، مجلد ٩ : ٤٢١ ، ٤٦١ (اخلاقه - علمه وتصرفه - مؤلفات ابن خلدون وكتابه فيها - مقدمة ابن خلدون - مصادرها - آراؤه الخاصة في المقدمة - اثر المقدمة في عالم التأليف - تاريخ ابن خلدون - نموذج من كتابه - منزلته في الشعر - الموازنة بين الخطيب وابن خلدون)

فؤاد البستاني - الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون - المكشوف ، عدد ١٥٠ : ٦

جبرائيل جبور - ابن خلدون ومكانته في تاريخ الفكر - الاديب ٢ ، عدد ٨ : ٤

ساطع الحصري - العرب في مقدمة ابن خلدون - مجلة الامالي (بيروت)، عدد ٥١ : ٢

دريني خنسية - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - الرسالة ، عدد ٧٥٧ (١٩٤٤) (تعليق على كتاب الحصري)

رئيف خوري - نظرة في ابن خلدون وهيكل - الطريق ٣ ، عدد ٣ : ٥ جرجي زيدان - ابن خلدون - الهلال ٣ : ٣٩٣ - ومجلد ٦ : ٤٢

مصطفى عبد اللطيف السحرتي - شخصية ابن خلدون في كتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان - الرسالة ، عدد ٦٣ : ١٥٤٠

نجاتي صدقي - عبد الرحمن بن خلدون ، اول فيلسوف عربي يحاول تفسير التاريخ ماديا - مجلة الطليعة ٣ : ٦ و ٢٨٨

عبد الحميد العبادي - لو عاش ابن خلدون في هذا العصر - الهلال ، ابريل ١٩٣٩ ص ١٣٢

عبد الفتاح عبد القادر - ابن خلدون - المجلة (بغداد) ، مجلد ٤ ، عدد ١١ : ٥٧٨

متى عقراوي - عبد الرحمن بن خلدون - الحرية ١ : ٢٩٠ ، ٣٩٩ ، ٤٩٣

محمد عبد الله عنان - ابن خلدون في مصر - الرسالة ، عدد ٥ : ١٥ - ٦ : ١٨ - ٧ : ١٩ - ٨ : ٢٠ - ٩ : ٢٢ - ١٠ : ١٨

- - - ابن خلدون والنقد الحديث - المقتطف ٨٣ : ٥٦٢

- — — ابن خلدون ومكيافيلي — الرسالة ، عدد ١٩ : ٢٣ ، ٢٠ : ٢٠
الدكتور كامل عياد — ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع — مجلة الحديث
(حلب) ٣٢٩ : ٧
- بشر فارس — مقدمة ابن خلدون — الرسالة ٧ (١٩٣٩) : ٨٦
— — — ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية — المقتطف ٧٨ : ٦٢٤
(نقد وتعليق على كتاب بوثل عن ابن خلدون — (راجع المصادر
الفرنجية)
- صبحي المحمصاني — النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون — الاديب ٣ ،
عدد ٦ : ٢
- انيس المقدسي — العشرة المقدمون في تاريخ الفكر العربي : ابن خلدون
(+ ٨٠٨) فيلسوف المؤرخين ورائد علم الاجتماع — الامالي ،
عدد ٦ : ٧
- شكري مهتدي — عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢ / ١٤٠٦) بحث نقدي في
حياته واسلوبه وآرائه — المقتطف ٧١ : ١٦٧ ، ٢٧٠
- محمد فريد وجدي — ابن خلدون في الميزان — الهلال ٤٠ : ١٢٣٤
قسطنطين زريق — درس جديد لابن خلدون — الكلية ١٨ : ٣٢١ (نقد
كتاب بالانكليزية عن ابن خلدون ، تأليف نثنائيل شمديت — راجع
في الصحائف التالية المصادر الفرنجية)
- عمر فاخوري — مقدمة لدراسة ابن خلدون بقلم المستشرق استفانو كلوزيو
— مجلة الحديث (حلب) ٦ : ٤٥٠ و ٤٠٦
- امين هلال — الفكرة الاسلامية وراء نظرية ابن خلدون السياسية —
الحديث ٨ : ٣٥٢ (مقالة للمستشرق هـ. جب نشرها في الجزء
الاول من المجلد ٧ (١٩٣٣) من مجلة معهد الدروس الشرقية)
- محمد وهبي — ابن خلدون وما اداه الى دراسة التاريخ — الاديب مجلد ٧ ،
عدد ٨ / ١٩٤٨ ، ص ٣٤
- — — ابن خلدون ابو الاجتماع — الاديب عدد ١١ / ١٩٤٨ ، ص ٢٢
ابن خلدون المغربي وهربرت سبنسر الانكليزي — المقتطف ١٠ : ٥١٣
- مجلة المشرق — آراء ابن خلدون الاقتصادية (نقد لكتاب صبحي المحمصاني
عنه بالفرنسية) — المشرق ٣١ : ٧٠٨
- مجلة الحديث — ابن خلدون والعرب ١ : ٢٨
- مجلة الهلال — مؤلفات ابن خلدون — مجلد ٥٢ : ٤٢٩
- — — ٣١٠ : ٢١
- مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٩٥٤ ص : ٢ ، و ١٦٧ ، و ٢٧٠

ثانيا - المراجع الفرنجية

I - MONOGRAPHIES

An Arabic phylosophy of history; selections from the prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332-1406), translated and arranged by Ch. Issawi-London, Murray, 1950 ; 190 pp. (Wisdom of the East Series)-Bibliogr. p. 181-182.

Histoires des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique du Nord. traduit de l'arabe par le Baron De Slane-Paris, Geuthner, 1927-1934, 3 vol.

Ibn-Khaldun and Tamerlane, their historic meeting in Damascus 1401 A.D. (803 A.H.) A Study based on Arabic manuscript of Ibn Khaldun's autobiography, with a translation into English and a commentary by J. Fischel-Berkeley, University of California ; 1952. 149 p. Bibliogr. p. 125-137.

Bergh, S. Van den-Omriss der Muhammadanischen wissenschaften nach Ibn-Khaldun-Leiden, Brill, 1919 ; 99 p.

Lubab al-mufasssal fi usul al-din di Ibn Jaldun. Ed. tr. y anotado por Luciano Rubio-Tetuan, Maroqui, 1952.

Enan, Muhammad Abdullah-Ibn Khaldun, his life and work-Lahore, Ashraf, 1946, 144 p.

Essat, Abd-al-Aziz-Ibn Khaldoun et sa science sociale- Le Caire Impr. Tsoumas, 1947 ; 122 p.

Kremer Alfred von — Ibn Khaldun and seine culturgeschichte der islamischen reich — Wien, Gerold, 1879 ; 62 p.

Mahmassani, Sobhi — Les idées économiques d'Ibn Khaldoun ; essai historique, analytique et critique — Lyon, Bosc. 1932 ; 229 p. (Bibliogr. p. 217-221).

Schmidt, Nathaniel — Ibn Khaldun, historian, sociologist and philosopher — New York, Columbia University Press, 1930 ; 87 p. (Bibliogr. p. 61-64). (١)

G. Bouthoul — Ibn Khaldoun, sa philosophie sociale — 1930 (٢)

G. Bouthoul — L'esprit de corps selon Ibn Khaldoun — Rev. Inter. de sociologie, Paris, 1949, p. 286-287.

(١) نقده الدكتور قسطنطين زريق في مجلة الكلية ١٨ : ٣٢١.

(٢) نقده الدكتور بشر فارس في المقتطف، مجلد ٧٨ : ٦٢٤.

Ibn Khaldun and Tamerlane. Actes du XXI Congrès Intern. des Orientalistes — Paris, 1949 ; 288-287.

Ibn Khaldun activities in Mamluk Egypt (1382-1406), in Semitic and Oriental studies presented to Will. Popper: Univ. of California Publications in semitic and philosophy, XI — Berkeley and Los Angeles, 1950

Levi-Provençal, E. — Notes sur l'exemplaire du kitab al-Ibar offert par Ibn-Khaldoun à la Bibl. d'al-Karawiyin à Fez-Jl. Asiatique, V. 203, 1923, p. 161.

II - OUVRAGES D'ENSEMBLE

Brockelmann, C. — G.A.L. ; Vol. II : 242

Cassel's Encyclopedia of Literature, vol. II

Encyclopedia Americana — vol. XIV : 617

Encyclopedia of Islam, vol. II : 395

Encyclopedia Italiana, vol. XVIII : 682

Encyclopedia Britannica, vol. XII : 34

La Grande Encyclopedie Française, vol. XX : 545

Gabrieli, G. — Saggio di bibliografia e concordancia della storia di Ibn Khaldun, in Rev. degli Studi Orientali, X (Roma), 1924, p. 169-210.

Sarton, C. — Introduction to the History of Science, III (1948)

فهرس الموضوعات مرتبة على الهجاء

١- فہرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

مرتبة على الهجاء

- الامامة ٢٧٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧١
 ٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧
 الامامة : معناها ٣٣٦ - ٣٣٨
 الامامة والتسعة ٣٤٨ - ٣٥٧
 الامامية (الفرق) ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧٦
 ٥٧٥ ، ٨٣٤
 الامصار واللغة ٦٧٥ - ٦٧٧
 الامصار والمدن : تفاضلها ٦٤١ - ٦٤٥
 الامصار وما فيها من عصبية ٦٧٢
 - ٦٧٤
 الامم الوحتسية ٢٤٢
 امير المؤمنين ، خليفة رسول الله ، امير
 مكة ، امير الحجاز ٤٠١ - ٤٠٧
 امير الامراء (لقب) ٤٢٣
 الامير ، صاحب الحروب والجنود ٤٢٤
 الانبيق ٩٨٧
 الانبردور ٤١٦
 الانساب ٢٣٢
 الانفعال الرباني ٩٤٦
 الانفعال الطبيعي ٩٤٨
 اهل الامصار والقبائل ٢٦٩ - ٢٧٠
 اهل العافية والصون ٢٨٢
 اهل الكهف (قصة) ٣٥٢
 اهليلج ٣١٩
- ب
- البابا ٤١٤ - شرح هذا الاسم ٤٠٨
- ابريس ٣١٩
 الاجناس العالية ٩٩٣
 الاحتكار ، الحكر ٥١٢ ، ٧٠٨
 الاحكام الشرعية ٤٩
 اخلاق البشر : اثر الهواء فيها ١٤٨
 ادب (علم) ١٠٦٩ - ١٠٧٠
 الاذواء ٢٥٦
 الارتماطقي ٨٩٤
 الاس الاكبر ٢٠٥
 الاساطيل : قيادتها ٤٤٧ - ٤٥٤
 استاذ الدولة او الوزير ٤٣٥
 الاستسقاء (صلاة) ٣٨٨
 اسد الدين (لقب) ٤٠٥
 الاسرار الخفية من جهة الارتباطات
 الحرفية ٩٦٥ - ٩٧١
 الاسرائيليات ١٥
 الاسعار : ضرر رخصها ٧٠٩
 الاسقف ٤١٣
 الاصمعيات ١١٢٥
 الاصابة بالعين ٩٣٥
 افراك ٤٧٥
 الاقطار : اختلافها بالرفسه والفقير
 ٦٥٠ - ٦٥٣
 الاكسير ٩٧٦ ، ٩٧٨ ، ١٠١١ ، ١٠١٣
 ١٠١٦ ، ١٠١٩
 الامام الباطن او المستور ٣٥٦

- ٤١٦ -
البحر ٧٦ - ٨٠
- وصف عمرو بن العاص له ٤٤٨
البربط ٧٥٩
البردة ٤٧١
البرزخ ١٧٠
برشوم الزمام ٢٠٣
البطرك او الاب ٤١٣
- شرح هذا الاسم ٤٠٨ - ٤١٦
البناء (صناعة) ٧٢٤ - ٧٣٠
بهاء الدولة (لقب) ٤٠٤
البوق ٧٥٩
البلاد : انقلاب احوالها ٥٠ - ٥٤
البيان (علم) ١٠٦٤ - ١٠٦٨
الدوق البياني ١٠٨٥ - ١٠٨٨
بيت المال ببغداد في ايام المأمون ٣١٨
البيعة ٣٧٠ - ٣٧١
- ايمان ٣٧١
- ت
التأليف والعلوم ١٠٢١ - ١٠٢٣
تابوت العهد ٢٢٩
التاريخ (علم) - تحديده ٥٠ - فضله
١٢-١٦ - اسباب الكذب فيه ٥٥
- تمييز الحق من الباطل في
اخباره ٥٩
التبعية (قصيدة) ٦٠٢
التجارة : معناها ومذاهبها ٧٠٣ -
٧٠٥ - اخلاق اصحابها ٧١١ -
٧١٢
التجار والاشراف والملوك ٧٠٥
التخت ، انظر السرير
التدامر ٢٧١
الترف والمجد والملك ٢٩٥ - ٣٠٠
- التعازير (قسم) ٣٩٣
العيثة ٤٧٩ - ٤٨٢
التعليم وطرقه ٧٦٩ - ١٠٣٠
تعليم العلوم ١٠٣٠
- التمدد فيه ١٠٤٢
التغيير ٧٦٤
التفسير (علم) ٧٨٥ - ٧٨٩
الملند او قائد الاسطول ٤٤٧
النناسخ ٣٥١ ، ٥٧٥
التنجيم ٥٩٥
التوقيع ، التوقيعات ٤٣٧
التوليد (صناعة) ٧٣٥
الشباب المعينة ٣١٩
- ج
الجباية ، الجابي ٤٣٠ ، ٤٣٤
- سبب قتلها وكثرتها ٤٩٣ - ٤٩٥
الجاه فائدته ٦٩٥
الجاهلية ، ٢٨ ، ٢٣٥ ، ٣٥٩ ، ٤٠١
٦٣٩ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٥ ، ١١١٥
الجتر ٤٦٠
الجدل او معرفة اداب المناظرة ٨٢٠
- ٨٢١
الجسم التعليمي ٨٨٩
جغرافية الارض ٨٩ - ١٢٣
الجلوة الكبرى ٤١٠
الجهاد ٤٠٨
- ح
الحاسب (طارق بالحصى والحبوب)
٥٨٧
حالومة ، حالومية ، حالومات ١٨٣ ،
١٨٤

- الحاجب ، الحجابة ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٥١٤ ، حجاب الحس ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، الحدثن ٥٨٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، الحديث (علومه) ٧٨٩ - ٧٩٧ ، حديث الرايات ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، الحرب : مذاهب الامم في ترتيبها ٤٧٩ ، الحرب والعسكر (رئاسة) ٤٢٨ ، حرج : حرجان ٢٣٢ ، الحروف (مخارجها) ٥٤ ، حروف الاشمام ٥٥ ، حزم الكتاب ، مكان الدس واللصق - انظر : الكتاب : حزمه ، حساب الجمل ١٩٩ - ٢٠٥ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، حساب النيم ١٩٩ ، ٢٠٣ ، الحساب ٢٣٩ ، الحسبة والسكة ٣٩٨ - ٤٠٠ ، الحضارة والدولة ٦٥٦ - ٦٦١ ، الحضارة والعمران (علاقة) ٦٦١ - ٦٦٧ ، الحكماء (كلامهم في السياسة) ٦٤ ، الحل النجرانية ٣١٨ ، الحلول ٥٧٥ ، الحنفية (دين) ٥٧٩ ، الحوراني (التسعر) ١١٢٥ ، الحياكة (صناعة) ٧٣٣ ، خ ، الخاتم او الختم ٤٦٧ ، ٤٧١ - الختم : طينه ٤٧١ ، خاتم الاولياء ٥٧٧ ، خارجي ، خارجية ٢٤٠ ، الخازن ، خازن الدار (لقب) ٤٣٥ ، الخرنى ٣٠٥ ، الخزيرية (الصحيفة) ٩٣١ ، خضراء الدمن ٣١٢ ، الخط والكتابة (صناعة) ٧٤٤ - ٧٥١ ، الخط الافريقي ٧٥٠ ، ٧٥١ ، - الاندلسي ٧٥٠ ، ٧٥١ ، - الحميري ٧٤٥ ، - المشرقي ٧٥٠ ، خط الرمل ١٩٦ ، ١٩٧ ، الخطابة (علم) ٦٠ ، الخطط السلطانية ، اطلب : الوظائف السلطانية ، الخطبة ٤٧٦ - ٤٧٩ ، - الدعاء في ٤٧٦ . . . - ٤٧٩ ، الخلافيات او الفقه الخلافي ٨١٨ - ٨٢٠ ، الخلافة ، الخليفة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٥٤١ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٦٥٥ ، ٧٥٠ ، - معناها ٣٣٦ - ٣٣٨ ، - اخلاف الامة في حكم منصبها وشروطها ٣٣٩ - ٣٤٧ ، - انقلابها الى ملك ٣٥٨ - ٣٧٠ ، - خططها الدينية ٣٨٦ - ٣٩٦ ، - سماتها : ٤٠١ ، الخياطة (صناعة) ٧٣٣ ، د ، دار الصناعة ٤٤٩ ،

- الدهرم والدينار : قيمتهما الشرعية
٤٦٥ - ٤٦٧
- البغلي ٤٦٦
- الطبري ٤٦٦
الدعاء في الخطبة ٤٧٦ - ٤٧٩
الدعوة الدينية والعصبية ٢٧٨ ، ٢٧٩
- ٢٨٤
الدعوة العباسية ٣٦٦
الدفائن والكنوز : ابتغاء الاموال منها
٦٨٦ - ٦٩٣
الدولة : حدودها ٥٣١ - ٥٣٧
- استقرارها ٢٧٢ - ٢٧٥
- نطاقها ٢٨٧
- عمرها ٣٠٠
- انقسامها ٥١٧
- انتقالها من البداوة الى الحضارة
٣٠٤ - ٣٠٨
- اطوارها واختلاف احوالها ٣١٠
- ٣١٣
- تأثير القوة فيها ٣١٣ - ٣١٧
- والنرف ٣٠٩
- والهرم ٥٢٠ - ٥٣٠
- والاطوان الكثيرة القبائل والعصائب
٢٩٠
- والعصبية الدينية ٢٧٨
- والموالي المصطنعين ٣٢٤ - ٣٢٨
الدول العامة ٢٧١
الدول والامم : ابتداءها : ٥٨٧ - ٥٩٥
الدول والمدن ٦٠٩ - ٦١١
الدويدار (لقب) ٤٢٥ ، ٤٣٨
الديوان ٤٣٠ ، ٤٣١
- ديوان الاعمال والجبايات ٤٣٠ -
٤٣٥
- ديوان الاعمال ٤٧٠
- ديوان الجباية ٤٣٢
- الجيش او الجند او العساكر ٤١٧
٤٢٢ ، ٤٣٢
- الختم ٤٧٠
- الخراج ٤٣٢
ديوان الرسائل والكتابة ٤٣٦ - ٤٣٩
٤٧١
- الشام ٤٣٢
- العراق ٤٣٢
- العطاء ٤٣٥
الدين والملك ٢٧٧
- ذ
ذات الحلق ٩٠٦
ذخيرة الملك (لقب) ٤٠٤
الدوق البياني ١٠٨٥ - ١٠٨٨
ذوي الوزارتين اي السيف والقلم ٤٣٦
- و
الراهب ٤١٣
الرباب ٧٥٩
الرتب الملوكية ، انظر : الوظائف
السلطانية
الردة (اهل) ٣٦١ ، ٣٨٣
الرحلة في طلب العلم ١٠٤٤
الرزق والكسب : حقيقتهما ٦٧٨ -
٦٨١
الرسائل والكتابة ، (ديوان) انظر
ديوان الرسائل والكتابة
الرئاسة على اهل العصبية ٢٣١ - ٢٣٧
ركن الدولة (لقب) ٤٠٤
الرؤيا ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ٨٨٢

السياسة والعلماء ١٠٤٥ - ١٠٤٧
السيف والقلم (تفاوت مراتب الدول
فيهما) ٤٥٥
السيمياء او علم اسرار الحروف
٩٣٦ - ٩٧٦ ، ٩٨٨ ، ٩٩١

ش

الشاذروان ٦٢٦
الشالنس ٤٦٠
النسابة ٧٥٨
الشرطة ، صاحب الشرطة ، الحاكم ،
الوالي ، صاحب المدينة ٤٤٥ - ٤٤٦
النسرف والعصية ٢٣٧ - ٢٣٩
شرف الدولة (لقب) ٤٠٤
الشعر ١٠٩٣ - ١٠٩٦
- صناعته ووجه تعلمه ١٠٩٧ -
١١١٠
الشطرنج (واضعه) ٦٠٠
الشهرة والصيت : عواملهما ٤٩٢
شيخ الفتيا ٤٤٩
شيخ الموحدين ٤٢٧

ص

صاحب الاشغال (لقب) ٤٢٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١
- الانشاء (لقب) ٤٣٨
صاحب الباب ٤١٩
- البريد ٤١٧ ، ٤٢١
- الثغر ٥٨
- الجباية ٤١٧ ، ٤١٩
- الحرب ٤١٧
- السيف ٤٤٧
- الشرطة ٣٩٣ ، ٤١٧
الصقاعون ٢٨٣

ز

الزجل ، ازجال ، الازجال الاندلسية
١١٣٧ - ١١٦٩
زيح : ازياج ٨٩٠
الزايحة ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
٢٠٨ ، ٩٤٢ ، ٩٥١ ، ٩٦٥
- استخراج اجوبة المسائل من
زايحة العالم ٩٥٠ - ٩٦٣
زركس كاويان (راية كسرى) ٩٣٣
الزمر ٣٢٠
الزمر ٧٥٩
الزنبيل (حديث) ٣٠
الزيدية (الامامة) ٩٥

س

الساقة ٤٦٠
السري ، المنبر ، التخت ، الكرسي
٤٦١ - ٤٦٢
السعادة : احرازها بالكسب والتملق
٦٩٤
سكر ٤٩٩
السكة ٤٦٣ - ٤٦٥
- والحسبة ٣٩٨ - ٤٠٠
السلطان : ضرر فساد تجارته ٤٩٧ -
٥٠١
السلطان : ثروته : ٥٠١ - ٥٠٦
- الحجر عليه والاستبداد به ٣٢٩ -
٣٣٠
- السلطانية (المخاطبات) ١٠٩٥
سنجق : سناجق ٤٦٠
السياج ٢٧٦ - ٢٧٧
السياسة (كلام الحكماء فيها) ٦٢
السياسة المدنية (علم) ٦٠

- الصنائع : امهاتها ٧٢٢
 - اختصاصها ببعض الامصار ٦٧١
 - الصنائع والعرب ٧٢٠
 - الصنائع والعلم ٧١٢
 - علاقتها بالعمارة ٧١٤ - ٧١٥
 - رسوخها في الحضارة ٧١٦
 - الصنائع والتخصص فيها ٧٢١
 - الصنم المعظم (في الهند) ٩٨
 - الصونج ٣٢١
 - صلاح الدين (لقب) ٤٠٥
 - صلاة الخسوفين ٣٨٨
- ض
 ضارب المنديل ٥٨٧
 الضمائر : الاستدلال على خفاياها ٩٧٢
 الضياع والعقار : فوائدهما ٦٥٣ - ٦٥٥
- ط
 الطابية ، الطواب ٧٢٧
 الطب (صناعة) ٧٣٩ - ٧٤٣
 الطراز ، دور الطراز ، صاحب الطراز ٤٧١ - ٤٧٣
 طين الخاتم والختم ٣١٨ ، ٤٣٦
- ع
 عالم الرتق وعالم الفتق ٨٧٢
 عباسية (خطبة) ٤٧٨
 العدالة ٣٩٧ - ٣٩٨
 عراف نجد ١٩٠
 العراق (ديوان) ٤٣٢
 العرب والغلبة ٢٦٢
- العرب والخراب ٢٦٣
 - والملك ٢٢٦ ، ٢٦٧
 - والصنائع ٧٢٠
 العروبية ٦٧٦
 عروض البلد ١١٦٠
 العصبية ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٣٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٢ ، ٥٨٣ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ ، ٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٢٨٤ - العصبية والنفوة الدينية ٢٧٩ - ٢٨٤
 عصبية الامصار ٦٧٢ - ٦٧٤
 العصمة : معناها ١٥٨ ، ١٦٠
 عصمة الامامة ٤٠٧
 العقل الفعال ٩٩٩
 عضد الدولة (لقب) ٤٠٤
 العلم والرحلة في طلبه ١٠٤٤
 - حملته في الاسلام اكثرهم من الاعاجم ١٠٤٧ - ١٠٥١
 العلم والسياسة ١٠٤٥ - ١٠٤٧
 علم الارتماطقي ٨٨٩
 علم الادب ١٠٦٩ - ١٠٧٠
 - الازياج ٩٠٧ - ٩٠٨
 علم اسرار الحروف او السيماء ٩٣٦ - ٩٤٥
 - اصول الفقه ٧٨٠
 العلم الالهي ٨٨٩

- علم الالهيّات او علم ما وراء الطبيعة
٨٩٠ ، ٩٢٠ - ٩٢٣ ، ٩٩٧
- البيان ١٠٦٤ - ١٠٦٨
علم التصوف ٨٦٣ - ٨٨٢
- تعبیر الرؤيا ٨٨٢ - ٨٨٨
- الجبر ٨٩٨ - ٨٩٩
علم الحساب ٨٩٦ - ٨٩٨
- السحر والظلمات ٩٢٣ - ٩٣٦
علم الطب ٩١٦ - ٩١٧
- الطبيعيات ٩١٦ - ٩١٧
العلم الطبيعي او الموجدات الجسمانية
٨٨٩
علم الفرائض ٨١٠ - ٨١٢
- الفلسفة ٩٩٢ - ١٠٠٢
- الفلاحة ٩١٩ - ٩٢٠
- القراءات ٧٨٠ ، ٧٨٢ ، ٧٨٤
- علم الكلام او الحجاج عن العقائد
الايمانية ٧٨٠ ، ٨٢١ ، ٨٣٨
- الكيمياء ٩٧٦ - ٩٩٢
- علم اللغة ١٠٥٩ - ١٠٦٤
- المساحة ٩٠٤ - ٩٠٥
- مطاريح الشعاعات ٩٤٥
- المعاملات والفرائض ٨٩٩ - ٩٠١
- المناظرة (هندسة) ٩٠٤
- النجوم ١٠٠٢ - ١٠٠٩
- المنطق ٩٠٨ - ٩١٦ ، ٩٩٣
- النحو ١٠٥٦
- الهندسة ٨٨٩
- الهيئة ٩٠٥
العلوم الحكمة الفلسفية ٧٧٩
العلوم الالهية ١٠٣٦ - ١٠٣٨
- العددية ٨٩٤ - ٨٩٦
العلوم العقلية او علوم الفلسفة
والحكمة ٨٨٨ - ٨٩٤
- العلوم المنطقية ٦٠
العلوم وكثرة التآلف فيها ١٠٢١ -
١٠٢٣
- وكثرة الاختصارات فيها ١٠٢٨
علوم العمران : اصنافها ٧٧٩
العلوم النقلية الوضعية ٧٧٩ ، ٧٨٠
٧٨١ ، ٧٨٧
علوم اللسان العربي ١٠٥٥ - ١٠٦٤
العلوم الهندسية ٩٠١ - ٩٠٣
العمران : طبيعته ٥٥
- اختلاف احواله ١٤٩
العمران وفوره آخر الدولة ٥٣٧ -
٥٣٩
عمران الارض ٧٢ - ٧٣
العمران البشري : سياسنه ٦٧ - ٧١
و ٥٤٠ - ٥٤١
العمران والحضارة : علاقتها ٦٦١ -
٦٦٧
العمران والصنائع ٧١٤ - ٧١٥
- والظلم ٥٠٧ - ٥١٤
عمود النسب ٣٠٣
العين : الاصابة بها ٩٣٥
- غ
الغازات ٤٧٣ - ٤٧٥
الغالب والمغلوب ٢٥٨
الفرش الطبري ٣١٩
الفناء (صناعته) ٧٥٨ - ٧٦٧
الغيب : ادراكه ١٥٧
القييات ١٨٣ - ٢١١
- ف
الفاطمي : امره ومذاهب الناس فيه
٥٥٥ - ٥٨٦

قيادة الاساطيل ٤٤٧ - ٤٥٤

ك

الكتاب (حزمه) ٤٧٠
الكتابة والخط (صناعة) ٧٤٤ - ٧٥٤

الكتابة والرسائل (ديوان) انظر
ديوان الرسائل والكتابة
كردوس كراديس ٤٨١ ، ٤٨٤
الكرسي ، المنبر ، التخت ، السرير
٤٦١ - ٤٦٢

كسروية ٣٦٠ ، ٦٥٨
الكهانة ١٦٥ ، ١٧٣ - ١٧٨ ، ١٨٥
١٨٦ ، ١٨٩ ، ٥٨٨
الكلام : النظم والنثر ١٠٩٣ - ١٠٩٦
الكوسات ٤٦٠

الكوهن (شرح هذا الاسم) ٤٠٨ -
٤١٦

الكيمياء (علم) ٩٧٦ - ٩٩٢
- انكار ثمرة ١٠١٠ - ١٠٢١
لبنة الفضة ٥٧٧ ، ٥٧٨

اللسان المضي ١٠٧٣
لغات اهل الامصار ٦٧٥ - ٦٧٧
اللغة ملكة صناعية ١٠٧١ - ١٠٧٢
لغة العرب ومخالفاتها للغة مضروحمير
١٠٧٣ - ١٠٧٨

م

المبشرات ١٨٠
المثاني (السبع) ١٠٩٤
المجاعات والموتان ٥٣٧ - ٥٣٩
المجد والترف والملك ٢٩٥ - ٣٠٠
المخاطبات السلطانية ١٠٩٥

الفانيد ٣١٩

فتنة طاهر ٢٨١

الفتيا ٣٨٧ ، ٣٨٩

الفرائض (عام) ٨١٠ - ٨١٢

الفرائض والمعاملات ٨٩٩ - ٩٠١

الفساطيط ٤٧٣ - ٤٧٥

الفطرة ١٥٧

الفقه وما يتبعه من فرائض ٧٩٨ -
٨٠٩

الفقه : اصوله ٨١٢ - ٨٢١

فكر الانسان ١٠٣٢ - ١٠٣٦

الفناء والامة المغلوبة ٢٦٠

الفلسفة : ابطالها وفساد منتحلها
٩٩٢ - ١٠٠٢

الفلاحة من معاش المستضعفين ٧٠٢

الفلاحة (صناعة) ٧٢٣

ق

القابلة ، القوابل ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧

القبيل والعصبة ٢٧١

القرآن : علومه ٧٨٢ - ٧٨٩

القرانات ٥٨٩

القرشية ، النسب القرشي ٣٤٢ ،
٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

القرعة ٩٨٧

القسيس ٤١٣

القضيب ٤٧١

القطب والابدال (القول بهما) ٥٧٦

قلم الرسائل والمخاطبات ٤١٧

- قلم الصكوك والاقطاعات ٤١٧

- المحاسبات ٤١٧

قهرمان ، قهارة ، ٤٢٧ ، ٤٣٠

القود ٣٩٣

القوى النجومية ١٠٠٤ ، ١٠٠٥

— والسلطان : مراتبهما ٤١٦
الملك والامة الوحشية ٢٥٤
المنبر ٤٧٧
المنجم ٥٨٧
المنصور (لقب) ٤٠٥
الملاحم او كتب الحدان ٥٨٧ ، ٦٠٢ —
٦٠٨
المؤرخون : اوهامهم ٢٠ — ٥٠
— اخبارهم ١٦ — ١٩
الموسوسون ٢٨٣
الموشحات والازجال الاندلسية ١١٣٧
١١٦٦ —
الموالي والمصطنعون والدولة ٣٢٤ —
٣٢٨
الموالي ، القوما ١١٦٦

ن

الناصر (لقب) ٤٠٤
ناظر الخاص (لقب) ٤٣٥
النائب ، نيابة ٤٢٥ ، ٤٢٩
النبوءة ، حقيقتها ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٥٧٦
٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٩٥ ، ٨٧٩ ، ٨٨٢
الننر ١٠٩٣ — ١٠٩٦
النجارة (صناعة) ٧٣٠
النجامة ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٩٠٣
النجوم (صناعة) ١٠٠٢ — ١٠٠٩
النسب ٢٣٠
النظم ، الشعر ١٠٩٣ — ١٠٩٦
نصير الدولة (لقب) ٤٠٤ ، ٤٠٥
نظام الملك (لقب) ٤٠٤
النفس البشرية : اصنافها ١٧٠
النمرة ٢٧١

المجردات التواني ٩٩٣
المدن : مراعاة اوضاعها ٦١٧ — ٦٢١
— : اسعارها ٦٤٦
المدينة الفاضلة ٥٤٠
المراتب السلطانية ٢٧١
المرفق ٣٠٥
المريد ١٩٤
المزمار الزلامي ٧٥٩
المزوار (من القاب الحجابة) ٤٢٨
المساجد ٦٢٢ — ٦٣٥
المسايج السورماهي ٣٢٠
المصاف : ضربه وراء العسكر ٤٨٢ —
٤٨٧
المظفر (لقب) ٤٠٥
المظلة ٤٧١
المعاش : وجوهه واصنافه ٦٨٢ —
٦٨٣
المعتضد (لقب) ٤٠٥
المعتمد (لقب) ٤٠٥
معز الدولة (لقب) ٤٠٤ ، ٤٠٥
المعلقات السبع ١١٢٢
المقامات النهاية ٩٤٨
المقصورة ٤٧٦ — ٤٧٩
المكوس — ضربها ٤٩٦
الملك ٢٧١
الملك : طبيعته : ٢٩٣ — ٢٩٥
— اصنافه ٣٣٢ — ٣٣٤
— عوائقه ٢٤٦ — ٢٥٠
— ذهابه ٢٥٦
— ضرر ارهاف الحد منه ٣٣٤ —
٣٣٦
الملك والخلال الحميدة ٢٥٠ — ٢٥٤
— والدين ٢٧٧
— والسلطان (شارات) ٤٥٦ — ٤٦٥

- ١٧٥
الوراقة ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧٢٢ ، ٧٥٥
الوزارة ، وزير ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ،
٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥
وزير الرأي ٤٢٧
الوظائف السلطانية ، وظائف الملك
٤١٧ ، ٤١٨
الوكيل (من القاب الحجابة) ٤٢٩
الولدان : اختلاف طرق تعليمهم ١٠٣٨
— ١٠٤٢
الولاية ٥٧٧
ولاية الثغور ٤١٧
— العهد ٣٧١ — ٣٨٢
اليوم المحمدي ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨١
- نور الدين (لقب) ٤٠٥
النيم (حساب) ٢٠٠
هـ
الهيكل : بناؤها ٦٣٠
الهرم والدولة ٥٢٠
الهرمزان ٤٣٢
الهواء والوان البشر ١٤١
الهواء : اثره في اخلاق البشر ١٤٨
الهيئات ٤٨٥
و
الوحي ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،

٢- فهرس أعلام الرجال والنساء

ابن أبي واطيل ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،

٥٨١

ابن الاحمر ٢٩٢ ، ٢٩٣

ابن اسحق النجم ٣ ، ١٩ ، ٨٩ ،

٣٤٦ ، ٥٩١ ، ٩٠٨

ابن الاغلب ٣٥ ، ٤٤٩

ابن الاكفاني ٣٥

ابن الامام ٧٧٢

ابن باجه (أبو بكر) ١١٤٠

ابن باديس (أبو علي) ٦٠٣

ابن بسام ٣٠٧

ابن بشير ٨٠٧ ، ١٠٢١

ابن بشرون ٩٩١

ابن البطحاوي ٣٥

ابن بطل ٧٩٤

ابن مردوس ١١٤٢

ابن بطوطة ٣٢٢

ابن بقي (يحيى) ١١٣٩

ابن البناء (أبو العباس) ٨٩٦ ، ٨٩٧

٩٠٨

ابن تافراكين (أبو محمد) ١١٣٢

ابن التين ٧٩٤

ابن تيفلويت ١١٤٠

ابن ثابت ٩٠١

ابن جابر ١٠٩١

ابن جحدر الاشيلي ١١٥٣ ، ١١٥٦

ابن جامع ٤٢٧

ابن جني ١٠٢٢ ، ١٠٥٩

ابن جياب ١٠٩١

ابن الحاجب ٧٧٢ ، ٨٠٨ ، ١٠٢٢ ،

١٠٢٩ ، ١٠٥٨ ، ١١١٤

الابلي (أبو عبدالله) ٧٠٨

آدم ٢٣٩ ، ٦٢٣ ، ٦٨٣

آدم (مسجده) ٦٣٥

الأمدي (سيف الدين) ٨١٧ ، ٩١٦

أبان بن صالح ٥٧٤

ابراهيم الخليل ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ،

٦٢٦ ، ١١٢٢

ابراهيم بن علقمة ٥٦٥

ابراهيم بن محمد الملقب بالامام ٣٥٣

٤٠٢

ابراهيم بن المهدي ٣١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

٣٧٤ ، ٧٦٦

ابراهيم الساحلي الطويجن ١٠٩١

ابراهيم الموصلي ٧٦٦

ابرويز (كسرى) ٥٩٩

الابلق الاسدي ١٩٠

الابهرى (القاضي أبو بكر) ٨٠٦

الابوردي ٣٥

ابن الابار ٦٠٣

ابن أبي حاتم ٥٦٥

ابن أبي حفص ٢٩٣

ابن أبي زيد (محمد) ٢٩٠ ، ٨٠٧

٨٣٢ ، ١٠٤٣

ابن أبي ربيعة ١٠٥ ، ١١١٥ ، ١١٢٣

ابن أبي سرح ٢٩٠

ابن أبي شرف ٤٠٥

ابن أبي صديق الناجي ٥٦٢ ، ٥٦٣ ،

٥٦٤

ابن أبي عامر ٤٧ ، ٢٧٤

ابن أبي مريم ٢٦

- ابن رماحس ٤٤٩
 ابن زبير ٢١
 ابن الزبير ٣٧٣ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٦
 ابن زهر (ابو الخطاب) ٩١٨ ، ١١٤٠ ،
 ابن زهر (ابو بكر) ١١٤٠ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣
 ابن زيتون (القاضي ابو القاسم) ٧٧٢
 ابن الزيات ١١١٢
 ابن الساعاتي ٨١٨ ، ٨٢٠
 ابن سبعين ٨٧٥
 ابن سريج ٧٦٥
 ابن السكيت ١٠٦٣
 ابن سعيد ٩٢ ، ١١٥٣
 ابن سيده ١٠٦١
 ابن سيرين ١٠٩١
 ابن سينا (ابو علي) ٦٠٥ ، ٧٣٨ ،
 ٨٧٥ ، ٨٩٣ ، ٨٩٦ ، ٩٠٢ ، ٩٠٦ ،
 ٩١٢ ، ٩١٦ ، ٩١٨ ، ٩٢١ ، ٩٩٩ ،
 ١٠٠١ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٨ ، ١٠٢١
 ابن السماك ٢٥
 ابن السمع ٩٠٠ ، ٩٠٦
 ابن سنا الملك المصري ١١٥٣
 ابن شاس ٨٠٨
 ابن شجاع ١١٦٢
 ابن شرف ٢٧٨ ، ١٠٩٠
 ابن شعيب ٧٧٢ ، ١١١٣
 ابن الصابوني ١١٤٦
 ابن الصائغ (ابو بكر) ٨٩٣
 ابن طريف ١١٠١
 ابن عباد ٤٧
 ابن عباس ٣٨٣ ، ٤٧٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،
 ٥٧٠ ، ٦٢٥
 ابن حبان ٣٠٧ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ،
 ٥٧٢
 ابن حبيب (عبد الملك) ٨٠٦
 ابن جديد ٤٢٦
 ابن حراش ٥٥٨
 ابن حزم ٣٥٧ ، ٤٦٧ ، ٨٠١
 ابن حماد ٤٦٤
 ابن حنبل (الامام احمد) ٧٩٢ ،
 ٧٩٦
 ابن الحنفية (محمد) ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٣ ، ٣٨٣ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨
 ابن حوشب ٥٩٥
 ابن حيان التوحيدي ٣٠ ، ١٠٩٠
 ابن حيون ١١٤٤
 ابن الخطيب (الامام فخر الدين)
 ٧٧٢ ، ٨١٧ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٩١٣ ،
 ٩١٦ ، ٩٢١ ، ٩٣٠ ، ١٠٥١ ،
 ١٠٩١ ، ١١٤٧ ، ١١٥٦
 ابن خفاجة (ابو بكر) ١١٠٧
 ابن خلف الجرايري ١١٤٦
 ابن خوينندار ٨٠٦
 ابن دقيق العيد (تقي الدين) ٨٠٥
 ابن دهقان ٨٧٣ ، ٨٧٤
 ابن دويدرة (الحسن) ١١٤٢
 ابن ذي يزن ٣١٧
 ابن رشد (الوليد) ٢٣٦ ، ٨٠٧ ،
 ٨٠٩ ، ٨٩٣ ، ٩٠٦ ، ٩١٢ ، ٩١٦ ،
 ٩٢١ ، ٩٩٩
 ابن رشيقي ٥ ، ٧٦٤ ، ٨٠٨ ، ١٠٦٧ ،
 ١٠٩٠ ، ١١٠٦ ، ١١٠٨
 ابن الرقيق (مؤرخ افريقية) ٤
 ابن الرفعة ٨٠٥
 ابن الرقيق ٣١٧ ، ٥٩٥ ، ١٠٨٩
 ابن رضوان (ابو القاسم) ١١١٣

- ابن عبد الحكم ٨٠٦
ابن عبد الحميد (احمد بن محمد)
٣١٨
ابن عبد ربه ٢٦ ، ١٠٩٠ ، ١١٣٨
ابن عبد السلام (عز الدين) ٧٧٢ ،
٨٠٩ ، ٨٠٥
ابن عدي ٥٦٦ ، ٥٧٢
ابن العربي ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٦٠٥ ،
٨٧٥ ، ٩٣٦
ابن العربي (القاضي) ٨٠٤
ابن ابي الصامت ٩٠٢ ، ٩٠٦
ابن صياد ١٧٨
ابن طولون ٣٢٦
ابن عطا الله ٨٠٨
ابن عطية ٤٢٧ ، ٧٨٧
ابن عقب ٦٠٥
ابن علية ٥٥٨
ابن عمر ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥
ابن عمر العمى ٥٥٦ ، ٥٧٣
ابن العفيف ٨٧٥
ابن عمير ١١٦٠
ابن العوام ٩٢٠
ابن الفارض ٨٧١ ، ٨٧٥
ابن الفرس (المهر) ١١٤٤
ابن الفرغاني ٩٠٦
ابن الفضل (ابو الحسن) ١١٤٥
ابن فيره (ابو القاسم) ٧٨٣
ابن القاسم بن وهب ٦٠٧ ، ٨٠٤ ،
٨٠٦ ، ٨٠٧
ابن قتيبة ١٠٧٠
ابن قسي ٢٨٠ ، ٥٧٦
ابن قزمان (ابو بكر) ١١٥٤ ، ١١٥٥
ابن القصار (القاضي ابو الحسين)
٨٠٦ ، ٨٢٠
ابن كريون ٤١٢
ابن الكلبي ٣ ، ١٧٠
ابن الكماد ٩٠٧
ابن اللبان ٨٠٦
ابن اللهيث ٨٠٨
ابن لهيعه (عبدالله) ٥٦٧ ، ٥٧٢ ،
٥٧٤
ابن ماجة ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥
٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٦٢٩
ابن مالك ١٠٢٢ ، ١٠٢٩ ، ١٠٥٨ ،
١٠٦٧
ابن البشر ٨٠٨
ابن مجاهد ٨٣٤
ابن محرز التونسي ٨٠٧
ابن مرتين (ابو بكر) ١١٥٥
ابن مرانة (ملحمة) ٦٠٢
ابن مردنيش ٢٩٢
ابن المعتز ١١١٢
ابن مسعود ٥٥٦
ابن معطي ١٠٥٨
ابن معين (يحيى) ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ،
٥٦٩ ، ٥٧٠
ابن المغيرة ٩٧٧
ابن المقفع ١١١٢
ابن المنمر ٩٠١
ابن المهلب ٧٩٤
ابن مؤهل ١١٤٢
ابن المواز ٨٠٤
ابن النبيه ١١١٢
ابن نجاح (ابو داود سليمان) ٧٨٤
ابن النحوي ١١١٤
ابن النمر الطرابلسي ٨١٠
ابن هارون ٨٠٩
ابن هشام (جمال الدين) ١٠٢٢

- ١٠٥٨
ابن هبيرة ٣٢٦ ، ٤٦٣
ابن هاني ١١١٢ ، ١١٢٣
ابن هود ٢٩٢
ابن الهيثم ٩٠٥
ابن يونس ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ١٠٢١
ابو ادريس الخولاني ٣٩٢
ابو اسحق الاسفرايني ، انظر :
اسفرايني (ابو اسحق)
ابو اسحق السبيعي ٥٥٩
ابو الاسود الدؤلي ١٠٥٧
ابو بديل ٦٠١
ابو بصرة ٥٦١
ابو بكر الصديق ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٣٦١
٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٤٠١
٤٠٢ ، ٤٢٠ ، ٤٦٨ ، ٥٨١ ، ٦٢٧
٦٢٨ ، ٦٣٤ ، ٨٦٧ ، ٨٧٦ ، ٨٨٢
ابو بكر بن العربي (القاضي) ٤٠٦
١٠٤١ ، ١٠٤٢
ابو بكر بن زهير ١١٣٨
ابو بكر الاسكاف ٥٥٦ ، ٥٥٧
ابو بكر بن ابي خينمة ٥٥٦
ابو بكر بن بشرون ٩٧٨
ابو بكر بن العربي ٣٨٤
ابو بكر بن عباس ٥٥٩
ابو حاتم ٥٥٨ ، ٥٦٦ ، ٥٧٣
ابو الحسن السلطان (زناته) ١٥٥ ،
٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ١٠٠٧ ، ١١١٤ ،
١١٦٣
ابو الحسن (محدث) ٥٥٩
ابو حنيفة (الامام) ٦٣٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧
٧٩٩ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٦ ، ٨١٩
ابو حيان التوحيدي ٤
ابو جعفر العقيلي ٥٥٨ ، ٥٦٠
- ابو داود ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩
٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢
٥٩٢ ، ٦٢٨
ابو الدرداء ٣٩٠
ابو زرعة ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢
ابو زكريا يحيى بن ابي حفص (الامير)
٤٧٨ ، ٥١٩
ابو الزناد ٤٦٣
ابو سعدي اليفري ، امير زناتة ١١٢٧
ابو سعيد (السلطان) ٦١٤ ، ٧٠٩
ابو سعيد الخدري ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٥٥٦
٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥
٥٩٣
ابو سفيان بن حرب ٨٢٨
ابو السمع ٩٧٨
ابو الصديق ٥٦٥
ابو الطفيل ٥٥٨ ، ٥٦٨
ابو العباس ٦٧٤
ابو العباس الموحي ٤٢٨
ابو عبدالله الشيعي ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٥٥
٥٩٥
ابو عبيد الاجري ٥٦٢
ابو عبيد بن مسعود الثقفي ٤٨٩
ابو علي القالي البغدادي ١٠٧٠
ابو العلاء المعري ، انظر المعري
ابو عمر بن الحاجب ٧٧٣ ، ٨١٧
ابو عمر بن الصلاح ٧٩٣
ابو عنان (السلطان) ٣٢٢ ، ٣٢٣
ابو فارس امير المؤمنين عبد العزيز ١٠
ابو فراس ١١٠٥
ابو القاسم بن عبدالله المهدي ٣٢
ابو القاسم الشيعي ٤٥٠
ابو قبيصة بن ذؤيب ٥٩٢
ابو قدامة ٥٦٧

- أبو قلابة الجرمي ٥٧١
أبو كرب تبع الأصغر ١٩
أبو محمد بن أبي زيد المالكي ، انظر :
المالكي (أبو محمد بن أبي زيد)
أبو مدين (التسيخ) ٥٨٤
أبو مسلم بن خلدون ٩٠٠
أبو مسلم الخراساني ٣٥٤ ، ٤٥٦ ، ٥٩٨
أبو المعالي امام الحرمين ٨٣٥ ، ٩٠١
أبو معشر ٥٩٨
أبو موسى الأشعري ٣٦٢ ، ٣٩٠
أبو نعيم ٨١١
أبو نواس ٣٠٦ ، ١١٠٥
أبو الهاشم بن محمد بن الحنفية ٣٥٣
أبو هرون العبدي ٥٦٤
أبو هريرة ٤٣١ ، ٥٥٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣
٨١١
أبو وائل ٥٥٧ ، ٦٢٨
أبو الواصل ٥٦٥
أبو يحيى زكريا ٥٨٢
أبو يعلى الموصلي ٥٥٦ ، ٥٧٢
أبو يعقوب المنصور الموحدى ٤٥٣ ، ٤٧٦
أبيض (أبو بكر) ١١٤٠
أحمد بن حنبل (الامام) ٣٠ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧
٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٨٠٣
أحمد بن عبدالله بن يونس ٥٥٩
الأحوص ١١١٥
الأخشبان ٥٦٩
أدریس (الامام) ٣٥٥ ، ٤٠٢ ، ٥١٨ ، ٦٨٣
أدریس (النبى) ٧٣٤
أدریس بن أدریس ٣٧ ، ٣٩
- أدریس الأكبر ٣٧
أدریس الأصغر ٤٠٢
أرسطو ٤٥٧ ، ٨٩٢ ، ٩١٠ ، ٩١٦ ،
٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٩ ، ١١٢٤
أردشير ٥٩٨
الارموي (سراج الدين) ٨١٧
الازرقى ٦٢٨
الازهر ١٠٦٢
اسامة بن زيد الليثي ٥٩٢
اسامة بن زيد مسرة ٣٤٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨١
اسحق بن ابراهيم ٢٤١
اسحق ٦٢٢ ، ٦٢٩
اسحق الموصلي ٧٦٦
اسد بن القرات ٤٤٩ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧
اسد بن موسى او اسد السنة ٥٦٤
الاسدي سيف بن عمر ١٤
اسرائيل الله ١٤
اسعد بو كرب ١٧
الاسفراييني (ابو اسحق) ٨٨٠
الاسكندر ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٨٩١ ، ٩٩٥
اسلم بن سدره ٧٤٥
اسماء ١٩٣
اسماعيل بن ابراهيم ٥٧١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤
اسماعيل (الامام) ٣٣ ، ٣٥٦ ، ٤٠٢
اسماعيل بن جعفر الصادق ٣٥٦ ، ٣٥٧
اسماعيل القاضي ٣٠ ، ٣١ ، ٨٠٦
الأشتر ٤٨٧
الاشعث بن قيس ٢٤٢
الاشعري (أبو الحسن) ٨٣٣ ، ٨٣٤
أشهب ٨٠٤ ، ٨٠٦
الاصبهاني (أبو الفرج) ١٠٧٠

- الاصم ٣٤٠
 الاصمعي ١١٢٥ ، ١١٢٣ ، ٦٢٨
 الاصمعي (محاورته مع الرشيد) ٢٦
 ١١٢٣
 الاعننى ١١٢٢ ، ٦٢٤
 الاعمش ٥٥٧
 افريد الحكيم ٥٩٨
 افريقش بن قيس ١٦ ، ١٧
 الافطس (فنته) ٦٢٩
 افلاطون ٩٩٧ ، ٩٩٥ ، ٩٠٢ ، ٨٩٢
 اقليمطس ٤١٢
 اكمل الدين بن شيخ الحنفية ٦٠٨
 اللوشي (ابو عبدالله) ١١٥٨
 اليوسى الحكيم ٥٩٩
 ام حبيبة ٥٥٦
 ام سلمة ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦١
 الامام المعصوم ٤٠٦
 امير الحجاز ٤٠١
 امرؤ القيس بن حجر ١١٢٢
 امير مكة ٤٠١
 الامين ٢٨١ ، ١٠٤٣
 امية بن ابي الصلت ١٧٨
 اتامش ٣٢٦
 انس بن مالك ٣٨٤ ، ٥٥٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧٤
 انو شروان ٥٩٩ ، ٦٧٠
 اوشير ٤١٢
 اوغسطس ٤١١
 اوقليدس ٧٣٢ ، ٨٩٢ ، ٩٠٢
 اوميروس ١١٢٤
 ايوب الصديق ٤١٢
 ب
 البابا ٤٠٨
- الباجريقي ٦٠٥ ، ٦٠٨
 الباجي (ابو الوليد) ٨٠٤
 البادسي (ابو يعقوب) ٥٨٢
 باديس المنصور ٥١٩
 بارى او بيرس بن يهوذا ١٥
 الباقلاني (القاضي ابو بكر) ٣٥ ، ٨٣٥ ، ٨٣٤
 باكنالك ٣٢٦
 البتاني ٩٠٧
 البحتري ١١٠٥ ، ١١٢٣
 البخاري (الامام الحافظ محمد بن اسماعيل) ٤٦٨ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٩٣ ، ٦٢٨ ، ٧٠٢ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٨٢٨
 بختنصر ١٤ ، ٤١٠ ، ٦٣١
 بختينموس (جبريل) ٢٨
 البرادسي (ابو سعيد) ٨٠٧
 البردوي (سيف الاسلام) ٨١٨
 - (طريفته) ٨٢١
 البزاز (ابو بكر) ٥٥٦ ، ٥٧٣
 بزرجمهر ٥٩٩
 بزرهون ١١٦٣
 البساسيري ٣٤
 بسطام بن قيس بن نسيبان ٣٤٢
 بنار ١١١٥
 بتسر بن مروان ٥٦٩
 بشير بن نهيك ٥٧٣
 البصري (ابو الحسين) ٨١٧
 بطرس (الرسول) ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤
 بطليموس ٧٦ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٩٠٦ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥

تاوذوسيوس ٩٠٣
التعاليبي ٢٠ ، ٧٨٦ ، ١٠٦٣
ثعلب (فصيح) ١٠٦٣
توبان ٥٥٦ ، ٥٧١
الثوري (سفيان) ٥٥٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧١

ج

جابر بن حيان ٩٢٤ ، ٩٧٧ ، ٩٩٢
١٠١١ ، ١٠١٩
جابر بن عبدالله ٣٨٤
الجاحظ ١٠٦٦ ، ١٠٧٠
جالينوس ١٥٠ ، ٩١٨
الجازية بنت سرحان ١١٢٦
جبير بن مطعم ٤٣٢
جراس بن احمد ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩
٦٠٠

الجرجاني ١٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦
جرجس بن العميد ٤١٤
جريح ٥٧٥ ، ٥٨٠
جربير ٤٥ ، ١١٠٥ ، ١١١٥
الجعدي ٨١٠
جعفر بن يحيى البرمكي ٢٢ ، ٢٤ ،
٢٣٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩
جعفر بن يحيى ١٠٦٦
جعفر الصديق او الصادق (الامام)
٣٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،
٥٩٤ ، ٦٠١
الجنيد ٥٧٦ ، ٨٣٧
جوهر الصقلي او الصقلي او الكاتب
٣١٧ ، ٥٣٦ ، ٦٥٢
الجوهري ١٠٦١

ح

حاتم بن سعيد ١١٤٢

البطيوسي (الاعلام) ١١٣٨ ، ١١٣٩
بغا ٣٢٦
البكري ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١٨
البلخي (شاذان) ٥٩٧
البلقيني (سراج الدين) ٨٠٥
بنيامين ٤١٠
بهرام بن بهرام ٦٤ ، ٥٠٨
بوران ٣١ ، ٣٠٥
بوعز او باعز ١٥
بولس الرسول ٤١٣
البوني ٩٣٦ ، ٩٣٨ ، ٩٤٠
البيساني ١١١٢
البيضاوي ٢ ، ٨١٧ ، ٨٣٧
البيلي ١٧
البيهقي ٥٧٤

ت

تاشفين بن علي بن يوسف ٤٨٨ ،
٥٩٧
تامسطيوس ٨٩٢
تبع الآخر ١٩
تبع الاصغر ابو كرب ١٩
الترمذي (الامام ابو عيسى) ٣٠ ،
٣٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ،
٥٩٣ ، ٧٩٣
التفتازاني (سعد الدين) ٨٩٤ ،
١٠٥١
التلفيفي (ابو البركات) ١٠١٢
التوبدري ٢٨٧
توفيل الرومي ٥٩٩
التويزيري ٥٨٤

ث

ثابت بن قرة ٩٠٢

- حاجب بن زرارة ٢٤٢
الحافظ بن عبد البر ٨٣٢
الحاكم (ابو عبدالله) ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٤ ، ٧٩٣
حام بن نوح ١٤٣ ، ١٤٤
حبيب ، انظر : المتنبي
الحبيري ٤٨٤
الحجاج بن يوسف ٤٨ ، ٥٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٦٢٦ ، ٧٥٦
حذيفة بن بدر ٢٤٦
حذيفة بن اليمان ٥٩٢
الحراني ٩٦٠
حرب بن امية ٧٤٥
الحرث بن كلفة ٩١٨
الحرث بن مسكين ٨٠٤ ، ٨٠٦ ، ٨٠٨
الحرث بن هثام ١٧١
الحريري ٦٨٣
حسان بن تاب ٣٧٨ ، ١١١٥
حسان بن النعمان ٤٤٩
الحسن البصري ٥٧٥ ، ٥٧٦
الحسن بن سهل او سهيل ٣١ ، ٣٢ ، ٣٠٥
الحسن بن يزيد ٥٦٥
الحسن بن علي ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٤٧٠ ، ٥٥٩ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣
الحسين بن علي ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤١٠ ، ٤١١
حسرو بن بارس ١٥
الحصين بن نمير السكوني ٦٢٥
الحطيئة ١١١٥
الحكم بن هشام ٧٦٦
حماد بن سلمة ٥١٩ ، ٥٦٤
- حمزة ٥٧٠
الحميري (السيد) ٣٥٣
حميناذاب بن رام ١٥
حنانيا ٤١٣ ، ٤١٤
حنين بن اسحق ٩٠٢
الحوطي ٤٠
الحوقلي ٨٩
الحوفي (القاضي ابو القاسم) ٨١٠ ، ٩٠١
الحلاج ٨٨١
حي بن اخطب ٥٩١
- خ
- الخارجية ١١٠١
خالد بن عبدالله القسري ٣٢٦
خالد بن حمزة بن عمر ١٠٩٥
خالد بن الوليد ٤٣١
خالد بن يزيد بن معاوية ٣٥٢
خالد الديوس ٢٨٦
خديجة ١٥٩
الخراساني ٧٨٥
خزيمة ٢٢٠
خشماني ٦٣٢
الخضر ٣٥١
الخطام ٤٦٦
الخطيب البغدادي ٦١٠
خليل بن احمد الفراهيدي ١٠٥٧ ، ١٠٥٩
الخوارزمي (ابو عبد الله) ٨٩٩
الخونجي (فضل الدين) ٩١٣ ، ١٠٢٩
١١١٤
الخلال (ابو سلمة) ٣٥٤
- د
- دارا ٨٩١

— وصيته لمعلم ولده ١٠٤٣
الرضا (الامام) ٣٢
الرضي (الشريف) ٣٥ ، ١١٠٥ ،
روجار ٩١
١١١٢
روح بن زنباع ٤٧٤
الروحي (ابو القاسم) ١٠٠٧
في
زادان فرخ ٤٣٢
زائدة ٥٥٧
الزبيدي (ابو بكر) ١٠٦١
الزبير ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
٣٨١
الزجاج (ابو الحسن) ١١٤٦
الزجاج (ابو اسحق) ٧٦٤
الزجاج (ابو القاسم) ١٠٤٩ ، ١٠٥٧
زر بن حبيش ٥٥٧
زرياب ٧٦٦
الزمخشري ٢٠ ، ٧٨٨ ، ١٠٥٨ ، ١٠٦٢
١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٨٧
الزهرابي ٩٠٠
زهرة بن حوبة ٢٢٣
الزهري ١٤ ، ٤٣٢ ، ٦٢٨ ، ٧٨٩
زهير بن ابي سلمى ١١١٥ ، ١١٢٢
الزواوي (ابو علي ناصر الدين) ٨٠٩
زياد بن ابي سفيان ٣٣٥
زيادة الله الاول بن الاغلب ٤٤٩
زياد ٤٧٠
زيد العمي ٥٦٢ ، ٥٦٣
زيد بن ارقم ٣٨٤
زيد بن ثابت ٣٦٣
زيد بن علي بن الحسين السبط ٣٥٠
٣٥٤

الدارقطني ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣
دانيال ٦٤ ، ١٩٧
الداني (ابو عمرو) ٧٩ ، ٧٨٥ ، ٩٧١
داود (الملك) ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٦٢٢ ،
٦٣٠
داود بن علي ٢٥ ، ٧٩٩
داود بن المجبر ٥٧٣
الدبوسي (ابو زيد) ٨١٦ ، ٨١٧
الدجال ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨
دعي الزنج ٣٥٥
الدينالي ٦٠٧

ذ

ذو الازعار ١٧ ، ١٩
ذوبان الحكيم ٦٠٠
الذهبي (محمد بن يحيى) ٥٥٨ ،
٥٥٩ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ،
٥٩٢
ذي الرمة (غيلان) ١١٠٥ ، ١١١٥

ز

الرازي ٩١٨
رافع بن خديج ٦٣٥
الرازي (ابو حاتم) ٣٤٧ ، ٥٧٠
رباح بن عجلة ١٩٠
ربيعة بن نزار ١١٠١
ربيعة بن نصر (رؤيا) ١٩٠ ، ٥٨٨
رستم ١٤ ، ٢٧١ ، ٤٨٣
الرشيد (هارون) ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٢٤٣ ،
٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ،
٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩ ، ٦٠١ ،
٦١٦ ، ٦٧٠ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٨ ،
١١٢٣ ، ١٠٧٠ ، ١٠٥٧

- زين العابدين ٣٥٠
- سارية بن زنيم ١٩٣
- سالم مولى حليفة ٣٤٤
- السالي ٨٨٨
- سام ١٤٤
- سائب حائر ٧٦٥
- سبا بن يشجب ٦١٥
- السبسي (ابو العباس سيدي احمد)
- ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٩٤٢
- السبكي ٨٠٥
- السجستاني (ابو داود) ٧٩٣
- سحنون ٩٠
- سرجون ٤٣٢
- سطيح بن مازن بن غسان ٥٨٨ ، ١٨٩
- سعادة ٥٨٦
- سعد ١٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
- سعيد بن ابي مريم ٥٩٣ ، ٥٩٢
- سعد بن ابي وقاص ٣٦٣ ، ٤٠١ ، ٨٩١
- سعد بن عبادة ٣٤٣
- سعد بن عبد الحميد ٥٧٠
- سعيد ٣٧٨ ، ٣٧٩
- سعيد بن ابي وقاص ٢٢٠
- سعيد بن العاص ٣٨١
- سعيد بن المسيب ٤٣٢ ، ٤٦٣
- السفاح (الخليفة) ٣٧٣ ، ٤٠٣ ، ٥٧٠
- سفيان بن امية ٧٤٥
- سفيان الثوري ٢٧
- سقراط الدن ٨٩١
- السكاكي ١٠٦٧
- السكسوي ٥٨٤
- سلطان بن مظفر بن يحيى ١١٢٩
- سلمة ٢١٧
- سلمة بن الاكوع ٢١٦
- سلمون بن نحشون ١٥
- سليمان بن داود ١٥ ، ١٧ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤٦١
- ٦٢٢ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٤
- سليمان بن عبد الملك ٥٢٣
- سليمان بن عبيد ٥٦٤
- سليمان سعيد ٤٣٢
- سليمان بن كثير ٣٥٤
- السليمانى ٥٥٩
- سهل بن سعيد ٣٨٤
- سهل بن سلامة الانصاري ٢٨٢
- سهل بن عبد الله ٢٠٧
- سهل بن هارون ١١١٢
- سهل بن نوبخت ٥٢
- سهل بن مالك (ابو الحسن) ١١٤٢ ، ١١٤٥ ، ١١٥٦
- السهورودي ٨٦٦
- السهيلي ٥٥٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢
- ٥٩٨
- سيبويه ١٠٢٢ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٧ ، ١٠٨٣
- سواد بن قارب ١٧٨
- سيف الدولة ٩٩٥
- ش
- الشاطبي (ابو القاسم) ٧٨٤ ، ١١١٤
- الشافعي (الامام محمد بن ادريس
- المصلي) ٥٧٤ ، ٦٣٥ ، ٧٦٢ ، ٧٨٩ ، ٧٩٢ ، ٧٩٩ ، ٨٠٢ ، ٨٠٥
- ٨١٦ ، ٨١٩ ، ٩٠١
- شبل بن مسكيانة ١١٣١ ، ١١٣٢
- شجاع بن اسلم (ابو كامل) ٨٩٩
- شداد بن عاد ٢٠

صلاح الدين يوسف بن أيوب ٤٥٢ ،
٤٩٧ ، ٦٣٣ ، ٧٧٨ ، ٨٠٥
الصيرفي ، أبو بكر (مدحه لناشفين)
٤٨٨ ، ٤٩٠
الضحاك الخارجي ٤٨٤
ط

طالوت ٤٠٩
طالوت (اصحاب) ٥٦٩
طاهر ٢٨١ ، ٢٨٢
طاهر بن الحسين (كتابه لابنه عبدالله)
٥٥٤ ، ٥٥٤
الطبراني ٥٥٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢
٥٧٣ ، ٥٧٤
الطبري ٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨
٣٠٥ ، ٣٧٩ ، ٤٧٠ ، ٤٨٤ ، ٥٩٠
٦٠١ ، ٧٨٦
الطحاوي ٧٩٧
الطرطوشي (القاضي أبو بكر) ٦٦
٢٧٤ ، ٤٩٢ ، ٥٧٥
طرفه بن العبد ١١١٥ ، ١١٢٢
الطنثرائي ٩٧٧ ، ١٠١١ ، ١٠١٥ ،
١٠١٨

طلحة بن عبد الله ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨
٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٥٥٦
طليحة الاسدي ١٧٨
الطايطلي (الاعمى) ١١٣٩
الطوسي (نصير الدين) ٩١٧ ، ١٠٥١
طويس ٧٦٥
الطبيبي (شرف الدين) ٧٨٨
طيطش ٦٣٢

ع

عاد بن عوص ٢٠
عاصم بن أبي النجود ٥٥٧ ، ٥٥٨

شديد بن عاد ٢٠
شرع القاضي ٣٩٦
الشريف بن هاشم ١١٢٦ ، ١١٢٨
الشريف الادريسي ٨٢
الشطبي (أبو عبد الله سليمان) ٩٠١
الشطبي (أبو عبد الله سليمان) ٩٠٩
شعيب بن أبي خالد ٥٥٩
شق بن أنمار بن نزار ١٨٩ ، ٥٨٨
الشمخ ٣٨
شمويل ٤٠٩
الشهاب الخفاجي ٢
الشهرستاني ٣٥٧
شيبان بن عبد العزيز اليتسكري (أبو
الذلفاء) ٤٨٤
شيخ الموحدين ٦٧٤
شيبة بن عثمان ٦٢٨
الشيخين ٥٧٥
شيطان ، شياطين ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٦
١٨٢ ، ٢٥١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٩ ، ٤٣١
٦٩٣ ، ٩٣٢

ص

الصائب ١١١٢
صاحب الدرهم (المهدي) ٤٦٤
صالح بن خليل ٥٦٠
صالح بن شريف ١٠٦١
صالح بن عبد الرحمن ٤٣٢ ، ٤٣٣
السردي (كتابه في الفرائض)
صصه بن داهر الهندي ، واضع
الشطرنج ٦٠٠
الصقلي (احمد) ٤٥٢
الصيمري ٣٦
صلاح الدين علي أبي يعقوب الموحد
٤٥٣

- عائسة ام المؤمنين ١٤ ، ١٩٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٩٢٧ ، عبادة القزاز ١١٣٨
العباس بن عبد المطلب ٢٣٣ ، ٣٧٦ ، العباس بن عطية ٢٣٣ ، العباس ٢٢ ، ٢٣ ، عبد الله ابي جعفر الملقب بالمنصور ٣٥٤
عبد الله بن احمد بن حنبل ٥٧٢ ، عبد الله بن جحش ٤٠١ ، عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح ٣٥٣
عبد الله بن الحرث بن جزء ٥٥٦ ، ٥٧٢ ، عبد الله بن الزبير ٣٧٥ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، عبد الله بن زياد ٥٧٠
عبد الله بن سلام ٣٧٨ ، ٧٨٧ ، عبد الله بن عباس ٢٣ ، عبد الله بن العربي ٤٠٦ ، عبد الله بن عمر ٣٧٣
عبد الله بن فروخ ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، عبد الله بن قلابة ٢١ ، عبد الله بن مروان ٣٦٧ ، عبد الله بن مسعود ٥٥٧ ، ٥٦٥
عبد الله المهدي ٣٥٦ ، عبد الله بن جعفر ٧٦٥ ، عبد الله بن الحرث ٥٦١ ، عبد الله بن زياد بن ابيه ٣٢٥
عبد الله محمد (الامير) ١١٣٨ ، عميد الله المهدي ٣٢ ، ٤٠٢ ، ٥٩٥ ، عبد الجبار ٨١٧ ، عبد الحق (القاضي) ٤٦٧ ، عبد الحق بن سبعين ٥٧٦ ، عبد الحميد الكاتب (رسالته الى
- (الكتاب) ٤٣٩ - ٤٤٤ ، عبد الرحمن بن ابي حاتم ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، عبد الرحمن بن الاشعث ٤٣٣ ، عبد الرحمن بن عوف ٣٦٣ ، ٣٧٢ ، عبد الرحمن بن الناصر بن المنصور ٣٣٢ ، عبد الرحمن الداخيل ٣٢١ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٤٩ ، ٥١٨ ، عبد الرزاق بن همام ٥٧١ ، عبد العزيز بن موسى بن نصير ٥٢٣ ، عبد المسيح ٥٨٨ ، عبد المطلب ٣١٧ ، ٥٧٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨ ، عبد الملك بن مروان ٥٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٤٢١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٥١٥ ، ٦٢٥ ، ٦٧٠ ، عبد مناف ٢٧٦ ، ٣٨٢ ، عبد المؤمن بن علي ٤٠٧ ، ٤٥٢ ، ٦٧٤ ، عبد الوهاب (القاضي) ٨٠٦ ، عناب بن بشر ٥٦٥ ، العنابي ١١١٢ ، العتيبي ٨٠٦ ، عثمان بن عفان ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٦٨ ، ٦٢٧ ، ٨٦٧ ، العجلي (ياسين) ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، عرفة بن هزيمة ٤٥ ، ٢٢٩ ، ٤٤٨ ، عزرا الكاهن ٤١٢ ، العزيز الفاطمي ٥٩ ، عزيز الغواني ٢٤١ ، عقيل بن ابي طالب ٤٣٢ ، العقيلي ٥٦٧ ، عكرمة بن عمار ٥٧٠

- علفمة بن عبدة ١١٢٢ ، ١١١٥
علي بن أبي طالب ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤
٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
٣٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٢١ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧
٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨
٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٦٢٨ ، ٧١٨ ، ٨٦٧
٨٧٦ ، ١٠٥٧
علي بن أبي طالب (وصيه يوم صفين)
٤٨٧ ، ٤٩٣
علي الرضا ٣٥٦ ، ٣٥٧
علي بن أبي هريرة ٥٥٧
علي بن زياد اليمامي ٥٦٩
علي بن مجاهد ١٠٦٢
علي بن موسى الرضا ٢٨١
علي بن عمر بن ابراهيم ١١٣٥
علي بن موسى بن جعفر الصادق ٣٧٤
علي بن المديني ٥٦٩
علي بن المؤذن ١١٦٣
علي بن نفل ٥٦٠
علي زين العابدين ٣٥٤
علي الهلالي ٥٥٦
العماد الاصبهاني ٤٥٣ ، ١١١٢
عمر بن جابر الحضرمي ٥٦٧ ، ٥٧٢
عمر بن أبي فبس ٥٥٩
عمر بن الخطاب (الخليفة) ٦٣ ، ١٩٢
٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٦
٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
٣٦٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧
٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ ، ٤٢١
٤٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧٧
٤٨٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨
٦٣٢ ، ٦٣٨ ، ٨٧٦ ، ٨٩١ ، ١٠٤٣
عمر بن الخطاب (كتابه في تحديده
- القضاء) ٣٩٠
عمر السكسيوي ٢٨٤
عمر بن الزبير ٤٧٠
عمر بن ريد بن علي ٣٥٤
عمر بن سعد بن أبي وقاص ٣٢٥
عمر بن عبد العزيز ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٥٨٠
عمران القطان ٥٦١
عمرو بن العاص ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٧٩
٤٠١ ، ٤٢١ ، ٤٤٨ ، ٤٦١ ، ٤٧٧
عمرو بن محمد العنقري ٥٦٩
العمرى ٢٧
العميدي (طريقة) ٨٢١
عنيسة الوراق ٦٠٢
عنصرة ١١١٥ ، ١١٢٢
عوج بن عنان ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٦١٤
عوف الاعرابي ٥٦٣
عوفيد او عوفد ١٥
عياض (القاضي) ٧٩٥
عيسى بن مريم ، المسيح ٣٥١ ، ٤١١
٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٥٥٥ ، ٥٧٤
٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٣٢
٧٣٧ ، ٩١٨
عيسى بن زيد بن علي ٣٥٤
عيسى بن عمر ١٠٧٣
الغزالي ٨١٦ ، ٨٢٠ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧
٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٩٧٧
ف
الفارابي (ابو نصر) ٧٣٨ ، ٨٩٣ ، ٩١٢
٩٩٥ ، ٩٩٩ ، ١٠١٤ ، ١٠٢١
فارس بن وردار (السلطان) ٣٢٣
الفارسي (ابو علي) ١٠٤٩ ، ١٠٥٧
١٠٨٧
الفاضل البيهساني ٤٥٣

فطر بن خليفة ٥٥٨ ، ٥٥٩
قلاوون (الملك الناصر بن محمد) ٥٠٥
القيرواني (بن ابي طالب) ٨٨٨
قيس بن عاصم ٢٤٢
قيصر ٤٢٠

ك

كافور الاختييدي ٥٢ ، ٣٣٠
كثير ١١٠٥
الكرمانى ٨٨٧
كسرى ٢٤١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ،
٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٦٢ ، ٥٨٠ ، ٥٨٨
٥٩٨ ، ٦٢٨ ، ٧٦٨
كسرى (رايته : زركنس كاويان) ٩٣٤
كسرى عبد المسيح ١٨٩
كعب الاحبار ٢١ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٨٧
كعب بن مالك ٣٧٨
الكندي (يعقوب بن اسحق) ١٥٠ ،
٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٩٨ ، ٦٠١
الكومي (عبد السلام) ٤٢٧
كيسان ٣٥١
كيكاوس ١٩

ل

اللعجاني (السلطان ابو يحيى زكريا)
٥٠٥ اللخمي ٨٠٧ ، ١٠٢١
لعمان الحكيم ٨٩١
لوف ١١١

م

المامون (الخليفة) ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ،
٢٨١ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٥٧
٣٩٢ ، ٣٥٩ ، ٥٤١ ، ٥٥٤ ، ٥٩٩

فاطمة الزهراء ٣٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٨ ،
٥٨٢
الفاطمي المنتظر ٢٨٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ،
٥٧٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٦٠٣ ، ٨٧٦
الفسى النيممي ٥٧٤
الفراهيدي (خليل بن احمد) ١٠٥٧

١٠٥٩

فرعون ٦٨٨ ، ٩٣٣
الفرزدق ١١١٥
الفرغاني ٨٧١
فضالة بن عبيد ٣٧٨
فضل بن عيسى ٥٦٣
الفضل بن يحيى البرمكي ٢٥ ، ٢٦ ،
١١٠ ، ٤٦٩ ، ٧٥٥

ق

القاسم بن ابي مره ٥٨٥
القاسم بن محمد بن ابي بكر ٣٦٤
قاسم بن مرة بن احمد ٥٨٦
فسادة ٥٦١
قدامة بن مظهر ٣٧٨
القدرى ٩١
القدوري ٣٦
القرافي (شهاب الدين) ٧٧٣ ، ٨١٧
القرشى (كتابه) ٨٩٩
القرطبي ٧٨٧
قرة بن اياس ٥٥٦ ، ٥٧٣
القزويني (جلال الدين) ١٠٦٧
قسطنطين (القصر) ٤١٣ ، ٦٣٢
القسطلي ١٠٩٠
القشيري (مسلم بن الحجاج) ٣٩٦
٧٩٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٧ ،
قصي بن كلاب ٦٢٤

- ٥٧٢ محمد بن مروان العجلي
 ٣٨١ محمد بن مسلمة
 ٥٥٦ محمد بن المنكدر
 ٣٥٠ محمد الباقر
 ٣٥٧ محمد التقي (الامام)
 ٣٥٦ محمد الحبيب
 ٣٥٧ محمد الحسن العسكري
 ٢٣ محمد السجاد
 ٣٢٣ محمد شاه (السلطان)
 ٣٥٦ محمد المكنوم
 ٢٧ ، ٢٣ محمد المهدي (الخليفة)
 ٣٥١ المختار بن أبي عبيد
 ٤٦٣ المدايني
 ١١٥٧ ، ١١٥٥ مدغليس
 ٣٦ المرتضى (الشريف)
 ١٤ مرزبان المغرب
 ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤١٢ مرقاص او مرقاس
 ٤٧٦ ، ٣٦٩ ، ٣٦٥ مروان بن الحكم
 ٩٧٨ ، ٤٨٤
 ٥٥٩ مروان بن المفيرة
 ٥٧٢ مرة
 ٣٠ المزني (الحافظ)
 ٤٠٦ المستظهر العباسي
 ٦٠١ المستعصم (الخليفة)
 ٢٧٥ المسنعين بن هود
 ١٠٦٢ ، ٤٧٨ المستنصر الحفصي
 ٥٧١ ، ٥٧٠ ، ٥٦٩ مسلم
 ١٨٣ مسلمة
 ١٧٨ مسيلمة
 ٢٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ١٣ ، ٤ السعودي
 ٩١ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٢٩
 ٣٦٢ ، ٣١٥ ، ٣١٠ ، ٣٠٥ ، ١٤٩
 ٦٣٥ ، ٥٠٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٣
 ١٢١٥ محمد بن مروان العجلي
 ٨٠١ ، ٧٩٩ ، ٧٩٦ ، ٧٩٢ ، ٧٦٢
 ٩٠١ ، ٨١٩ ، ٨٠٦ ، ٨٠٥ ، ٨٠٢
 ١٠٩٠ مالك بن المرحل
 ٩٦٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ مالك بن وهيب
 ٤٦٦ ، ٤١٨ ، ٣٨٨ الماوردي
 ١٠٧٠ المبرد
 ١١٢٣ ، ١١٠٧ ، ١١٠٤ المتنبي
 ٥٧٤ المثني بن الصباح
 ٥٧٠ مجاهد (احد مشاهير القراء)
 ٧٨٣
 ٤٥٠ مجاهد العامري
 المجريطي (مسلمة بن احمد شيخ
 الاندلس) ٩٢٠ ، ٩٠٠ ، ٨٩٣ ،
 ٩٢٤ ، ٩٣٠ ، ٩٤١ ، ٩٧٧ ، ٩٨٩
 ١٠١٩ ، ١٠١١ ، ٩٩١
 ٩١٨ المجوسي
 ٤٣٢ محرمه بن نوفل
 ١١٥٥ محلف الاسود
 محمد (ابن عبدالله) انظر : النبي محمد
 ١٠٦٢ محمد بن ابي حسين
 ١١٤٢ محمد بن ابي الفضل
 محمد بن ادريس الشافعي ، انظر :
 الشافعي
 ٣٥ محمد بن اسماعيل (الامام)
 ٤٧٢ محمد بن تومرت المهدي
 محمد بن الحنفية ، انظر : ابن
 الحنفية (محمد)
 ٥٧٤ محمد بن خالد الجندي
 ٥٥٧ محمد بن سعد
 ٨٨٧ محمد بن سيرين
 ٧٧٢ محمد بن عبد السلام
 ١١٥٧ محمد بن عبد العظيم
 ٥٦٦ محمد بن الفضيل
 ٣٥٤ محمد بن القاسم

- المتنالي (ابو علي ناصر الدين) ٧٧٣
 المسدالي (عمران) ٧٧٣
 مصعب بن الزبير ٤٦٣
 المضاض بن جرهيم ٦٢٤
 مطر الوراق ٥٦٤
 مطرف بن طريف ٥٥٩ ، ٥٦٠
 المظفر بن هود ٢٧٥
 معاوية بن ابي سفيان ٢١ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤٢١
 ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦
 ٥١٥ ، ٥٨٠
 معاوية بن حديج ٣٧٩ ، ٤٤٩
 معبد ٧٦٥
 المعتز بن المتوكل ٢٩
 المعنصم ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٠٩ ، ٣٥٥
 ٣٩٢
 المعنصم بن صمادح ١١٣٨
 المعنضد (ال خليفة العباسي) ٢٧٤
 المعري (ابو العلاء) ١١٠٤ ، ١١٠٧
 المعز لدين الله ٥٣٦
 معز الدولة ٢٨٩
 المغيرة بن شعبة ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٤٠١
 المغربي ١٠١١
 المعلم الاول ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٩١٠ ، ٩٢١
 ٩٩٥ - انظر ايضا : ارسطو
 المقتدر العباسي ٦٠٧
 المقداد ٣٦٣
 مقدم بن معافر القبريري ١١٣٨
 المقرئ (ابو الحسن) ١١٥٤
 المكتوم (الامام) ٣٦
 مكفولة ابو اسحق ابن السلطان ابي
 بجي ١١٣٢
 الملبي (القاضي ابو الحسن) ٧٠٩
 منصور بن ابي عامر ٣٣٠ ، ٤٢٦ ،
 ٧٨٣
 المنذر ٥٧٠
 منذر بن ربيعة ٣٩٣
 المنصور العباسي (ابو جعفر الخليفة)
 ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ،
 ٤٠٣ ، ٤٥٦ ، ٥٧٠ ، ٦٢٧ ، ٨٩٢
 ٩٠٢
 منصور بن عكرمة ١٠٧٦
 منصور صاحب بجاية ٤٦٤
 المهدي المنتظر ٤٢ ، ٢٧٩ ، ٣٥٧
 ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٦٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤
 ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢
 ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ، ٥٨٢ ، ٦٠١
 المهدي العباسي ٣٧٣ ، ٤٠٣ ، ٦٣٧
 المهدي (عبيد الله) ٣٣ ، ٣٥٦ ، ٤٠٢
 ٥٩٥
 المهدي (محمد بن الحسن العسكري
 الملقب . . .) ٣٥٢
 مهدي الموحدين ٢٣٤
 المهدي (محمد بن تومرت) ٤٧٢
 المهلب بن ابي صفرة ٣٢٥
 الموبدان ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٨٩ ، ٥٠٨
 ٥٨٨
 المؤيد العامري ٣٣٢
 موسى بن عمران ١٥ ، ١٧ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٨ ، ٣٥٦ ، ٤٠٩ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠
 ٩٢٤ ، ٩٢٧ ، ٩٣٣
 موسى بن صالح (من كهان البربر)
 ٥٨٨
 موسى بن نصير ٦٠ ، ٣٢٦
 موسى الكاظم ٣٥٦ ، ٣٥٧
 ملاك ، ملائكة ١٦١

ميسرة المظفري ٦٥٩

ميلاوش ٧٣٢

ن

النافقة الديباني ١١١٥

الناصر الاطروش ٣٥٥

الناصر محمد بن الامير عبدالله ٤٠٣

ناصر الدين (الشيخ) ٨٠٩

الناصر لدين الله (محمد الاموي)

٤٠٣

النبي العربي ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،

١٦٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣٤٥ ،

٣٤٩ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،

٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ،

٤٠٨ ، ٤٥٨ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٧٧ ،

٥٣٧ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ،

٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،

٥٩١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٨ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ،

٦٣٥ ، ٦٧٥ ، ٧٣٧ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ،

٧٨٢ ، ٧٨٥ ، ٧٩٨ ، ٨٠١ ،

٨٠٢ ، ٨١٢ ، ٨٢٨ ، ٨٣٤ ، ٨٨٢ ،

٨٨٣ ، ٩١٩ ، ١١٢٢

النجم الاسرائيلي ٨٧٥

نحشون بن عمينوذب ١٥

النخعي ٦٢٨

النسائي (ابو حاتم) ٥٥٨ ، ٥٦٢ ،

٥٦٩

النسائي (ابو عبد الرحمن) ٧٩٣

السبيعي (ابو اسحق) ٥٥٩ ، ٨٢١ ،

نشيظ الفارسي ٧٦٥

نصر بن سيار ٣٢٦

نصيب ١١١٥

نظام الملك ٥٩٧

النعمان ٢٤٢

النعمان بن بشير ٣٧٨ ، ٣٧٩

النفس الزكية ، (يحيى بن عبد الله)

٢٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

نوح ٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٣٠١

النوشري (عيسى) ٣٣

النوي (محي الدين) ٧٩٢ ، ٧٩٥ ،

٨٠٥

نيرون ٤١٣

ه

هاجر ٦٢٣

الهادي (الخليفة) ٣٨ ، ٤٠٣ ،

هاروت وماروت ٨٩٠

هارون ٣٥٦ ، ٤٠٩ ، ٦٣٠ ،

هامان (قصة) ٤١٢

هرقل ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٧٨ ، ٤١٤ ،

٦٧٠ ، ٨٢٨

هرمز ٥٩٨

هرمس ٦٦ ، ٧٣٤ ، ٩٤٣

هرون بن المغيرة ٥٥٩

هرون بن سعيد العجلي ٩٤

الهروي ٨٧٥

هشام ٣٣٢

هشام بن عبد الملك ٦٥٩

هشام المؤيد ١٠٦١

هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر

الاموي ٣٣٢

الهوسني ٦٠٤

الهوريني (نصر) ٢

هلاكو (هولكو) ٦٠١

هلال بن عمر ٥٥٩ ، ٥٦٠

هيرودوس ٤١٠ ، ٤١١

هيلانة (الملكة) ٦٣٢

و

- الوائق ١٣٧ ، ٢٧٣
 واصل بن عطاء ٣٥٠
 الواقدي (محمد بن عمر) ٣ ، ٢٧٨ ،
 ٧٨٦
 وصيف ٣٢٦
 وكيع بن الجراح ٥٦٧
 الوليد بن عبد الملك ٣١٤ ، ٦٢٧ ،
 ٦٣٣ ، ٧٢٩
 الوليد بن عقبة ٣٨١
 وهب بن المنبه ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٨٧

ي

- ياسر ١٧
 ياسر بن اخطب ٥٩١
 يافث ١٤٦
 يشرب بن مهلائل ٦٣٤
 يحيى بن اكنم ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦٢
 يحيى بن بقي ، انظر : ابن بقي (يحيى)
 يحيى بن خالد البرمكي ٢٤ ، ٣١٤
 ٤٦٩ ، ٦١٦
 يحيى بن عبدالله ٢٥
 يحيى بن معين ٥٦٦ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤
 يحيى القطان ٥٥٨

- يزيد بن زياد ٥٦٥
 يزيد بن زريع ٥٦٢
 يزيد بن عبد الملك ٤٦٣
 يزيد بن معاوية ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥
 ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٦٢٥
 يزجرد ٢٨٦ ، ٩٤٣
 يستأسف ١٧ ، ١٩
 اليشكري (ابو اللؤلؤ شيبان بن عبد
 العزيز) ٤٨٤
 اليشكري (رجاء بن ابي رجاء) ٥٧٣
 يعلى بن منبه ٣٦٣
 يعقوب بن ابي اسحق ١٥ ، ٢٤١
 يعقوب بن ابي شيبة ٥٧٠
 يعقوب بن سفيان ٥٥٨
 يعقوب بن عبد الحق ٤٧٨
 يغمراسن بن زيان ٢٣٣ ، ٤٧٨
 يهوذا بن يعقوب ١٥ ، ٢٣٦
 يوحنا بن زبدي ٤١١ ، ٤١٣
 يوسف الصديق ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٨٨٢
 يوسف بن تاشفين ٤٠٥
 يوسف بن الحجاج ٩٠٢
 يوسف بن يعقوب (السلطان) ٥٨٤ ،
 ٥٨٥
 يوسف بن عبد المؤمن ٤٥٢
 يوشع ٢٣٦ ، ٤٠٩

٣- فہرستُ لغۃ ابنِ خلدون

للمجلد الاول : المقدمة

- ١
- اجتماع الانساني : الاجتماع البشري
والعمراني ٥٧ ، ٦٢
- اجرى الامور على مسنقر العادة ٢٨١
- اجلى للعمى ٣٩١
- اجلى الجبهة : واسعها ٥٦١
- الاحاديث الملفقة ٣٣
- احالته الايام من الاحوال ٤
- احازوا مراتب الدولة عن سواهم ٢٤
- احتجائهم اموال الجباية ٢٤
- احتذى منه بالمتال ٤
- احتف به : حف ٩٧ ، ١٣٠
- احتف بهذا العهد ٣٩٦
- احتفر الارض ٩١
- احسن ديباجه ١١١٥
- احسن الناس صنعة ١٠١٢
- الاحدية ٨٧١
- احضر : فلم يكن على وجه الارض
لهذا العهد ... من اهل الشام
ومصر ٦٥٨
- احقدوا الخاصة ٢٥
- احل حراما ٣٩٠
- اخبار ٢
- اختلط المرعي بالهمل واللباد ،
بالقشر والصادق بالكاذب ٤٦
- اخذهم به عوائد السوء ٢١٥
- الاخروية : المصالح ... والدينيوية
- آتوه طاعنهم ٣٨
- آكد ١٠٦٣
- اتسوا ب : تمثلوا ب ٣٢
- ابانات : صرفوا اعطيات العساكر فى
اباناتها ٤٣٠
- اباية الناس ٦٩٨
- ابتدعوا الدسائس ٣
- الابندال والننزل ٣٧١
- ابتزوا الروم ملكهم ٨٩٢
- ابدى : اشد بداوة ، وهو افعل
التفضيل من فعل بدا اي خرج الى
البادية ٢٧٩
- ابذر السكان : تفرقوا ٢٦٤ ، ٧٧٨
- الابريز الخالص ٣٧
- ابصر بالمكر والخديعة ٦٦٣
- الابلمة : قاسموا بني العباس شق
٣٤
- ابلى : تبلىنا الايام والوقوت ١
- اتعدده ٣٨٣
- انارة الارض : فلحها : ٧٢٣
- انافي القدر ٢٦٣
- الابسات ٤
- الانخان : عظم ... فيهم ٢٩٠
- انر بعد عين ٧٧٤
- الانثينية ٨٧٧

- ٣٣٨
 أخسر بها صفقة ١٩١
 الاخطار : ركبوا اعناق ٣٥
 اخلوا بالمذاهب المعروفة والعوائد
 أخلق : اضاع : اخلقتهم مذاهب
 الترف ٢٤٤
 ادار الارزاق بينهم : وزعها ٣١٢
 اداهم الى : اقتادهم ١٤٦
 ادثر : يدثر البيت ٢٤١
 ادراك صرفه ١٦٧
 ادال : يدلون منهم سواء ٢٤٠
 الادراك الغيبي ١٩٨
 س القومي ٨٦٠
 ادرجته الكتاب والثوب : طويته ١٨٩
 ادلى به يدل بالشيء : وثق به واعتز
 ٣٨٩ ، ٢٢١
 آدم ، آدم ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥
 ٦٤٦ ، ٢٢٧
 ادهان : غش ٣٨
 ادون منه حالا ٢٣٨
 ادى ذلك كماله علمه ٣٨١
 اديانهم : عاداتهم : عاد البربر الى ٣٦٠
 اديم : جلد ٢٤٣
 اذكاء العيون في طلبهم ٣٣
 اذكوا عليه العيون ٣٨
 اذهب عنه الرجس ٤١
 اذهبوا من الفوائد ٥
 — اذهب المنفعة عنهم ٢٢٠
 — خطة الحجابة ٤٢٨
 ارتاف : لهم وطن يرتافون منه
 يعيشون منه ٢٥٤ وراف البدوي
 ريف ، اذا اتى الريف
 ارتاض بخلقه ٣٨٠
 ارتكس ١٠٤٣
- ارثه من بعده ٢٩٦
 ارجاف : كثر الارجاف ١٠٠٧
 الارذلون من سفهاء القبائل ٢٨٤
 ارفف مبنى ١١١٥
 ارقاع الخلقان ٢٧
 اركبهم صعبا ١٠٢٩
 ارهف النعيم او البداوة من حدهم
 ٢٤٣ ، ٢٥٦
 ازدرع الارض ٧٢٣
 ازرى بنا الغلط ٥٨٥
 ازر ٦٢١
 الازهر : من فيه بياض من الناس
 ١٠٦٢
 الازودة والعلوفة ١٨ ، ٢٠
 أسى البرج ٢٠٥
 الاس الاكبر ٢٠٥
 اسام في مراتع الكلب لسانه ١٦
 استبحر المصر ٦٤٦
 استبشع ١٩٠ ، ٨٧٧
 استبلاغا في منازع الملك ٤٠٧
 استبغاء الصحب ١١٠٠
 استبصروا في امرهم ٢٧٨
 الاستتباع ٢٤٠
 استجد مصر شبابه ٦٥٤
 استحضر رسول الله ٣٦١
 استحلاء الفراغ ٧٦٥
 استحكام الصنائع ٤٣٦
 — صبغة الاستبداد ٢٧٥
 استخراج الاموال ٤٣٤
 استحكمت فيهم عوائد التوحش ٣٦٣
 — الغيب ١٩٥ ، ١٩٩
 استخفوا هذا القول ٨٧٧
 استخلص الاموال : صادرها ٤٢٧
 استخلاف ٢٦٠ ، ٣٣٩ ، ٨٣٩

- اسر : اسرها في نفسه ٢٦
اسرب يسرب : سكة يسربونها في
الناس ١٠١٢
اسرع اليها العفن ٦١٨
اسغب : عيش ٣٦١
اسف منهم من اسف الى ... دنا
٤٤٧
الاسلوب : الموال تنسج فيه التراكيب
١٠٩٩
الاسمائي : الكمال ٩٤٠
اسن ١١٤٢
اشتهرت اسرار السلطان ٤٢٢
اشتمل عليه ٣٨
اشيح : امتد ورسخ : اقنلاع العروق
قبل ان تشيع منهم ٣٩
اشنفت غريزة الترف من مائهم ٢٥٦
اشتقل : لا يشتقل بما ٣١
اشر من ١٠٦٣
اشرف على الغاية من الملك ٣٧٤
اشم الانف : مرتفع الانف ٥٦١
الاشهب : من فيه بياض من الخيل
١٠٦٢
اصبر على الحرب ٣٠٠
اصح مبنى ٢٥١
اصطفاء ١٩٤
- البله ١٩٤
الاصطباغ ٣٢٦
اصطلم الامر ٣٧٤
اصفاق : الموافقة : اتوه طاعتهم عن
رضى واصفاق ٣٨
اصفى رونقا ١١١٥
اصطفاء ١٩٤
اصل ٨١٥
الاصم : العدد الذي لا يكون مصرحا
- اسندام على ذلك : داوم ١٥٦
استراب في تصديقها ١٠١٣
استرقوا العبدان والموالي ٥٣٧
استظهروا على امرهم ب ٢٧٤
استجمعت صحفهم : اصبحت مبهمة
٥
اسعدى الناس الحكام ٢٨٢
اسعصاء ٢٢٥
اسنعظام الدولة ٤٢٧
استغضب ٢٢
استغلف امر الحاجب ٤٣٤
استغلفت على متصفحتها ٧٥٧
استغلقوا مناه ٧٩٤
الاستقبالية : الكائنات ٩٤٢
استقرىء فيهم من الحكم والانقياد
والاتباع لرئيس ٧٢
استفحال الدولة ٣٨٠
استفرغ وسعه في ٣١١
استكبر القدماء علم التاريخ ٤٦
استكفوا بهم ٤٣٤
استمكن فيها الحضارة ٤٢٧
استنامة صاحب السلطان اليه ٤٣٨
استنكف الخليفة من ذلك ٢٧ ، ٣٨٠
استهوا الربح على الكفر ٤٥٤
استهلكه : ناوله سما استهلكه به ٣٨
استوصلوا بالاتباع من الموالي والشيعة
والاحلاف ٦٧٣
استثلاف العصاب ٤٢٢
استيحاشا من التخاذل ٢٢٥
استيقن امرا ٣٥
- انه بمعزل عن ذلك ٤٢
اسجل القضاة بنفيهم ٣٦
اسداء في الطول والحاما في العرض
٧٣٣

- ٨٩٧ به
- اصهر الى موالى الاعاجم ٢٣
- اضطفونوا عليه ٣١٢ ، ٣٢٥
- اضغاث الاحلام ٨٤٣
- اضمحل نسبة الاقدم ٢٣٨
- اطرق براسه ٣٦٧
- اطمان وتطامن البنيان : انخفض ٣٨
- الاطار ، جمع ظئر : المرضع
- اظثار ١٠٨٠
- اعتراض الجند اي عرضه ٣١٢
- اعتماد العالم : ما اراده الله من ٧١
- الاعتماد : التعيش ١٤٦ ، ٢٦٠
- الاعتماد من تحصيل المعاش ٦٧
- اعتمادهم في ضروريات العيش
- ٦٤٣
- اعتور : تعتورنا الاجيال ١
- اعتياص عن الفهم ١٠٠٧
- اعتيام الاخطار ١٠١٣
- اعثرنا : هداانا ٦٦
- اعتر عليه البحث ٦٢
- اعجز الله ان يؤخر ٥٩٠
- اعدل تثقيفا ١١١٥
- اعرس اعراسا بالمرأة ، دخل بها ٣٠٥
- اعرق في البداوة ٢٤٣ ، في الوهم ٢٠
- اعصوب عليه ٣٦٤ ، ٦٧٣
- اعطاء الصفقة ٣٢٩
- اعطفهم عواطف الرحم ٢٥
- اعلم بغيبه واحلم ١٤٧
- اعناق الاخطار : ركبوا ٣٥
- اعون له ٧٣١
- اقبط السمن : اكثر من استعماله ١٥١
- اغصوا اهل الولاية ٢٥
- الاغفال ٢
- اغلب له ٢٤٤
- الاعمار ٤٠٧ ، ٥٨٣
- الاعمض ٨٧١
- افاضوا العطاء في رجالهم ٢٤
- افاء على الامة ظلاله ١٠
- الافاعيل .. تفعل ... المطلوبة ١٠١٦
- الافاويه ٩٧
- افات عليه : خرج ، خالف ٣٨٨ ، ٤٤٨
- افحشوا في القنل والتحريق ٤١٠ ،
- ١٠٦٣
- افتراقة : يفترق ... نانية ١٠٥
- افراط الاختصار : جاؤوا ب ٥
- الافن والتعسف : تنزه عن ٣٧
- افن عقول من خلف ٤٠
- اقامة الحق : يأخذون انفسهم ب
- ٢٨٣
- الحدود ٣٤٢
- اقبل على الدنيا ٢١٥
- اقتدر على نفسه ٦٧٩
- وما اقتدر فيه الفرس ٣١٣
- اقدر على معاناة الشدائد ٣٠٠
- الافراع ٦٦٣
- افزع في اقوال الفحشاء ٢١٥
- اقعد : اكفا ٣٧
- الاقتفاء : التقليد ٢٤٠
- اقصروا عن ذلك ٢٤٨
- الاقينس ١٠٧٨
- اقنى الانف ٥٦١
- اكتريا ضرورة ٧١٩
- الاكرة ١٠٧٩
- الاكسير ٩٧٦
- اكل الدهر عليه وشرب ٢٥٦
- الاكمه ٤١١
- البسهم الله الذل ٣٦٧
- التقم ثدي الشاة ١٥٦

- الح القيط التمديد ١٤٤
الف : صار لهم ٢٢٧
المقيت عليهم سماءهم ٢٦
الغز عليهم ٦٠٨
الاماع الى ٨
الامام : القانون ٩١٤
الامتراء ٦٨١ ، ١١٠٨ : يجف الضرع
اذا ترك امتراؤه
امتن عليه ٨٤٧
امكن سواهم منهم ٣٦٦
املح الماء : صار ملحا بعد ان كان
عذبا ٢١٣
الاملاق : يتابعون في .. والخصاصة
٦٦٣
الاملح من الغنم : ما فيه بياض ١٠٦٢
الاملاك : النكاح والتزويج ٣٠٥
- شهد املاكه : حفل زواجه
- املكه امرأة : زوجه اياها ٣٠٥
امهاء الصلب ٩٧٦ ، ١٠١٥
الاناسي : الناس ١٤٣
الانبساط ٦٨١ - انبسط الجاه
عندهم ٢٤
انبت : اغطى ١٣١
انتبد ١٠٣٤
انتبه ذات ايلة : افاق ٣٠
انتحال المذهب ٨٠١
انتحل : احترف ٢١٠
انتقش الاسلوب فيها ١١٠٦
الانشاء ١١٠٦
انجلب منه : خرج ١٣١
انسحب عليهم حكم الامارة : سار
عليهم ٦٨٤
الانسلخ : الانخطاف ١٧٠ ، ١٧٥
- استعداد للانسلخ ٨٤٦
انخناس ، انخنس : تأخر وانقبض
وتخلف ١٨١ ، ١٨٢ ، ٨٨٣
انتهاج : العرب اهل ٠٠٠ وعيث ٢٦٢
٢٦٣
اننصف من الناس ٧٠٥
انطمس فكره ١٠٣٢
انتهاج الزرع والنعم ١٩
انحسر الماء : انكشف ٧٤
اندرجت في محفوظاتهم ٤٥
الانتهاض : القيام بالامر ٢٤٣
انزال الناس منازلهم ٢٥٣
انفساح الاعمال ٧٤٥
انفسحت احواله في الرف والعوائد
٦٥٥
انفكك : انفصال ٦٧٠
انفلت من صلاة الغداة ٨٨٣
انقطعت منهم اجيال: مضت وانقضت
٢٦٨
انشرح في النفس ٨٨٧
انمحي رسم الخلافة ٢٦٨
انقلب انقلابا اخرى ٤٧
اهتضام الدولة ٣٢٥
انكى عليهم من وقع السهام ٣٩
اهل الاثر ٥٨٩
- الاصطناع ٢٣٧
- الحدتان ٢٠٤ ، ٢٥٣
- جلده ٨٠١
- الاجتماع ٨٠٢
- البطالة ٣٦٥
- الحبل والعقد ٣٧٣
- الدوق ، هم الذين يتباح لهم ان
يدوقوا حلاوة المعرفة ١٩٣
- الراي ٨٠١
- الرسوخ ٢٠٣

- أهل الرياضة السحرية ١٩١
 - الرياضات ١٨٣
 - الريب ٤٤٥
 - السروات ٦٧٤
 - السفه ٣٩٢
 - الشوكة ٧٠١
 - العافية والصون : انطلقت ايدي
 الزمرة على ... ٢٨٢
 - غيبة عن الحس ٨٨١
 - الكتاب ٤٢١
 - الكشف ١٨٦
 - الغلب ٣٧٣
 اهواء اتفاقية ١٩٦
 اوب ٦٣٥
 اوثق برهانا ٢٥١
 الاوج ٩٠٧
 اوراق مخرقة ٧٠٢
 اورد عليهم الخبر ٨٧
 اوزع النكر : والله يوزعنا شكر
 نعمته ١١
 اوسع القول فيه ٨١٦
 - اوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا
 ٨٠١
 اوشاب ٦٧٣
 اوشج : كانت عروقتها اوشج ٣٢٥
 اوضاع تحكيمية ١٩٦
 اوعار الجبال ٢٦٢
 اوعب : اوعبها للخطوط ٤٢٨
 - بيانا ٦٦
 - لها واكمل ٧١٣
 الاوغاد ٦٧٣
 اوغل في القفاء ٢١٣
 - في البدعة ٨٥٦
 الاولى : الاستحسان : طريق ...
- ٣٨٨
 ايثار : خصهم بمزيد التكرمة و ...
 ٣٢٥
 الايجاب الذاتي ١٦٤
 الايامى ٣٩٢
 ايمان البيعة ٣٧٠
 الايهامات والتخييلات ٢٠٧
- ب
 باء بانمه ٤١
 باشره : استنكف ان يباشره ٨٢٦
 باكر الاسواق ١٤٩
 بخش : ابخاش ٧٥٨
 بدن : كثر لحمه ، اصبح جسيما ٤٦١
 بدرة ، جمع بدر : الدنانير ٣٠٦
 بدلت الارض فيه غير الارض ٢٦٥
 البربره ١٧
 البربط (من الات الوتر) ٧٥٩
 برج عن الباب ٤٤٦
 البردة : التخمة : اصل كل داء البردة
 ٧٣٩
 البرزخ : ١٧٠ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨
 البرنامج ٨٠٨
 برش الجلود ١٤٤
 بساط الحال : مقتضى الحال ١٠٧٣
 البسطة : يتنعمون في ما آتاهم الله
 من ... ٢٤٧
 بصير ، بصراء : خبير ، فنان ٤٤٨
 بضاض ١٤٥
 بصره بوقائع الكلام ١٠٤٤
 البطالة : الهزل : اهل ... ٣٦٥
 بطانا : تروح ... ممثلة شعبا وريا
 ٦٤٥
 بطن .. استتر ١٩٣

- البعج ٩٢٨
 البعاجون : صنف من السحرة في المغرب ٩٣٠
 البعداء : البعيدون ٣٩٤
 بعيد من التحقيق ١٨٠
 البكر : اوتات ... ١١٠٦
 بك الناس بعضهم بعضا اي تدافعوا ٦٢٨
 بلغ مبالغه من الاحكام والاتقان ٧٤٥
 بلغة من المعاش ٢١١ ، ١٠٢١
 الملقم ٧٤٠
 بلى الدولة ٧٢١
 بليد الطبع والعقل ٤
 البهت : الكذب ١٤٢
 البلادة ١٥٢
 بهلول ، بهاليل : السيد الجامع لكل خبر ١٩٣
 بهتانا و فرية عليه ٣٠ - ٣١
 بون ما بين العلم والظن واليقين ٤٢
 بيانا : قتله ... ٥٨٤
 بيتوه : اوقعوا به ليلا ٣٨٢
 البيضة : حوزة كل شيء : حماية .. ٣٩١
 البيعة : العهد على الطاعة ٣٧٠
- ت
 التأثير النجومية ١٩٥
 تأتي : حصل ٧٥٩
 تأئل ٦٤٤
 - امره وترسخ ٢٩٣
 تأئل كسبا ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥
 تأثيم : التأثيم مدفوع عن الكل ٣٧٨
 - دفع ... عن كل من الفريقين ٣٧٩
 تأدى اليهم : بلغهم ٣٩ ، ١٠٥٩
- تأدى من ذلك : نتج ١٩٥
 تأتي ١٠٦٠
 تأذن : ... الله بانقراض الحكم ٢٥٢
 ٢٥٤ ، ٢٥٧
 - الله بامره ٢٩٦ ، تأذن الله بحريهم ٣٦٦ - تأذن الله بانقراض الامر ٢٨٦
 - تأذنت بالخراب ٦٦٤ ، ٦٦٥
 التانس والتوحش ٥٧
 تبجيج السلطان والدولة : تمكن في المقام والحلول ٨٩٢
 تتأدى : تؤول ٦٥٣
 التثاؤب ١٩٨
 التثريب والتعبير ٤٣
 تجاسر عليها من يجاورها من الدول ٢٩٨
 تجافى عن الهجوع ٢١٩
 تجافى عن ذلك ٤٠٣
 - عن اموال الناس ٦٦٧
 تجرحا من افتراق الكلمة ٤١٥
 التجسيم ٤٠٦ ، ٨٣١
 تجلة ٢٣٤
 - اصحاب ... ٥٨
 التجنيس بين الالفاظ ١٠٦٦
 تجوزت به العرب من المجاز ١٠٦٢
 تحامى الاحتراف بهذه الحرفة ٧٠٦
 - عصبية يتحاماه السلطان ٦٥٦
 التحذلق ٦٦٥ ، ٧١١
 تحت قلبه ٩٢٨
 التحدي ١٦٣
 تحرز من ٨٢٣
 تحسس : قام يتحسس الاناء ٣٠
 تحصلوا في ملكة العرب ٢٦١
 تحكمية : اوضاع ... ١٩٦

- تحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ١٣
 تحيزوا الى مراكزهم ٢٨٦
 تحيف الطامعون الامم وذهب باهل
 الجيل ٥٣
 تحيفه البدو ٤٥٢
 تحيل في اهلاكه بالسموم ٣٩
 تحين : يتحينون ذلك على غير نسبة
 ٥٨٣
 التخابث والكيد : يوصفون با ...
 ١٠٤٣
 التختيم ٦٧٣
 التخرفة ٦٩٠
 تخطيط : تخطيط ٧٦٠
 تخلف ١٠٠٤
 التخليص ٣٩٩
 تخير لها من سائر الطبقات ٤٢٣
 التدريج ١٦٧
 التدمير : الحضر على القتال ٢٧١
 تدامت القلوب الى اهواء الباطل
 ٢٧٧
 تريض به الدوائر ٣٢٥
 ترتكب الاعوص والابعد: ترتكب ١٠١٨
 الترغيب والترهيب ٢٢٢
 الترف مفسدة للخلق ٢٩٩
 ترهيب : الترهب والترغيب ٢٢٢
 التروك ٨٦٥
 التساكن ٦٧
 تساوق بذلك فعل الدافعة ٧٣٥
 تسخت ارواحهم : سخت ١٤٨
 تسنحوا اليهم الهضاب ٢٦٢
 - معالي الامور ٣٦٧
 تشاحوا ٧٢٨
 - الحدود ٧٣٠
 تشريفية : القاب ... ٤٠٤
 تشغيب ١٠٣٤
 التشكل : قادرة على .. اي الظهور
 في اشكال ٥٩
 تشوق الى الشيء : تطلع اليه ٦٣٦
 - تشوق الى ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٥٨٧
 - نفوس اهل الجيل ٧٧٠
 تصارفوا بالدنانير ٤٦٣
 التصريف : صرفه في الامر ، فوضه
 اليه ١٦٤
 - تصريفهم احوالها طوع اغراضهم ٣٩
 تصفح احوالهم ٣٩٧
 تصيرت اللغات من جيل الى جيل
 ١٠٧٢
 تطرف بها الاندية ٢
 تطرف الكذب للخبر ٥٧
 التطفل على الفنون عريض، وطويل ٣
 التطفيف المجحف ٤١٦ ، ٧٠٤
 تطيرا به ٦٦٥
 تعارض بين المقطوع والمظنون ٤٠
 تعاوده بما يصلحه ٩١٩
 تعاور فيها استبداد الوزارة مرة
 والسلطات اخرى ٤٢٣
 تعاورتهم ايد مختلفة ٢٦٢
 تعبدهم القهر ٥١
 التعرب او سكنى البادية ٢١٦
 تعرض : يتعرضون للوحي ٦٣٠
 التعزير والتأديب : اقام ... في
 حق الحاكم لم ينته عن الجريمة
 ٣٩٣
 تعطل رسم الخلافة ٤٢٣
 تفاوا بذلك ٣١٤
 تغبير ٧٦٤
 تفرغره باللقوق ٧٣٦
 التغمذ : الستر ٨

- التغريب ٦٦٩
تفاريق من الناس : تجدها في ٨٩٣
تفاحش العنش ٤٦٣
تفاضلوا ٦٦٤
تفصد جبينه بالعرق ١٦٠
تفتيحا أو تنبيتا ٧٣٣
تفطن له ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٧٥ ، ٧١٨
تفردهم عن المجتمع : ذهابهم فرادى ٢١٩
— وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب ٣٣٠
تففق : تنعم ، تأنق ٢٤٣
— ما تفنقوه من النعيم ٣٠٢
تقتدر : تستطيع ٩٢٣
التقشف والحصر ٤٤
تقصير المقلد عن المجتهد ٢٤٠
التقلب : الانتقال ٢٦٣
التقلل من الدنيا ٤٤
تقول ٧٩٦
تكاد عنه ٣١٤
تكاسل عنه ١٠٣١
التكاليف ٨١٢
تكفل الله لنبيه بالعصمة ٢١٧
التكليف : العقل ١٩٤
تكتنفنا الأرحام ١
التكلان : التوكل ٥٤
تكليم الملائكة ١٦٤
تلبيسا على العامة : تمويها ٢٨٤
التلبيس ٤٢
تلجلج في الصدر ٣٩٠
تلزج بها ٩٨١
تلاحي ٥٧٣
تلاذ : بطارفها وتلاذها ٥
تلمح : يتلمح من التجميل ٣٩٥
- تلوثت انفسهم من مدمومات الخلق
والشر ٢١٥
التمائم والتميم ، مفرد تيممة : خريزة
رقطاع تنظم في السير وتعقد في
العنق ٩
تمايزوا ٦٦٤
التمريض في طاعتهم : التوهين
والاضعاف ٢٨٠
تممت الموالود : علقت عليه التمام ٩
تمحل للشيء : « احتال بطلبه » ٢٢
التمطط ١٩٨
تمهى ١٠١٠
تموه به الحكاية ٢٦
التنازل : التساكن ٦٧
التناحر ٢٣٥ ، ٣٢٦
التناظر ١٩٥
تناغوا في استجادة الآلات ١٤٢ ،
٦٣٧
تنافروا اليهم ١٨٩
تنافس اهل الاقطار وتناغوا فيه ٧٥٠
تناكروا وما تعارفوا ٧٢٥
التنبيت ١٠٨٢
تنجب اليه انهار عظيمة ٨٢
التنجيم ٧٩٥
تنجيه البيوت ٢١١
تنزلت منزلة القول الصحيح ١٦٣
تنزل : الولاية والمخالطة .. منزلة
ذلك ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
التنزل والابتزال ٣٧١
تنزلوا منزلة النساء والولدان ٢١٨
— خلق .. منزلة الطبيعة ٢١٨
التنزيه المطلق ٨٣١
التمسيح عليه ٨٢٦
تهافت الفراش ٢٨٤

الثالث والروابع : مطالب لذنوب
الاباء للبنين على ٢٤١

ج

جاز المكان او اجازة : قطعه ٤٤٧
جاز عن قصد السبيل ٣٧
جاس البلاد بالافساد والتخريب ٤٤٩
الجاسية : البشرات ٧٠
جانب : جانبهم مرهوب ٣٠١
جاوز عدد الانامل حركات العوامل ٣
- قدر حقه ٤٤٣
الجباب ، مفرد جب ٧٢٨
جبايات : موفورة ٦٥٣
الجبروت ١
جبلة ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٩٩ ، ٨١٤ ،
٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ١٠٨٥
- تمكنت منهم خلقا و ٢٢٧
- الدية : الديات ٢٢٩
جبلي : فطري ١٨٠ ، ٩٣٥
الجتز ٤٦٠
جده البخوت ٢
جدع : تجدد انوف العصبيات ٢٥٦
٢٩٤
الجدل : معرفة آداب المناظرة ٨٢٠
جلد ١٩٣
الجلد : الاصل ، مقطوع ... ٤٨
جرب : تاريخ ٨
الجرح : البراءة من ... ٣٩٧
جرحه : ما تجرح به شهادة خصمك
وحجته ٣٨١
جريء ، اجرياء : تجدهم اجرياء في
الكذب والمقامرة والغش ٦٦٣
جربة ٤٤٩
الجزائر الخالدات ٩١

التنميق : يبالغ في ٧٤٥

تهيجهم ، هجة ٢١٨

التنظير ١٠٤٩

تؤدي البنا شأن الخليفة : تقصص

علينا ٢

تواضعوا عليه ٧٥٤

يتوجسون : يستسمعون ٢١٩

التواضع والاصطلاح ٥٩٢

تواطت شهرته مع شهرة ٦٠٣

توافر اهل الدين : اجتمعوا جماعة

وافره ٢٨٢

تواقوا ٨٠٣

توثق من البراهين ١٠٩٩

توسلوا بذلك الى الطعن في نسبهم ٣٦

تؤنف من اصنافه ٦٦٢

توفي كنه ما اريده منه ٥٤

تؤنس منهم المهانة والخضوع ٣٠٢

توفي : وله قدرة .. بذلك كله ٧٠

تيسر عليه : سهل ، يسر ٢٠٩

ث

ثاقفه : لآعبه بالسلاح ٧٦٦

ثبج الشيء ، اعلاه ووسطه : كان

الرشيد وآباؤه على ٢٨

ثبج من العلوم العقلية والنقلية ٨٩٤

ثرة : عيون ٦١٩

الثغر : الموضع الذي يخاف منه

هجوم العدو ٢٨٢

ثقاف الاسنة العربية ٤٤٠

ثقافة : كانوا مهرة في .. الامر ٤٤٨

ثقوب الذهب ٣٣٤

ثل عرشهم ٢٦

ثنايا : جبل قليل الثنايا والمسالك

١٠١

- جزاره ٧١٤ ، ٧١٥
 الجسمية ٨٥٦
 الجفر ٥٩٤
 الجفوة ٤٤٢
 جلب يجلبون الاخبار : يجمعونها ٤
 الجفوف : الجفاف ٦٥٧
 جلدة : لبس ... ٤٥
 الجلوة الكبرى ٤١٠
 الجلبان ٦٤٦
 جماع الامراض ٧٤٢
 - المقاصد ١٠٢٨
 جمام : كان على ... ونشاط ١١٠٦
 جمان ٥٨١
 جمل : حساب ... ١٩٩
 جنب جنوب : القوا ... على مهاد
 الراحة والدعة ٢١٨
 جنح الى مقالة مرجوحة ٣٥
 - الناس الى مخالطة الدنيا ٨٦٣
 - الى بلد : قصده ، امه ٢٥٥
 جهيد : جهابذة ٧٩٥
 - جهابذة العلم ٨١٤ ، ٨١٥
 جهينة خبر : جعلنا ... ٦٦
 جوامع الكلم : اوتي ... ١٠٧٣
 جوف الليل : جاءهم ... ٦٠١
 جوفي ١٠٢ ، ١٠١
 جون من البحر ١٢٥
- ح
- الحاجي ٢١٣ (ضده الكمالي) ٢٤٦
 ٢٧٠
 - والكمالي ٢١٠
 الحادث : الجديد المستجد ٨٦٣
 حازه : واختص به ١٩٣
 حاز به ١٩٦
- الحاسب : الطارق بالحصى والحبوب
 ٥٨٧
 حال : لم يحل بطائل ٨٢٣
 حالة ربانية ٨٤٥
 - الهية ٨٤٥
 الحافظة ١٦٩ ، ١٧٠
 حام على هذا المعنى ٨٣٢
 حاول على الخروج من ربة الحجر
 ٣٣٠
 الحالومية وحالومة ١٨٣ ، ١٨٤
 جبل العشير : جاذبهم ... ٢٥٣
 حبوا على الثلج ٥٧١
 حثا المال حثوا ٥٦٢ ، ٥٦٣
 الحجاج ٧٨٠ ، ٧٨٨ ، ٨٢١ ، ٨٣٧
 الحجارة غير المنجدة ٢١٢
 حجر : صار ... على : مدافعا عنه
 ١٢٤
 الحجريين الشريفين ١٤٢
 حجرة : اخذوا بحجراتهم عن النار
 ١٥٩
 حدهم مرهف ٣٠١
 الحدثن ٥٨٨
 حدثانية : كلمات ... ٥٨٨
 الحديث عن الخواطر ١٩٢
 حذق فيها دربة ٧٥٠
 حذو : اتبع اثارهم حاو النعل
 بالنعل ٣١٢ ، ٩٩٥
 حراقة : حراقات : سفينة فيها
 مرامي نار ٣٠٧
 الحربية : فن الحرب ٢٨٢
 الحرج جمع حرجان : نعش الموتى
 ٢٣٢
 الحرز : استناموا الى الحرز الذي
 يحول دونهم ٢١٨

تشتهر : تحوطا ٤٢٢
الحوكية ١٩١
الحول : اسباب النصف و... ٨
جوموا على اصابة الغرض ٩٩٣ ،
١٠٠١
الحيد عن جادة الصديق ١٢ ، ١٠٨٧
حيف ٣٩٠
الحيوانية ٧١٤

خ

الخارجي : من يسود نفسه من غير ان
يكون له قدم في السيادة ٢٤٠
الخارجية : اول كل شرف
الخارق : المعجز ١٦٣ ، ١٦٤
الخاصية ١٨٦
الخارصين ١٠١٤
خب : مكر وخديعة ٦٧٥
الخبلة الفكرية : البشر مختلفون في
هذه ... ٧٢٤
خدج ٧١١
خدشتها اظفار التاديب والحكم ٢٢٢
- الاظفار الخادشة ٦٧٣
خدن : اخدان : اصطناع اخدان
السوء وخضراء الدمن ٣١٢
الخدِيم ٦٨٤
خرت الابرة ١٠٨١
الخزني : اناث البيت ٦١ ، ٣٠٥
خرج عنه من الرتب السلطانية ٤٢٣
خرج عنه الرمدي كتابه الجامع ٣٠
خرج عن الاباحة الى الخطر ٢٧
الخرج ، التخابت والكيد : يوضعون
ب ... ١٠٤٣
خراز ٧١٥
خرفشة النحاة ١٠٧٤

حرصا لدماء اهل البيت ٢٥
الحروف الهوائية : حروف العلة
١٠٥٩
حرون : دابة ... ٤٤٢
حساب الجمل ١٩٩ ، ٢٠٥
حساب النيم ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
حسبان المال ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ،
٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١
الحسبان ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥
الحسبة ٣٨٧
حسن المنحى ٧٨٧
حصل له غرضه ٧٢٩
الحضرة الكمالية ٨٧٢
- المائة ٩٤٠
- الهباتية ٨٧٢
الحضيض ٩٠٧
حفافي البحر : الساكنين ... ٤٤٨
حطت السفينة ٩٤٩
حكم : الاحكام النجومية ٥٩٥
الحلبة ٨٠٥
حلة : قرية ، القوم النازلون في
مكان ٨
حلة : نوبان من جنس واحد ٣١٨
الحلول ٨٦٨
الحلوم ٧٦٥
الحوصلة : فتضيق حوصلتك عند
ملتقى الممكنات ٣٢٢
الحملان : ما يحمل عليه من الدواب
٣١٧
الحمر الانسية ٧٧٦
حوالة الاسواق : تحول ٦٥٤ ، ٦٥٥
- الاسواق من الرخص الى الفلاء
٧٠٣
حوطبة على اسرار السلطان ان

- الخرق ٩٦٩
 خرق العوائد ٢٨٠
 خرق : هوة ، مهوى ١٤٠
 خسيس الكلام ١١٠٨
 خشونة العيش ٢٦٧
 الخشاش ٦٤٥
 الخصاصة ٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٥٢ ، ٦٩٧
 الخصبة ، او الخصيبة : الموائد ...
 ٦٤٥
 خصف ١٤٢
 الخضاب ٣٥٣
 خضد السوكات الناخزة ٣٣
 - من الشوكة ٢٩٧ ، ٦١٢
 خضر ٣٠٣
 خضراء : اباد خضراءهم الهرم ١٥٦
 خضراء الدمن : اصطناع ... ٣١٢
 خضلة الندى : رياض ... ١٠
 خط الرمل ١٩٥
 خطاب التهويل ٣٢٩
 خطط ٤٠
 - الخلافة ٣٩٤
 الخفا : اعفى عليه ... ٦٦٠
 الخفارة : الحماية : منع ... لاوثك
 الشطار ٢٨٣
 خلت : سنة الله التي قد خلت في
 عباده ٤٦
 الخلّة : نوصلوا الى سد ... ١٥١ ،
 ٦٤٦
 خلو : رسم ... ٧٧٤
 الخلوة ١١٠٦
 الخلاف : النصيب الوافر من الخير
 ٣٥٨
 الخلافيات : كتب ... ٨٠٤ ، ٨١٨
 خلاء : قفر ... ١٠٤
- الخلافة ٦٦٣ ، ٧٠٥
 الخلافيات : كتب ... ٨٠٤ ، ٨١٨
 خلائف الارض : جعلكم ... ٣٣٩
 خلائق : اخلاق .. اخير خلائقة
 ٤٤٢
 خلط عليك الامر ١٧٦
 خدمت المدارك ١٧٧
 خول : صارت امم العجم خولا لهم ،
 ٤٤٣ ، ٤٤٨
 - ترشيح ذويه او خوله ٣٢٩
 خيبة : ذهبوا بالخيبة ١٩٥
 الخيرة : العدالة ٣٨٥
 خيلات الوجه ٥٨١
- د
 داء دوي : شديد الخفاء ٤٦
 داخلية : ودخل من هذه العلوم على
 الملة داخلية .. ٨٩٣
 الدافعة : الطلق ٧٣٥
 دار الشراء : الاخرة ٣٥٩
 دبيب : لا يسرى ساحتها ... ٦٤٥
 دثر : دنور الخلافة ٤٠٠
 الدجل ٥٧٧
 درأ ٣٩١
 درب على الصواب ٨٩٧
 درس الاثر : محاه ١٨
 درع : جاه ... به ٧٠٤
 درك : لا يطمع احد في دركه ٤١
 الدروس : الزوال ١٠٦٦
 درن : ادران ٩٠٣
 الدرايس ١٥٧
 دست الخلافة : محي ... وتعطل
 الدسر ٧٣١ ، ٧٥٩
 دعي في النسب ٣٤

- الدفاءة ٢١٠ ، ٢١٣
 الدلس : الخديعة ١٠١٢
 الدلسة : الظلمة ١٠١٢
 دلالة قطعية ١٦٣
 الدلالات النجوة : يقولون ... ١٩٥
 دم عبيط : خالص ، طري ٧٤٠
 دنيا الامور : رفضهم ... ٣٦٧
 الدهان ٧١٥
 دهقان : دهاقين : رئيس القرية ٣٠٧
 الدهماء : الفوغاء ٢٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤
 دهمهم : اصابهم : دهمهم من الموحدين ٢٨٠
 دواب البحر ٥٨
 دواعي كون الدول ٤٥
 دور : دائرة ١١٥ ، ١٣١
 الدوم : خشب ... ٦٢٤
 الدوي ٥٧٢
 الدويرة ٧٢٦
 ديدن : رجعوا الى ديدنهم منه ١١٢٣
 ديوان الحسابان ، المحاسبة ٤٢٢
 الدويدار ٤٢٥
- ذ
 ذادتهم الحامية : دفعتهم ٢١٣
 ذائد الحق : منعني ... ٣٦٩
 ذرة من ذرات الوجود ٨٢٥
 ذرهم في خوضهم يلعبون ٨٢٣
 الذرورات ٧٣٦
 ذريعة : ذرائع او ذرع ٦٩٢
 ذهابا الى ما اشتهر في نسهم ٢٣٣
 ذهاب : لذهابها بالحضارة
 ذهب مع الاغراض والحقود ٣٧
 ذهبت عنهم مذاهب الحشمة ٢١٤
 ذهب به الغلط ٣٨٣
- ذهبوا بالخبيبة ١٩٥
 ذي الوزارتين : جامع خطتي السيف
 والقلم ٤٢٦
 زياد الحامية ٢٢٤
 الذياع والشياع بمعنى الذبوع
 والشيوع ٤٢٢
- و
 راي فائل : ضعيف ٣٦
 - صحيح ١٠
 الرباب ٧٥٩
 رثموا للمذلة : الفوها ٥١
 - رؤوم للضيم اي ذليل راض
 بالخسف ٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨
 - المذلة والاستعباد ٢٩٧
 الراح : دفعوا اهل الدولة بالراح ٢٤
 الرباء في المبيعات ٦٦٣
 الربج ٦٤٠
 الربط ، مفرد رباط : الحصان والمكان
 يربط به الجيش ٧٧٨
 ربقه الجمهور ١٠٠٧ - ربقه الرق
 ١٥١ ، ٢٦١
 رديف لمولى من الموالي ٤٣٥
 رساتيق ٦٣٧
 رسم الخلافة : ذهب ... ٤٠٤
 رزا : نقص ١٤٩
 رطانة ١٧ ، ٦٧٥
 رشوم الزمار ٨٠٣
 رشوم الغبار ٢٠٣
 الرماع ٤٤٥ ، ٧٠٥
 رفاع : كان ... الاحاديث ٥٦٦
 الرفه ٢١١ ، ٦١٠ ، ٦٥٢
 رفه عيشه ٣٠٩
 رقبة : تحت رقبة من علماء السنة

الزجرفي الطير والسباع ١٨٤
 زرب : جعله زربا لغنمه ٦٢٣
 الزرن ٦٠٧
 الزعرة : ذوو شراسة وسوء خلق ٢٨٢
 الزعورة : شدة البياض ١٤٤
 الزكاء : الاصلاح ٢٣
 زكاء النسب ٦٦٤
 - المزارع والمنابت والاهوية ٦٣٩
 - المناقب والمحامد : المتوشح من ...
 ١٠
 زكي المنبت ٢٣٥ ، ٦٤٩
 الزليج ٦٤٠
 الزلامي او الزمار ٧٥٩
 الزوق المصعد ١٠١٢
 الزهريون : القائلون بدلالات الزهرة
 ١٩٨

س

السائمة ٢١٢
 سابل : طريق ... بالامن ٧٠٧
 السابلة : السبيل ... اي المطروقة
 ٤١٦
 السابلة : ابناء السبيل ٤١٦
 سافه ٢٦٠
 سامت المدينة من جهة الشرق ١١٤
 ساوق فعل الطبيعة : حاذاه ١٠١٧ ،
 ١٠١٨
 السبع المثاني ١٠٩٤
 السبج ٧٢٨
 السبط : ولد البنت ٣٥٠
 السبي ١٠٧٩
 سجع الكهان ١٧٥ ، ١٧٦
 سخط ٣٥١
 سداد ١٠٢٩

٨٩٣
 رقة الحاشية ٧٦٥
 - الحضارة ٢١٤
 ركاز ٦١٧ ، ٦٩٠
 الركائب : تشد اليه الركائب ٢
 ركب الله في طبائع البشر الخير والشر
 ٢٢٣
 ركعة نافلة : كان يصلي مائته ...
 ٢٧
 رموح : دابة ... كثيرة الرفس ٤٤٢
 رموز ملفوزه ٦٠٥
 الرمية : ما يرمى من حيوان ، صادف
 فيه اي اصاب الغرض ٦٦
 روايات مضعفة ٣
 الروح العاقل ٨٨٣ ، ٨٨٦
 - القلبين ٨٨٣
 - هذا الروح الحيواني ١٨١
 الروح : كنية الاكسير ٩٧٦
 رونق الحضارة ٤٣٢
 رياش : كثر رياشها ٢٩٥
 الرياضات : اهل ... ١٨٣
 ربية : حدثوا انفسهم بمثل هذه ...
 ٣٨
 ريب : مكامن يتأتى منها ... ٣٧
 ريع : قويت ريحهم في بسيط هذا
 الجزء ٤٥٤
 - فشل ... ٢٩٧

ز

زاكية : ارض ... ٦٤٨
 الزايرجة او زايرجة العالم ٢٠٣ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٩٤٢ ، ٩٥١
 الزبون ٣٩
 زبيبة : ذو ... ٣٤٤

- سرب : يكثر في سربها الجرذان
٧٢٥ ، ٦٤٥
سرح : سرح الخيالة في طلبهما ٣٣
السرف ٦٣٨
السرمدى ٨٣٠
سروات : اهل السروات ١٠٥٤، ٦٧٤
سطر متتالية ١٩٧
سعود ونحوس ١٩٦
السعودة والنحوسة ١٩٧
السغب : الجوع من التعب ٢٢٧
السناج ٦٧١ ، ٧١٥
سفساف : قول متناقض ٨٥٦
السفسفة : ألوان الشر و... ٢٩٩ ،
٦٦٣ ، ٧١١
— تنزه عن ٣٧
السفلة : تحيز العلية عن ٦٧٣ ، ٦٩٩
— من الغوغاء والدهماء ٦٧٤
السفه : اهل ٣٩٢
سقيف : سقف ٦٢٠
السقفة ٩٢٣
سلك النهج الاتم ٣٧
السلوب من النوق : التي القت ولدها
لغير تمام ٨٣١ ، ٨٥٥
— الآي السلوب ٨٣٢
سمت ١٠١ ، ١٠٢
السمل ٤٠٣
سمة ٤٠٢ ، ٤٠٣
السمية : السم ١٥٧
سنام : اسنمة الجبال ٦٢١
سن بكرة : جعلنا ... ٦٦
السفاد ٧٦٤
السنجق : سناجق ٤٦٠
السنة، جمع سنون : الجذب والقحط
١٥٤
- سنة الغفلة والنوم ٦
سهام الغريضة ٨١٠
سهمان من اموال الخراج ٤٣٧
السؤال : مفرد سائل ٦٤٤
سواقط الفتات ٦٤٥
سورة العصبية : تنكسر ... ٣٠٢
— الغالب ٢٥٦
— تكسر من سورتهم ٢٢٢
السوم ٦
السوقة : الرعية ٢ ، ٦٦١
السيالة : المسائل ... ٩٤٢
سيف البحر ٤٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٣
سيماء البداوة ٦٤١
السيماء ٢٠٢ ، ٩٢٤
السيمياء : علم اسرار الحروف ٩٣٦
- ش
- الشاوية : القائمون على الشاء والبقر
٢١٢ ، ٢٥٠
الشاكلة : الوجهة والطريقة : اهاب
اي اصاب الغرض ٦٦
النساليش ٤٦٠
شاهده في عينه ١٦٥
الشبابة والمزمار ٧٥٨
شبعاء وريا : تمتلىء ٦٤٥
شبهوا في الذات ٨٣١
شبوب : دابة ... كثيرة رفع اليدين
٤٤٢
شتات : تشتت ٩٣٤
شدا في الفن ٧٧١
— : اخذ : شدا من العلم شيئا ١٠٣٩
شدا عن الحصر ٧٢٢
الشرب مفردة شارب : سكر يومامع
شربه أي الذين يشربون معه ٣٠

ص

صاحب الاشغال ٤٢٧
صاقبه : قابله ، سامته ١١٧
الصبر على المكاره ٢٤
صبغة : استحكمت صبغتهم ٢٧٢
- الرذيلة : استحكمت فيهم ٦٦٤
صحاحا : يعطي المال ٥٦٤
صرفها في القوالب المعتادة ١٨٦
صرفهم في صفوف الصناعات ٤٣٩
صريخ : تكون صريخا ٦٢١
صعب : ركب صعبا من الامور ٣١١
صعر ٢٥٠
الصفار ٦٧١ ، ٧١٥
صفاح انتديت من اعمادها ٥
صلصلة الجرس ١٦٠
صفة نفسها ١٦٣
الصقاعون : الكدابون ٢٨٣
الصلة ١٦١
صلوات مشهودة ٣٨٨
صلي بما صلي به ٢٢١
الصمم : استوعب الامر الصمم ٤
الصنائع الفائقة : الفنون الجميلة ١٤٦
الصنائع المعاشية ٤٨
صهوبة الشعر ١٤٤
صوان حكمه ٨
صيب : مطر او سحب ٥٦٨
ضارب البندل ٥٨٧
ضايق : ضاق ١٠٤
ضبع : جذبت الدولة بضبعه وضبع
اييه ٢٣
ضربت عليهم الذلة والمسكنه ٢٣٦
- عليهم ضراء الاسد ٤٥١
ضعفة النظر ٤٥
الضعة : مهاوي ٣٢٨

شرق ١٠٨

شرعة لكل وارد ٨٧٥
شرك ١٩١
شرك : حصة : يجعلون شركا لولدهم
٧٧٨
شره الى ما في ايدي الناس ٧٠٥
- شرهوا الى الجهاد ٤٤٨
شريان : شريانات ٨٨٣
الشطار : طوائف اللصوص والمجرمين
٢٨٢
شطحات الصوفيين ٨٨١
شظف الاحوال ٢٢٧ ، ٦٠٧
- اعتيادهم ... وخشونة العيش
٢٦٧
شعبة : شعوب : يقسم بشعوب ١١٩
الشعوذة او الشعبة ٤٢ ، ٩٦٦
شف عليهم : زار ٢٧٨
شق الابله : قاسموا بني العباس
٢٧٧ ، ٣٣
الشكة : السلاح ٣١٢
شكائر الدراهم ٣٢٣
الشمات : تفننا في الشمات بعدوهم
٣٣٠
شمخ بانفه ٢٧٤
- سلطانهم : غلظ وكبر ٤٤٨
شمروا له ٩٩٣
الشواغب ١٠٢٢
الشواني : المراكب المعدة للجهاد ٤٤٩
شوب : اختلاط الجنس : عرف فيهم
٢٢٨
شوش قلبه بالريب ٣٨٦
السياه ٢١٣

الضروريات بمعنى الضرورات ٦٤٣ ،
٦٥٠
ضعفة الرأي ٤٢
الضنائة : يشدون عليها... ٩٩٢، ٧٥٧
الضيم ٢٤٩

ط

طاطا راسه ٥٨١
طائق : قادر ٢٤١
الطابية ٧٢٧
طاح في هوة الهلاك ٢٨١
طاس : طساس ١٨٤
طاوعوا وساوس الاغراب ١٦
طباق بمعنى طبقات ٦٩٦ : من طباق
اهل العمران
طبختهم الدولة ٢٥٦
طبع الدولة : لما يقتضيه... من ٤٣٨
طبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس
٢٦٣
الطراء على الوطن من الغزاة ٢٧٤ ،
٦٤٩
طرقه الكذب من هذه الجهة ١٧٦
— طرقه طارق من العدو ٦٢١
— طرق الدابة : ضربها ٤٤٢
الطرق بالحصى ١٨٦ ، ١٩٨
طروء الموت ٣١٦
الطش : من العرش الى الطش ٨٦٧
طعم طعم ١٠٨٧
طفن الى الاقاليم البعيدة ٢٥٥
طلب الدنيا : الاقبال على... ٥٨٦
طلسم ٦٨٦
طما بحر العمران ٧٥٠ ، ٧٥٥ ، ٧٦٦
الطنبور : طنابير ٧٦٥

الطواب ٧٢٧
طوقوهم المنن ٢٤
طيب الاصاله ٦٦٤
طين الخاتم ٤٣٦

ظ

ظعن ٢١٢
الظنة : بعيدة عن... ٣٧٢
ظنون حدسية ١٩٥
ظهراء له ٣٢٤
ظهر سريعا على خبثهم ومكرهم ٣٤
ظوامن رحالة ١١٢ ، ٦٢٧

ع

عاج : يعوج به عن مراميه اي يرجع
به ٤٨ ، ١٧١
— الى الدعة ٢١٤
عادية : نسبة الى قوم عاد ٦١٣
— آثار... ٦١٣
— الكنائس العادية... التي تحتوي
على التحف ١٢٥
عادة : عوائد ٤٦ ، ٤٧
عالم الرتق ٨٧٢
— الفتق ٨٧٢
— علا العالم العنصري ٢٣٩
عالي في صرح القصور ٢١١
عامه البلوى ٧٢٢
عالجه بالتوابل والبقول ٢٨
العاني : الاسير : فكوا... ٢٥
عبد ، اعبد ٣١٧
عبية الجاهلية : الكبر والفخر والنخوة
٣٥٨
عبيط : دم... خالص ، طري ٧٤٠

- عتيد : حاضر ١٧٥
عجاجيل البقر ١٠١٥
عدل اليه عن ٣٢٨
— عن الاطلاق الى التقييد ٤
عدو كاشح ٣٨
عرض تعريض الحسد ٣٧
عرض البلد : وضع ، حالة ٨٥
— الحيوان : لقربهم من ... ٢٦١
العروبية ٤٠٣
عريش : خيمة ١١٥٤
عزب عنه ١
عزم عليه ٢٤٨
عزيز المذهب : فن ... ١٢
عصائب : افترقوا شيئا و ٦٧٢
— الطيور ٦٤٥
عصب الريق ٦١٧
العصب ، صناعة ٧٢١
العصباني : الوازع ... ٣٧٤
عصبة ١٦٢
عصر : اعصار ٤٦ ... اختلاف
الاعصار ٢٤٣
عضدته الحجة : قول ... ٤٤
العصمة : مجانبة المذمومات والرجس
١٦٠
العضوض : الملك ... ٧٠٣
عطل عن العمل ٦٩٤
العطلة ٣٤٣
عفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف :
اسنوا الجوائز لعفاتهم ٢٥
عفى عليه ٧٥١
عقارب السعاية : دبت الى مهادهم
الوثير ... ٢٥
العقل التجريبي ٨٤٢ ، ٨٤٧
— التمييزي ٨٤٢ ، ٨٤٧
- العقل النظري ٨٤٢ ، ٨٤٧
— الفعال ٩٩٨ ، ٩٩٩
— التكليفي ١٩٤
علج : علوج : كفار العجم ٢٦١
العلماء ورثة الانبياء ٣٩٥ ، ٣٩٦
العلز : وبر الابل ٣٦٢
العلوم اللدنية ١٧٠
علاج : توضيب ٦٩
العلويات : زحل والمشتري ٥٩٦
علية اهل الحديث : كان من ... ٣٠
٦٩٩ ، ٨٠٢
— تميز ... عن السفلة ٦٧٣
— الوزراء ١٠٢١
العمانية : الحضرة ... ٩٤٠
عمد يعمد خيامه : نصبها ، ضربها
٢٦٣
عمر الحادث من قوة مزاجه ٢٨٩
عمرؤا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء
من ولدهم وصنائعهم ٢٤
العمالات ١٤
عمل : قائمة ، بيان ٣١٨
العمومية : كثر التناسل والولد
والعمومية ٣٠٩
العناق : الانثى من ولد المعز قبل
استكمالها الحول ٢١٧
عنعن ٥٧١
عنعنه ٥٦١
عنقوان دولنهم ٢١٦ ، ٤٠٣
عهدة : له عليه فيه ... ٣٤٥
عوائد : تجاوز حدود ... ١٦
— القوا .. الخصب ٢٤٣
— الانسان ابن عوائده ٢١٩
العوارض الذاتية ٦ ، ٧

- عوج الملكات ٢٦٦
عوضهم من الحنطة ، احسن معاض
١٥٢
عود القران ٥٩٦
عولة : اختصم ني عطائهم بالعولة
٦٤٩
العبارة ٦٦٩
ميث ٢٦٢
عيص : عياص : الاصل او الاباء
والجدود ٢٩٣
— هومن ... كريم الاصل ٣٣٢
العيمة : شهوة اللبن ١٥٥
عين : عيون : اذكوا عليه العيون ٣٨
عيون عذبة ثرة ٦١٩
- غ
غائبة عن العيان ١٦٨
غارون : غافلون ، مطمئنون ٢١٨
الغازية ٧٤٠
الغاشية : الذين يغشون المكان ٣٨٨
غب انتقضائه ١٧٢
الغذائية ٧١٤
غراز : تجافى عن الهجوع غارارا ٢١٩
غرب معه ١٢٦
الفرر : حمل النفس على مثل هذا...
٧٠٧ ، ٥٩
الغرض : خرج عن ... الكتاب ٤٥
الغرة ٢٢٤
غرة الكلام : احسن ما فيه ٤٤٤
غريبة : اخبرني بغريبة ... ٥٨٤
غريم : غرماء ٧٠٥
غشيان المنازل ٦٩٩
غص بريقه ٤٢
— غص به ٦٥٥ ، ٣٨٠
- الفصوبات او المفصوبات ٦٧٩
غضارة النعيم ٢٤٣
— الدين ٧٦٥
غضاضة : يجدون في نفسه ... من
ظلم ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ،
٧٦٥
غضاضة الاسلام ٣٦١ — تدرجت...
٣٦٤
غض من اعنتهم ٦٧٣
غضوا منه بالقدح من مذهبه ٤٣
الغيط ١٧٣
الغفل : الكتاب ... ١٠٩٤
غفل من الصنائع ٨٢٠
الغفلة ١٥٢ ، ٢٢٤ ، ٧٩٠
— عن القياس ٤٥
الغفلة عن اعتبار العصبية ٢٨٤
الغلب : النفوس بطباعها متطاوله الى
... والرئاسة ٢٣٠ ، ٦٧٣
غلطة : اغاليط ١٤٧
غمار : جماعة الناس ولقيهم ٦٦٤
— اختلطوا بالغمار ٢٣٥
غمر : اغمار : الذي لم يجرب الامور
٢٨٤
غمص عليه قوله : كذب عليه كلامه
٢٤٩
غنية : كان في ... عنه ٨١٥
الغوغاء : الدهماء ٢٨٠
غواشي النمل ٦٤٥
الغيبة ١٧٣
— غيبة عن الحس ١٩٥
الغيبي : الادراك ١٩٨
الغيران ، الكهوف : ياوي الى... ٢١٢
٧٢٥ ، ٧٢٦
الغيرية ٨٧٠

— تمخض لفصاله الكون ١
فضلات الحيوان : البانا واوبارا
واشعارا واهابا ٢٦٩
فطر على : ملكة فطره الله عليها ١٠٣٣
— فطر الله البشر ١٨٠
الفقه الخلافي ٨٢٠
الفلح : شق الارض للزراعة ١٠٥ ، ٢١٠
فلق الصبح ٨٨٤
الفهر : الدق ١٠١٠ ، ١٠١٣
فهم ، فهوم : استغلق على الفهوم ٩٠٣
فور العيون ٦٨١
في آخرين : اي وآخرون ١٩٢
فيوء : فيء ٣٦٣

ق

القبالة ٧٣٥
قارف : لا يقارف المؤمن معه صغيرة
ولا كبيرة ٨٢٨
قارن ذلك : صحبه ٢٥ ، ٢٤٥
قاصر عن ، تصريح الانبياء ١٦٥
قال : من آثر العرفان للعرفان ، فقد
... بالثاني ١٩١
قبضهم الله ١٦٢
قبل : مقابل ١٢٩
قبيل : فريق ، القبيلة ١٤ ، ٢٤٦ ،
٣٠٩ ، ٢٤٧
— الدولة : جماعة الدولة ٥٠
— الملك ٣٣١
قتل : اقتال : العدو المقاتل ، الصديق
القرن ، النظير ٢٥٣
قدح في صحة الخبر ٢٠
— فيمن ناصبهم ٣٣
القدح ٧٩٩ ، ٨٠٠
قدرة : قدر . ضاعف القوى و ...

غيلة : قتل ... ٥٨٤
الغيوب : الغيوب لا تدرك بصناعة
البتة ١٩٨

ف

فائل ، رأي : رأي ضعيف ٣٦ ، ٤٠
— مذاهب فائلة : مقالات فاسدة ٤٢
الفاره في الفرس والبرذون والحمار
الجيد السير ٢٩٥
فاز : مفردة فازه : بقاء من خرق
وغيرها تبني للعساكر ٦٥٩
فاض ماء العين ١١٠١
فت في عضده : كسر قوته ٦١٢
الفتيا ٢٨٧ ، ٧٠١
الفجرة ٤٤٥
فحل : الملك ... ١١٢٣
فرح الامر ١١٠١
القدن ٢١٠
— علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها
٦٤٨
فذ : جاء كتابا فذا ٨
فر عن المسكين ٨٢٦
فرجة : خلل ٤٥٥
الفراش ٦٧١
الفرش : المفروش من متاع البيت ٢٩٦
فرية : بهتانا وفرية عليه ٣١
فروض الوراة ٨١٠
فزع الى الظنون والتخمينات ١٧٥
— الى الكهان ١٨٩
— فزعوا الى عوائد من قبلهم ٤٧
فسق الجوارح ٣٤٢
فشيت المقالة بذلك ٣٨١
فشل ريحهم ٩٢٧
الفصال ٧٣٧ ، ٧٣٨

ش

قيس الشاهد بالغائب والحاضر
بالذهب ١٢

ك

الكاغد ٧٥٥
كاشح : عدو ... ٣٨
كافآت قوتها قوة الدولة : ساوت ٢٤٥
كافة : ما يتفلونه ... ٢٢ ، ٢٩ - من
كافتهم ٣٨
الكافة : ان .. اختصتهم ٤ - نقلها
عنهم الكافة ٤٥ - تحمل عليه ...
٢٧٩ - حماية ... ٤١٦ - يسلمها
... ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٨٣٤
الكافة : دهماء اهل المدن والامصار
٢٩١
كبح عن غاية عزه ٢٦٠
الكبر : ذهبوا خلف ... ٢٦٦
كدوس : المال .. يومئذ ٥٧٢ ، ٥٦٢
كذب نفسه في ماء انتحله ٣٥
كر بمعنى عاد او عاود ٨٣٢
كرات : لم تكن اول دولتهم بقوة ولا
كانت كرات ٢٩٢
الكرامات المدهوبة ٥٨٩
الكرج : آلة الرقص ٨٦٦
كرش العنبر : وعاءه ٣١٧
كسر سورة العصبية ٢٤٧
كسر بيته : طالعه وهو في ١٠٠٧
كعب : علا كعبهم في الدولة ٤٠٤
كسف : فراصة ١٩٢
كفاء : مثيل : لا كفاء له ٣١٠ ، ٧٥٠
- ظهور لا كفاء له ٨٩٢
الكلال ١٨١
كلكله ٧٣١
كلمات حدثانية ٥٨٨

٦١٣ ، ٧٠
القدال : جماع مؤخر الرأس ٣٦١
قذف الباطل شيطانه ٣
قرارهم وكرسيهم بصنعاء ١٨
القران ٥٩٦ - القرانات الفلكية ٣٠٠
٣٠١
القرشية ٣٤٤ ، ٣٤٥
قرعت هذه الكلمة السنعاء اسماع
الفوغاء ٤٠
قزع : قطع السحاب : يجمع الله
قوما قزعا اي افواجا ٥٦٩
قسامة : يمينا ... ٥٦٧
قسم : بشر الله لنا ارزاقا وقسما ١
قصرت عليهم الامال ٢٤
القصود ٨٢٢
القضاء : القضايا ٨
قعدوا له بالمرصاد ٣٨
قلب : زمن ... ٦٠٤
القلقلة : من صفات الاصوات ٧٦١
قلم والاذفار والجاشية ٦٧٣
القمط ٧٢٨
قناع المخدرات : هتك ... ٣٢
القنية : قنان ٦٨٠
قوام : كان العقار قواما لحاله ٦٥٤
القود : القصاص في القتلى ٣٩٣ ، ٢٢٩
قوراء : القصاع ٧٢٨
قول مزيف مردود ٩٩٨
القيناء ، جمع قناة : حفرة توضع
فيها النخالة ١٠٠٣
القوى النجومية ١٠٠٤
القومة عليهم : اختاروا منهم ... ٣٠٥
قومة ٤٣٠ ، تفرعنها ... ٦٧٢
قياطن ٦٣٧
قيل : اقيال ٢

لفوز : لغز لغوز ١٠١١

لفق الاحاديث ٣٣٣

لقنها حسنا ٧٥٠

لمة ٥٨١

اللواط ٦٦٥ ، ٦٦٦

اللوزعية ١٠٩٥

م

ماء النعيم : ربوا في ماء السلطان

وظله ٣٠٠

مازورون غير مأجورين ٢٨٠

مألف : اتخذوا الدعة والراحة مألفا

لهم ٢٩٩

مأكله : صيره ... للباعة ٧٠٥

مألف : الانسان ابن مألفه ٢١٩

ماجت بسماسرة البغي والباطل ٣٧

ماخض النتاج ٢١٣

الماعون ٢١١ ، ٣٠٥ ، ٦٤٢

مانع دون ذلك ٢٩٠

المباشرة ٧١٣

— مباشرة الاحوال الملوكية : اثيان

ادارة ٣٢٩

— مباشرة السلطان في كل وقت :

الاتصال به ٤٢٤

المبتدعة ٨٣٣ ، ٨٣٦

المبخوت : جده ٢٠٠٠

المبشرات : الرؤى الصالحة ١٨٠

المبطون : المصاب بوجع البطن ٩١٩

المبيضة ٤٤٩

المبينات ٨٤٩

المتخرمة الحواشي : الاوراق ٦٨٦

المتبدي : الحي المقيم في البادية ٢٤٤

المتبدي : القبائل ٢١٤

مجسنه : صيره مجوسيا ٢١٥

الكمال الاسمائي ٩٤٠

الكل : اليتيم ، العيل على غيره ٢٥٢

الكمالي ٦٤٦

الكن : تعاونهم من القوت والكن ٢١٠

٢١٢ ، ٧٢٤ ، ٧٢٦

الكنباص ٩٢

الكندر ٧٥٩

كنن ٦٣٧

كنه الحاجة ٤٣٦

الكيس : فطنة ٣٣٦ ، ٧٦٨ ، ٧٧٥

٧٧٦

كيموس ٧٤٠

لا

لاذ به ٣٣٤

لائمة الكبر : لا تصدهم ٥٠

لبسوا به من الشارة والزي ٣٤

لبس جلدتهم ٢٢٩ ، ٢٣٧

لبسوا بكتاب مدلس ٣٨١

— في اللحوه ٥٨٦

لبس عليه ٦٩٠

اللبس ٨٥٠

لبنه البيت ٥٧٧ ، ٥٧٨

لبلاية : المحيط او الاوقيانوس ٧٤

اللبوس : الثياب والسلاح ٤٠٦

اللجاج ارتكاب اللجاج ٤٢ ، ٧١١

اللجين المصفر ٣٧

لحمت نسبها بنسب اعجمي ٢٣

الللدنية : العلوم ١٧٠

لزيق ، اي دخيل ٢٢٩

لطيف الروح ١٨١

لصيق : دخيل

لطيفة من البلاغة ١٧٢

لغو : صار الاشتغال بها ١٠٣٧

- المتبذل : الذي يلي العمل بنفسه ٢٥٢
 متبوع الراي ٤٣
 متخرف : مقطوع ٩٢٨
 متصل الارض : تنمة ١٤٠
 المتعاهد : المدركات المتعاهدة ١٨٢
 المتعسفون ٧٩٦
 متكررة : جزر ٩١
 متكثر البيوت ٢٠٤
 متخول ٦٧٩
 المتكلمون : علماء التوحيد ، المسمى
 يعلم الكلام ٣٤٨
 متوعدة الزراعة ٦٤٧
 - بوضع متوعد ٦٢١
 المثاني : آيات القرآن ١٠٩٤
 المتأخرة : اقامة العسكر في النغور
 ٢٩٣
 مثله : مثلث ١١٦
 مج التركيب ١٠٨٥
 مجانا : مجانة او مجون ٢٢٦
 مجانية المدمومات ١٦٠ ، ١٠٠٠
 المجاهدة ١٩٠ ، ٥٧٥ ، ٨٦٤
 مجسنه : اصاره مجوسيا ٩٨٠
 الجسمة ٨٥٦
 مجبوني على اعمال الخير ١٦٤
 مجهله : صار انتحاله التاريخ ٤٦٠٠
 محافر الامور : سفاسفها ٤٤٠
 المحاورة ٧٧٣
 محاويج ٦٤٤
 محجوبون عن الغيب ٥٨٧
 محجوجون بالاجماع ٣٤١
 المحضن : البيض ١٥٧
 المحكمات ٨٤٩
 مخدوشة ١٠٨٨
 المخرفين او المتخرفين ٦٨٩
 المخال او المخل ٦١٣
 مخلص : لا ... من هذا الا... ٦٢٦
 المخطط : يتحرر من... ٦٢٧
 مد : لا يبلغ مد احدهم ولا نصيفه ٤٢
 مدارك للغيب ١٩٥
 المدر : سكان... ٦٧ ، ٢١٢ ، ٦٤٣
 - القرى ٢٦٥
 المدرك الحسي ٨٧٣
 - العقلي ٨٣٧
 - البشري ٨٧٣
 مدليس ٥٦١
 مدلين بياسهم : مبرهنيين عنه ٢١٩
 المدونة ٨٠٧
 مدونة هذه الصناعة ٩٣٠
 مدني الطبع : الانسان .. الطبع ٨٤٠
 المراغمة : العداء والهجران ٢٦٧
 المران : التمرن واعنياد الشيء ٣٩٧
 ٨١١
 المربي : التربية ٣٢٧ - ليكون
 مرباهم به ٦٥٤
 مرتفع جباياتهم ٤٠
 مرجوح : امر... ٣٩٥
 مرخ اعضاء : دهنها ٧٣٦
 مرعى الجهل بين الانام وخيم وبيل ٣
 مرفقة : كان لهم في وجوده معهم...
 عظيمة ٦١٩
 المرة : القوة ٣١٦
 مرن على : تمرن وتمرس به ٤٤٨
 مروج خبيثة ٦١٨
 المريد ١٩٣ ، ٨٢٦ ، ٨٦٤
 مربة : لا مربية فيه بين العقلاء ٢٠٧
 ٩٢٧
 مزاج عمر الحادث من قوة مزاجه

- ٢٨٨
المزاحفة : المحاربة ٢٦٢
مزجاة : بضاعة ٨ ...
المزوار ، المقدم على الجنادة ٤٢٨
مس : يمسهم من الامر ما لا يمس
غيرهم ٢١٦
مسألة الركبان ٦٨٨
مسامت ٧٧ ، ٨٥
المسامطة ١٤٤
مستقر العادة : اجري الامور على...
٢٨١
مساوق ١٠٣٣
المستامون ٦٦٣
المسحت لرأس المال ٧٠٤
مستصعب : كل معقل او .. عليهم
فهم تاركوه ٢٦٢
مستغلق على الافهام ١٠٢٦
مستهتر : الفساق المستهترون ٣٢
منرور : ولد .. اي مخنونا ٧٣٧
مسموع القول والكلمة ٤٣
المسند : الخط ٧٤٧
المسودة ٤٤٩
مشادق : مخالف ١٩١
مشفافة ٣٤٣
المشروعية ٣٧١ ، ٣٧٢
المشكاة ٩
المشمومات ٨٨٧
مشيع : من غير مشيع : اي من غير
وسيط ١٧٦
مصروف ، عن اعمال الشرف ١٦٤
المصطنعون ٣٢٦
مصلحات الاقوات : متبلانها ٦٤٦
المصلي : الذي ياتي بعد المجلي ١١٣٨
مضرة بقطع من البحر ١٢٧
- ٣٢٩ مضعف
المضفة ٨٤٧ ، ٨٤٨
المضمار : الطبعية في الشعر ٧٦٢ ،
٧٦٣
المطامير ٧٢٥
مطعن ومغنز : لا مطعن فيهم ولا
مغنز ٥٦١
مظنة الباطل ٣٦١
معادن : الناس في نشاتهم وتناسلهم
معادن ٢٣٥
المعاش ٦٨٢ ، ٦٨٣
معاصن ١٥٢
معاهد : رأي صحيح ١٠
المعاهد ٧٢٨
معالات البيوت والصروح ٢١١
المعالة بالتنميق ٦٤٠
المعانة او المعايضة ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٩٤٢ ، ٩٧٧
معانة العلوم ٤٣٨ — معانة الكتب ٧١٤
معاودة ذلك : اتيانه ٢٠٦
معة العجز عن المقاومة ٣٦
معصوم : المحل منزه عن ذلك
معصوم منه ٤١
معطلة : مفاوز ١٢٢ ، ١٢٣
معقب : لا معقب لحكم الله ٢٧٧
معقل : مشكوك في نجاحه ٢٦٢
معقولة الجسم ٨٣١
المعمى ٧٥٤
المعهود من سنة الله ٥٧٧
نقص عن معهوده ٦٥٣
المعول عليه ١٩٢
المعيان ٩٣٥
معيار ٨٣٥ ، معيار المنطق ٩٩٦
المغايرة بينهما الفرق ١٦٣

- المفايلة ٢٧١
 المفايرة : ما بيننا وبينها من ٨٤٣ ...
 مغبة الامر : مآله ٢٨٣
 مغل الزراعة : غلة الزراعة ٢٦٩
 مغلبون لكل غالب ٢٦٠
 مغمز : لا مطعن فيهم ولا مغمز ٥٦١
 مغيب : اسخراج ١٩٧
 - مغيب عنهم من امور اخرتهم ٣٣٨
 مفاعل : عمل مع مفاعله ٤١٩
 مقاصد : ليست من ... كتابنا
 هذا ١٣٧
 مقالة مرجوحة : جنح الى ... ٣٥
 مقامة : اقامة ٥٠٦
 المقترح : الغاية : انتهى بسعيه الى
 مقترحه ٢١٤
 المقرض ٧٣٣
 المقربة : كانوا عليها قبل ... ٥٨٦
 المقربات الخيل التي يقرب معلقها ١
 المقعر : لفظ مقعر ١١٠٧
 مقفلة : فتح له ١٠٣٠
 مقل : البصيرة تنقد الصحيح اذ
 تمقل ٣
 ملابسة المحمود ١٠٠٠
 ملتوتة : متسدودة ، مونوفة ٣٠٦
 المكره والمنشط : يطيعه في ما يكلفه
 على ٣٧٠
 ملحد : كان ملحده في ٦٢٢
 المكاسب ٦٨٣
 ملدوذ : مستطاب ، لذيذ ٢٦٣ ،
 ٢٧١ ، ٧٥٨ ، ٧٦٠ ، ٧٦٣
 المفلوز : اعمالها المفلوزة ٢٠٣
 ملكة رفيقة عادلة ٢٢٠
 محالفة ٣٧١
 مجالاة ٣٧٨
 ممرض - اعطوا صفقة ممرضة ٦٧٤
 منشأ الخلاف ٢٧٧
 مكانين يأتى فيها الريب ٣٧
 الملند ٤٤٧
 المكايسة ٧٠٥
 الماحكة ٧١١
 الملاء : كساها ... ٦٢٤
 منازل الحضارة ٦٠٩
 الملاينة ٦٧٤
 المناصة : المعادة ، المقاومة ٤٣
 المناظرة ٧٧٣
 المناغاه ١١٢٢
 المنافاه ٦٦٨
 منبت زكي ٢٣٥
 مناكير ٥٩٣ - روبي عنه ٥٦٨
 المنتحلون للمعاش من الفلح ٢١٢
 منجاة من العلوم ٩
 منتحل : راي ... ٥٨٢
 المنجدة بالحجارة : يخذون ...
 بالحجارة ١٤٢ ، ٧٢٦
 المنجم ٥٨٧
 المندل : ضارب ٥٨٧
 منعة القوم ٢٨٠
 منقع : مناقع موضع يستنقع الماء
 فيه ٦١٨
 المناكح : انواع ... ٦٦٥
 مناكير افعال السحرة ١٩٠
 منالهم للملك والعزة ٢٣١
 المنطق : العدد المصرح به ٨٩٧
 منطوقة : معادن ... ١٠١٤
 المنعة ١٦٢ ، ٣٥٨
 المنكرات الفاشية ٥٨٧
 منكشف من الارض ١٤١
 المنمنمة : الرياض ... ٧٢٨

- مهودا اكناف الدولة ٧٠٠
 منكوص على عقبه ٨٠٣
 مهن : يمهونه : يضربونه ضربا مبرحا
 ٣٦٢ ، ٣٤
 مهواة من الغلط : وقع في ٤٨
 — مهواة النهلكة ٤٨
 مهرودين : جلنين مزعفرتين ٥٨١
 المهوسون ٦٩٢
 المهوى : بعيد المهوى ١٤٠
 مهوى الانثدة ٦٢٣
 مهيع : عرف .. واحدا ١٠٧٤، ٩٠٢
 مؤتلف الاعمال : امر جديد لم تسبق
 فيه تجربة ٤٤٣
 الموائد الخصبة ٦٤٥
 الموت الاحمر : بايعوه على ٣٨
 الموسوسون ٢٨٣
 الموقوت : كتابها ١٠٠
 موفور العمران : قطر ٦٤٧
 موه بها عليه ٦٠٧ ، ١٠١٢
 مؤئل سلطانهم ٢٣٢
- ن
 نابت نائبة ٤٥٥
 ناشئة الدولة ٧٠٠
 ناغى خلفهم سلفهم ٢٩٥
 النامية ٧٤٠
 ناقة : لم يترك لاحد منهم في الامر
 لا .. ولا جمل ٢٩٤
 نبا عنه سمعه ١٠٨٥
 — به الزمن ٤٤١
 النبات : الاصوات الخفية : يتوجسون
 عن ٢١٩
 النبوة : السقطة ٤٤٢
 نثير الحبوب ٦٤٥
- النجامة ١٩٦
 النجر ٦٩٤
 النجدين : هديناه ... ٢٢٣
 النجعة ٢١٣
 نجم بها ١٠٩١
 النجوى ١
 نحا منحاه ٤
 نحل المأمون : اعطى ١٩٣ ، ٣٠٥
 نحلة : نحل ١٤٧ ، ٢١٠
 نحوس وسعود او نحوسة وسعودة
 ١٥٦ ، ٥٩٧
 نزههم عن موانع البدن ١٧١
 النزوعية : القوى ... ٨٤٥
 نسقوا اخبارها نسقا ٥
 نسم : انشأنا من الارض ... ١
 نشأة مستأنفة ٥٣
 النص : لقب كتاب المنطق عند ارسطو
 ٩١٠
 نصاب : استقر الملك في ... معين
 ٣٢٩
 نصره : صيره نصرانيا او عمده ١٥
 نصيف : لا يبلغ مداحدهم ولا نصيفه :
 مثل يكنى به عن مكانة الشخص
 بالنسبة لشخص اخر
 نضارة العيش ٧٦٥
 النطفة ٨٤٧
 النعرة : العصبية ٢٢٩ ، ٢٣٠
 ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٣٢٧
 — اخذتهم .. للعجم ٦١٦
 النعير : بلغهم ... ٦٢١
 نعيق : اتبع نعيقه الارذلون ٢٨٤
 نقص عليه ٢٤٠
 نفرة عن الضعة ٢١٣
 نفس عليه : لم يره اهلا له ٣٣٢ ، ٣٣١

- واضطراب ٢٨٢ ، ٢٨٣
 الهزج ٧٦٥
 هزو : اتخذوا آيات الله هزوا ١٦
 الهشاشة ١٠١١
 هضبة متوعدة ٦١٧
 الهلكة ٤٤
 الهمل : لا يبقى الا .. والباعه ٥ ،
 ٦٦٩
 - اختلط المرعى بالهمل مثل يضرب
 لاختلاط الجيد بالقبيح ٤٦
 الهندام : التنظيم والاصلاح ٣١٤ ،
 ٦١٣
 هواء راكد خبيث ٦١٨
 هواده : ظنوا به ... في السكوت
 عن ٣٧٨
 - ليسوا ممن يأخذون في الحق ...
 ٣٧٣
 الهوج ٣٣٦
 هوده : صيره يهوديا ٢١٥
 هوى : تحكم و... ١٩٨
 الهوان ٦٩٨
 الهولي ١٨٥ ، ٨٤٧
 هيعة : الصوت المفرع ٢١٨
 هيولاني : مادة ... ٨٤٤
- نفسوا ذلك عليه ٤٣
 نفى الركاب والادلاء هذه الصحراء ٦٠
 نفق فيها عند الكافة ٣٧
 نفق كذبه ١٩٨
 نقب عن عورات الناس ٣٣٥
 النقلة : ينزعون الى ... ٦٤٤
 نكايه الحرب ٦١٢
 نكت بيده في الارض ٣٦٧
 نغم الناس ذلك عليه ٨٠١
 نكدة النبات ٦٤٨
 نكب به عن المزلات والمغالط ١٢
 نكير : غير نكير الاماع بابائهم ٥٢
 - ليس من ذلك بنكير في حقهم ١٩٢
 - كشفوا عن وجه النكير عليه ٢٨١
 - كان في ذلك نكير عليه ٣٦٥
 نمت الاقوال : ذاعت وشاعت ٢
 نهاب الناس : امنأت ايديهم من ٢٨٢
 نهج له السبيل ٦٦
 نهج : النهج الامم : سلكت ٣٧
 النواتية : جمع نوتي ٩٢
 النوافل ٢٩٥
 النور ٦٦٥
- ك

- الهاضمة ٧٤٠
 هتك قناع المخدرات ٣٢
 هجس في قلبه ١٧٥
 الهجنة : العيب والقبح ٤١ ، ١٠٧٩
 - اصبح تعاطي الشعر ١١٢٣
 الهذر ٦٨٦
 هذر من القول والعمل ١٩٨
 الهذيان : انتهى .. به الى ٢١
 الهزاس ٧١٥
 هرج الناس : وقعوا في فتنه
- و
- الوام : البيت الدافئ ٧٢٥
 وازع الحشمة : صدهم ... ٢١٥
 واقعها ٢٢
 الواهمة ١٦٩ ، ١٧٠
 الوبر : اهل ... ٨
 وثقه بعضهم ٥٧٠
 الوحي : الاسراع ١٧١
 الوجد : والمعاش على نسبة ... ٢١١

- الوراقة ٧١٤
 الوزر : المعقل والملجأ والمعتصم : لم
 يكن دونه حمى ولا وزر ٢٨٧
 وزع : يزعمهم عن المفاسد ٤٠٨
 — لا يزعمهم عاذل الانفة ٤٩
 وري عنه : نصره ٣٢٩
 وسق : أوسق ، وزن ٦٠ صاعا او
 حمل بعير
 وسوس : وهم توسوس به النفوس
 الجامعة ٢٣٩
 وشجت عروق الامة ٤٩
 الوصائل : كساها ... ٦٢٤
 وصلة النبي ٣٤٥
 الوضر ٩:٣
 وضيع وضعاء : الخسيس الدنيء ،
 ضد الشريف ٤٣
 الوعر : لما كابدوه من وعرها ٦٢١
 وعرية : رياضة ... ١٩١
 الوفق المثني ٩٣٤
 وقت : وقوت ١
 وقر في نفسهم الحسد ٢٥
- في نفوس الكافة ٢٢٤ ، استقر ،
 وقع ٢٣٤
 — وقر عندها : سكن وثبت ٢٥٨
 ولج الكفر من باب ٤١
 ولي ٥٨٨
 وليجة : لا يجدون ... عنها ٢٩٨
 — لا يجدون ... عن ذلك ٦٦٣ ، ٦٨٨
 وهلة : يهلك لاول ... ٣٣٢
- ي
 اليتوع : كل نبات له لبن دار ، مسهل ،
 محرق ١٦٠
 اليد البيضاء : اهل ... ٨
 — القاهرة : له عليهم السلطان والغلبة
 واليد ... ٧٢
 — يد عالية : فوقهم ... ٦٩٥
 اليسار : الغنى ٦٤٢ ، ٦٩٧
 يرمقون العيش ترميقا ٦٩٧
 يشبه في بدعته ٣٥
 يلبس في امره ٣٥
 اليهموت ٢

٤- فهرس لشعوب وألقاب والدول والأسر

٦٥٧ ، ٧٢١ ، ٧٨٧ ، ١٠٤٣
الاسماعيلية او الباطنية ٣٥٦ ، ٥٧٥
٨٧٥ ، ٥٧٦

الاسماعيلية. الحشيشة او الفداوية
١١٧

الاعتزال ، انظر : المعتزلة

الاشعرية ٤٠٦ ، ٨١٧ ، ٨٨٠

اعياص زناتة ٢٩٣

الاغالبة ، بنو اغلب ٣٣ ، ٣٨ ، ٣٠٨

٣٣٣ ، ٤٧٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥

٦١٤ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠

الافرنجة ، الافرنج ، الفرنجة ٧ ، ٤٧

٥٤ ، ٧٧ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ، ٢٦١

٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٤ ، ٤١٥ ، ٤٤٧

٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ٤٨٥

٤٨٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣٦ ، ٦٥٨

٦٨٦ ، ٦٩١ ، ٨٩٤ ، ١٠٨٠

الاکراد ١٢٠ ، ٢١٣ ، ٢٥٤ ، ٤٧٩

امراء طي ٢٣٤

امية ، بنو امية ، الامويون ، الدولة

الاموية ٢٩ ، ٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،

٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥

٣٣٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩

٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤٤٩ ، ٤٧٤

٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٣

٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٥٨ ، ٦٧٠ ، ٧١٧

٧٥٠ ، ١٠٩١ ، ١١٢٣

الانبياء ١٦٠

اعتبر في هذا القسم لفظة آل ،
اسرة ، بني .. في الترتيب المعجمي

١

آل الاشعث بن قيس ٢٤٢

آل حاجب بن زارة ٢٤٢

آل حذيفة بن بدر الفزاري ٢٤٢

آل الحسن ٤٢

آل ذي الجدين ٢٤٢

آل قيس بن عاصم المنقري ٢٤٢

آل محمد ٣٣ ، ٥٥٩

آل المنذر ٢٢٩ ، ٧٤٥

الاثني عشرية (الفرقة) ٣٥٢ ، ٣٥٦

٣٥٧

ابناء زيان ٢٣٣

الائمة المستورون ٣٥٦

الادارسة ٢٣٣ ، ٢٧٦ ، ٤٠٢ ، ٥١٨

٥٢٤

الارذلون ٢٨٤

الارمن ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨

الازد ٤٥ ، ٢٢٩ ، ٣٨٠ ، ٤٨٧

الاسباط العشرة ٤١٠

اسرائيل، الاسرائيليون، بنو اسرائيل،

يهود ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٤٦ ،

٥٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧

٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٦٥ ، ٤٠٩

٤١٠ ، ٤١٢ ، ٥٧٩ ، ٥٨٩ ، ٦٣٤

- الانصار ٣٤٤ ، ٣٨٠ ، ٦٣٤
 اهل ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ (نقباؤهم) ٤٢
 ٤٣ ، ٤٠٦ ، ٧٩٩ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥
 اهل الحديث ٣٠
 اهل الزعرة ٢٨٢
 اهل العدو ٢٧٤
 اهل الظاهر ، انظر : الظاهرية
 اهل العصية ٤٨ ، ٢٣٠ ، ٢٩١
 انظر ايضا : العصية
 اهل الغلب ٢٣١
 اهل اللثام ٢٥٤
 الاوس ٢٠
 اولاد رباب او الحجازيون ٢٣٢
 اباد ٢٢٨ ، ٧٤٥ ، ١٠٧٢
 الايوبية (الدولة) ٨٠٥
- ب**
- الباجويون ٩٩
 الباطنية ، انظر : الاسماعيلية
 البجر ٢٧٤
 برجم ١١٣٢
 البرامكة ، بنو برمك ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٢
 ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٦
 ٤٣٣
 البربر ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٧
 ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٥٢
 ١٥٣ ، ٢١٢ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤
 ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥
 ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦
 ٥١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥ ، ٥٨٨ ، ٦٣٦
 ٦٣٧ ، ٦٥٣ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٧٦
 ٧٢٠ ، ١٠١٢ ، ١٠٣٩ ، ١٠٧٩
 ١٠٩١
 البطارق ٤١٣
- البعاجون (سحرة المغرب) ٩٣٠
 بكر بن وائل (قبائل) ٣٨٠
 بنو اسرائيل ، انظر : الاسرائيليون
 بنو اغلب ، انظر : الاغالبية
 بنو الاحمر (دولة) ٤٦٠ ، ١٦٩٠ ، ١١١٤
 بنو ابي الحسن او بنو سعيد ٤٣٤
 بنو ابي حفص ، انظر : الحفصية
 (الدولة)
 بنو ابي عبدة ٥٠٣
 بنو اسد ٢٢٧ ، ٣٨٥ ، ١٠٧٢
 بنو باديس ٤٧٦ ، ٥١٩
 بنو برد ٥٠٣
 بنو برمك ، انظر : البرامكة
 بنو بويه ٣٢٦ ، ٩٩٥
 بنو تميم ٢٤٢ ، ١٠٧٢
 — جعفر ٥٨٣
 — حديره ٥٠٣
 — الحرث بن كعب اليميني ٢٤٢
 — الحسين ٤٥٠ ، ٥٨٣
 — حماد ٤٧٦ ، ٦١٤ ، ٧١٨
 — حمدان ٢٤٦ ، ٥٣١
 — حمود ٦٠٢
 — خزاعة ١٠٧٢
 — خزرون ٤٥١
 — الديان ٢٤٢
 — سامان ٥٣١
 — سبكتكين ٥٣٦
 بنو سعد ٢٣٤
 — سعيد ، انظر : بنو ابي الحسن
 — سليم ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥
 — سند ٨٠٣
 — سهل بن نوبخت ٣٢٦ ، ٤٣٣ ، ٥٠٣
 — سلامة ٢٣٤

- بنو شائر ٩٠٣
 - شهيد ٥٠٣
 - صالح ٩٣
 - طاهر ٣٢٦ ، ٥٠٣
 - طفج ٣٠٨ ، ٥٣٦
 - طيء ٢٤٣
 - عامر ٢٣٢ ، ١١٣٥
 - عامر بن صعصعة ٢٤٣
 - العباس ، انظر : العباسيون
 - عبد الحكم ٨٠٤
 - عبد القوي بن العباس ٢٣٢
 - بنو عبد المطلب ٥٧٧
 - عبد مناف ٥١٧ ، ٥٢٣
 - عبد المؤمن ٤٠٧ ، ٤٥٢ ، ٦٠١
 - عبد الواحد ٢٣٣
 - عبد الواد ٢٨٨ ، ٤٢٩ ، ٤٧٨
 - عمران ٤٢
 - عوف ٨٠٣
 - عيصو ٢٩١
 - قحطبة ٢٤ ، ٥٠٣
 - قبيلة ٦٣٤
 - كنانة ١٠٥٧ ، ١٠٧٢
 - لوط ٢٩١
 - كعب ١١٣٣
 - مدرار ٣٣ ، ٣٧
 - مدين ٢٩١
 - مروان ٣٣٢
 - مرين ، انظر : المرينية (الدولة)
 - منقلد ٤٥٣
 - المهلب ٥٢
 - مهنى ٢٣٤
 - ميمون ٤٥٢
 - بنو نصر ٩٤٣
 - نوبخت ٢٣٨
- بنو هاشم ٢٤٢
 - هود ٩٤٣
 - هلال ٢٦٥ ، ٦٥٩
 - يدالتن ٢٣٤
 - يفرن ٣٦٩
 - بهاليل ١٩٣ ، ١٩٤
 - البوادي ٢٦٩
 - بيت شيبان ٢٤٢
 - قيس ٢٤٢
- ت
- التابعون ٣٣٩ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣
 ٣٨٥ ، ٧٤٧ ، ٧٨٥ ، ٧٩٠ ، ٨٣١
 ٨٦٣ ، ١٠٤٨ ، ١٠٥٥
 التبابعة ، تبع ١٦ ، ١٨ ، ٤٦ ، ٢٥٥
 ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٦٢٤ ، ٦٣٨
 ٦٥٨ ، ٧٢١ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦
 التتر ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٥٣٦ ، ٦٠١
 ٦٧٦
 الترك ، اترك ٧ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٧ ،
 ٥٤ ، ٧٧ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ،
 ١٣٨ ، ١٤٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥
 ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠
 ٣٠٨ ، ٣٣٠ ، ٣٩٤ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤٦٠
 ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ ، ٥٣٦ ، ٦٠٠
 ٧٢٠ ، ٧٧٨ ، ٩٢٨ ، ٩٤٣ ، ٩٩٢
 ١٠٧٩
 التركمان ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٩
 ٢١٢ ، ٢٥٤ ، ٤٧٩
 تميم (قبائل) ٣٨٠
 تينملك ١٠٢
- ث
- ثقيف ٤٩ ، ٢٢٧ ، ٣٨٠ ، ١٠٧٢

و

الرافضة ١١٨ ، ٣٥٠ ، ٤٠٢ ، ٤٥٩
 ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٧٥
 ٨٧٧
 الرباط ٢٩٣
 ربيعة ٣٦١ ، ١٠٧٢
 ربيعة نزار ٢٢
 الروس ٧٧
 الروم ٧ ، ١٩ ، ٤٧ ، ٧٧ ، ١١٧ ،
 ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٧
 ٢٩١ ، ٣٦٢ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٤٧
 ٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٣٧
 ٦٠٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨
 ٦٧٠ ، ٦٧٦ ، ٦٨٦ ، ٧٢١ ، ٧٢٩
 ٧٦٥ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٩٤٣
 ٩٩٥ ، ١٠٧٢

ن

الزمرة ، انظر : اهل الزمرة
 زغبة ٢٣٢
 زناتة ، دولة زناتة ٧ ، ١٠٢ ، ٢١٣
 ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٧
 ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠
 ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٩ ، ٤٠٤
 ٤٠٧ ، ٤٢٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩
 ٤٧٥ ، ٥١٨ ، ٥٣٦ ، ٥٨٨ ، ٦٧٦
 ٩٤٣ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨
 زناتة (اعياص) ٢٩٣
 الزنج ٧٨
 الزهريون ١٩٨
 الزواودة ١١٢٩
 الزيدية ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٥٩٤
 زيان (ابناء) ٢٣٣

ثمود ١٠٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣٠١ ،
 ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٦١٤ ، ٦٣٨

ج

جرهم ٦٢٣
 جذام ٢٢٨ ، ١٠٧٢
 الجلالة ١٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٤٥٣ ،
 ٤٦٠ ، ١٠٨٠

ح

الحبشة ١٠٧٢
 الحشيشة (الاسماعيليه) ١١٧
 الحفصية (الدولة) ٤٠٧ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٧٨ ، ٥٠٥
 ٥١٩ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٧٣ ، ١٠٦٢
 حمير ١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٧٢١ ، ٧٤٦ ، ٧٨٧
 ١١٢٤
 الحواريون ١٢٥ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣
 الحوكية ١٩١

خ

خراسة ٢٢٧ ، ٦٢٤
 الخزر ، الخزرية ٧٧ ، ٨٠ ، ١٢٩ ،
 ١٤٦
 الخرج ٢٠
 الخوارج ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥
 ٣٧٤ ، ٤٢١ ، ٤٨٤ ، ٥٠٢ ، ٥١٧
 ٧٩٩
 الدهاقون ٣٠٧
 الديلم ٢٥ ، ٨٠ ، ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٣٥٥
 ٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٦٠٠ ، ٦٧٦ ، ١٠٩٢

الصغد ١٧
الصقاعون ٢٨٣
الصقالبة ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢١٢ ، ٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٦٩١
صنهاجة او صنهاكة ، الدولة
الصنهاجية ١٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٥١
٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٩
٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٧٩
٥٢٢ ، ٦١٤ ، ٦٥٢ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠
٦٧٤ ، ٧١٧
الصوفية ، التصوف ، المتصوفة ١٥٦
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣
٢٨٠ ، ٥٥٥ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨١
٥٨٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٦ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦
٨٨١ ، ٩٢٣ ، ٩٣٣ ، ٩٣٦ ، ٩٩٨

ط

الطالبيون ٢٧٦ ، ٤٥٩ ، ٥٢٤ ، ٥٨٣
٨٠٠
الطغرغر ١٤٦
الطوائف (ملوك ، دول) انظر : ملوك
الطوائف

الطولونية (الدولة) ٥٣١

طي ٢٢٨

الظاهرية ، مذهب اهل الظاهر ٧٩٩
٨٠٠

ع

عاد ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣٠١ ، ٣١٣ ، ٣١٤
٣١٦ ، ٦١٤ ، ٦٣٨ ، ٧٢١
العامرية (الدولة) العامريون ٣٣٢ ،
٧٨٣
العباسيون ، بنو العباس ، الدولة

س

الساسانية ، بنو ساسان ٢٥٧ ، ٥٣٦ ، ٥٩٩
سدنة بيوت النار ٢٣٩
الريان ٤٦ ، ٤٦ ، ٨٩٠ ، ٩٢٤ ، ٩٢٧
سليم (قبائل) ٥٨٦
السلجوقية ٢٧٢ ، ٣٠٨ ، ٥١٨ ، ٥٣٦
٦٠٠ ، ٦٦٨ ، ٦٧٦ ، ١٠٩٢
السند (اهل) ١٤٢
السودان ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٩٩١
شاوية ٢١٢ ، ٢٥٠
الشركس ١٣٦
الشطار ٢٨٣
الشلوبين ١١١٦
شهر براز امانة ٢٥٠
شيوخ بني يزيد ٢٣٤
شيوخ رياح ٢٣٤

الشيعة ٣٣ ، ٢٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٧٥ ،
٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٥١٨ ، ٥٣٥
٥٥٩ ، ٥٧٥ ، ٥٨١ ، ٦١٤ ، ٦٣٣
٦٥٢ ، ٦٦٠ ، ٨٠٠ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦

ص

الصابئة ٦٢٩
الصحابة ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ،
٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨
٤٠١ ، ٤٣٦ ، ٤٦٦ ، ٥٥٦ ، ٥٧٦
٥٨٩ ، ٦٢٥ ، ٧٤٧ ، ٧٦٣ ، ٧٨٢
٧٨٥ ، ٧٩٠ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩
٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨٣١ ، ٨٦٣ ، ٨٦٧
٨٧٦ ، ٨٨٠ ، ١٠٤٨ ، ١٠٥٥

١.٤٩ ، ١.٤٧ ، ١.٣٨ ، ١.٠٧
١.٥٨ ، ١.٥٧ ، ١.٥٥ ، ١.٥٠
١.٧١ ، ١.٦٩ ، ١.٦٨ ، ١.٦٤
١.٨٦ ، ١.٨٥ ، ١.٨٣ ، ١.٧٤
١.٩٨ ، ١.٩٧ ، ١.٨٩ ، ١.٨٧
١١٢٢ ، ١١١٣ ، ١١١٠ ، ١١.٢
١١٢٤

العرفون ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٥٨٨
العصائب ٢٦٩

العلويون ، العلوية (الدولة) ٢٣٣ ،
٥١٨

العمالقة ١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ،
٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٦١٤ ، ٦٢٤
٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨ ، ٧٢١

غ

الغز ١٣٠ ، ١٣١

غسان ٢٢٨ ، ٦٣٤ ، ١.٧٢

الغلب (اهل) انظر : اهل الغلب

الغلاة ، غلاة الامامية ٣٥٢ ، ٣٥٣

ف

الفاطميون ، الفواطم ، الفاطمية
(الدولة) ٥٨٥ ، ٥٩٥ انظر ايضا :

العبيدون ، العبيدة

الفداوية ١١٧ ، انظر ايضا: الاسماعيلية
الحشيشة

الفرس ٧ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٦ ،
٢٣٨ ، ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢
٤٨٣ ، ٥٠٨ ، ٦٢٤ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨
٦٧٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٦ ، ٦٩٢ ، ٧٢١
٧٦٥ ، ٨٩٢ ، ١.٤٩ ، ١.٧٢ ،
١.٧٩ ، ١١٢٤

العباسية ٢٩ ، ٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨
٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٢
٣٢٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢
٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣
٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧
٥٠٣ ، ٥١٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ، ٦٠١
٦٢١ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، ٩٩٥ ، ١.٥٠
١.٩١ ، ١١٢٣

عبد القيس بن ربيعة (قبائل) ٣٨٠
العبديون ، العبديية (الدولة) ٣٣
٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٦٩
٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤
٤٠٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٨
٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٥١٨
٥٣٥ ، ٥٩٥ ، ٦١٤ ، ٦٣٣ ، ٨٠٥
٨٠٨

العجم ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٣٣ ، ٣٦٧ ،
٣٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٤٨
٤٥٧ ، ٤٧٢ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٦٠٠
٦١٠ ، ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦٣٧ ، ٦٥١
٦٧٦ ، ٧٥٧ ، ٧٦٣ ، ٧٨٨ ، ٨٠٣
٨١٨ ، ١.٤٩ ، ١.٥٠ ، ١.٥١ ،
١.٧٩ ، ١١٢٣

انظر ايضا : الفرس

العرب ٦ ، ٧ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٤
٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٣٠٠
٣٠٧ ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤ ، ٤٢٠
٤٣٢ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩
٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٥٩٩ ، ٦١٦
٦٢٠ ، ٦٣٣ ، ٦٣٧ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨
٦٧٠ ، ٧٦٥ ، ٧٢٠ ، ٧٤٥ ، ٧٤٩
٧٦٤ ، ٧٨٥ ، ٧٩٩ ، ٨١٤ ، ٩١٩

كهلان ٢٤٣

الكبانية (ملوك) ٤١٠ ، ٦٥٨
الكيسانية ٣٥١ ، ٣٥٣
الكينية (الملكة) ٨٩١

ل

اللاثام (اهل) انظر اهل اللاثام
لخم ٢٢٨ ، ١٠٧٢
لنتونة (دولة) ٩٣ ، ٩٨ ، ٢٠٤
٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٤٠٥
٤٥٢ ، ٤٨٨ ، ٥٣٦ ، ٦٠٢ ، ٧٥١
لمطة ٩٨
للم ٩٣
اليماينيون ١٢٦ ، ١٣٣

م

الماجوسية ، المجوس ١١٢ ، ٣٤٠
مالي ٩٣
المجوذة ٤٨٤
المتصوفة ، انظر : الصوفية
المتكلمون ١٦٣ ، ١٦٤
المتافرة ٢٩٣
المرابطون ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٤٠٦ ، ٥٩٧
المرينية (الدولة) بنو مرين ١٠ ، ٢٨٨
٣٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٧٣
٥٣٦ ، ٥٨٥ ، ٦٦٩ ، ٧٥١ ، ١١١٣
المشركون ١٦٠ ، ٢٥٥
المشاؤون ٨٩١
مشكورة ١٠٢
المصامدة ، العصبية المصمودية ٤٤ ،
١٠٢ ، ١٥٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣
٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٥٨٤
مضر ٢٢ ، ٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣

ق

القبط ٧ ، ١٥ ، ١٨ ، ٤٦ ، ٢٤٨ ،
٤٣ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨ ، ٦٨٦ ، ٦٩٢ ،
٧٢١ ، ٨٩٠ ، ٩٢٤ ، ٩٤٣
القتاليقون ٤١٢
قحطان ٢٨٧ ، ٣٠٩
القرامطة ٣٤ ، ٤٥٩
قريش ٢٢ ، ٤٩٦ ، ١٦١ ، ١٨٩ ، ٢٧٧ ،
٣١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،
٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٠٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ،
٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ ،
٧٤٥ ، ١٠٧٢ ، ١١٢٣
قضاة ٢٢٨ ، ١٠٧٢
قفجاق ١٣٦
القلندرية ٦٠٨
القوط ٢٨٨ ، ٤٤٧ ، ٤٨٣ ، ٦٥٨ ،
٦٥٩ ، ٧١٧
القياصرة ١٢٧ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٦٢ ،
قيس (قبائل) ٣٨٠ ، ١١٣٧

ك

كتامة ، بنو كتامة ١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ،
٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٥٦ ، ٥١٨ ،
٥١٩ ، (جبل) ٥٣٥ ، ٦٥٩
كدميوه ١٠٢
كعب (قبائل) ٥٨٦
الکعوب ١١٣١ ، ١١٣٢
الکلدان ، الکلدانيون ٦٣ ، ٨٩ ، ٦٥٨ ،
٩٢٤ ، ٩٢٧
کنانة ٢٢٧ ، ٣٨٠ ، ٦٢٤ ، ١٠٥٧ ،
کندة ٣٨٠
کنعان ، کنعانيون ١٨ ، ٣١٥ ، ٤٠٩

الموحدين ٥١٩ ، ٥٣٦ ، ٦٠١ ، ٦٠٣
٦٥٣ ، ٦٦٠ ، ٦٧٤ ، ٧١٧ ، ٧٥١
٧٧٢ ، ١١٢٩ ، ١١٣٢ ، ١١٤٢
الموسوسون ٢٨٣
الملائكة ، الملائية ١٦٤ ، ١٦٨

ن ه و

النبط ٧ ، ٤٦ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨ ، ٧٢١
٩٢٠ ، ٩٢٤ ، ٩٢٧
النسطورية ٤١٥
نقرة ١٠٣
نمر (عرب) ١١٣٧
هاشم (بنو) الهاشميون ٢٧٦ ، ٢٨٢
٤٥٩ ، ٥٢٤ ، ٥٦٦
الهاشمية ٣٥٣
هليل ٢٢٧ ، ١٠٧٢
هرثمة ٢٣٤
هنتاة ١٠٢
هنود ٩٩١
هواره ٢٧٦
الهاليون ، بنو هلال ٢٦٥
الوافية (شيعة) ٣٥١ ، ٣٥٢
ولد القاسم ٢٣٣

ي

اليقوبية ٤١٥
اليهود - انظر : اسرائيل
يهوذا (بنو) ٤١٠
اليونان ، اليونانيون ٧ ، ١٢٧ ، ١٤٦
٢٥٧ ، ٤١٠ ، ٦٣٢ ، ٦٥٨ ، ٦٩٢
٧٢١ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٩٠٥
٩١٠ ، ١١٢٤

٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ،
١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٨ ، ١١١٠
١١٢٤ ، ١١٢٥
اللسان المضري: تعلمه ١٠٨٠ ، ١٠٩٠
المعاهدون ٤١٥
المعتزلة ، الاعتزال ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٣٤٠
٣٥٠ ، ٣٨٠ ، ٦٧٩ ، ٧٨٨ ، ٨١٧
٨٣٢
مغراوة ٢٥٧ ، ٣٦٩
مغيلة ٥١٨
المغول ٦٧٦ ، انظر ايضا : التتر
المقايين ٤١٢
ملوك الطوائف ١٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥
٣٠٨ ، ٣٣٤ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٢٥
٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣
٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٣ ، ٥١٩ ، ٥٣١
٧١٧ ، ١٠٩٠ ، ١١٣٨
الملبسون ٢٨٣
المشمين (طوائف) ٩٣ ، ٩٨ ، ١٥١
١٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٥٨٣ ، ١١٣٩
الملكية (طائفة) ٤١٥
الماليك ٣٠٨
المنجمون ١٩٥ ، ١٩٨
المهاجرون ٢١٦ ، ٣٨٠
المولدين ١٠٥٠
الموالي ٢٣٧
الموحدين (دولة) الدولة الموحدية ٤٢
٢٠٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥
٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣
٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥

٥ - فهرس البلدان والأمكنة الجغرافية

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| ارمندية ١٣٣ | آمد ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٩ |
| ارمنية ٨١ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٣٢٠ | آمل ١٢٢ |
| اريس (بشر) ٤٦٨ | ابدة ١١٣ |
| استجة ١١٣ | الابلة ٧٩ ، ١٠٧ |
| استراباذ ١٠٩ ، ١٢١ | ابكيرة ١١٥ |
| اسروشنة ١٢٢ | ائل (نهر) ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٩ |
| اسفراين ١٠٩ | اجدايية ١٠٤ |
| اسكندرونة ١١٦ | الاحساء ١٠٧ |
| الاسكندرية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٥٩ ، ٨١ | الاحقاف ٧٩ |
| ٩٤ ، ١٠٥ ، ٣٦٣ ، ٤١٣ ، ٤٤٧ | اخطب ١٠٧ |
| ٤٥٣ ، ٥٠٥ ، ٥٣٦ ، ٦٢١ ، ٨٠٨ | اذربيجان ١٧ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢٩ |
| اسنا ٩٩ | ٣٢٠ |
| اسنيجب ١٢٣ | اذرمات ١٠٧ |
| اسوان ٩٤ | اذنة ١١٧ |
| اسيوط ٩٩ | اربونة ١١٥ ، ١٢٤ |
| اشبونة ١١٤ | ارجان ١٠٨ |
| اشبيلية ٥٠ ، ١١٣ ، ٢٠٤ ، ٤٠٦ | اردبيل ١٢٩ |
| ٧٦٦ ، ١٠٩١ ، ١١٣٩ ، ١١٤٥ | الاردن ١٤ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ٣٢١ |
| ١١٥٤ | ٤٣٢ ، ٤٠٩ |
| اشير ١٠٣ ، ٥١٩ | ارض الباجويين ٩٩ |
| اصبهان ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ | الارض السابعة ٢ |
| ٤١٠ ، ٥٣٥ ، ٦٦٨ | ارض السرير ١٢٩ |
| اصطخر ١٠٨ | الارض المنتنة ١٣٥ ، ١٣٩ |
| اصيلا ١٠٢ | اركش (حصن) ٢٨٠ |
| اطرابزيدة ١٣٠ | اركس (بلاد) ١٣١ |
| اعدوش (جزيرة) ١١٥ | ارم ذات العماد ٢١ |
| اغمات ١٠٢ | ارمن (بلاد) ١١٧ |
| افراغة ١١٤ | ارمي او جبل الاكراد ١٢٨ |
| افرنسية ١٣٣ | ارمنت ٩٩ |

٧٦٦ ، ٧٥٦ ، ٧٥٥ ، ٧٥٠ ، ٧٤٩
٨٠٥ ، ٨٠١ ، ٧٨٧ ، ٧٨٣ ، ٧٧٤
٩١٨ ، ٩٠٠ ، ٨٩٣ ، ٨٠٧ ، ٨٠٦
١٠١٢ ، ٩٧٧ ، ٩٤٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢١
١٠٦١ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٠ ، ١٠١٤
١٠٨٣ ، ١٠٨٠ ، ١٠٧٩ ، ١٠٦٧
١١١٤ ، ١١٠٧ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٠
١١٥٣ ، ١١٣٩ ، ١١٣٧ ، ١١٢٤
١١٦٩ ، ١١٦٠ ، ١١٥٧ ، ١١٥٥

انطاكية ١١٧

انطوطوس ١١٦

انكائرا ١٣٣ ، ١٣٧

انكوية ١٣٣

انكلاية ١٢٦ ، ١٣٣

انكيرة ١٤٦

الاهرام ٣١٤ ، ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦٩٢

الاهواز ١٠٨ ، ٣١٨

الاربس ١٠٣

اوراس ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٥١٩

اوروبة ٢٢٦ ، ٥١٨

اوليك (جزيرة) ٩٣

ايلة ٧٩

ايلة مدين ١٠٥

ايوان كسرى ٨٠ ، ٣١٣ ، ٦١٣ ، ٦١٤

٦١٦

ايلاق ١٢٢

ب

باب الابواب ١٢٩

باب المنذب ٧٨ ، ٩٦

بابل ٦٣ ، ٤١٠ ، ٩٢٤ ، ٩٢٧

باجة (نهر) ١١٤

باديس ١١٣ ، ٢٨٤

افريرة ١٣٣

افريقية ٤ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨

٧٧ ، ١٥٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦

٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٤٠٢

٤٤٥ ، ٤٣٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٥ ، ٤٠٣

٤٤٩ ، ٤٤٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٤

٦١٤ ، ٦٢٠ ، ٦٣٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣

٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٣ ، ٦٨٦ ، ٦٩١

٧٤٩ ، ٧٥١ ، ٧٦٦ ، ٧٧٢ ، ٨٠٦

٨٠٧ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٦٧

١٠٧٩ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠

١٠٩١ ، ١١٢٩ ، ١١٦٣ ، ١١٦٦

افلادش ١٣٣

اقاليم الارض ٨٩

اقرنصية ١٢٥

اقريطش ٧٧ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ٤٥٠

٤٥١

الاکراد (جبل) ١٠٨

اکريکش ٢٩١

الالمانيين ١٢٧

ام القرى ، انظر : مكة

الانبار ١١٩

الاندلس ٤ ، ٧٧ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٤٢

١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٣٣٠

٣٦٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥

٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦

٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤

٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٦٤٨

٦٦٠ ، ٦٧٧ ، ٧١٦ ، ٧١٧

- باريا (جبل) ١٢٠
 باطوس ١٢٧ ، ١٢٨
 البتم (جبال) ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
 ١٢٢
 بجاية ١٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٤٤٩ ،
 ٤٦٤ ، ٦١٠ ، ٦٢١ ، ٦٤٣ ، ٨٠٩
 البجة ٩٦
 بجيلة ٤٥ ، ٤٤٨
 البحرين ٧٩ ، ١٠٠ ، ٤٣١ ، ٧٢١
 بحر جرجان ٨٠
 البحر الحبسي ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠
 بحر السويس ، بحر القلزم ١٨ ، ٧٩
 ٩٩ ، ١٠٦
 البحر الرومي او الشامي ١٨ ، ٧٧
 ٧٩ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،
 ٢٦٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ،
 ٧٢٠
 بحر طبرستان ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣٦ ، ١٣٥
 بحر فارس ١٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٦ ، ٩٨ ،
 ١٠٠
 بحر القلزم ، انظر : بحر السويس
 البحر المحيط ، البلاية - الاوقيانوس
 ٧٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١٤ ،
 ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٨
 بحر نيطنس ، بحر الخزر ٧٧ ، ١١٣ ،
 ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
 ١٣٨
 بحر الهند ، البحر الهندي ١٨ ، ٨٣
 ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٤٥
 بحيرة خوارزم ١٠٩ ، ١٣١
 بحيرة عثور ١٣٩
 بحيرة طرمي ١٣٨
 بحيرة فيوم ١٠٤
 بخاري ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣
 بدر ٥٦٩
 بدخشان ١٠٩
 برجان ٧٧
 بردعه ١٢٨
 برطاس ١٣٥
 برشاونة ١١٥ ، ١٢٤
 برغشت ١٢٤ ، ١٢٥
 برغونة ١٢٥
 برغونية ١٣٣
 برقة ٧٧ ، ١٠٤ ، ٣٢١ ، ٦٢١ ، ٦٥٢ ،
 ٦٥٣
 برقيق (صحاري) ١٠٤
 البرنات (جبل) ١١٥ ، ١٢٥
 البروج ١٩٦
 بريطانية ١٣٢ ، ١٣٣
 بزجالة ١١٤
 بست ١٠٩
 بسطام ١٢١
 بسطة ١١٤
 بسكرة ١٠٣ ، ٦٤٣ ، ٦٧٤
 البصرة ٧٩ ، ١٠٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ،
 ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٤٧٧ ، ٦٢٠ ،
 ٦٣٩ ، ٦٦٨ ، ٧٤٩ ، ٧٧٤ ، ٧٧٨ ،
 ٧٩١ ، ١٠٥٨
 بطرس (كنيسة) ١٢٥
 بطليوس ١١٤
 بعلبك ١٠٧
 بغداد ٣٤ ، ٣٦ ، ٨٠ ، ١١٩ ، ١٢٨ ،
 ٣٧٤ ، ٥١٨ ، ٥٣٦ ، ٥٧٠ ، ٦٠١ ،
 ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٦٨ ، ٧٤٩ ،
 ٧٦٦ ، ٧٧٨ ، ٧٩٥ ، ٨٠٣ ،
 ١١٥٣ ، ١١٦٦

- بكة ، انظر : مكة
بلجر ١٣٥
بلخ (وقعة) ٣٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
بلخ (نهر) ، انظر : جيحون
بلرم ١١٥
بلغار ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩
بلنسية ١١٤
بلهرا ١٠٠
بلواط ١٣٣ ، ٢٣٤
بلونس ١١٢ ، ١١٥
بلونية ١٣٣
بلاد الروم ١١٧
بلاد الزنج ٧٨
بلاد السودان ، انظر : السودان
بلاق ٩٥
البنادقة ، البندقية (خليج) ١١٣ ،
١٢٦
البندقان ١٢٠
بنطو ١٢٥ ، ١٣٣
البرج ١٠٨
بورصة ١٢٧
بوشنج ١٠٩
بوقاعة ١٣٨
بولس (كنيسة) ١٢٥
بونة ١٠٣ ، ٦٢١
بئر ذروان ٩٢٧
بيت لحم ٦٣٢
بيت المقدس ، انظر : القدس
بيروت ١٠٧
البيلقان ١٢٨ ، ١٣٤
- تبالة ١٠٠
التبت ٢٠ ، ١١٠
تبريز ١٢٠
تبسة ١٠٣
تبوك ١٠٦ ، ١٧٣ غزوة ٢٨٧
تدمر ١٠٧
ترخان ١٣٤
ترمز ١٠٩ ، ١١٠
تستر ١٠٨
تفليس ١٢٨
التفرغر ١١١
تكدارين ٩٣
تكرور ٩٣
تكريت ١١٩
تلمسان ١٠٢ ، ٢٣٣ ، ٥١٩ ، ٥٨٤
٦١٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣
تهامة اليمن ٩٧
توات ٩٣
توجين ٢٣٤
توريز ٧٨٨
توزر ٦٧٤
توزر ١٠٣
تونس ١٠٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧٨ ،
٥٠٥ ، ٥١٩ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦١٧
٦٦ ، ٧١٧ ، ٧٥١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤
٨٠٩ ، ٩٠٨ ، ٩٤٣ ، ١٠٠٧ ،
١٠٤٠ ، ١١٣٢ ، ١١٦٦
تيطري (جبل) ٥١٩
تيماء ١٠٦
النيه ١٣ ، ١٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٦٢٩
٦٣٠

ت

ج

الجالية ٧٥١

تادلا ١٠٢

تازا ١٠٢

- الجامعين ١١٩
جبال العور ١٠٩
جباية ٥١٩
جبرافون ١٢٣
جبل ١٠١
جبل الابواب ١٣٠ ، ١٣٥
جبل الجنادل ٩٥
جبل الدروب ١١٧
جبل السلسلة ١١٦ ، ١١٧
جبل سياه ١٣٠
جبل الطور (سيناء) ١٠٥
جبل العراق ١١٩
جبل القمر ٨١ ، ٩٢ ، ٩٤
جبل المنقطع ٦٢٨
جبل الواحات ٩٩
جبلة ١١٦
جثولية ١٣٣ ، ١٣٤
جدة ٧٩ ، ٩٩ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨
جربة (جزيرة) ٤٥٢
جرجان ٨٠ ، ١٢١
الجرجانية (بحيرة) ٨٢ ، ١٢٢
جرمانية ١٣٤
جرش ١٠٠
الجريد ١٠٣ ، ٥١٩ ، ١١٨ ، ٦٧٣
٧٥١
الجزائر (بلاد) ١٠٢ ، ٦٤٣
الجزائر الخالدات ٩١ ، ٩٨
جزائر الرومانية ٤٥١
الجزائر الشرقية ٧٨٣
جزيرة ابن عمر ١١٩
الجزيرة الخضراء ١١٢ ، ١١٣
جزيرة العرب ، بلاد العرب ١٦ ، ١٨
٨٠ ، ٩٦ ، ١٤٣ ، ٢٩١ ، ٤١٠
٧٢١
- الجلح ١٠٩
جاولاء ١٢٠ ، ٤٤٨
جليقية ١٢٤
الجمل (وقعة) ٣٧٩
جند دمشق ٢٢٨
جند قنسرين ٢٢٨
— جند العواصم ٢٢٨
جنوة ١٢٥ ، ٤٥٠
الجوزجان ١٠٩ ، ١١٠ ، ٥٩٥
الجولخ (ارض) ١٣٥
جيحون او نهر بلخ ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠٩
١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٢
جيحان ١١٧ ، ١٢٧
جيرفت ١٠٨
جيان ١١٣
- ح
حاجز (جبل) ١٣٠
الحبشة ٧٩ ، ٩٥ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧
٢٨٦ ، ٥٨٨
الحجاز ١٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٩٦ ،
٩٩ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ٣٥٥ ، ٢٧٦
٢٨٨ ، ٣٢١ ، ٣٦١ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣
٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٦٣ ، ٥١٨
٥٣٦ ، ٥٨٣ ، ٦٣٤ ، ٧٦٥ ، ٧٩٤
٧٩٧ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٥ ، ٨٠٨
١٠٥٦
الحجر (بلد) ١٠٦
الحجر الاسود ٦٢٦
الحشيشة ١١٧
حران ١١٨
حروايا ١٢٧
حصن الحواني ١١٧
حضر موت ٩٨ ، ١٤٣

- خوارزم (بحيرة) انظر : بحيرة
خوارزم
خوزستان ١٠٨
خونجان ١٢٠
خبير ١٤ ، ١٠٠ ، ١٠٦
- د
- دارابجرد ١٠٨
دار الخلافة ٤٠٣
دار الهجرة ٨٠١
دانية ٧٧ ، ١١٤ ، ٤٥٠ ، ٧٨٣ ، ١٠٦١
ديبل ١٢٨
دجلة ١٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٣٠٦ ، ٦٠١
درعة ١٠١
درن ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
الدروب ١١٦
دلاص ٩٩ ، ١٠٤
دمشق ١٠٧ ، ٥٨١ ، ٦٣٣ ، ٦٦٩
دمر ١٠٣
دمياط ٩٤ ، ١٠٥
دنقلة ٩٥
دهلك ٩٦
دهلي ٣٢٢
دومة الجندل ١٠٦ ، ١٠٧
الديلم (جبال) ١٣٠
الدينور ١٢٠
ذات الابواب ٦٠
- د
- رام هرمز ١٠٨
رباط ١٠١
رباط اسفى ١٠٢
- حلب ١١٧
الحلة ٣٥٢
حلوان ١٢٠
حلوان (العراق) ٣١٨
حمص ١٠٧ ، ١١٧
حنين ٣٦٢
الحوراء ١٠٥
حوران ١١٢٥ ، ١١٤٧
الحيرة ١٩ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ٧٤٥
- خ
- الخابور (نهر) ١١٩ ، ١١٠١
خازرون ١٢٢
خانكو ٩٨
الختل (بلاد) ١٠٩ ، ١١٠
خجندة ١٢٢
خراسان ١٤ ، ٨٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ٢٨١ ، ٣١٩ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤ ، ٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٦٧٦ ، ٧٧٤ ، ٨٠٤ ، ٨٦٤ ، ١٠٥١
خرخير ١١١
خرشنة ١٢٨
خرناب (نهر) ١٠٩
خريدة ١٢٤ ، ١١٥
الخزر (ارض) ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦
الخرالجية ٧٩ ، ١١١ ، ١٢٣
وخشاب (نهر) ١١٠
خط الاستواء ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥
٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦
خفشاخ (بلاد) ١٣٦ ، ١٤٠
خلاط (بلاد) ٨١ ، ١٢٨
الخليج الاخضر ٧٩
الخليجية ١٢٣
خوارزم ٨٠ ، ٨٢ ، ١٢٣ ، ٧٨٨

- رباط السلطان ابي سعيد ٦١٤
رباط العباد ٥٨٤
رباط الفتاح ٦١٤
رباط ماسة ٥٨٤
الربان ٣١٩
الرحبة ١١٩
الرسوم (بلاد) ١٠٨
رسلانده (جزيرة) ١٣٨
الرشيده ٩٤ ، ١٠٥
رضوى (جبل) ١٠٦ ، ٣٥٢
الرقه ٨١ ، ١١٨ ، ٥٤١
الرها ١١٨
رم ١٢٢
رندة ١٥٦
الرودان ١٠٨
الروذ ١٠٩
رواحه ١٠٤
الروسية (بلاد) ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩
رومة ٧٧ ، ١٢٥ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢
٤١٣ ، ٥٧٩ ، ٨٩٤
الري ١٢١ ، ٣٢٠
رياح ٥٨٦
ريده ١١٤
- ز
الزاب (نهر) ١١٩ ، ١٢٩
الزاب الكبير ١٢٠
الزاب (المغرب) ١٠٣ ، ٥١٩ ، ٥٨٣
٥٩٥ ، ٦٧٣
زالع او زيلع ٧٩ ، ٩٧
زبلستان ٥٩٩
زبيد ٧٨ ، ٩٧
زغاوة ٩٨
زغبة ٢٣٤
- زفتي ١٠٥
الزقاق او مضيق جبل طارق ٧٧
زمزم (بئر) ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨
الزنج ١٤٥ ، ١٤٧
زواوة ٧٧٣
الزواودة ٢٣٤
زويلة ابن الخطاب ١٠٤
زيلع او زالع ٧٩ ، ٩٦
- س
سابور ١٠٨
سالم ١١٤
سبا ١٠٠
سبتة ١١٢ ، ٤٤٧ ، ٦٠٢ ، ٦٢١
٦٤٣ ، ٦٧٤ ، ١٠٩٠ ، ١١١٦
سببلة ١٠٣ ، ٤٤٨
سجستان ١٠٠ ، ١٠٨ ، ٣١٩
سجلماسة ٣٣ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ١٠١
٣٥٦
سحرب ١٣٩
سد مأرب ٦١٥
السراة (جبل) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٣٥٣
سرخس ١٠٩
سردانية ١١٢ ، ١١٥ ، ٤٥٠
سرت ١٠٤
سرقسطة ١١٤ ، ٢٧٥ ، ١١٤٠
سرقوسة ١١٥
سرنديب ٩٧ ، ٦٣٥
سروج ١١٨
سرويكش ٤٥٢
سعيور ١٢٤
سفالة ٧٨ ، ٩٧
السلسلة (جبل) ١١٧
سلمنكة ١٢٤

- الشام ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ،
 ٧٧ ، ١١٦ ، ١٤٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ ،
 ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ،
 ٣١٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ،
 ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥١ ، ٤٧٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ،
 ٥٦٠ ، ٦٠٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٠ ، ٦٣٣ ،
 ٦٥١ ، ٦٥٨ ، ٦٧٦ ، ٦٩١ ، ٧١٧ ،
 ٧٤٧ ، ٧٩١ ، ٧٩٤ ، ٨٠٣ ، ٨٠٥ ،
 ٨٩٢ ، ١٠٧٤ ، ١١٢٥ ،
 الشاهجان ١٠٨ ، ١٢١ ،
 الشحر ٧٩ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
 شحرب ١٣٥ ،
 شريش ١١٣ ،
 شرشال ٣١٤ ، ٤٤٨ ، ٦١٣ ،
 شطلية ١٢٤ ،
 شطونية ١٣٣ ،
 شقورة ١١٤ ،
 شقر ١١٤ ،
 شقونية ١٢٤ ،
 شلب ١١٤ ،
 شنترين ١١٤ ،
 شنتمرية ١١٤ ،
 شنتياقو ١٢٤ ،
 شنطوف ١٠٥ ،
 شهرزور ١٢٠ ، ٣٢٠ ،
 شيراز ١٠٨ ،
 شيزر (ملوكها) ٤٥٣ ،
 الشيرجان ١٠٨ ،
 شيعون ١٠١ ،
 سلمية ١١٧ ، ١٢٤ ،
 سلوقية ١١٦ ،
 سليم ٢٣٤ ،
 سنترية (ارض) ٩٩ ،
 السنند ٧٩ ، ١٠٠ ، ٢٨٦ ، ٣١٩ ،
 ٦٧٦ ،
 سلا ٩٣ ، ١٠٢ ، ٦٢١ ،
 سلات ١٠٣ ،
 سمرقند ١٧ ، ٨٢ ، ١٢٢ ،
 سمورة ١٢٤ ،
 سميساط ١١٨ ،
 السواد ٣١٨ ،
 سواكن (جزيرة) ٧٩ ، ٩٦ ،
 سوتلي ١٣٤ ،
 السودان ٨١ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٤٨ ، ١٥١ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٧٠٧ ،
 ٧٣٤ ، ٩٢٨ ،
 سوس ١٠١ ، ١٠٨ ، ٢٨٤ ، ٥٨٣ ،
 السوس الاقصى ٢٨٨ ، ٦٥٣ ،
 سوسة ١٠٣ ،
 السويس ١٨ ، ٩٦ ، ١٠٥ ،
 السويس (بحر) ، انظر بحر السويس
 سويقة ابن مشكورة ١٠٣ ،
 سياه (جبل) ١٣٠ ،
 سياه كوه ١٣٥ ،
 سيحان (نهر) ١١٧ ،
 سيحون ٦٠٠ ،
 سيراف ١٠٨ ، ٤٧١ ،
 سيلان ٩٧ ، ٩٨ ،

ش

ص

- صاقي ١٣٣ ،
 صدغيار الوطنين ٤٥٢ ،

- الشارات (جبل) ١١٤ ،
 الشاش (نهر) ٨٢ ، ١٢٢ ،
 شاطبة ١١٤ ، ٧٩٦ ،

طركونة ١١٤	صدى ١٠٨
طرمى (بحيرة) ١٣٨	صعدة ٩٧ ، ٥٩
طريف ٧٧ ، ١١٣	الصعيد ٩٦ ، ١٠٥ ، ٩٩ ، ٥٣٦ ، ٩٢٧
طست ١٣٨	الصغد ١١١ ، ١٢٢
طلمسة ١٠٤	صفين ٨١ ، ١١٩ ، ٣٧٩ ، ٤٨٧
طليبرة ١١٤	صفاقس ٤٥١
طليطلة ١١٤ ، ٣٠٧ ، ١١٣٨	صقلية ٧٧ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٤٤٩
طنجة ٧٧ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ٣٢٢ ، ٤٤٨	٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٩٠٨ ، ٩١٨
الطوبران ١٠٠	الصمان (جبل) ١٠٧
طوس ١٢٢	صنعاء ١٨ ، ٩٨ ، ٦٢٥
	صور ١٠٦ ، ٤٥١
ظ	صول ٩٩ ، ١٣٠
	صيда ١٠٧
الظاهرية ١٢٢	الصين ١٧ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٤٢ ،
ظفار ٩٨	١٤٦ ، ٥٢٣ ، ٦٥١ ، ٦٩١ ، ٧٢٠
	٨٠٣
ع	الصمان ١٠٧
عبادان ١٠٧	صميرة ١٢٠
عشور (بحيرة) ١٣٩	
العجم ، انظر : فارس	ط
عدن ٢١ ، ٩٨	الطاق ١٠٩
عدوة (بلاد) ٧٦٦	الطالقان ١٠٩ ، ٣٥٤
العدوة الغربية ٥١	الطائف ٦٢٧ ، ٧٤٥
عدوة النيل ٩٥	طبرستان ٨٠ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ٣١٩ ،
العدوتين ٤٠٥ ، ٤٥٢	٣٥٥ ، ٤٥٩ ، ٥٣٥
العراق ٢٠ ، ١١٩ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ،	طبرية ١٠٧
٢٥٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣٢٢	طرابغة ١١٥
٣٦٣ ، ٣٨٣ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٣٦	طرابلس ١٠٦ ، ١١٦ ، ٤٥١ ، ٥٠٥
٤٦٣ ، ٥٦٠ ، ٦٢٠ ، ٦٢٧ ، ٦٥٨	— الغرب ٦٢١ ، ٦٧٣
٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٧٤٥ ، ٧٤٧ ،	طراز ١٢٣
٧٥٥ ، ٧٦٦ ، ٧٧٩ ، ٧٨٨ ، ٧٩١	طرسوس ١١٧
٧٩٤ ، ٧٩٧ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٢	طرطوس ١١٦ ، ١١٧
٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ١٠٥٠ ، ١٠٧٤	طرف اوثان ١٠٤
١١٢٥	طرطوشة ١١٤

٥٩٩ ، ٥٣٧ ، ٥٣٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨١
 ٨٩١ ، ٨٩٠ ، ٧٦٣ ، ٦٧٦
 فاس ٣٥٥ ، ١٤٩ ، ١٠٢ ، ٤١ ، ١٠
 ٦١٩ ، ٦١١ ، ٦١٠ ، ٥٣٦ ، ٤٧٦
 ٧٥١ ، ٧٠٩ ، ٦٦٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٣
 ١١٦٠ ، ٩٠١
 فحص التيه ١٠٥
 الفرات ١١٨ ، ١٠٧ ، ٨١ ، ٨٠ ، ١٩
 ٦٠٠ ، ٤٨٣ ، ١٢٨ ، ١١٩
 فرغانة ١٢٣ ، ١١١ ، ٨٢
 الفرما ١٠٥
 فزان ٩٩
 فسطاط مصر ٧٩
 فلسطين ٤٠٩ ، ٣٢١ ، ٢٩١ ، ١٤
 فلونية ١٣٨
 فورنة ١١٤
 الفيوم ٥٣٦ ، ١٠٤

ق

قابس ٦٧٣ ، ٦١٨ ، ٤٥١
 قادس (جزيرة) ٤٥٢ ، ١١٣
 القادسية ١٤ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ١١٩ ،
 ٤٨٣ ، ٤٠١ ، ٢٧٨ ، ٢٢٠
 قاتسان ١٢١ ، ١٠٩
 القاهرة ٦١١ ، ٦١٠ ، ٥٣٦ ، ٤٠٤
 ١١٦٦ ، ٧٧٨ ، ٧٥٠ ، ٦٤٤
 قباقب (نهر) ١٢٨
 قبرص ٤٥٠ ، ١٠٦ ، ٧٧
 القدس ، بيت المقدس ١٠٧ ،
 ٥٦٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩
 ٦٣٣ ، ٦٣٢ ، ٦٣١ ، ٦٢٩ ، ٦٢٢
 ٧٢٩ ، ٦٣٤
 القرانات ٥٨١ ، ٣٠٠
 قرطبة ٦١٠ ، ٥٢٣ ، ٣١٤ ، ١١٣

العراقيين ٣٠٨ ، ١٤
 العرايش ١٠٢
 العرج (جبل) ١٠٧
 عرعون (بحيرة) ١٣١
 العرينس ١٠٥ ، ٧٩
 عسقلان ٤٥١ ، ١٠٦
 العقبة ١٠٦
 عكا ٤٥١ ، ١٠٦
 عكاظ ١٠٠
 العلاقي (جبل)
 العلايا ١١٧
 علي بن يعقوب ٩٧
 عمان ٧٢١ ، ٤٠٩ ، ١٠٠
 عمورية ٣٠٩ ، ١٢٨
 عيذاب ٩٩ ، ٧٩
 عين زربة ١١٨ ، ١١٧

غ

غافق ١١٤
 غانة ٩٨ ، ٩٣
 غدامس ، او غدامس ١٠٣
 غرناطة ١١٣ ، ٤٣٤ ، ١١١٦ ، ١١٤٤
 غزنة ١٠٩
 غزة ١١٦ ، ١٠٦
 غشكونية ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١١٥
 غمارة ٥٨٤ ، ٢٨٤
 الغور (وادي) ١١٠ ، ١٠٧

ف

فاراب ١٢٣
 فاران ١٠٥
 فارس ، بلاد العجم ، بلاد الفرس ١٧
 ٢٠ ، ٢٧٨ ، ١٤٦ ، ١٢١ ، ٧٩ ،
 ٣٦٢ ، ٣٦٠ ، ٣١٨ ، ٢٩١ ، ٢٨٧

- القمر (جزيرة) ٩٧
القندهار ١٠٠
قنطرة السيف ١١٤
قنسرين ١١٧ ، ٣٢١
القنوج ١٠١
قنورية ٩٨
قوص ٩٩
قوصرة ٤٤٩ ، ٤٥٠
قوقيا ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٤٠٤
قوس ٣١٩
القيروان ٤ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣١٧ ، ٣٣٣
٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٤٢٥ ، ٤٧٦ ، ٥١٩
٦١١ ، ٦١٤ ، ٦٢٠ ، ٦٣٩ ، ٦٥٢
٦٥٩ ، ٧١٨ ، ٧٧١ ، ٧٧٣ ، ٧٧٨
٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٨٨ ، ١٠٠٧ ، ١١٦٣
قيسارية ١٠٦
قيمازك (ارض) ١٣٨
- ك
كابل ١٠٠ ، ١٠٩
كانم ٩٤
كتامة ١٠٢
كتمان ١١١
كربلاء ٣٥٢ ، ٣٨٤ ، ٥٨٤
كرد : اكراد ٤٤٦
كرمان ٧٩ ، ١٠٨ ، ٣١٩
كزولة ٩٨
الكعبة ١٦٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٤
كوار ٩٩
كور دجلة ٣١٨
الكوفة ٨٠ ، ٨١ ، ١١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٤
٣٦٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠
٤٧٠ ، ٦١١ ، ٦٢٠ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩
- ٧٧١ ، ٧٧٣ ، ٧٧٨ ، ٨٠٨
قرطاجنة ١١٥ ، ٣١٤ ، ٤٤٨ ، ٦١٤
٦١٥
قرقشونة ١١٥ ، ١٢٤
قرقسيا ١١٩
قرمط ١٠٥
القرويين (جامع) ١٠
قر وين ١٢٠ ، ١٣٠
القسطنطينية ١٨ ، ٧٧٤ ، ٩١٣ ، ١٢٧
١٢٩ ، ١٣٨ ، ٢٨٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠
٧٢٩
القسطنطينية (خليج) ١٢٧ ، ١٢٨
قسطنطينية ١٠٢ ، ٥١٩ ، ٦٠٣ ، ٦٤٣
قشتالة ١٢٤
قشمير ١٠١
قصر ١١٢
قصر كتامة ١٠٢
قصر بن هبيرة ١١٩
قطاوان ١١٣
القطب الجنوبي ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠
القطب الشمالي ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٠
القفس ١٠٨
قفصة ١٠٣ ، ٦٧٣
قلزم (بحر) ٧٩ ، ٩٦ ، ١٠٥
القاعة ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٤٣٤ ، ٤٧٦ ،
٥١٩
قلعة أيوب ١١٤
قلعة بني حماد ٦١٤ ، ٧١٨
قلعة رياح ١١٤
قلمرية ١١٤
قلهات ١٠٠
قلورية ١١٥ ، ١٢٦
قم ١٢١
القمانية ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩

- ١١٣ مالقة
١٤٣ مالي
٥٣٦ ، ٥٣١ ، ٥١٨ ، ١٧ ما وراء النهر
١٠٥١ ، ٨٠٣ ، ٧٧٤ ، ٦٧٦
١٤ ما وراء النهر والابواب
٦٦٨ ، ٤٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٦١ المدائن
١١٣ مديلة
٣٨١ ، ٣٦٣ ، ١٨٠ ، ١٧٣ المدينة
٦٢٧ ، ٦٢٢ ، ٥٨١ ، ٥٦٠ ، ٣٩٠
٧٩٧ ، ٧٩٢ ، ٧٢٩ ، ٦٣٤ ، ٦٣٣
٨٠٥ ، ٨٠١
٦٠ مدينة النحاس
١٣٣ مرآتية
٥٣٦ ، ٤٥٢ ، ٢٩٢ ، ١٠٢ مراكس
٧٧٢ ، ٧١٨ ، ٦٦٩
١٢٨ ، ١٢٠ ، ١١٧ المراغة
١١٤ مرسية
١١٨ ، ١١٧ مرعش
١٣١ مرغار
٤٤٨ مرناف
١٠٩ مرو
١٢١ مرو الشاهجان
١٠٣٨ ، ٤٤٩ ، ١١٤ المرية
١١٤ المرية قرطاجنة
٦٢٩ المسجد الاقصى
٩٨ مسرائه
٥١٩ ، ١٠٢ المسيلة
١١٧ مصياف
٣٦ ، ٣٣ ، ١٨ ، ١٥ مصر ١٣
٢٨٦ ، ٢٧٦ ، ٢٤٨ ، ١٥٤ ، ٩٤
٣٥٦ ، ٣٢١ ، ٣١٦ ، ٣٠٨ ، ٢٩٢
٣٩٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٦٠
٤٤٨ ، ٤٢٤ ، ٤١٣ ، ٤٠٣ ، ٣٩٩
- ٧٩١ ، ٧٧٨ ، ٧٧٤ ، ٧٤٩ ، ٦٦٨
١٠٥٧
٣٥٤ الكناسة
٩٢ الكنباص
٢٩٣ كنعان (ارض)
٣١٨ كنكر
١٤٣ ، ٩٤ كوكو
١٠٩ كوهستان
١٣١ ، ١٢٣ الكيمائية
- ل
- ١١٣ لبله
١١٤ لفته
١١٦ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١١٦ اللكام (جبال)
١٢٩ ، ١١٨
١٣٣ لهويكة
١١٦ اللاذقية
١١٤ لارده
٨٠ اللان (ارض)
١٣٥ ، ١٣٤ اللانية
١٠٤ ، ٩٩ اللاهون
٣٧٠ ليلة العقبة
١١٤ ليورقة
١٢٤ ليون
- م
- ٦١٥ ، ٤٠٩ ، ١٠٠ مارب
١٩ ما بين البحرين
١١٤ ماردة
١١٥ مازر
١١٥ مسيني
٣٢٠ ماسبذان
٥٨٤ ، ٢٨٤ ماسة
٤٥١ ، ٤٥٠ ، ١١٥ مالطة

- مقدونية ١٢٧ ، ٩٩٥
المقطم (جبل) ٩٩
مكران ٧٩ ، ١٠٨ ، ٣١٩
مكة ، ام القرى ، بكة ٢٧ ، ٩٩ ، ١٤٥
١٧٣ ، ١٨٠ ، ٤٠١ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩
٥٨٣ ، ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨
٦٣٣ ، ٦٣٥
مكناسة ١٠٢ ، ١١٦٣
اللتان ١٠٠
ماطية ٨١ ، ١١٧
ملوية ١٠١ ، ٥١٩
مملكة السرير ١٢٩
المنارة البيضاء ٥٨١
منبج ١١٧
منجالة ١١٤
المنكب ١١٣
المنصورة (في المغرب) ٦١٤
منورقة ، منورقة ١١٢ ، ٤٥٠
منيبار ١٠٠
مهرجان ١٢١
المهجم ٩٧
المهدية ١٠٣ ، ٢٧٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥١
٥٩٥ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٥٩ ، ٧٥١
١١٢٩
الموصل ١٧ ، ٨٢ ، ١١٩ ، ٢٩١ ، ٤١٠
١٠٥٩ ، ٥٣١
موزيه ١١٤
ميافارقين ١٢٨ ، ١٢٩
ميورقة ٧٧ ، ١١٢ ، ٤٥٠ ، ١١٥٦
ن
نابل (نابولي) ١٢٦
ناجرة ١٢٤
الناسان (بلاد) ١١٠
٥٤١ ، ٥٣١ ، ٥١٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٣ ، ٤٥١
٦٥١ ، ٦٤٤ ، ٦٣٣ ، ٦١٦ ، ٦١٠
٦٧٨ ، ٦٧٦ ، ٦٦٠ ، ٦٥٨ ، ٦٥٢
٧٤٧ ، ٧٤٤ ، ٧١٧ ، ٧١٥ ، ٦٩١
٧٧٨ ، ٧٧٦ ، ٧٧٢ ، ٧٥٧ ، ٧٥٠
٩٢٤ ، ٨٠٦ ، ٨٠٥ ، ٨٠٤ ، ٧٩١
٩٢٧ ، ١٠٧٤ ، ١١٦٦
المصبصة ١١٧ ، ١١٨
المرة ١١٧ ، ١١٨
مغراوة (ملوكها) ٤٠٥ ، ٥٣٦
المغرب ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٣٧
٥٣ ، ٧٧ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ،
١٥٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥
٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣١٧
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩
٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٣
٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨
٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٢٤
٥٣٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٥٩٥
٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٥ ، ٦١٠ ، ٦١١
٦٣٦ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٢
٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦
٦٧٧ ، ٦٩١ ، ٧٠٩ ، ٧١٥ ، ٧٢٠
٧٥٠ ، ٧٥٧ ، ٧٦٦ ، ٧٧١ ، ٧٧٣
٧٧٧ ، ٧٧٩ ، ٧٨٤ ، ٧٨٧ ، ٧٩٤
٨٠٠ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٩ ، ٨١٧
٨٢٠ ، ٨٨٨ ، ٨٩٣ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨
٩٣٠ ، ١٠١٢ ، ١٠٣٨ ، ١٠٤٠ ،
١٠٦٧ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٩
١١٢٤ ، ١١٥٧ ، ١١٦٠ ، ١١٦٤
١١٦٩
المغرب الاوسط ١٠٣
مغيلة ٢٧٦
مقدشو ٧٨

و

الواحات الداخلة ٩٩
وادي آش ١١٥٧
وادي الحجارة ١١٤
وادي الرمل ١٧ ، ١٩
وادي القرى ٣٦٢
وادي ياش ١١٤
واسط ٨١
الواق واق ٧٨ ، ٩٧
وچار ١٠٩
الوخس ١٠٩ ، ١١٠
وخشاب ١١٠
ودان ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤
وركلان ٩٣
وريكة ٩٨
الوسطى ١١٥
وشقة ١٢٤
ونفاره ٩٤
وهران ١٠٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤

ي

يابرة ١١٤
يابسة ٤٥
يأجوج ومأجوج ٧٥ ، ١١٠ ، ١٢٣ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧
١٤٠ (سد) ١٤٦
الياقوت (جزيرة) ١١١
ينرب ١٤ ، ٩٩ ، ٣٨٠ ، ٦٣٤
يخنالك (ارض) ١٣٥ ، ١٣٩
اليرموك ٢٧٨
يزدشير ١٠٨
يسامت اشبونة ١١٤
يلملم (جبل) ٩٩
اليمامة ٧٩ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٤٣ ، ١٩٠

نجد ١٠٠

نجران ١٠٠
نجيرم ١٠٨
نسا ١٠٨ ، ١٢٢
نصيبين ١١٨
نفزاوة ١٠٣
نفطة ٦٧٣
نهاوند ١٢٠ ، ٣١٩
النوبة ٨١ ، ٩٤ ، ٩٥
النهران (بلاد) ١١٩
نول ١٠١
نيت جون ١٢٥
نيسابور ١٢١
نيستر (صحراء) ٩٨ ، ١٠١
نيطش ٧٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٤
نيقية ٤١٤
النيل ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٤
نيونة ١٢٥

هـ

هجر ١٠٠ ، ١٠٧
هراة ١٠٩ ، ١٢٢ ، ٨٩٤
هرقلية ، هريقلية ٧٧ ، ١٣٤
هرمز ١٠٨
الهولس ١٢٠ ، ١٢١
همدان ١٢٠ ، ٣٢٠
الهند ٦٦ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٤٢
١٤٦ ، ٢٥٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٥٢٣
٦٣٥ ، ٦٥١ ، ٦٩١ ، ٧٢٠ ، ٨٠٣
٩٢٨
هنين ١٠٢
هواره ١٠٣
هيب ١٠٤
هيت ١١٩

٢٤٣ ، ١٨٩ ، ١٥٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢
 ٣٢١ ، ٣١٧ ، ٢٨٨ ، ٢٦٥ ، ٢٥٥
 ٥٩٥ ، ٥٨٨ ، ٤٠٩ ، ٣٨٠ ، ٣٦١
 ١٠٧٢ ، ٨٠٠ ، ٧٤٧ ، ٧٢١ ، ٦٥٨

ينبع ٥٨٣
 ينبلونة ١٢٤
 يوم السقيفة ٣٤٣
 اليمن ١٦ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٧

٦- فهرس النكواب والنجوم والأبراج الفلكية

الزهرة ١٩٨ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٢٩	الاسد (برج) ٥٩٦ ، ٥٩٩
٩٢٩ ، ٦٣٤	اول الميزان ٨٤
السرطان ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨	البرج ٩٥١
٩٧٠	الثور ٥٨١
الشمس ١٦١ ، ٣١٥ ، ٦١٤ ، ٩٣٠	الجدي (رأس) ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٧١
١٠٠٣ ، ١٠٠٥ ، ١٠١٦	الجوزاء ٩٥١
الشهب ١٧٦	الحمل (برج) ٨٥ ، ٥٩٦ ، ٦٩٨ ، ٩٤٤
العقرب ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠	الحوت ٨٤ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠
المقر ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ١٠٠٣	دائرة معدل النهار ٨٤ ، ٩٠
المريخ ٥٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠	زحل ٢ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨
المشتري ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩	
الميزان (برج) ٥٩٩ ، ٩٧١	

٧- فِهْرُسُ الْحَيَوَان

الزرافة ١٥٢	الابل ، البعير ، الجمل ١١٢ ، ١٥٧ ،
السماك ٣١٥ ، ٦١٤ ، ٧٣١	٢١٢ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ ، ٤٥٧
شاة - شلاء - المعز ٩١ ، ١١٢ ، ١٥٢	٦٢٠ ، ٦٣٩ ، ٧٢٠
٢١٢ ، ١٥٦	الاسد ٧٠ ، ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٩٢٩
الضأن ١٥٣	البقر ١٥٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٢٤ ،
الطباء ٢٤٣	١٠١٥
مقرب : مقارب ٣٦٢ ، ٩٢٩ ، ١٠١٨	البقر الوحشية ٢٤٣
العنكبوت ٢	البوم ٦٤ ، ٥٠٨
الغزال ١٥٢	ثعلب ، ثعالب ٥٦٨
الفنم ٢١٢ ، ٣٢٣ ، ٩٢٨ ، ٩٣٠	الثور ٧٠
الفأر ٣٢٤ ، ٦٤٥	الجراد ٦٧
الفرس ٧٠ ، ٣٦٢	الحلزون ١٦٧
الفيل : فيلة ٧٠	الحمار ٧٠ ، ١٥٢ - الحمر الوحشية
الكلاب ٢٦٨ ، ٥٦٠	٢٤٣ ، ١٥٢
اللوتياء (الحوت) ٢	الحمام ٢
الهر ، الهرة ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٦٤٥	الحوت ٢ ، ٦٠ ، ٧٣١
المهى ١٥٢	حية ، حيات ١١١ ، ٩٢٩ ، ١٠١٥
النحل ٧٢ ، ٦٨٢ ، ٧٣٧ ، ١٠١٥ ،	الخيال ١١٢ ، ٣٠٨ ، ٣٦٢ ، ٤٥٧
١٠١٨	الخنافس ٣٦٢
النعام ١٥٢	الدجاج ١٥٣ ، ١٥٧ ، ٣٦٢
اليهموت ٢	دود الحرير او دود القز ٢٥٦ ، ٤٧١
	٦٨٢ ، ٤٧٣

٨ فِهْرُسُ السَّبَاتِ

السكر ٣١٨	الباقلاء ٦٤٦
السّمسم ١٩٠	البصل ١٦١ : ٦٤٦
الشّعير ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٦٤٦	التمر (نبيذه) ٢٩ ، ١٥٤
العسل ٣٢٠	الثوم ١٦١ ، ٦٤٦
القصب ٧٢٦	الحنطة ١٥٥ ، ٦٤١
القطن ٤٧٣ ، ٧٣٣	البقل ١٥٥
الكتان ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٧٣٣	الحنظل ١٥٧
الكرم ١٦٧	الدّفلّى ٦٦٥
الليم ٦٦٥	الدّرة ١٤٢ ، ١٥٣
ماء الورد ٩٢٩	الرمان ٩٢٨
النارنج ٦٦٥	الزعفران ٩٢٩ ، ٩٨٤
النخل ١٦٧	السرو ٦٦٥

٩- فِهْرَسُ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ

العنبر ٣٠٦ ، ٣١٧	البخور ٩٤٧
العقيق ٣٦٣	الجمان ٥٨١ ، ١١٣٩
العود الهندي ٣١٩	الجواهر ٥٨١ ، ١١٣٩
الفضة ٢٩ ، ١٤٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ،	الجواهر ٦٨٦ ، ٦٩١
(نقر الفضة) ٣٦٢ ، ٤٦٢ ، ٥٧٦	الحديد ٩١ ، ١٤٢ ، ٦٩١ ، ٩٨١ ،
٦٢٥ ، ٦٨٠ ، ٦٩١ ، ٧٩٢ ، ٩٧٧	١٠١٤
٩٨١ ، ١٠١٠ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ،	الخارصين ١٠١٤
١١١١ ، ١٠١٥ ، ١٠١٤	الدر ٣٠٦ ، ١١٣٩
الفلجشت ١٥٥	الذهب ٢٠ ، ٢٩ ، ٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
الفيروزج ٤٧١	٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
القريبون ١٥٧	٤٦٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٥٢٠ ، ٥٦٨
القصب ١٤٢	٦٢٤ ، ٦٣٠ ، ٦٥١ ، ٦٨٠ ، ٦٩١
القصدير ١٤٢ ، ٦٩٢ ، ٩٧٦ ، ١٠١٠ ،	٧٩٢ ، ٩٨١ ، ٩٧٦ ، ٨٢٥ ، ٩٩٢
١٠١٤ ، ١٠١٣	١٠١٤ ، ١٠١٣ ، ١٠١٢ ، ١٠١٠ ،
الكافور ٣٠٥	١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ،
الكبريت ٩٨١	١٠١٩ ، ١١١١ ، ١١١٦ ، ١١٤٠ ،
اللجين ٣٧	الرخام ٦٤٠
الؤلؤ ، لآلىء ٥٨١ ، ٦٩١	الرصاص ١٤٢ ، ٦٩١ ، ٩٧٦ ، ٩٩٠ ،
اللاعبة ١٥٥	١٠١٣ ، ١٠١٤
المازريون ١٥٥	الزاج ٩٩٠
المسك ٣٠٦	الزبرجد ٢٠
مصطكى ٩٤٧	الزمرد ٩٧ ، ٤٧١
المنغنيس ٩٩٠	الزئبق ٩٨١
النحاس ١٤٢ ، ٦٩١ ، ٩٧٦ ، ٩٨١	الشبرم ١٥٥
٩٩٠ ، ١٠١٠ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤	الصدف ١٦٧ ، ٦٤٠ ، ١١١١
الياقوت ٢٠ ، ١١١ ، ٣٠٦ ، ٤٧١	العاج ٤٦١
اليتوع ، اليتوعات ١٥٥ ، ١٥٧	العرطنشا ١٥٥
	العشر ١٥٥

١٠- فهارس أسماء الكتب

الوارد ذكرها في تصانيف المقدمة
مرتبة عناوينها على الهجاء

تاريخ بغداد ٦١٠	الاحكام ٨١٧
تاريخ جرجس بن العميد ٤١٤	الاحكام السلطانية ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤١٨
النحصيل على العتبية ١٠٢١	٤٣٣ ، ٤٦٦
تعاليم الشفاء ٩٠٦	احكام المعلمين والمعلمين ٢٢٢
تفسير الزمخشري ١٠٦٧ ، ١٠٦٨	احياء الدين ٨٦٦ ، ٨٦٨
التنقيحات ٨١٧	ادب الكاتب ١٠٧٠
التنبيهات ١٠٢١	ارجوزة في الطب (لابن سينا) ١٤٥
التهذيب ٨٠٧	الارجوزة الكبرى والارجوزة الصغرى
التوراة ١ ، ١٥ ، ١٤٤ ، ٤١١ ، ٤١٢	١٠٥٨
٧٨٧ ، ٦٢٩	الارشاد ٨٢١
جامع الاحاديث للترمذي ٣٠	ارجوزة الالفية ١٠٥٨
الجفر (كتاب) ٥٨١ ، ٥٩٤	الاسديه ٨٠٧
الجفر الصغير ٦٠١	اسفار الملوك الاربعة ٤١٢
حاشية الخفاجي على البيضاوي ٢	اصول الفقه ٨٢٠
خلع النعلين ٢٨٠ ، ٥٧٦	الاغاني ٢٤١ ، ١٠٧٠ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٥
الدخيرة لابن بسام ٣٠٧	اكمال المعلم ٧٩٥
رتبة الحكيم ٩٧٧ ، ٩٩٢ ، ١٠١١	الالفاظ لابن السكيت ١٠٦٣
١٠١٩	الانجيل ١ ، ٤١١ ، ٤١٢
رحلة ابن العربي (ابو بكر) ١٠٤١	الانماط ٩٤٠ ، ٩٤١
رسالة ابي بكر بن بشرون ٩٧٨	الايضاح والتلخيص ١٠٦٧
رسالة القشيري ٣٩٦ ، ٨٦٦ ، ٨٦٩	الباب ٥٥٨
رسائل نجابر بن حيان ١٠١١	البدائع ٨١٨
رسالة حي بن يقظان ٧٣٨	البيان والتبيين ١٠٧٠
رسائل ابن المقفع ١١١٢	تاريخ ابن حماد ٤٦٤
رفع الحجاب ٨٩٦	تاريخ ابن الرقيق ٣١٧

- ٧٩٨ ، ٧٨٦ ، ٧٨٥ ، ٧٨٣ ، ٧٨٢
 ٩٢٧ ، ٨٣٢ ، ٨٣٠ ، ٨١٢ ، ٧٩٩
 ٦١٠٤٠ ، ١٠٣٩ ، ١٠٣٨ ، ٩٤١
 ١٠٤٨ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤١
 ١٠٦٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٧
 ١٠٨٠ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٥ ، ١٠٦٩
 ١١٢٢ ، ١١١٥ ، ١١١٤ ، ١٠٩٣
 الفلاحة النبطية ٩٢٠ ، ٩٢٤
 قصيدة الشاطبي الكبرى والصفري
 في القراءات ١١١٤
 قصص الرسل ٤١٣
 الكامل للمبرد ١٠٧٠
 الكامل لابن عدي ٥٦٧
 كتاب ابن يونس ١٠٢١
 كتاب ابن ثابت (في الفرائض) ٨١٠
 ٩٠١
 كتاب ابن الحاجب ١٠٢٢
 - الاشارة ٨٨٨
 - ابو غالمسيس ٤١٣
 - الاصول ٧٣٢ ، ٩٠٢
 - الاحكام ٨١٧
 - الارشاد ٨٣٧
 - الاربع ١٠٠٤
 - كشف الاسرار ٩١٣
 - الاشارات ٨٧٥ ، ٩١٦ ، ٩٩٩
 - الاقتصار لابن ابي الصات ٩٠٦
 - الاغاني ، انظر : الاغاني
 - اقليمطس ٤١٣
 - الامام لسبيويه ١٠٥٧
 - اوقليدس ٨٩٢
 - الابرلكسيس ٤١٣
 - اوشير ٤١٢
 - ايوب الصديق ٤١٢
 كتاب البردوي ٨١٨
 رؤيا يوحنا ٤١٣
 السر المكتوم ٩٣٠
 سراج الملوك للطرطوشي ٦٦ ، ٢٧٤
 سفر بنيامين ٤١٢
 السنن (كتاب) ٥٦٥ ، ٥٩٣ ، ٧٩٣
 ٧٩٧ ، ٧٩٥
 شرح قصيدة ابن اغارص للفرغاني
 ٨٧١
 شرح كتاب خلع النعلين ٥٧٦ ، ٥٧٨
 الشيعة بالجفر ٦٠١
 الصحاح للجوهري ١٠٦١
 الصحيح للبخاري ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٩٢
 ٢١٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٥٧٣ ، ٧٩٢
 ٨٨٦ ، ٨٨٢
 صحيح مسلم ٥٦٣ ، ٧٩٧
 الصحيحان ١٦٠ ، ٤٦٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٩
 ٥٧١ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ، ٧٩٧
 العتبة ١٠٢١
 العقد او العقد الفريد ٢٦ ، ٣١ ،
 ١١٢٣ ، ١١٣٨
 عقيدة الرسالة ٨٣٢
 العمدة ١١٠٦ ، ١١٠٨
 عنقاء مغرب لابن العربي ٥٧٦ ، ٥٧٧
 عوارف المعارف ٨٦٦
 العواصم والقواصم ٣٨٤
 عيون الادلة ٨٢٠
 غاية الحكيم ٩٢٥ ، ٩٤١ ، ٩٧٧ ، ٩٩٢
 الفتح القدسي ٤٥٣
 فصيح ثعلب ١٠٦٣
 فقه اللغة للشعالبي ١٠٦٣
 القرآن ، المصحف ، الكتاب ٢٣ ، ٢٧
 ١٣٧ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨
 ٣١٣ ، ٤١١ ، ٤٦٨ ، ٥٥٧ ، ٦٢٢
 ٧٤٧ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٨٠ ، ٧٨١

- كتاب البرهان ٨١٦ ، ٩١٢
 - بولس ٤١٣
 - التبيان للسكاكي ١٠٦٧
 - التحصيل ٨١٧
 - التسهيل ١٠٥٨
 - التيسير ٧٨٣
 - الجغرافية لبطليموس ٧٦ ، ٩٥
 - الحاصل ٨١٧
 - الحصار الصغير ٨٩٧
 - الخطابة ٢٣٦
 - راعوث ٤١٢
 - السياسة ١٩٩ ، ٥٧٤
 - السير ٣٤٦
 - الشامل ٨٣٥
 - الشفاء ٩١٢ ، ٩١٦ ، ٩٩٩
 - الشفاء والنجاة ٨٩٦
 - الطوالع ٨٣٧
 - طمطم الهندي ٩٢٤
 - العبر وديوان المبتدا والخبر ٨
 - العتبية ٨٠٧
 - عزرا الكاهن ٤١٢
 كتاب العمدة لابن رشيق ٨٦٤ ، ١٠٦٧
 - العهد ٨١٧
 كتاب العين ١٠٥٩ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢
 - الفاية ١٨٣ ، ٩٣٠ ، ١٠١٩
 - القرشي ٨٩٩
 - القرانات ٥٩٨ ، ٦٠١
 - اقتاليقون ٤١٢
 - القضاة ٤١٢
 - الكشف ٧٨٨
 - المآخذ ٨٢٠
 - المبدأ والمعاد ١٠٠١
 - المحصول ٨١٧
 - المختصر ٨١٧ ، ٨٣٢
 كتاب المجاز للزمخشري ١٠٦٢
 - المصباح لابن مالك ١٠٦٧
 - المعلم الاول ٢٣٦
 - المشترك لياقوت ٩٤
 - المقايين ٤١٢
 - المقامات ٨٧٥
 - المقنع ٨٨٤
 - المقولات ٩١٢
 - المنطق لارسطو ١١٢٤
 - ميلاوش ٩٠٣
 - النجاة ٩١٦ ، ٩٩٩
 - النبي ١٦١
 - النوادر لابي علي القالي ٨٠٧ ، ١٠٧٠
 كتاب الواضحة ٨٠٦
 - يشوع بن شارخ ٤١٢
 - يهوذا ٤١٢
 - يوشع ٤١٢
 - المحكم ١٠٦٢
 - المجسطي ٩٠٦
 مختصر الجمل ٩١٥
 مختصر القاضي ابي القاسم الحوفي ٨١٠
 المختصر الكبير ٨١٧
 المدونة ، مدونة سحنون ، المختلطة ٨٠٧
 مروج الذهب ٥٢
 مزامير داود ٤١٢
 المسالك والممالك ٥٢
 المستدرك ٥٦٠ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠
 المستصفى ٨١٧
 مسند ابي بكر البزاز ٥٧٢
 مسند الطحاوي ٧٩٧
 مسند القشيري ٧٩٣
 مصاحف الكواكب السبعة ٩٢٤

المفصل للزمخشري ١٠٥٨	معالم السنن ٤٦٦
مقدمة على المفصل ١٠٥٨	معاملات الزهراوي ٩٠٠
المتع ٨٨٨	المعتمد (شرح كتاب العهد) ٨١٧
منافع الاعضاء لجالينوس ٧٠	المعجم الاوسط ٥٦٧
المنهاج ٨١٧ ، ٩٠٨	المعجم الكبير للطبراني ٥٧٢
الموجز ٩١٥	المزهر ٢
الموطأ لمالك ٢٧ ، ١٩٣ ، ٧٩٢ ، ٧٩٦	المعلم بفوائد مسلم ٧٩٥
ميزان العمل لابن رشيقي ٥	المغني في الاعراب ١٠٥٨
الميزان ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠	الملل والنحل لابن حزم ٣٥٧
نزهة المشتاق للشريف الادريسي ٩١	المفتاح في النحو والتصريف والبيان
النص ٩١٠	للسكاكي ١٠٦٧
الواضحة ٨٠٧	الملل والنحل للشهرستاني ٣٥٧

١١- فَهَرَسُنْ آتَى الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ

إذا جاء نصر الله والفتح ٧٨٥
 إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ٥٨٠
 الأئمة من قریش ٣٤٣
 اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبينة ٣٤٤
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ٣٤٢ ، ٣٤٩
 أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ٣٣٧
 أقضاكم علي ٣٤٨
 ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ٧٨١
 الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
 ربهم ١٠٩٣
 ألم تر كيف فعل ربك . . . ٢٠
 إن الله أذهب عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ٣٥٨
 إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ٤٨٠
 أن سنلقي عليك قولا ثقيلا ١٦٠
 إن أكرمكم عند الله أتقاكم ٣٥٨
 إن فيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة . . . ٥٨٩
 إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن
 ابراهيم ٢٤١
 إنما لك من مالك ما أكلت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضيت ٦٧٩
 إنما هي أعمالكم ترد عليكم ٣٣٨
 إني أناجي من لا تناجون ١٦١
 إني جاعل في الأرض خليفة ٣٣٩
 أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
 الضالين ٨٢٧
 أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ١٠٥٦ ، ١٠٧٣
 إلا وإني لا أعلم إلا ما علمني الله . . . ١٥٩
 تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما : كتاب الله وسنتي ١٠٤٨
 تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ٢٢٦

جعلكم خلائف الارض ٣٣٩
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ٣٠١
الحرب خدعة ٤٩٠
ختامه مسك ٤٦٨
خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان فى ذلك لآيات
للعالمين ٤٦١
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا ٦٥٦
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ٣٦٠
الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ٨٨٢
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ١٤٧
سيروا على سير اضعفكم ٣٣٥
العلماء ورثة الانبياء ٣٩٥ ، ٣٩٦
فابتغوا عند الله الرزق ٦٨٠
في رأس العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة ٨٢٧
قل هو الله احد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ٨٢٤
كل مولود يولد على الفطرة ٢١٥
كنتم خير امة اخرجت للناس ١٤١
لقد اوتي مزمارا من مزامير داود ٧٦٣
لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له ٨٨٢
لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم ٥٩٠
لو انفق ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ٢٧٧
لو تعلق العلم باكتاف السماء لناله قوم من اهل فارس ١٠٥٠
لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ٦٢٥
ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ٢٧٩
ما دخلت هذه (السكة) دار قوم الا دخله الذل ٧٠٢
ما من نبي من الانبياء الا واوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ١٦٥
ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ٧٨٩
من رأى فيكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع
فبقلبه ٢٨١
من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ٣٥٩
من كنت مولاه فعلي مولاه ٣٤٨
من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة ٨٢٤ ، ٨٦٤
من يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الامر من بعدي ٣٤٩
منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ٥٩٢

الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ٢٣٥
 نصرت بالرعب مسيرة شهر ٤٩١
 واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري ٤١٧
 واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني ١٠٢٠
 واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ... ٦٢٣
 واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ... ٢٥٣ و ٦٦٤
 وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ٥٩٠
 ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك
 خير مما يجمعون ٦٩٦
 وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا ... ٦٧٨
 ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل : هاروت
 وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفروا ... ٩٢٧
 وما اوتيتم من العلم الا قليلا ٦٣
 لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما
 اصابهم ٣١٦
 لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما ٧٠٣
 لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
 والهناء والهكم واحد ٧٨١
 لا هجرة بعد الفتح ٢١٧
 لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٨٢٨
 يا فاطمة اعلمي فان اغني عنك من الله شيئا ٣٥

١٣- فهرس الممواد

ص

كلمة الناشر	١ - ١١
تصدير الكتاب	١١ - ١٢
في فضل علم التاريخ	١٢ - ١٦
اخبار المؤرخين الواهية	١٦ - ٢٠
في اوهام المؤرخين	٢٠ - ٥٠
في بيان انقلاب احوال البلاد	٥٠ - ٥٦
٥٧ - الكتاب الاول : في طبيعة العمران في الخليقة	
ما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب	٥٧ - ٥٩
والمعاش والصنائع والعلوم ونموها وما لذلك من	
العلل والاسباب	
تمييز الحق من الباطل في اخبار التاريخ	٥٩ - ٦٢
كلام الحكماء في السياسة	٦٢ - ٦٨
الباب الاول :	
٦٩ - ٧٣ المقدمة الاولى : في العمران البشري على الجملة	
٧٤ - ٧٦ المقدمة الثانية : في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض	
ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم	
البحار	٧٦ - ٨٠
الانهار	٨٠ - ٨٢
تكملة لهذه المقدمة الثانية	٨٢ - ٨٨
تفصيل الكلام على بدء الجغرافية : اقاليم الارض	٨٨ - ١٤٠
السبعة	
١٤١ - ١٤٧ المقدمة الثالثة : في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء	
١٤٨ - ١٥٠ المقدمة الرابعة : في اثر الهواء في اخلاق البشر ...	
١٥١ - ١٥٨ الخامسة : في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع	

ص

١٥٩ - ١٦٥	- السادسة : في اصناف المدركين للغيب من البشر
١٦٦ - ١٧١	تفسير حقيقة النبوة .
١٧١ - ١٧٤	الوحي
١٧٤ - ١٧٨	الكهانة
١٧٨ - ١٨٣	الرؤيا
١٨٣ - ٢٠٩	الاخبار بالمغيبات
٢٠٩ - ٢٧٠	الباب الثاني : في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل
٢١٠ - ٢١١	الفصل الاول : في ان اجيال البدو والحضر طبيعية
٢١٢ - ٢١٣	الثاني : في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي
٢١٣ - ٢١٤	الثالث : قدم البادية والبدو
٢١٥ - ٢١٨	الرابع : في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر
٢١٨ - ٢١٩	الخامس : شجاعة اهل البدو
٢٢٠ - ٢٢٣	السادس : معاناة اهل الحضر للاحكام
٢٢٣ - ٢٢٥	السابع : القبائل التي تسكن البدو
٢٢٥ - ٢٢٦	الثامن : في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب
٢٢٧ - ٢٢٨	التاسع : في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر
٢٢٩ - ٢٣٠	العاشر : في اختلاط الانساب
٢٣٠ - ٢٣١	الحادي عشر : في ان الرئاسة لاهل العصبية
٢٣١ - ٢٣٤	الثاني عشر : في ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم
٢٣٤ - ٢٣٧	الثالث عشر : في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية
٢٣٧ - ٢٣٩	الرابع عشر : في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم
٢٣٩ - ٢٤٢	الخامس عشر : في ان نهاية النسب في العقب الواحد اربعة آباء
٢٤٢ - ٢٤٤	السادس عشر : في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها
٢٤٤ - ٢٤٦	السابع عشر : في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

ص

التمان عشر : من عوائق الملك حصول الترف	٢٤٧ - ٤٤٦
التاسع عشر : من عوائق الملك حصول المذلة	٢٤٧ - ٢٥٠
العشرون : خلال الحميدة من علامات الملك	٢٥٠ - ٢٥٤
الحادي والعشرون : في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع	٢٥٤ - ٢٥٥
الثاني والعشرون : انتقال الملك بين الشعوب	٢٥٦ - ٢٥٨
الثالث والعشرون : ولع المغلوب بالاعتداء بالغالب	٢٥٨ - ٢٥٩
الرابع والعشرون : الامة اذا غلبت اسرع اليها الفناء	٢٦٠ - ٢٦١
الخامس والعشرون : في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط	٢٦٢
السادس والعشرون : في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب	٢٦٣ - ٢٦٥
السابع والعشرون : في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم	٢٦٦
الثامن والعشرون : في ان العرب بعد الامم عن سياسة الملك	٢٦٧ - ٢٦٩
التاسع والعشرون : في ان البوادي من القبائل مغلوبون لاهل الامصار	٢٦٩ - ٢٧٠
الباب الثالث : في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية	٢٧١ - ٦٠٨
الفصل الاول : في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبية	٢٧١ - ٢٧٢
الثاني : في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت قد تستغني عن العصبية	٢٧٢ - ٢٧٥
الثالث : في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية	٢٧٥ - ٢٧٧
الرابع : الدين اصل الاستيلاء على الملك	٢٧٧
الخامس : في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة العصبية	٢٧٨ - ٢٧٩
السادس : في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم	٢٧٩ - ٢٨٤
السابع : في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها	٢٨٥ - ٢٨٧
الثامن : اتساع نطاق الدولة ونسبة القائمين بها	٢٨٧ - ٢٨٩

ص

٢٩٠ - ٢٩٣	الفصل التاسع : في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة
٢٩٣ - ٢٩٥	العاشر : في ان طبيعة الملك الانفراد بالمجد
٢٩٥ - ٢٩٦	الحادي عشر : في ان طبيعة الملك الترف
٢٩٦ - ٣٠٠	الثاني عشر : في ان طبيعة الملك الدعة والسكون
٢٩٧ - ٣٠٠	الثالث عشر : في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم
٣٠٠ - ٣٠٤	الرابع عشر : في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص
٣٠٤ - ٣٠٨	الخامس عشر : في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة
٣٠٩ - ٣١٠	السادس عشر : في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوة
٣١٠ - ٣١٣	السابع عشر : في اطوار الدولة واختلاف احوالها
٣١٣ - ٣٢٤	الثامن عشر : في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها - موارد بيت المال ببغداد ايام المأمون
٣٢٤ - ٣٢٦	التاسع عشر : في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين
٣٢٦ - ٣٢٨	العشرون : في احوال الموالي والمصطنعين في الدول
٣٢٩ - ٣٣٠	الحادي والعشرون : فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه
٣٣١ - ٣٣٢	الثاني والعشرون : في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب
٣٣٢ - ٣٣٤	الثالث والعشرون : في حقيقة الملك واصنافه
٣٣٤ - ٣٣٦	الرابع والعشرون : في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر
٣٣٦ - ٣٣٨	الخامس والعشرون : في معنى الخلافة والامامة
٣٣٩ - ٣٤٧	السادس والعشرون : في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
٣٤٨ - ٣٥٧	السابع والعشرون : في مذاهب الشيعة في حكم الامة
٣٥٨ - ٣٧٠	الثامن والعشرون : في انقلاب الخلافة الى الملك
٣٧٠ - ٣٧١	التاسع والعشرون : في معنى البيعة
٣٧١ - ٣٨٦	الثلاثون : في ولاية العهد - مقتل الحسين بن علي
٣٨٦ - ٤٠٠	الحادي والثلاثون : في الخطط الدينية الخلافية : العدالة

ص

- الحسبة والسكة —
- ٤٠١ — ٤٠٧ الفصل الثاني والثلاثون : في اللقب بأمير المؤمنين وانه من سمات الخلافة
- ٤٠٨ — ٤١٦ — الثالث والثلاثون : في مراتب الملك والسلطان والقابها : النصرانية ، واسم الكوهن عند اليهود
- ٤١٦ — ٤٥٤ — الرابع والثلاثون : في مراتب الملك والسلطان والقابها : الوزارة — الحجابة — ديوان الاعمال والجباية — ديوان الرسائل والكتابة — رسالة عبد الحميد الكاتب الى الكتاب — الشرطة — قيادة الاساطيل
- ٤٥٥ — ٤٥٦ — الخامس والثلاثون : في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول
- ٤٥٦ — ٤٧٩ — السادس والثلاثون : في شارات الملك والسلطان الخاصة به : السرير — السكة — مقدار الدرهم والدينار — الخاتم — الطراز — الفساطيط والسياج — مقصورة الصلاة والدعاء في الخطبة
- ٤٧٩ — ٤٩٣ — السابع والثلاثون : في الحروب ومذاهب الامم في تريبها — ضرب المصاف وراء العسكر — وصية علي لاصحابه يوم صفين
- ٤٩٣ — ٤٩٥ — الثامن والثلاثون : في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
- ٤٩٥ — ٤٩٦ — التاسع والثلاثون : في ضرب المكوس اواخر الدولة
- ٤٩٦ — ٥٠١ — الاربعون : ضرر وفساد تجارة السلطان
- ٥٠١ — ٥٠٦ — الحادي والاربعون : في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة
- ٥٠٦ — ٥٠٧ — الثاني والاربعون : في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية
- ٥٠٧ — ٥١٤ — الثالث والاربعون : في ان الظلم مؤذن بخراب العمران — الاحتكار
- ٥١٤ — ٥١٦ — الرابع والاربعون : في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم
- ٥١٧ — ٥٢٠ — الخامس والاربعون : في انقسام الدولة الواحدة

ص

بدولتين	
الفصل السادس والاربعون : في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع	٥٢١ - ٥٢٠
السابع والاربعون : في كيفية طروق الخلل للدولة	٥٢١ - ٥٣٠
الثامن والاربعون : في حدوث الدولة وتجدها كيف يقع	٥٣١
التاسع والاربعون : في كيفية استيلاء الدولة المستجدة على الدولة المستقرة	٥٣٢ - ٥٣٧
الخمسون : وفور العمران اخر الدولة وما يقع فيها من الموتان والمجاعات	٥٣٧ - ٥٣٩
الحادي والخمسون : في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره - نص كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله	٥٤٠ - ٥٥٤
الثاني والخمسون : في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه	٥٥٥ - ٥٨٦
الثالث والخمسون : في حدثان الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر - الننجيم - الملاحم	٥٨٧ - ٦٠٨
الباب الرابع : في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال	٦٠٩ - ٦٧٧
الفصل الاول : في ان الدول اقدم من المدن والامصار	٦٠٩ - ٦١١
الثاني : في ان الملك يدعو الى نزول الامصار	٦١١ - ٦١٢
الثالث : في ان المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير	٦١٢ - ٦١٥
الرابع : في ان الهيكل العظيمة لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة	٦١٥ - ٦١٧
الخامس : فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن .	٦١٧ - ٦٢١
السادس : في المساجد والبيوت العظيمة في العالم	٦٢٢ - ٦٣٥
السابع : في ان المدن والامصار بأفريقية والمغرب قليلة	٦٣٦ - ٦٣٧
الثامن : في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها	٦٣٧ - ٦٣٨
التاسع : في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع	٦٣٩

ص

اليها الخراب الا في الاقل	
الفصل العاشر : في مبادئ الخراب في الامصار	٦٤٠
الحادي عشر : في تفاضل الامصار والمدن	٦٤١ - ٦٤٥
الثاني عشر : في اسعار المدن	٦٤٦ - ٦٤٩
الثالث عشر : في قصور اهل البادية عن سكنى المصر	٦٤٩ - ٦٥٠
الكثير العمران	
الرابع عشر : اختلاف الاقطار بالرفه والفقر	٦٥٠ - ٦٥٣
الخامس عشر : في تأثر العقار والضياع في الامصار	٦٥٣ - ٦٥٥
وحال فوائدها .	
السادس عشر : في حاجات التمويل من اهل الامصار	٦٥٥ - ٦٥٦
الى الجاه والمدافعة .	
السابع عشر : علاقة الحضارة في الامصار باتصال	٦٥٦ - ٦٦١
الدولة ورسوخها .	
الثامن عشر : في ان الحضارة غاية العفران ونهاية لعمره	٦٦١ - ٦٦٧
التاسع عشر : خراب كراسي الملك بخراب الدولة	٦٦٧ - ٦٧١
وانتقاضها .	
العشرون : في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع .	٦٧١ - ٦٧٢
الحادي والعشرون : في وجود العصبية في الامصار	٦٧٢ - ٦٧٤
وتقلب بعضهم على بعض .	
الثاني والعشرون : في لفات اهل الامصار .	٦٧٥ - ٦٧٧
الباب الخامس - في المعاش ووجوهه من الكسب والصنمئع	٦٧٨
الفصل الاول : في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما .	٦٧٨ - ٦٨١
الثاني : في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه .	٦٨٢ - ٦٨٣
الثالث : في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي .	٦٨٤ - ٦٨٥
الرابع : في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس	٦٨٦ - ٦٩٣
بمعاش طبيعي .	
الخامس : في ان الجاه مفيد للمال .	٦٩٣ - ٦٩٤
السادس : احراز السعادة والكسب بالخضوع والتملق .	٦٩٤ - ٧٠٠
السابع : في ان القائمين بامور الدين لا تعظم ثروتهم في	٧٠١ - ٧٠٢
الغالب .	
الثامن : في ان الفلاحة من معاش المستضعفين واهل	٧٠٢ - ٧٠٣

ص

- العافية من البدو .
- ٧٠٣ - التاسع : في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها .
- ٧٠٤ - ٧٠٥ - العاشر : في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها .
- ٧٠٥ - ٧٠٦ - الحادي عشر : في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك
- ٧٠٦ - ٧٠٧ - الثاني عشر : في نقل الناجر للسلع
- ٧٠٨ - ٧٠٩ - الثالث عشر : في الاحتكار
- ٧٠٩ - ٧١١ - الرابع عشر : في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص
- ٧١١ - ٧١٢ - الخامس عشر : في ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء
- ٧١٢ - ٧١٤ - السادس عشر : في ان الصنائع لا بد لها من العلم
- ٧١٤ - ٧١٥ - السابع عشر : في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته
- ٧١٦ - ٧١٨ - الثامن عشر : في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة
- ٧١٨ - ٧١٩ - التاسع عشر : في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالبها .
- ٧١٩ - العشرون : في ان الامصار اذا قاربت الخراب انقصت منها الصنائع
- ٧٢٠ - ٧٢١ - الحادي والعشرون : في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع
- ٧٢١ - ٧٢٢ - الثاني والعشرون : فيمن حصلت له ملكة في صناعته فقل ان يجيد بعدها ملكة في اخرى
- ٧٢٢ - ٧٢٣ - الثالث والعشرون : في الاشارة الى امهات الصنائع .
- ٧٢٣ - ٧٢٤ - الرابع والعشرون : في صناعة الفلاحة
- ٧٢٤ - ٧٣٠ - الخامس والعشرون : في صناعة البناء
- ٧٣٠ - ٧٣٢ - السادس والعشرون : في صناعة النجارة
- ٧٣٢ - ٧٣٣ - السابع والعشرون : في صناعة الحياكة والخياطة
- ٧٣٣ - ٧٣٥ - الثامن والعشرون : في صناعة التوليد
- ٧٣٥ - ٧٤٣ - التاسع والعشرون : في صناعة الطب
- ٧٤٤ - ٧٥٤ - الثلاثون : في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية

ص

٧٥٧ - ٧٥٥	الفصل الحادي والثلاثون : في صناعة الوراقة
٧٦٧ - ٧٥٨	- الثاني والثلاثون : في صناعة الغناء
٧٦٧ - ٧٦٨	- الثالث والثلاثون : في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا
	وخصوصا الكتابة والحساب
٧٦٩	الباب السادس : في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه ...
٧٧٠ - ٧٦٩	الفصل الاول : في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري
٧٧٠ - ٧٧٧	- الثاني : في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع
٧٧٧ - ٧٧٩	- الثالث : في ان العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة .
٧٧٩ - ٧٨٢	- الرابع : في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا المهد
٧٨٢ - ٧٨٩	- الخامس : علوم القرآن من التفسير والقراءات
٧٨٩ - ٧٩٧	- السادس : علوم الحديث
٧٩٨ - ٨٠٩	- السابع : علم الفقه وما يتبعه من الفرائض
٨١٠ - ٨١٢	- الثامن : علم الفرائض
٨١٢ - ٨٢١	- التاسع : اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات
٨٢١ - ٨٣٨	- العاشر : علم الكلام
٨٣٨ - ٨٤٠	- الحادي عشر : في ان عالم الحوادث انما يتم بالفكر
٨٤٠ - ٨٤٢	- الثاني عشر : العقل التجريبي وكيفية حدوثه
٨٤٣ - ٨٤٥	- الثالث عشر : علوم البشر وعلوم الملائكة
٨٤٥ - ٨٤٧	- الرابع عشر : علوم الانباء
٨٤٧ - ٨٤٨	- الخامس عشر : الانسان جاهل بالذات عالم بالكسب
٨٤٨ - ٨٦٢	- السادس عشر : كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة
٨٦٣ - ٨٨٢	- السابع عشر : علم التصوف
٨٨٢ - ٨٨٨	- الثامن عشر : علم تعبير الرؤيا
٨٨٨ - ٨٩٤	- التاسع عشر : العلوم العقلية واصنافها
٨٩٤ - ٩٠١	- العشرون : العلوم العددية : الحساب ، الجبر ، المعاملات والفرائض
٩٠١ - ٩٠٥	- الحادي والعشرون : العلوم العددية - المساحة
٩٠٥ - ٩٠٨	- الثاني والعشرون : علم الهيئة - علم الازياج

ص

الثالث والعشرون : علم المنطق	٩١٦ - ٩٠٨
الرابع والعشرون : الطبيعيات	٩١٧ - ٩١٦
الخامس والعشرون : علم الطب	٩١٧ - ٩١٦
السادس والعشرون : الفلاحة	٩٢٠ - ٩١٩
السابع والعشرون : علم الالهيات	٩٢٣ - ٩٢٠
الثامن والعشرون : علوم السحر والطلسمات	٩٢٣ - ٩٢٦
التاسع والعشرون : علم اسرار الحروف	٩٣٦ - ٩٧٦
الثلاثون : علم الكيمياء	٩٩٢ - ٩٧٦
الحادي والثلاثون : في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها .	٩٩٢ - ١٠٠٢
الثاني والثلاثون : في ابطال صناعة النجوم	١٠٠٢ - ١٠٠٩
الثالث والثلاثون : انكار نمرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن اتتحالها .	١٠١٠ - ١٠٢١
الرابع والثلاثون : كثرة التأليف في العلوم عاقبة عن التحصيل .	١٠٢١ - ١٠٢٣
الخامس والثلاثون : المقاصد التي ينبغي اعتمادها في التأليف	١٠٢٣ - ١٠٢٨
السادس والثلاثون : كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم .	١٠٢٨ - ١٠٢٩
السابع والثلاثون : في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته - الفكر الانساني .	١٠٣٠ - ١٠٣٦
الثامن والثلاثون : في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الاظهار ولا توسع المسائل .	١٠٣٦ - ١٠٣٨
التاسع والثلاثون : في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار .	١٠٣٨ - ١٠٤٢
الاربعون : في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم .	١٠٤٢ - ١٠٤٤
الحادي والاربعون : الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم .	١٠٤٤ - ١٠٤٥
الثاني والاربعون : بعد العلماء عن السياسة ومذاهبها .	١٠٤٥ - ١٠٤٧
الثالث والاربعون : حملة العلم في الاسلام اكثرهم من المعجم	١٠٤٧ - ١٠٥١
الرابع والاربعون : في ان العجمة اذا سبقت الى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن	١٠٥١ - ١٠٥٥

ص

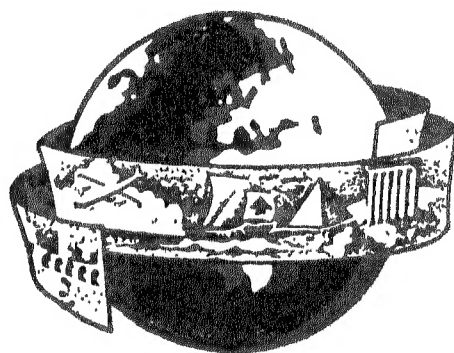
اهل اللسان العربي

- ١٠٥٥ - ١٠٧٠ الفصل الخامس والاربعون: في علوم اللسان العربي: علم النحو
- علم اللغة - علم البيان - علم الادب .
- ١٠٧١ - ١٠٧٢ السادس والاربعون : في ان اللغة ملكة صناعية .
- ١٠٧٣ - ١٠٧٨ السابع والاربعون : مغايرة لغة العرب لهذا العهد للغة
مضر وحمير .
- ١٠٧٨ - ١٠٨٠ الثامن والاربعون : لغة اهل الحضر والامصار لغة قائمة
بنفسها مخالفة للغة مضر .
- ١٠٨٠ - ١٠٨١ التاسع والاربعون : في تعليم اللسان المضرى
- ١٠٨١ - ١٠٨٤ الخمسون : ملكة صناعة اللسان غير صناعة العربية .
- ١٠٨٥ - ١٠٨٨ الحادي والخمسون : تفسير الذوق البياني وتحقيق
معناه .
- ١٠٨٩ - ١٠٩٢ الثاني والخمسون : قصور اهل الامصار في تحصيل
الملكة اللسانية .
- ١٠٩٣ - ١٠٩٦ الثالث والخمسون: انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
- ١٠٩٦ - ١٠٩٧ الرابع والخمسون : في انه لا تنفق الاجادة في فني
المنظوم والمنتور معا الا لاقول
- ١٠٩٧ - ١١١٠ الخامس والخمسون : في صناعة الشعر ووجه تعلمه
- ١١١٠ - ١١١١ السادس والخمسون : في ان صناعة النظم والنثر انما
هي في الالفاظ لا في المعاني .
- ١١١٢ - ١١١٦ السابع والخمسون : في ان حصول هذه الملكة بكثرة
الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ .
- ١١١٦ - ١١٢١ الثامن والخمسون : في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع
- ١١٢٢ - ١١٢٣ التاسع والخمسون : في ترفع اهل المراتب عن انتحال
الشعر .
- ١١٢٤ - ١١٣٧ الستون : في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد .
- ١١٣٧ - ١١٦٩ الموشحات والازجال .
- خاتمة ١١٦٩

فَهْرَسْ مُقَدِّمَة ابْنِ خَلْدُونْ

صفحة

١١٧٥	١ - كلمة عامة
١١٨١	ب - مصادر دراسة ابن خلدون
١٢٨٥ - ١١٩١	ج - الفهارس :
١١٩١	١ - فهرس الموضوعات
١٢٠١	٢ - فهرس أعلام الرجال والنساء
١٢١٩	٣ - فهرس لغة ابن خلدون
١٢٤٨	٤ - فهرس الشعوب والقبائل والدول والاسر
١٢٥٦	٥ - فهرس البلدان والامكنة الجغرافية
١٢٧١	٦ - فهرس الكواكب والنجوم والابرار انفلكية
١٢٧٢	٧ - فهرس الحيوان
١٢٧٣	٨ - فهرس النبات
١٢٧٥	٩ - فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة
١٢٧٧	١٠ - فهرس اسماء الكتب الوارد ذكرها في المقدمة
١٢٨١	١١ - فهرس آي القرآن الكريم والاحاديث النبوية
١٢٨٥	١٢ - فهرس مواد الكتاب



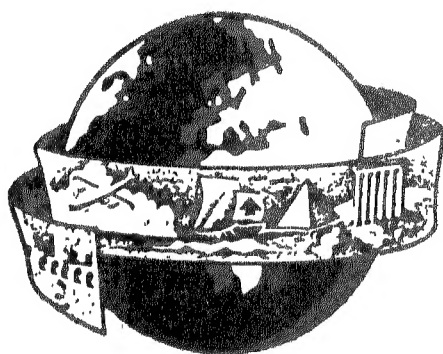
دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج.م.ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برفقيا، كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL · ZEIN



دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع ملام كوري - مقابل فندق بريسبول
تلفون: ٧٢٥٧٣١ - ٧٢٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: ناكلبان - ص.ب.: ١١/٨٢٣٠ - بيروت - لبنان

FAX. (9611) 351433

A/T.: MR. HASSAN EL- ZEIN

IBN KAHLIDUN

Volume Two

DAR AL - KITAB AL - MASRI
CAIRO

DAR AL - KITAB AL - LUBNANI
BEIRUT